

جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى

وانجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوي
(٣٨٨-٤٢١هـ/٩٩٨-١٠٣٠م)



تأليف الدكتور

محمد ثروت السيد عبدالرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها الباحث درجة العالمية (الدكتوراه)
في الدعوة والثقافة الإسلامية من كلية الدعوة
جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة ١٤٢٣هـ/٢٠١٢م،
بتقدير (مرتبة الشرف)

**جهود الدولة الغزنوية
في الدعوة إلى الله تعالى
وإنجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوي**

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى:

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر


فرع الأزهر : شارع محمد عبده
خلف الجامع الأزهر


هاتف : 0 2 2 5 1 1 7 7 4 7

فرع المنصورة : عزبة عقل
بجوار جامعة الأزهر

هاتف : 0 5 0 2 3 5 7 9 7 9

@DarElollaa  
Dar_elollaa@hotmail.com 

لطلبات الشحن والتوصيل
داخل مصر : 01050144505 

لطلبات الشحن والتوصيل
خارج مصر : +201032057053 

للإطلاع
على قائمة
الإصدارات
قم بمسح QR Code 



جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو نقله بأي وسيلة من الوسائل سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التصوير وغير ذلك دون الحصول على إذن خطي من المؤلف والناشر.

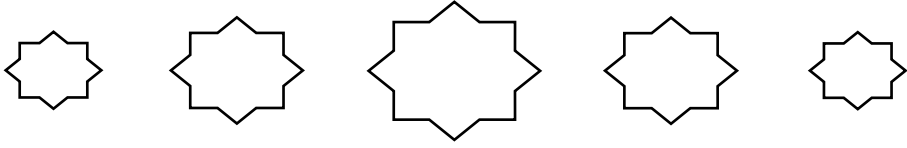
**جهود الدولة الغزنوية
في الدعوة إلى الله تعالى
وإنجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوي**

(388 - 421 هـ / 998 - 1030 م)

تأليف
الدكتور
محمد ثروت السيد عبدالرحيم

دار اللؤلؤة

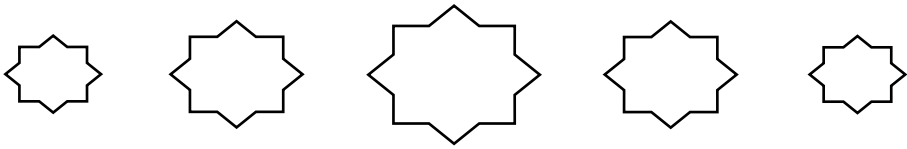
للنشر والتوزيع
المنصورة - مصر

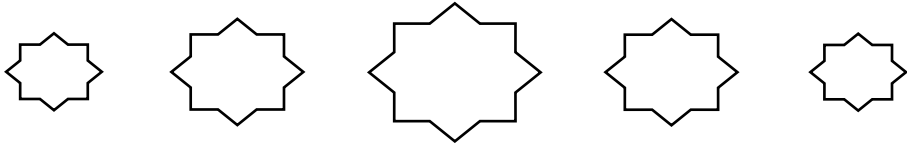


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

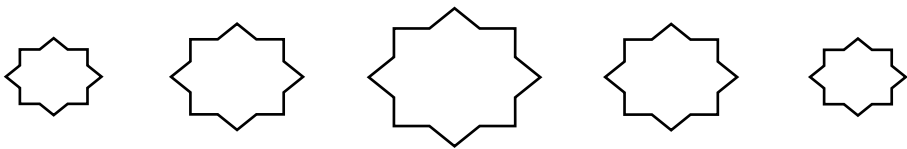




الإهداء

إلى أمي سيدة قلبي وحببي المعلىن والدفين
إلى أبي الذي وهبني قبل ميلادي إلى رب العالمين
فلهما الفضل والشكر والدعاء بحسن ختام الصالحين
سائلا المولى في عليائه أن يدخلهما الجنة مع المخلصين

الدكتور / محمد ثروت السيد عبدالرحيم



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلي آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فلقد أتم الله ﷻ على المسلمين النعمة، وأكرمهم بأن جعلهم: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١)، وكرّمهم بالسراج المنير، نبه الكريم، ووعدهم بالفضل العميم، والعطاء الجزيل، وأمرهم بتبليغ الدين، فانتشر هديه المبين، وبلغت أنواره كل العالمين، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وحمله منهم المخلصون، وشيدوا به صرحًا من أمتن الصروح في فترة زمنية لا تساوى في عمر الزمن شيئًا.

وتتجلى تلك الصورة المبهرة - من خلال المصادر - في الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ولعلّ من أهم تلك الدول - التي استطاعت في فترة قصيرة من الزمان أن تغير مجرى الأحداث المشرقية، وتشهد معها تلك البقعة حقبة تاريخية جديدة وصفحة مشرقة من صفحات التاريخ الإسلامي - الدولة الغزنوية (٣٦٦-٥٨٢هـ / ٩٧٧-١١٨٦م) التي اشتق اسمها من اسم عاصمتها "غزنة" الموجودة حاليًا بأفغانستان؛ حيث لم تكن عاصمة الخلافة الإسلامية

(١) من الآية (١١٠) من سورة آل عمران.

وحدها المتفردة بنشر الإسلام وحضارته؛ بل كان للدولة الغزنوية الفتية، التي ظهرت على مسرح الأحداث عظيم الأثر، فأولت العلم والعلماء عناية كبيرة، وكان السلطان محمود الغزنوي الذي استطاع أن يعتلي العرش سنة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) أكثر السلاطين اهتماماً بذلك فجعل قصره مقصدًا للعلماء، فوفد إليه الشعراء والأدباء والعلماء والطلاب من شتى البقاع.

ومن مفاخره أن بلغت الدولة الغزنوية في عهده أوج اتساعها، حيث امتد سلطانه فشمل الجزء الشمالي من شبه القارة الهندية من جهة الشرق، والعراق من جهة الغرب، وخراسان وطخارستان وقسمًا من بلاد ما وراء النهر من جهة الشمال، وسجستان من جهة الجنوب، فأصبحت من أقوى الدول التي طفت على سطح الخلافة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ)؛ الأمر الذي جعل الخلافة العباسية تعترف به سلطاناً مستقلاً، كما منحه الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ/ ٩٩١-١٠٣٠م)، العديد من الألقاب الفخرية ذات الدلالات الدينية، كان أهمها لقب: "يمين الدولة وأمين الملة" الذي اشتهر به؛ اعترافاً من دار الخلافة بفضله في رعاية الركن الأيمن من المشرق الإسلامي.

وهكذا ترجع أهمية هذه الدولة إلى سلطانها الذي أمسك بزمام الزعامة في القسم السني من العالم الإسلامي تحت ظل الخلافة العباسية في بغداد، فقام بنشر الإسلام في بلاد الهند من خلال غزواته لهذه البلاد التي استمرت أكثر من ربع قرن من حكمه الذي ظل أكثر من ثلاثين عاماً من سنة (٣٨٨هـ: ٤٢١هـ)، والتي صبغها بصبغة الجهاد في سبيل الله لنشر الإسلام، والدعوة إلى الله - تعالى-؛ لذا صار من أبطال المسلمين الذين ذكروا بلقب "الغازي"، حتى قيل: إن فتوحه تعدل في المساحة فتوح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لذا

يعتبر بلا شك علمًا من أعلام التاريخ الإسلامي عامة والمشرق خاصة، فلقد برهن السلطان محمود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أنه لم يكن قائداً عسكرياً فذاً فقط؛ بل كان رجل إدارة وسياسة وتنظيم، وصاحب غيرة كبيرة.

وتلقي هذه الدراسة الضوء على جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى في عهد السلطان محمود، وترسيخ الحضارة الإسلامية على كافة الأصعدة، وإنما ترتفع الدولة بفضل الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثم بفضل مجموعة من المعطيات يعمل على تحقيقها القائد المسلم الذي يبلى البلاء الحسن ويكون قدوة لجيشه وشعبه.

وإن المتأمل في تاريخ هذه الدولة يرى أن لها إنجازات حضارية عملاقة وجهوداً مشهودة في نشر الإسلام في الداخل والخارج؛ فالغالب على رجالها وأمرائها وقوادها العمل في منظومة واحدة تشبه خلية النحل إلى حد كبير.

لذا كان من الضروري دراسة الدول المستقلة عن الخلافة العباسية، خصوصاً تلكم الدول التي لم تنل حقها من عناية الباحثين، أو حظيت بدراسة بعض جوانب تاريخها وبقيت الجوانب الأخرى غامضة مبهمه لم تخرج إلى النور بعد، ومن تلك الدول العظيمة "الدولة الغزنوية" وهي الدولة التي تم اختيارها لتكون بحثاً علمياً تحت عنوان:

(جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى وإنجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوي)

(٣٨٨ - ٤٢١ هـ / ٩٩٨ - ١٠٣٠ م)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لهذا الموضوع أهمية كبرى في تأصيل الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي، حيث تعتبر الدولة الغزنوية من الدول العظيمة في التاريخ الإسلامي، وقد اكتسبت هذه المكانة حين كان سلطانها محمود الغزنوي، الذي يتصف بصفات الحاكم المسلم، تلك الصفات أكسبته مكانة بارزة في التاريخ؛ فقد ساهم بغزواته في توسيع رقعة العالم الإسلامي، كما كانت له العديد من المنجزات الحضارية، والبصمات العلمية في التراث الإسلامي.

ولمّا كان السلطان محمود الغزنوي سنياً معتدلاً فإنّ ظهوره على السّاحة السياسية بالمشرق قد جدّد الأمل في نفس الخليفة العباسي القادر بالله -الذي استهان به الأمراء وأذلة الشيعة- وفوّت على الطّامعين فرصة الانقضاض على الخلافة السنية، واندفع يؤدّب كل من تحدّثه نفسه باعتراف المذهب الشيعي.

كما كان ظهور السلطان محمود ذا أثر كبيرٍ على بلاد الهند، إذ لم يكد يستقر الأمر للقائد الجديد حتى بدأ نشاطاً جهادياً واسعاً في هذه البلاد، وتطلع لنشر الإسلام بين أهلها، وكأنّ الأقدار قد ادخرت شرف استئناف نشر الإسلام في الهند والسير به أمداً بعيداً لهذا السلطان الغزنوي العظيم.

وأما عن أسباب اختيار هذا الموضوع، فلعل من أبرزها، أنّ دراسة جهود هذه الدول وقادتها في الدعوة إلى الله تعالى وترسيخ الحضارة الإسلامية، يُعدُّ موضوع بحثٍ حيويٍّ يُشجعه العلم، ويثني عليه جمهرة العلماء، لا تخليداً لذكرها فحسب؛ بل طمعاً في الاستفادة من تحليل تلك الأعمال، وسبر أغوارها للاستفادة منها في تخطيط سياسة الأمم والدول، للحاضر والمستقبل، فضلاً عن

أسباب أخرى، أستطيع إيجازها في الآتي:

أولاً: أن الدولة الغزنوية تُعتبر من أعظم الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية، والأثر الذي تركته في هذه البلاد يشهد بذلك؛ لذا كان من الضروري إلقاء الضوء على جهود تلك الدولة المباركة في نشر الإسلام، مع بيان الأسلوب الفريد الذي انتهجته في الدعوة إلى الله ﷻ بقيادة السلطان محمود؛ وكذا الحديث عن إنجازاتها الحضارية والتي لا تزال بعض آثارها باقية إلى اليوم.

ثانياً: ضرورة الرد على الشبهات المغرضة من قبل بعض المستشرقين وغيرهم لتشويه صورة الدولة الغزنوية وسلطانها، ومن ثم تشويه صورة الجهاد في سبيل الله.

ثالثاً: خلو المكتبات من عمل علمي متكامل يتناول هذا الموضوع المهم في الدعوة والحضارة الإسلامية، فوقع اختياري عليه إسهاماً في استنهاض همم شباب العالم الإسلامي عامةً، وشباب هذا الإقليم خاصةً؛ ليواصل مسيرة الماضي بإمكانيات الحاضر لآمال المستقبل، حتى تُستكمل الحلقات، ويكمل البناء، وليتذكر الشعب المسلم مجد أسلافه السابقين، وروعة أعمالهم المخلصين، فيتشجع لتقليدهم، ويفخر بأدائهم.

رابعاً: لم يأخذ البحث التاريخي والحضاري حتى الآن حقه الكامل في الحفاظ عليه من عبث العابثين وتنطع المتنطعين وتحريف الغالين، وخصوصاً جهود تلكم الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية والتي ما زالت مجهولة عند كثير من المسلمين وخصوصاً غير المتخصصين، فكان لزاماً أن يتصدى أبناء هذا الدين المخلصين المتخصصين لدراسة تاريخ تلك الدول الإسلامية

الهامة بنزاهة وموضوعية بعيداً عن الميول والأهواء، مع بيان جهدها العظيم في تبليغ الدعوة الإسلامية ودفاعها عن الإسلام؛ ليتأسى بهم الناس في حياتهم الدعوية والجهادية.

خامساً: تعريف الخلف بتراث وتاريخ وحضارة السلف أمرٌ لا بد منه إذا أردنا العودة إلى المجدِّ والعزِّ والنَّصرِ والنَّجَاحِ الباهرِ المشرقِ الذي صنعه الأجدادُ؛ الأمر الذي يُعطيهم الثقة بأنفسهم وحضارتهم لإعادة تجديد تلك الحضارة، وطرد السَّلْبِيَّةِ والانزامية أمام الحضارة الغربية المتقدمة حالياً.

سادساً: -وأهم هذه الأسباب- أن الهند تُعتبر من أهم المناطق التي نُشر فيها الإسلام في عهد الدولة الغزنوية، ورغم ذلك فإنها لم تنل حقها في الدراسة من تلك الجهة الهامة، وقد أشار إلى ذلك السير توماس أرنولد -في كتابه الدعوة إلى الإسلام- قائلاً: "تناول كثير من المؤرخين القدامى والمعاصرين على سواء، الكلام على غزوات المسلمين في الهند وتأسيس النفوذ الإسلامي ونموه في هذه البلاد، بيد أن أحداً لم يُحاول -إلى الآن- أن يكتب عن تاريخ انتشار الإسلام في الهند، باعتباره شيئاً منفصلاً عن الانتصارات الحربية والأعمال الإدارية التي قام بها أشياع هذا الدين"^(١).

وقرر في موضعٍ آخر: "أنَّ تاريخ الحركات التي قام بها المسلمون لنشر الدعوة الإسلامية، والمؤثرات الاجتماعية التي أدَّت إلى تحول أهل بلاد الهند إلى الإسلام لم تلق إلى الآن إلاَّ عناية يسيرة جدًّا، وأنَّ معظم الكتب التاريخية

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٨٥.

التي نستطيع الرجوع إليها، والتي تتناول الكلام عن المسلمين في الهند، سواء أكان مؤلفوها من الأوربيين أم من أهالي هذه البلاد لا تعدو أن تكون سجلات دونت فيها أخبار الحروب والحملات" (١).

وقبل كل هذا كان فضل الله ﷻ، ثم توجيه أساتذتي الكرام في قسم الثقافة الإسلامية بالكلية؛ وذلك استكمالاً لمسيرة الدعوة إلى الله تعالى، فرغبتُ في الإسهام المتواضع -على قدر طاقتي وجهدي- في خدمة الدعوة راجياً أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى.

■ منهجُ البحث:

لقد اعتمدت في هذه الدراسة - بفضل الله ﷻ على استخدام المنهج التاريخي التقليدي القائم على سرد الأحداث والوقائع، كما اعتمدت على المنهج الوصفي القائم على وصف الأعمال التي قام بها السلطان محمود وبعض الحروب التي خاضها، وكذلك المنهج التحليلي القائم على تفكيك الحادثة التاريخية؛ وذلك من أجل التوصل إلى صحة الوقائع التاريخية.

كما اتبعتُ في هذا المنهج الأسس التالية:

- (أ) قسّمتُ البحثُ إلى مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع حسب ما تتطلبه الدراسة وعلى ضوء التسلسل العلمي السليم.
- (ب) أنتهي من كلِّ مبحثٍ -في أغلب الأحيان- بيانٍ يوضحُ خلاصةً ما توصلتُ إليه ونتيجته.

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٨٦.

(ج) حاولت - قدر الاستطاعة - استخراج الحقائق التاريخية من المادة العلمية لمواطن الدراسة، ووضعها في مكانها المناسب، وربما تكررت المادة العلمية في عدة مواطن حسب ما تقتضيه الحاجة. وسوف أقوم - أيضاً - بعزو كل نص مقتبس إلى موضعه الأصلي وفق المنهج الآتي:

أولاً: النصوص القرآنية: أشير في الهامش إلى اسم السورة ورقم الآية.

ثانياً: أما النصوص النبوية فسوف أقوم بعزوها إلى مصادرها الأصلية مع الإشارة إلى اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة في الهامش.

من ناحية النصوص المقتبسة من المراجع والمصادر فسوف أقوم بعزوها إلى مرجعها، بذكر المجلد والصفحة، مشيراً إلى الجزء ب (ج)، والصفحة ب (ص)، في كل صفحات الدراسة، مع الإشارة إلى بطاقة المؤلف والكتاب كاملة، وذلك في قائمة المصادر والمراجع، في آخر الدراسة، هروباً من تضخم الحواشي السفلية.

مع محاولة إيجاد التناسق، والتوافق في عدد الصفحات، وكان لا بد - مع هذه المحاولة - من وجود بعض التباين بالزيادة أو النقص بين الفصول، وهو ما فرضته المادة العلمية المتوفرة عن كل فصلٍ ومبحثٍ، مع مراعاة الترتيب الموضوعي العام.

هذا هو المنهج الذي اتبعته مع النصوص الواردة في هذا البحث، وقد جاء شتملاً على مقدمة، وتمهيد، وباين، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وفهرسٍ عام، وقبل التعرف على خطة البحث أشير إلى أهم:

▣ الدراسات السابقة:

لم تكن هناك دراسة مستقلة تبحث في موضوع جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى وإنجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوي - على حد علم الباحث - فمن الملاحظ أن تركيز معظم الباحثين ودارسي المشرق الإسلامي ولاسيما العصر الغزنوي، قد وجهوا التركيز إلى دراسة الدولة الغزنوية سياسياً منذ قيامها حتى سقوطها (٣٦٦-٥٨٢هـ / ٩٧٧-١١٨٦م)، أو في عصر السلطان محمود (٣٨٨-٤٢١هـ / ٩٩٨-١٠٣٠م)، ومن هذا المنطلق يمكن عد موضوع البحث محاولة جديدة في هذا المضمار.

ومع ذلك لا ينبغي لباحث أن يظن في نفسه الكمال، وينسب لها الفضل في إنجاز عمل لم يسبقه فيه أهل الفضل والعلم، إنما يُحمد له جهد الجمع والترتيب والانتقاء والتنظيم والتصحيح والتنقيح؛ فإنَّ بضاعته في الأصل من متاجر قوم سهروا على جمعها، وأفنوا أعمارهم لأجلها، فأودعوا أسفارهم، وتركوها لأحفادهم، وكل ما يعتمد عليه الباحث من فروع المصادر والمراجع هو فضل يشكر عليه أهله، وسبق يُذكر لأصحابه، وما دون ذلك غمط للحق، وإنكار لفضل أهل السُّبق.

وقد أفاد هذا البحث من بعض الدراسات المباشرة وغير المباشرة في موضوعه؛ أما الدراسات المباشرة السابقة فمنها:

١. دراسة الباحث/ محمد حسن عبد الكريم عماد، بعنوان "خراسان في العصر الغزنوي"، وهي رسالة دكتوراه مُنحت من كلية الآداب، جامعة القاهرة، قسم التاريخ، سنة ١٩٩٠م، ولقد عثرت على هذه الرسالة مطبوعة باسم: د/

محمد حسن العمادي، خراسان في العصر الغزنوي، تقديم: د/ نعمان جبران، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، إربد، الأردن، سنة ١٩٩٧ م، وهذه الدراسة على ما فيها من جهد مشكور، وعطاء مبذول، إلا أنها اقتصرت على الحديث عن منطقة واحدة من المناطق التي خضعت للدولة الغزنوية، ومع ذلك فقد استفاد منها البحث في الباب الثاني منه.

٢. دراسة الباحث/ محمد يوسف علاّم عبد العال، وهي بعنوان "الحركة العلمية في غزنة ونيسابور إبان العصر الغزنوي" (٣٦٦-٤٤٤هـ/ ٩٧٦-١٠٥٢م)، وهي رسالة ماجستير، مُنحت من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالقاهرة، شعبة التاريخ والحضارة، سنة ١٩٩٨ م، وهذه الرسالة قد ركزت على الحركة العلمية في مدينتين فقط من المدن التي خضعت للدولة الغزنوية، كما أنّها لم تتعرض للحديث عن الدور العظيم الذي قامت به الدولة الغزنوية - بقيادة سلطانها- في نشر الإسلام وترسيخ قواعد الحضارة الإسلامية داخل البلاد وخارجها.

٣. دراسة الباحث/ فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي، بعنوان "السياسة الخارجية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي (٣٨٩ - ٤٢١هـ/ ٩٩٦ - ١٠٣٠م)"، وهي رسالة ماجستير مُنحت من كلية الآداب، فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية، قسم التاريخ والآثار المصرية، سنة ٢٠٠٧ م، وهذه الرسالة -أيضاً- لم تتطرق إلى الحديث عن جهود الدولة الغزنوية في نشر الإسلام باعتباره شيئاً منفصلاً عن الانتصارات العسكرية، غير أنّها أفادت البحث عند الحديث عن قيام الدولة الغزنوية.

٤. كتاب محمد ناظم: "السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره"، والذي أفاد البحث في تحليل بعض الأحداث الهامة في حياة السلطان محمود، إلا أنه أهمل -أيضاً- الحديث عن الجهود العظيمة للدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى وإرساء دعائم الحضارة الإسلامية في تلك البلاد.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الدراسات السابقة الجامعية وغير الجامعية -على حد علم الباحث- لم تتطرق إلى الحديث عن جهود الدولة الغزنوية في نشر الإسلام باعتباره شيئاً منفصلاً عن الفتوحات العسكرية، برغم وجود تباين كبير بين الفتوحات العسكرية ونشر الإسلام، حيث إنَّ هناك الكثير من البلاد التي فتحها المسلمون دون أن يُسلم بها أحد، كبعض البلاد التي فُتِحَتْ وفُرضت عليها الجزية وبقي أهلها على عقيدتهم؛ أما الدولة الغزنوية فقد كان لها جهد عظيم في نشر عقيدة التوحيد وتثبيت دعائم الإسلام في كثير من البلاد المترامية الأطراف كالهند وكشمير وما وراء النهر؛ من هنا كانت رغبتني في إبراز هذا الدور العظيم لتلك الدولة في نشر الإسلام وبناء صرح حضاري عظيم.

▣ صعوبات البحث:

ولا شك أن عملاً كهذا يتطلب جهداً كبيراً لإنجازه حتى يخرج إلى حيز الوجود في صورة أقرب إلى الكمال؛ وقد بذلتُ جهداً متواصلاً تجاه هذا البحث؛ غير أنني لاقيتُ صعوبات كثيرة أهمها: ما هو متعلق بمراجع الموضوع من بحثٍ وتنقيبٍ في المصادر والمراجع، ومن تنسيقٍ وترتيبٍ واستنباطٍ وغير ذلك، ومن أهم الصعوبات التي واجهتني:

(أ) غموض بعض الفترات التاريخية وبخاصة الفترة التي مهدت لقيام

الدولة الغزنوية منذ ألبتكين حتى تولى سُبُكْتُكَيْن الحكم في غزنة، وصعوبة تتبع الفترة التي قضاها سُبُكْتُكَيْن قبل انضمامه لممالك ألبتكين، وكذا نشأة محمود في كنف والده سُبُكْتُكَيْن.

(ب) فقد أو عدم العثور على بعض النقاط الضرورية المتعلقة بحياة السلطان محمود، خصوصاً في كتب التاريخ الهامة مثل كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير، مما جعلني أتابع البحث عن المفقود في كتب التاريخ والتراجم الأخرى مثل كتاب "تاريخ البيهقي"، وكتاب "سياسة نامه" لنظام الملك، وغير ذلك من الكتب مما سيأتي الكلام عنه بإذن الله تعالى.

(ج) تعدد الآراء حول أسباب حملات السلطان محمود على الهند، وما يشوبها من كتابات ذات اتجاهات سياسية ودينية مختلفة مَثَلَتْ صعوبة بالغة على الباحث خاصة في تتبعه لهذه الآراء حتى يظهر الحقيقة.

(د) كذلك من هذه الصعوبات التي واجهتني أن المصادر التاريخية قد أمسكت في الحديث عن الجهود الدعوية للدولة الغزنوية، وأغفلت في حين آخر الجوانب الحضارية، وأصبح على الباحث تمحيص الروايات المختلفة وتحليلها من أجل الحصول على إشاراتٍ هنا أو هناك.

▣ دراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث:

اقتضت فصول البحث ومباحثه تنوع المصادر والمراجع التي يعتمد عليها، ويستمد منها المادة العلمية، على أن أهم المصادر في مثل هذه الدراسات هي مصنفات التاريخ العام والخاص والتراجم والطبقات، التي تمد البحث بالكثير من الجوانب المهمة، والإشارات المتنوعة عن حياة مثل هذه الدول وقادتها

العظام، وكذا الجوانب الاجتماعية والثقافية فيها؛ وتميزت هذه المصادر - برغم الشذرات المتناثرة - بالكثرة والدقة والتنظيم حسب تنوعها على الأسس الزمنية، أو المكانية، أو الطبقيّة، أو الحولية، ونحو ذلك.

أولاً: المصادر الفارسية والمُعربة:

جاءت في صدارة اهتمام هذه الدراسة المصادر الفارسية، وتكمن أهميتها في أنها تلقي الضوء كثيراً على الملامح العامة للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود، ويُعدُّ كتاب "تاريخ البيهقي" لمؤلفه أبي الفضل محمد بن حسين البيهقي، (ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) من أفضل المؤلفات وأهمها في تاريخ الدولة الغزنوية، على الرغم من أنّه تأريخ لسيرة السلطان مسعود الغزنوي أصلاً، وهو كتاب أُلّف بالفارسية، ثم تُرجم ما بقي منه - بعد ضياع - إلى اللغة العربية حديثاً على يد الدكتور/ يحيى الخشاب، وصادق نشأت؛ والمؤرخ البيهقي من أشهر المؤرخين المسلمين، ويكفي أنه كان يشغل منصب نائب رئيس الديوان العام على عهد السلطان مسعود، ولذلك جاء تاريخه من أوثق التواريخ، بل يذكر المؤرخ أنّ تاريخه يضم أخباراً لم يُكتَب لغيره العثور عليها^(١).

كتاب "جهار مقاله" (المقالات الأربعة)، لمؤلفه النظامي العروضي السمرقندي (ت ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)، ترجمه إلى الإنجليزية إدوار بروان، ونقله إلى العربية: عبد الوهاب عزّام، ويحيى الخشاب، وهو كتاب في الأدب بالدرجة

(١) لمزيد من التفاصيل يُنظر مقدمة الكتاب، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة ١٩٥٦م.

الأولى، غير أنه اكتسب شهرةً تاريخيةً عظيمةً إلى درجة اعتماد كثير من المؤرخين على بعض رواياته، وخاصةً فيما يتعلق بالسلطان محمود الغزنوي، وتتجلى قيمة هذا الكتاب عندما يجد الباحث بعض الروايات التاريخية فيه والتي لا توجد في غيرها من المصادر التاريخية الأخرى.

ومن الكتب المهمة في هذه الدراسة كتاب "سياست نامه أو سير الملوك" للوزير نظام الملك أبي علي حسن بن علي الطوسي، (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)، ترجمة: السيد محمد العزاوي؛ والكتاب يضم عصارة أفكار المؤلف في الحياة السياسية وتجاربه في أخريات حياته، وقد أمد الدراسة بمعلومات قيمة تتعلق بالفترة التي مر بها سُبُكْتِكِين في خدمة سيده ألبتكين، وكيف وصل إلى أعلى المراتب، وكشف الغموض إلى حد ما عن تلك الفترة، كما استفاد منه البحث في مواطن أخرى كثيرة أيضاً.

ثانياً: المصادر العربية:

وقد ساهمت المصادر العربية بدور بارز في هذه الدراسة وأمدت البحث بمعلومات قيمة عن جهود الدولة في الدعوة إلى الله وانجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوي، ولعل من أبرزها كتاب "تاريخ الأمم والملوك"، لمؤلفه محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) الذي يُعدُّ من أقدم المصادر التاريخية الكاملة للتاريخ العربي الإسلامي؛ إذ تناول التاريخ العام منذ بدء الخليقة، وانتهى فيه إلى سنة (٣٠٢هـ / ٩١٤م)، وسار فيه على المنهج الحولي، واتبع في روايته للأخبار طريقة الإسناد، وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين في معرفة تاريخ القرون الثلاثة الأولى.

وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات قيمة عند الحديث عن أحوال المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية، ومما يؤخذ على الطبري رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كان يفتقر إلى روح النقد للروايات والأحداث، وهذه صفة يجب أن يتحلَّى بها المؤرخ، كما أن كتابه تشح فيه المادة العلمية كلما اقتربنا من العصر الذي يعيش فيه.

ومن بين المصادر الأخرى التي اعتمد عليها موضوع الدراسة كتاب "تاريخ اليميني"^(١) لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية، (ت ٤٣١هـ / ١٠٣٩م)، والذي كانت له مكانة كبيرة عند محمود بن سُبُكْتِكِين، وقد ألف العتبي كتابه هذا في تاريخ الدولة الغزنوية، ترجم فيه لسبكتكين، وأوضح كيفية تأسيس الدولة الغزنوية، ثم أرخ للسلطان محمود، وأبرز الوقائع والأحداث التي حدثت في أيامه، ويُعدُّ هذا الكتاب بحق أكبر مصور لتاريخ هذه الدولة في هذه الفترة بالذات؛ وقد صاغه في أسلوب أدبي مسجوع^(٢) على نحو ما فعله معاصره أبو منصور الثعالبي؛ ولذلك حاز شهرة كبيرة بين الكتب الأدبية والتاريخية، وعنى بشرحه الكثير من الأدباء منهم الشيخ أحمد المنيني الذي سمى كتابه "شرح اليميني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي"^(٣).

(١) نسبة إلى لقب السلطان محمود.

(٢) قال عنه العمري: "كأنه روضة غناء، وعقد منظوم، وأفق مكوكب، بديع الجملة، حسن المجموع". العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ١٢٠.

(٣) ينظر: دورد فنديك: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ج ١ ص ٣٧٤.

وكتاب "الكامل في التاريخ"، لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، وترجع أهمية هذا المصدر في شموله للتاريخ العام للعالم الإسلامي، كما أن صاحبه يُعدُّ من المؤرخين المسلمين بعد الطبري، ويتميز هذا الكتاب بعدة مميزات منها: عرضه للحقائق التاريخية عرضاً مبسطاً ومتربطاً، وبالذقة والوضوح، كما أنه يُمهّد للخبر بمقدمة مختصرة تُذكّر القارئ بما كان قد رواه من قبل ذلك، فيتيح للباحث أن يربط أجزاء الخبر بعضها ببعض، وقد أمدّ البحث بمعلومات وافية عن قيام الدولة الغزنوية، كما أفاض في الحديث عن علاقة السلطان محمود الغزنوي بالدولة السامانية والخليفة العباسي ومؤازرته له في محاربة الخارجين على الخلافة، كما أفاد البحث في مواطن أخرى كثيرة.

وكتاب "العبر"، وينسب لمؤلفه "عبد الرحمن بن خلدون"، (ت ٨٠٨هـ / ١٣٧٨م)، وقد امتاز ابن خلدون عن كثير ممن كتبوا في التاريخ من قبله ببراعة التنظيم والربط وحسن السبك والوضوح والدقة في تبويب الموضوعات والفهارس، وهو مصدر متأخر نسبياً لكنّه لا غنى عنه - في رأيي - ويكفي أنّه سلك طريقاً غير طريق أسلافه المؤرخين، إذ سرد كل ما يتعلق بالدولة الغزنوية في تسلسل واحد، ولم يتبع نظام الحوليات التي تُشتت المعلومات في سنوات حدوثها، وبذلك يُعطي ابن خلدون صورة واضحة جداً عن الدولة الغزنوية وسلطانها.

ثالثاً: كتب الرحلات والبلدان والتراجم والطبقات:

وتُعدُّ كتب "الرحلات والبلدان" من أهم مصادر هذه الدراسة، وتتميز هذه الكتب بما تمدنا به من صورة حقيقية من شهود عيان عن الأحوال السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية للبلدان، كما تمثّل زادًا طيبًا عن تراجم كثير من العلماء والقادة الكبار الذين غفلت عنهم كتب التراجم، ولم تفهم حقهم، أو ربما غفلت عنهم تمامًا، ومن أهم هذه الكتب: "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، وقد تناول فيه العديد من مدن الدولة الغزنوية، إلا أنّه يمكن الاستفادة منه في معرفة الفتوح، فهو يتحدث عنها بإسهاب في بعض البلدان، كما يتحدث كثيرًا عن المشهورين المنسوبين إلى كل بلد، وقد استفاد البحث منه في كثير من جوانبه المهمة.

كتاب "صورة الأرض"، لابن حوقل (ت ٣٧٠هـ / ٩٩٢م) وقد تطرّق المؤلف في كتابه هذا إلى كل ما يتعلق بالبلدان والأقاليم، سواء في صفتها أو مقدارها في الطول والعرض وما يحيط بها من الأماكن والبقاع، وما تحتوي عليه المدن الكبار أو الأقاليم من كور ومدن أصغر، وما فيها من الأنهار والبحار، وقد استفاد البحث منه كثيرًا في الباب الثاني منه.

ومن أهم كتب "الطبقات والتراجم" التي استفاد منها البحث كثيرًا؛ كتاب "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، لابن خلكان، (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وهو يتحدث عن العديد من الشخصيات الإسلامية في كل المجالات، من حيث المولد والمنشأ والأعمال والوفاة، حيث استقيت منه بعض المعلومات الهامة المتعلقة بشخصية الدراسة وبعض الشخصيات الأخرى المتعلقة بها.

هذا وقد أفادت كتب مؤرخ الإسلام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، البحث إفادة كبرى، ومن أهمها وأشهرها، كتاب: "سير أعلام النبلاء"، وتوضح أهمية ذلك الكتاب في أنّه ضم شتات ما تقدّم من كتب التراجم كتاريخ بغداد،

وتاريخ أصبهان، وصفة الصفوة، وحلية الأولياء، وغيرها، وهذبها وطرده الغريب والشاذ فيها، فأتى هذا الكتاب مادة روحية تربوية عظيمة، كأن القارئ يُربى على عين الذهبي، يتجول به الذهبي بين ما لَدَّ وطاب من سير العبَّاد الرِّبَّانين الصالحين، وأخبار العلماء العاملين، وقادة الجهاد المخلصين، والتربية بالقدوة خير وسيلة للتربية، وقد أفاد البحث في تراجم كثير من الأعلام، والحكم عليهم جرحًا وتعديلاً.

رابعاً: الدراسات الحديثة:

أمَّا عن الدراسات الحديثة فالواقع أن المكتبة الإسلامية تفتقر إلى دراسات موضوعية ومتكاملة عن جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله وانجازاتها الحضارية في عهد السلطان محمود الغزنوي، ومع ذلك فقد تواجدت عدة دراسات سطحية مسَّت بعض جوانب هذا الموضوع، وقد أفاد الباحث من بعض ما جاءت به، ويأتي في طليعة هذه الدراسات:

كتاب "السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره"، لمؤلفه محمد ناظم، الهندي الجنسية، والذي عاش حتى مطلع السبعينيات من القرن الماضي، وقام بترجمة الكتاب من الإنجليزية إلى العربية د/ عبد الله سالم الزيتيني، وقد أمدَّ الكتاب البحث بمعلومات موجزة -ولكنها قيمة- عن أسلاف السلطان محمود، كما أشار إلى نشأة محمود الغزنوي واهتمام والده به منذ الصغر، هذا بجانب إلقاء الضوء على بعض الملامح العامة في عهد السلطان محمود.

ومن المراجع التي أفادت الدراسة مؤلفات الدكتور/ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، وفي مقدمتها كتاب "تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في

العصر التركي"، وكتابه "الدول الإسلامية المستقلة في المشرق"، وتقف بجدارة مع أحسن المؤلفات الحديثة، فهي تمتاز بالدقة والوضوح والبساطة وغزارة المادة العلمية في تاريخ المشرق عمومًا والدولة الغزنوية خاصة، غير أنها افتقدت التركيز على الجوانب الدعوية الهامة في الدولة الغزنوية.

هذا بالإضافة إلى مصادر ومراجع أخرى مذكورة في مواطنها التي أفادت البحث في كثير من المباحث المختلفة.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

وبالنسبة للرسائل العلمية فقد اعتمد البحث على بعض الأطروحات التي تناولت جوانب ذات صلة بموضوع هذه الدراسة، ومن هذه الرسائل:

١. السياسة الخارجية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي.
٢. خراسان في العصر الغزنوي.
٣. التطورات الحضارية في خراسان في العصر السلجوقي.
٤. مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية في خراسان وما وراء النهر في القرنين (٣-٤هـ).

وقد تحدثتُ عن أهمها - كما مرَّ - في الدراسات السابقة؛ هذا بالإضافة إلى الرسائل العلمية الأخرى التي أفادت البحث في بعض جوانبه، وساعدت في تصور المنهجية والترتيب والصف والإخراج مما سيردُ ذكرها في ثنايا البحث.

تقسيم البحث وخطته:

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والمنهج الذي اتبعت في بحثه، والدراسات السابقة، وأهم المشاكل التي واجهتني، وتحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وخطة البحث بإجمال، ثم شكر وعرفان لكل من عاون وساهم في إخراج البحث.

التمهيد وعنوانه: تحديد المفاهيم، ويشتمل على التعريف بمصطلح الدعوة والحضارة، وكذلك الحديث عن المنطقة قاعدة انطلاق الدولة الغزنوية.

الباب الأول وعنوانه: جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى في عصر السلطان محمود الغزنوي، ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية والحديث عن قيامها ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية.

المبحث الثاني: الدولة الغزنوية نشأتها، وأحوالها السياسية حتى وفاة سُبُكْتِكِين.

الفصل الثاني: التعريف بالسلطان محمود الغزنوي، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: السلطان محمود الغزنوي، أسرته، مولده ونشأته.

المبحث الثاني: صفات السلطان محمود وأخلاقه، عقيدته ومذهبه.

المبحث الثالث: الصراع حول العرش والوصول إلى الحكم.

المبحث الرابع: علاقة السلطان محمود بالدولة السامانية، والخليفة العباسي وخلع الألقاب عليه.

المبحث الخامس: وفاة السلطان محمود الغزنوي.

الفصل الثالث: الأسباب والعوامل التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الأسباب المادية التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: أهم العوامل والأسباب المعنوية التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الرابع: الأساليب التي تبنتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تمسك الدولة بالأخلاق الإسلامية في تعاملها مع رعاياها وأهالي البلاد المفتوحة، والاهتمام بالعلماء وتقريبهم.

المبحث الثاني: مواجهة الفكر المنحرف بالفكر الصحيح الصريح داخل حدود الدولة.

المبحث الثالث: الاعتماد على الأكفاء من الوزراء والكتاب والقضاة وغيرهم.

المبحث الرابع: أشهر الدعاة الذين اعتمدت عليهم الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الخامس: الوسائل التي استخدمتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إعداد الجيوش وتحديث السلاح، وإشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة.

المبحث الثاني: تأمين الطرق، ونبذ الفرقة والخلاف والقضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية.

المبحث الثالث: مواجهة أهل العقائد المنحرفة والملل الزائغة خارج حدود الدولة.

الباب الثاني وعنوانه: الإنجازات الحضارية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي، ويشتمل على تقديم وخمسة فصول:

تقديم: السمات العامة للحضارة الإسلامية في الدولة الغزنوية في عصر السلطان محمود.

الفصل الأول: إنجازات الدولة في الناحية السياسية والإدارية، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نظام الحكم.

المبحث الثاني: الوظائف والدواوين الإدارية.

الفصل الثاني: إنجازات الدولة في الناحية الاقتصادية، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الثروة الزراعية.

المبحث الثاني: مظاهر تقدم الصناعة.

المبحث الثالث: النشاط التجاري.

المبحث الرابع: الإدارة المالية.

الفصل الثالث: إنجازات الدولة في الناحية الاجتماعية، ويشتمل على ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: عناصر السكان ودورهم في الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: المناسبات الاجتماعية والأعياد وأنواع التسلية.

المبحث الثالث: الأخلاق والعادات والموكب والحفلات.

الفصل الرابع: إنجازات الدولة في الناحية الثقافية، ويشتمل على ثلاثة

مباحث:

المبحث الأول: المراكز الثقافية والمكتبات والمدارس ودورها في الدولة

الغزنوية.

المبحث الثاني: الحياة الدينية والفرق والمذاهب.

المبحث الثالث: العلوم والآداب.

الفصل الخامس: الشبه حول الدولة وسلطانها، والرد عليها، ويشتمل على

ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شبهة موقف الدولة من الشاعر الفردوسي، والرد عليها.

المبحث الثاني: شبهة اتهام الدولة بأنها ولّت وجهها نحو الهند لتكفر عن

حروبها ضد المسلمين في آسيا الوسطى، والرّد عليها.

المبحث الثالث: شبهة اتهام الدولة بأنّ غزاتها كانت من أجل المال، والرّد عليها.

الخاتمة: وقد ذكرتُ فيها أهمّ النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وبعض الوصايا والاقتراحات الهامة.

قائمة المصادر والمراجع: وقد اشتملت على أسماء المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث في مادته العلمية.

فهرس الموضوعات: وقد اشتمل على عناوين الفصول والمباحث التي وردت خلال البحث مع ذكر أرقام الصفحات في المقابل ليسهل على القارئ الوصول إليها.



شكر و عرفان

وبعد: فلا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان والحب والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور/ زكي محمد أحمد عثمان، على ما بذله معي من جهد مشكور وعطاء مبرور، منذ تفضله بالإشراف على البحث، لم يبخل عليّ يوماً بالنصح والإرشاد، والصبر والمصابرة، وأسأل الله ﷻ أن يغفر له ويتقبله.

كما أتقدم بكل الشكر والتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد إبراهيم شحاته، والذي لا أستطيع أن أصف فضله، أو أن أوفيه حقه، فجزاه الله عنا خيراً، وأسأل المولى ﷻ أن يُسدد على طريق الحق خطاه، وأن يُوفقه ويرعاه، ويُعلي في الدارين ذكراه، وأن يحسن خاتمتنا جميعاً إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتقدمُ بكل الشكرِ والامتنان لسعادة الأستاذ الدكتور/ أحمد ربيع أحمد يوسف، حفظه الله وبارك في عمره، أشكره على تواضعه وموافقته على المشاركة في لجنة المناقشة والحكم وعلى كل ما قدّمه لي من نصح وإرشادٍ وتوجيه وتقويم.

كذا أتقدمُ بخالص الشكرِ والتقدير لسعادة الأستاذ الدكتور/ محمود يوسف كريت على تفضله وموافقته على المشاركة في لجنة المناقشة والحكم، فأشكر له كرمه وسعة صدره، كما أشكره على جميع ما قدمه لي من تذكرةٍ وتبصيرٍ وتعديلٍ وتغييرٍ، وأسأل الله ﷻ أن يطيل عمره في طاعة الله وخدمة

الإسلام والمسلمين.

كما أتوجه بالشكر والعرفان لكل من ساهم وعاون وساعد في هذا البحث، ويأتي في مقدمتهم أساتذتي في قسم الثقافة الإسلامية بالكلية، وكذلك أوجه شكري لوالديّ الكريمين - حفظهما الله - على فضلهما الذي لا يُقدَّر، وعطائهما الذي لا ينقطع، وودهما الذي لا يستتر، فاللهم ﴿ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ ﴿٢٤﴾.

وختامًا: فهذا جهدي المتواضع والذي بذلتُ فيه ما وسعني من قدرات، جمعًا وترتيبًا، وعشتُ بين سطوره وفقراته، وفصوله وصفحاته، مترسمًا خطوات تلك الدولة المباركة في ظل سلطانها، الصادق الوفي، المخلص التقي، فله مني خالص الشكر وجميل الثناء، راجيًا من المولى ﷻ أن يتقبَّل هذا العمل منِّي، وأن يجعله في ميزان حسنات كل من ساهم فيه، فإن كان من خطأ أو نسيانٍ أو سهوٍ أو تقصيرٍ؛ فمني والشيطان والله منه براء، وحسبي فيه حسن النية، وإن كان من توفيقٍ ورجحانٍ فمنه سبحانه وتعالى، الذي له الحمد في الأولى والآخرة،،،

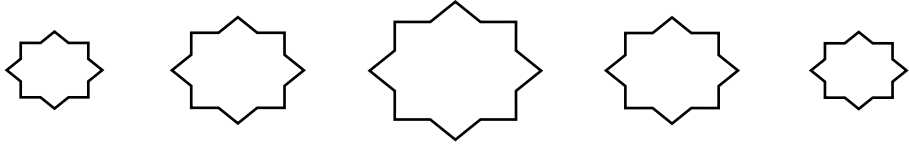
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وكتبه راجي عفو الإله الفقير إلى مولاه

د/ محمد ثروت السيد عبد الرحيم

قرية ٣ بحر البقر - الحسينية - شرقية

٠١٠٠٩٨٧٨٥٧٦ - ٠١٠٩١٩١٠٤٩٢

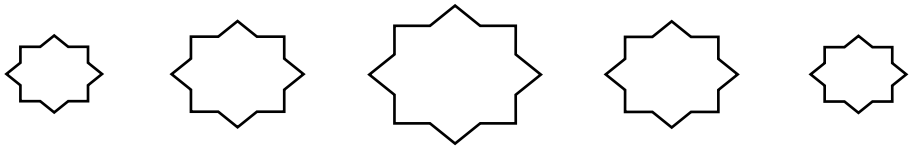


التمهيد

تحديد المفاهيم

ويشتمل على:

١. التعريف بمصطلح الدعوة.
٢. التعريف بمصطلح الحضارة.
٣. التعريف بأفغانستان قاعدة انطلاق الدولة الغزنوية.



تحديد المفاهيم

أولاً: تعريف الدعوة:

١ - التعريف اللغوي للدعوة:

الدعوة: مصدر للفعل الثلاثي: "دعا"، يقال: دعا، يدعو، دعوة، فهو داع وداعية - أدخلت الهاء فيه للمبالغة - والجمع: دعاة وداعون، مثل: قاضٍ وقضاة وقاضون؛ و"دعوة" اسم مرة قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾^(١)، أي له وحده دعوة ونداء خلقه لإتباع الحق والخير والرشاد.

وبالنظر إلى المعاجم اللغوية يتضح أن لكلمة "الدعوة" معانٍ متعددة، منها:

أ - النداء والطلب، يقال: "دعا الرجل" أي: ناداه وطلب إقباله.

ب - الحث على قصد الشيء، يقال: دعا إلى القتال: حثه عليه، ودعاه إلى الدين: حثه على اعتقاده، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اللَّيْلُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٢).

(١) سورة الرعد، من الآية رقم: ١٤.

(٢) سورة يوسف، من الآية رقم: ٣٣؛ ينظر: مادة "دعاء" في القاموس المحيط ج١ ص ١٦٥٥؛ المصباح المنير، ج١ ص ١٩٤، ١٩٥؛ مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص ٢٢٨، ٢٢٩؛ د/ السيد محمد مرعي: تكنولوجيا الدعوة الإسلامية، ص ٣٩، ٤٠؛ حمود بن جابر الحارثي: دعوة النبي ﷺ للأعراب، ص ٥؛ د/ معاذ عبد الله أبو غزاله: الدعوة إلى الإسلام أصول وآداب، ص ٩.

والدَّعوة بصفة عامة من الوظائف ذات الأهمية في حياة الشعوب والأمم، وكل دعوة إلى دين أو مبدأ أو فكرة تحتاج من الداعي أن يتوجه إلى المدعو بالنداء طالباً منه الإقبال على اعتناق ما يدعو إليه، حاشاً إياه على الاستجابة والتلبية^(١).

وقد اكتفيتُ بهذين المعنيين لكونهما أقرب المعاني اللغوية صلة بالمعنى الاصطلاحي للدعوة.

ولفظ "الدَّعوة" يستعمل في الخير والشر، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾^(٢)، وكل داعٍ يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه من خير أو شر.

وهكذا: فمفهوم الدعوة من خلال مدلولها اللغوي يُشير إلى النداء والطلب للاجتماع على شيءٍ أو الاشتراك فيه وحثه عليه، فدعا الرجل ناداه أو طلبه، والاصطلاح هو الذي يعين ويحدد المراد من النداء أو الطلب وبغير بيان المقصود يبقى المعنى عاماً شاملاً.

وقد ورد لفظ الدعوة في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرةٍ وبمعانٍ متعددة، والذي يهم هنا معنيان، الدَّعوة بمعنى التبليغ والبيان، ونقل هداية الله إلى الناس، وقد ورد بهذا المعنى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيَلَّا

(١) د/ السيد محمد مرعي: تكنولوجيا الدعوة، مرجع سابق، ص ٣٨ بتصرف يسير.

(٢) سورة البقرة، من الآية رقم: ٢٢١.

(٣) سورة فصلت، آية: ٢٤

٢- التعريف الاصطلاحي للدعوة:

"يُطلق لفظ "دعوة" اصطلاحاً على الرسالة الإسلامية، كما يُطلق على الرسول ﷺ "داعي الله"؛ ولذلك يُعتبر دين الإسلام دين الدعوة والرسالة، لأنه دين يدعو الإنسانية إلى اعتناق الإسلام؛ وعليه يُعدُّ الرسول الكريم ﷺ أول الدعاة" (٢).

يقول أحد الباحثين: "وكلمة (الدَّعوة) من الألفاظ المشتركة التي تُطلق على الإسلام أو الرسالة، وعلى عملية نشره وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد" (٣).

والعلاقة وثيقة بين المعنيين، فالدعوة بمعنى (الدِّين) لا غنى لها عن الدعوة بمعنى (النَّشر والبلاغ)، حيث "إنَّ الدعوة إلى الله (نشرًا وتبليغًا) حياة الأديان، وإنه ما قام دين من الأديان، ولا انتشر مذهب من المذاهب، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة" (٤).

"فالدعوة بالنسبة للدين أو للمبدأ عملية إبراز لوجوده، وتنفيذه في الواقع الحي الملموس" (٥).

(١) سورة نوح، آية: ٥.

(٢) د/ السيد محمد مرعي: تكنولوجيا الدعوة، ص ٣٨..

(٣) د/ حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص ٢٠، ٢١.

(٤) الشيخ/ علي محفوظ: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، ص ١٤ بتصرف.

(٥) د/ رءوف شلبي: الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي مناهجها وغاياتها، ص ٢٥.

وقد تعددت تعريفات الدعوة في الاصطلاح تنوعاً لا تضاداً؛ وذلك تبعاً لتعدد رؤى الباحثين، وكل هذه التعريفات لا تخرج عن أحد مفهومي الدعوة:

المفهوم الأول: الدعوة بمعنى (الدِّين):

وإذا أطلق لفظ الدعوة بمعنى "الدِّين" فلا يراد إلا الدين الإسلامي بتعاليمه^(١) ويزداد ذلك تأكيداً إذا لحقها الوصف الإسلامي، فقيل: "الدعوة الإسلامية".

وبهذا المفهوم للدعوة وردت تعريفات كثيرة، أذكر منها ما يلي:

أ - الدَّعوة الإسلامية هي: "برنامج كامل يضم في طياته جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"^(٢).

ب - الدَّعوة الإسلامية هي: "الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات"^(٣).

ج - الدَّعوة الإسلامية هي: "النظام العام، والقانون الشامل لأمر الحياة، ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد ﷺ من ربه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب في الآخرة"^(٤).

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص ٢ بتصرف

(٢) الشيخ / محمد الغزالي: مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، ص ١٧

(٣) الشيخ / محمد الراوي: الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، ص ٤.

(٤) د/ أحمد غلوش: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، ص ٣٨

ويلاحظ أن كل هذه التعريفات تصلح تعريفات للدين الإسلامي.

المفهوم الثاني: الدَّعوة بمعنى (النَّشر والبلاغ):

ومن التعريفات التي ركزت على هذا المعنى للدعوة ما يلي:

أ- الدَّعوة الإسلامية هي: "صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم، أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضًا نُدْبَةٌ لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها، أو من مصيبة كادت أن تُحْدِقَ بهم" (١).

ب- الدَّعوة الإسلامية هي: "فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها" (٢).

د- الدَّعوة الإسلامية هي: "تبليغ الإسلام عن طريق قيام الدعاة بدعوة الناس إلى ما فيه من عقيدة التوحيد الخالص، والإيمان النقي بكل ما جاء من عند الله في كتابه الكريم وفي سنة رسوله محمد ﷺ، والعمل به في جميع شؤون الحياة: دينية كانت، أو سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو ثقافية، أو غير ذلك" (٣).

ويلاحظ أن كل تعريف من هذه التعريفات عني بجانب من جوانب الدعوة وركز عليه؛ ومن خلال هذه التعاريف يمكن القول: بأن الدعوة إلى الله هي قيام

(١) آدم عبد الله الآلوري: تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، ص ١٧؛ وينظر: د/ السيد

محمد مرعي: تكنولوجيا الدعوة، ص ٤٢

(٢) د/ عبد الله الشاذلي: الدعوة والإنسان، ص ٣٩.

(٣) د/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل: الدعوة إلى سبيل الله أصولها ومبادئها، ص ١٠؛ وينظر:

أ.د/ محمد عبد السميع جاد: نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، ص ١١.

الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة (أمة الدعوة وأمة الاستجابة) وفق الأسس والمنهج الصحيح، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين ويلائم أحوال وظروف المخاطبين.

ثانياً: تعريف الحضارة:

يُعتبر مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد، وذلك بفعل التطور الدلالي الذي حظي به عبر تاريخ الحضارة نفسها، ولعل من أهم أسباب الاختلاف في تعريفها -أيضاً- ما يرجع إلى الخلفية الفكرية لصاحب كل تعريف، والمنظور الذي يقدم من خلاله تعريفه، وكذلك تكوينه العلمي وزاده المعرفي.

كما يُعتبر مصطلح الحضارة من المصطلحات التي لم تستعمل بمعناها الحديث في الفكر العربي إلا منذ وقت قصير، ولمعرفة معنى هذا المصطلح نرجع إلى بعض المعاجم والقواميس لمعرفة الأصل اللغوي لها.

فقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "حضر" أن الحضارة تعني الإقامة في الحضر، أي في المدن والقرى، وهي بخلاف البداوة التي تعني الإقامة المتنقلة في البوادي، فالحضارة خلاف البداوة، وفي الحديث: "لا يبيع حاضر لباد" (١)، والحاضر: المقيم في المدن والقرى، والبادي: المقيم بالبادية، وفلان حضري وفلان بدوي؛ وكان الأصمعي يقول: الحَضارة، بالفتح والحاضرة

(١) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، باب "هل يبيع حاضر لبادٍ بغير أجرٍ وهل يُعِينُهُ أو يَنْصَحُهُ"، حديث رقم (٢٠٥٠). ج٢ ص ٧٥٧

والحاضر: الحي العظيم أو القوم^(١)، وهذا النمط مناقض لخصائص وعادات البداوة، وعلى هذا فالحضارة والبداوة نمطان متميزان ومختلفان إلى حد التقابل.

أما المعنى الذاتي للمجرد للحضارة فهو كل مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابل لمرحلة الهمجية والتوحش وخشونة الطبع، حيث تصبح الحضارة نمطاً من الحياة تتميز بضرور من التقدم والرقي في المجال العلمي والثقافي والأدبي والاجتماعي والسياسي^(٢).

ويرجع أصل الحضارة إلى الاستقرار الذي بدأ مع ظهور الزراعة، حيث إن هذا الاستقرار ساعد الإنسان على إنشاء المدن والأمصار والتفنن في الإعمار واكتساب العلوم والفنون، وإيجاد القوانين التي تنظم سير الدولة، وهو الذي فتح للمجتمعات أبواب التطور والتقدم والازدهار^(٣).

يقول ابن خلدون: "الحضارة هي التّفنن والتّرف وإحكام الصّنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ والملابس والمباني والفرش... وسائر عوائد المنزل وأحواله"^(٤).

فالحضارة إذن هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته،

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٤ ص١٩٧؛ وينظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص١٥٧.

(٢) ينظر: ابن خلدون: مقدمة بن خلدون، ص١٦٣.

(٣) ينظر: د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٩.

(٤) ينظر: أضواء البيان (٨/٤١٤) و(٩/٥٩).

سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية.

كما تركز الحضارة على البحث العلمي والفني التشكيلي بالدرجة الأولى، فالجانب العلمي يتمثل في الابتكارات التكنولوجية وعلم الاجتماع؛ أما الجانب الفني التشكيلي فهو يتمثل في الفنون المعمارية والمنحوتات وبعض الفنون التي تساهم في الرقي، فلو ركزنا بحثنا على أكبر الحضارات في العالم مثل الحضارة الرومانية سنجد أنها كانت تمتلك علماء وفنانين عظماء؛ فالفن والعلم هما عنصران متكاملان يقودان أي حضارة.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الحضارة مرحلة متقدمة تأتي بعد حياة الترحال والتنقل والرعي والبحث عن الماء والكلاء، وترتبط بالاستقرار في المدن، وما يصحب ذلك من ظهور قيم وفنون وعلوم ونظم وأعراف وتقاليد وعادات وقوانين وشرائع.

فالحضارة على هذا الأساس المتقدم لا يمكن تصور قيامها إلا في رحاب المدن، لذلك فالحضارة لا تظهر أبداً في البادية، لأن البدو بطبعهم هادمون للحضارة حسب رأي ابن خلدون^(١).

وإذا انتقلنا إلى العالم الغربي نجد "ديورانت" يعرفها بأنها: "نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإن الحضارة تتألف من عناصر

(١) ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص ١٦٢؛ د/ نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٨.

أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق^(١).

وبالنظر إلى هذا التعريف لـ "ديورانت" نلاحظ أنه ينظر إلى الحضارة من جهتين؛ أنها نظام اجتماعي يقدم للإنسان القدرة على تحقيق إنجازات ثقافية، ومن جهة أخرى أنها مرحلة من مراحل التقدم البشري تكون فيها الحياة الإنسانية متجهة نحو التنظيم وذلك لتوافر مجموعة من العناصر.

هذا فيما يتعلق ببعض التعريفات حول مفهوم الحضارة بصفة عامة، أما اليوم فقد أصبحت الحضارة مبحثاً من مباحث الدراسات التاريخية، حيث لم يعد التاريخ يهتم بأخبار المعارك وسير الملوك فقط، بل بدراسة الفكر الإنساني ممثلاً في شتى مظاهر النشاط الشمولي، ولقد بدأ المؤرخون أخيراً يجعلون الحضارات موضوع دراستهم واهتماماتهم، لأن ذلك يعينهم على معرفة الأسباب المؤدية إلى قيامها، والعوامل المؤثرة في تدهورها وانهارها.

أمّا مصطلح "الحضارة" في اللغات الأوربية، واللغة الإنجليزية بخاصة، فمشتقة من اللاتينية، فلفظ "Civilization" لغوياً يرجع إلى الجذر "civites" بمعنى مدينة، و"Civis" بمعنى ساكن المدينة، أو "civilis" بمعنى مدني أو ما يتعلق بساكن المدينة^(٢)، كما أنها تُقرن أحياناً بمصطلح "Culture" التي في معناها اللاتيني تفيد الإنماء والحرث، واستمر مفهومها في حراثة الأرض

(١) ديورنت: ول وايرل ديورنت: قصة الحضارة، ج ١ ص ٤.

(٢) د/ نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٨؛ أحمد محمود صبحي، في فلسفة الحضارة، ص ٣.

وتنميتها، إلى نهاية القرن الثامن عشر، - كما يذكر معجم أكسفورد- أنها اكتسبت معنى يشير إلى المكاسب العقلية والأدبية والذوقية، وتقابل في العربية مصطلح ثقافة^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الإسلامية هي التي قامت مع قيام الإسلام وانتشرت في كل بقاع الدولة الإسلامية من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، وحلت محل الحضارات القديمة؛ ومع أن دولة الإسلام قد أخذت من كل هذه الحضارات القديمة إلا أنها تمثلت كل ما أخذته منها وصبغته بالصبغة الإسلامية^(٢).

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أقول: أن أهم ما يميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات أنها حضارة أخلاق وقيم، تلك الأخلاق والقيم التي لم تكن يوماً نتاج تطور فكري على مرّ العصور، وإنما كانت وحيًا أوحاه الله ﷻ وشرّعه رسول الإسلام ﷺ، فهي حضارة مصدرها التشريع الإسلامي.

"كما أن هذه الأخلاق والقيم تُمثّل الجانب المعنوي أو الرُّوحي في الحضارة الإسلامية، وأيضًا الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أي حضارة، وفي ذات الوقت تضمن سرّ بقائها وصمودها عبر التاريخ والأجيال، وهو الجانب الذي إذا اختفي يوماً فإنه يُؤدّن بزوال الدفء المعنوي للإنسان، الذي هو رُوح الحياة والوجود؛ فيصير وقد غادرت الرحمة قلبه، وضعف وجدانه وضميره عن أداء دوره، ولم يعد يعرف حقيقة وجوده فضلاً عن حقيقة نفسه، وقد بات مُكبَّلاً

(١) قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، ص ٣٢، ٣٣

(٢) د/ نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٠، ١١.

بقيود مادية لا يعرف منها فكاً ولا خلاصاً، وهذا بخلاف الحضارات الأخرى" (١).

ثالثاً: التعريف بأفغانستان قاعدة انطلاق الدولة الغزنوية:

تُعَدُّ أفغانستان - بتكوينها الحالي - قطرًا داخليًا يُحيط به اليابس من جميع الجهات، وتقع في قلب قارة آسيا (٢).

ولم يرد اسم أفغانستان إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (١٧٤٧م) في عهد "أحمد شاه" (أحمد خان) (٣) وذلك بعدما استتبت السيادة للجنس الأفغاني، وكانت تسمى قبل ذلك بـ "أريانا" و "خراسان"؛ والأفغانيون نتاج عناصر بشرية متعددة، قدمت إلى أفغانستان على فترات متعاقبة واستقرت فيها (٤).

(١) د/ راغب السرجاني: الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، تصميم وإخراج موقع نصره رسول الله www.rasoulallah.net، ص ١؛ وينظر: السيد هاشم الموسوي: النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٦٨.

(٢) د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٢٣٣؛ مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ص ٢٤٩.

(٣) ويقال: إنَّ الفرس هم الذين أطلقوا عليها اسم "أفغان"؛ ذلك أنهم حين وقعوا في أسر "بختنصر" كان لهم أنين، والأنين يسمى بالفارسية "أفغان"؛ وقيل: إن أفغان اسم لحفيد شؤول جد الأفغانيين.... ويصح أن يكون لفظ أفغان مأخوذاً من "بشتان" وهي قرية من قرى نيسابور، أو يكون مأخوذاً من "بشت" وهو اسم مدينة من مدن خراسان. فائق حامد بدر: تاريخ أفغانستان تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، مكتبة الآداب ومطبعته بالجمايز، المطبعة النموذجية، القاهرة، ص ٦، ٧، حاشية ٢ بتصرف.

(٤) فائق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، مرجع سابق، ص ٥، ٦؛ جريدة الأنباء الأفغانية، ص ٢٤.

ويُعدُّ الجنس القوقازي من أقدم العناصر البشرية التي جاءت إلى أفغانستان من أقدم العصور، كما يوجد عناصر بشرية أخرى: تركية ومغولية وتترية، دخلت في عصور مختلفة خلال غزو الأتراك والمغول والتتر لتلك البلاد^(١).

وينقسم سكان أفغانستان إلى مجموعات رئيسية هي: "الأفغان" و "التاجيك" و "الإيرانيون" و "المغول" و "الترك"، وسكان "هندوكش" ويتحدث معظم السكان بلغة البشتو أو الفارسية، كما توجد لغات كثيرة أخرى، منها اللغة العربية^(٢).

وتبلغ مساحة أفغانستان نحو (٢٧٠) ألف ميل مربع وليس لها شواطئ على البحار والمحيطات، ويحدها من الشمال الجمهوريات الإسلامية التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي^(٣)، ومن الجنوب والشرق "باكستان" والمناطق التي يطلق عليها "بشتونستان"^(٤)، ومن الغرب إيران كما أن لها حدود مشتركة مع جمهورية الصين، تبلغ مائة ميل من الجهة الشمالية الشرقية^(٥).

(١) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ٨؛ فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ٦، ٧.

(٢) فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، مرجع سابق، ص ٧، ٨؛ وينظر: اللواء الركن محمود شيت خطاب: أفغانستان قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، ص ٢٢: ٢٤.

(٣) وهذه الجمهوريات هي: كازاخستان، أوزبكستان، قيرغيزستان، طاجيكستان، تركمانستان.

(٤) تقع بين حدود أفغانستان ونهر السند. ينظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ٨ حاشية رقم ١.

(٥) د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٢٣٣؛ د/ ياسين محمد مراد: موضوعات في جغرافية العالم الإسلامي، ١٩٩٨، ص ١٩٠؛ فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ٨.

وترجع الأهمية التاريخية لأفغانستان إلى أنها كانت تقع على طريق الحرير التجاري لآلاف السنين^(١)، الذي ربط بين الصين والهند في الشرق وبلدان أوروبا والشرق الأوسط في الغرب^(٢).

وتضم أفغانستان -حاليًا- نحو تسع وعشرين ولاية أو محافظة، وقد لحق هذه المحافظات تغيرات كثيرة، كما تغيرت أسماء بعضها، ومدينة "بلخ"^(٣) كانت من أهم المدن في أفغانستان بعد العاصمة مرو^(٤)، وكانت ملتقى القوافل بين الشرق والغرب، ولكنها فقدت كثيرًا من أهميتها منذ كشف طريق رأس الرجاء الصالح، و"قنْدَهَار"^(٥).

(١) طريق الحرير: وهو طريق قديم يمتد من بحر قزوين إلى نهر أموداريا شمال البامير، إلى ممر يوصل إلى مدينة كشمير على نهر تاريم أو مدينة يرقند في جنوبها، ومن أيهما إلى وادي نهر هوانج بالصين. أ.د/ يس محمد مراد: موضوعات في جغرافية العالم الإسلامي، ص ٢٢.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، الأحد، ١٥ ذو الحجة ١٤٢١هـ، ١١ مارس ٢٠٠١م، العدد ٨١٣٩، الصفحة الرئيسية.

(٣) بلخ: مدينة أفغانية بينها وبين مرو ١٢٦ فرسخًا (حوالي ٥ كيلو)، وهي مدينة عريقة ومن أهم حواضر خراسان، افتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ص ٤٧٩؛ المقريزي: جني الأزهار، ص ١٠٤.

(٤) لمرو أسماء كثيرة: أشهرها علي الإطلاق "مرو" أو "مرو الشاهجان" تفرقًا بينها وبين "مرو الروذ" أو "مرو الصغرى"، فإذا أطلق اسم مرو بلا تقييد فهي "مرو الشاهجان" أو "مرو الكبرى". يُنظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٣٢؛ أمين واصف بك: الفهرست، ص ٩٨.

(٥) قنْدَهَار: من أكبر مدن أفغانستان بعد العاصمة كابل، وكانت تعد في القديم من مدن السند، مشهورة في الفتوح، غزاها عبيد الله بن زياد لما غزا السند وسجستان. ياقوت: مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٠٢، ٤٠٣؛ وينظر: د/ يحيى شامي: مرجع سابق، ص ٢٤٤.

أصبحت المحافظة الثانية بعد "كابل"^(١)، وكانت عاصمة لأفغانستان في عهد "أحمد شاه"^(٢).

و"كابل" كانت منذ أقدم العصور المكان الذي تتجمع فيه الثقافات والحضارات المختلفة، وانتقلت منها ثقافة العرب والفرس إلى الهند، كما كانت مركزا تجاريا هاماً، وهي الآن العاصمة لأفغانستان^(٣).

وكانت مدينة "هَراة"^(٤) مركزاً زاخراً بالثقافة والفنون في العصر التيموري، وبقايا المساجد والمدارس، وفيها ضريح عبدالله الأنصاري^(٥)، الذي جمع كثيراً من الأحاديث النبوية، وبها عدد كبير من الأضرحة والمساجد^(٦).

(١) كابل: أرض بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور، وهي ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة، وهي عاصمة أفغانستان حالياً، أسسه السلطان محمود الغزنوي، ينسب إليها كثير من أهل العلم والمحدثين. ياقوت: مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٦؛ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج٣٠ ص٣١١؛ ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص٣٧.

(٢) ينظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، مرجع سابق، ص١٠، ١١.

(٣) ينظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، مرجع سابق، ص١١.

(٤) هَراة: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان وتقع في الشمال الغربي من البلاد على الحدود الأفغانية الإيرانية. ياقوت: معجم البلدان، مرجع سابق، ج٥ ص٣٩٦؛ أدورد فنديك: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، مرجع سابق، ج١ ص٣١٩؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن، ص٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦.

(٥) هو عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور، شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي الحافظ العارف، ولد في سنة (٣٩٦هـ)؛ وفاته بهراة في ذي الحجة عن ست وثمانين سنة. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص٥٣، ٥٤، ٥٥.

(٦) ينظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص١٢.

إنَّ النَّظْرَ إِلَى تاريخ أفغانستان القديم يجده مليئاً بالأحداث الجسيمة والمواقف الرائعة، ولقد قامت في هذه البلاد دول عديدة ازدهرت حضارتها وقويت شوكتها ثم ما لبثت أن انتابها الوهن والاضمحلال وقامت على أطلالها دول أخرى^(١).

على أن أفغانستان بحكم جوارها للهند أخذت تتأثر بالثقافة الهندية لدرجة أن أحد ملوك أفغانستان من الإغريق ويُسمى أسوكا اعتنق الديانة البوذية^(٢)، وقد تأثر هذا الملك بتعاليم بوذا أعظم تأثر، وبعد أن كان حاكماً ظالمًا مستبدًا أصبح صالحًا مصلحًا؛ وهكذا أخذت الديانة البوذية تنتشر بين الأفغانيين وكثرت الأديرة والخلاوات البوذية في البلاد، وأقيمت لبوذا التماثيل الضخمة^(٣).

يَبْدُ أَنَّ العقيدة البوذية ظلت هي العقيدة السائدة بين الأفغانيين حتى ظهر الإسلام وفتح المسلمون أفغانستان، وأخذ الأفغانيون يدخلون في دين الله أفواجا؛ وهكذا هجر القوم الأديرة وحطموا أصنام وأصبحت أفغانستان حصناً من أمنع حصون العقيدة الإسلامية ومصدر إشعاع وضاء للشريعة الإسلامية

(١) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ٦٢.

(٢) البوذية: وهي إحدى ديانات الهند الكبرى، وقد ظهرت كمحاولة لإصلاح الوضع الديني في الهند، وقد انتشرت انتشاراً كبيراً في منطقة وسط آسيا، وذلك نتيجة لانتشارها في كافة الأقطار الآسيوية وخاصة الصين، وهي عقيدة تدعو إلى الزهد وتطهير النفس وقتل الشهوات، وترجع إلى مؤسسها بوذا. يُنظر: أ.د/ هدى درويش: دور التصوف، ص ٢١؛ السيد محمود أبو الفيض: الدين المقارن، ص ٤٨، ٤٩؛ موسوعة الأديان في العالم "الديانات القديمة"، ص ٢٠١، ٢٠٤.

(٣) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٥ بتصرف يسير؛ د/ يحيى شامي: مرجع سابق، ص ٣٤٨.

وفلسفتها^(١).

ويذهب معظم المؤرخين إلى أن العرب قد بدأوا غزواً أفغانستان سنة (٢٣هـ / ٦٤٥م) في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ونجحوا بعد معارك عنيفة في تثبيت أقدامهم في بعض المراكز الهامة فيما بين عامي (٦٥٣، ٦٥٤م) وأطلقوا على هذه البلاد اسم خراسان، ومن هذه القواعد أخذ العرب في استكمال فتح أفغانستان بثلاثة جيوش اتجهت إلى هرات وبلخ وكابول^(٢).

والأفغان أغلبهم سنيون على مذهب الإمام أبي حنيفة، كما أن فيهم بعض طوائف من غلاة الشيعة والإسماعيلية من هؤلاء سكان "بَدَخْشَان"^(٣)، ويأخذ الهنود والشيعة بالتسامح؛ أما الأحمدية^(٤) فلا يُسمح لهم بدخول البلاد، وبعثات التبشير المسيحية محرمة، ويقدم الناس أولياء أفغانستان وقبورهم^(٥). ومما لا شك فيه أن دخول الإسلام إلى أفغانستان قد أحدث انقلاباً عظيماً في حياة الشعب الأفغاني؛ فقد دخل الإسلام هذه البلاد ليس كمجرد عقيدة دينية

(١) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، مرجع سابق، ص ٦٥ بتصرف يسير؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي المعاصر، ص ٢٩٤.

(٢) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ٦٥ بتصرف يسير؛ وينظر: محمود شيت خطاب: أفغانستان قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، ص ٣١، ٣٢، ٤١، ٤٢.

(٣) وَيَدَخْشَان: بلدة في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك. ياقوت: معجم البلدان، ج ١ ص ٣٦٠؛ وينظر: محمد شيت خطاب، بلاد ما وراء النهر، ص ٤٣.

(٤) الأحمدية: هم أتباع أحمد بهاء الدين الذي كفر وادّعى النبوة.

(٥) ينظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٩٤؛ فاوق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ٤٠؛ ومن الواضح أن تقديسهم كان تقديس احترام وتقدير لا غلو فيه.

فحسب؛ بل وكنظام حضاري وثقافي كذلك^(١).

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الدولة الفتية حصناً مكيناً للعقيدة الإسلامية ودرعاً قوياً للذود عن حياض الإسلام والمسلمين؛ بل لقد قدّمت أفغانستان للدين الإسلامي والعالم الإسلامي خدمات تجل عن الوصف، فقد خرج منها في شتى العصور عدد كبير من أساطين المسلمين في الفقه والشريعة والتصوف والأدب والفنون والفلسفة^(٢).

هذا وقد تداولت حكم أفغانستان أسر إسلامية عديدة منها الأسرة الصفارية (٨٦٧-٩٠٠م)^(٣) والأسرة السامانية (٩٠٠-٩٦١م)^(٤) ثم الأسرة الغزنوية (٩٦١-١١٥٥م)^(٥) ومن أعظم ملوكها السلطان محمود الغزنوي، فكان من أشهر الملوك في الشرق وخير نصير للفنون والآداب في عصره؛ ولقد شيد هذا العاهل العظيم إمبراطورية شملت أفغانستان وفارس وجانباً كبيراً من بلاد الهند، وكانت عاصمته ونقطة انطلاقه مدينة "غزنة"^(٦) بأفغانستان؛ ولذلك

(١) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ٦٦ بتصرف يسير.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٦.

(٣) سيأتي الحديث عنها في الفصل الأول بإذن الله.

(٤) سيأتي الحديث عنها في الفصل الأول بإذن الله.

(٥) وسيأتي الحديث عن قيامها في المبحث الثاني من الفصل الأول بإذن الله.

(٦) غَزْنَةُ: وهي مدينة عظيمة وولاية واسعة في أفغانستان وتقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة كابل، دخلتها الجيوش العربية في عهد عبد الملك بن مروان، جعلها ألبتكين عاصمته فعرفت سلالته بالغزنويين، ومن أهم آثارها اليوم ضريح السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي. ينظر: ياقوت: معجم البلدان، ج ٤ ص ٢٠١؛ د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٢٤١؛ مجلة العربي، مايو ١٩٨٧م، العدد ٣٤٢، ص ٨٨.

أطلق عليه السلطان محمود الغزنوي مؤسس الدولة الغزنوية^(١) بأفغانستان وما حولها^(٢).

لأفغانستان تاريخ طويل من الحروب الداخلية (الأهلية) والخارجية وهي دولة التاريخ؛ وفي العصر الحديث كانت أفغانستان السبب الرئيسي في تفكيك الاتحاد السوفيتي، ومنذ رحيل السوفييت عام (١٩٨٩م) دارت رحى العديد من الحروب الداخلية في البلاد، ولم تكن الحروب الداخلية بمعناها الأصلي؛ بل كان هناك تدخلاً واضحاً من قبل باكستان الجارة الجنوبية لأفغانستان^(٣).

وأما عن أخلاق الشعب الأفغاني فإن مما يؤسف له أن أخلاق الأفغانيين وعاداتهم وتقاليدهم كثيراً ما يُساء فهمها وتأويل مظاهرها في كثير من أقطار العالم الخارجي؛ ويرجع ذلك في المقام الأول إلى أن معظم من تصدى للكتابة عن أفغانستان فيما مضى كانوا ممن يحملون الكراهية والضغينة لهذا الشعب العريق الأصيل^(٤).

إنَّ من الثابت تاريخياً أن الشعب الأفغاني يمتاز بالبساطة وطيبة القلب وحسن المعاشرة، فالرجل كريم مضياف، والكرم عنده من المناقب التي يرتقي

(١) موضوع البحث.

(٢) د/ شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي، ص ١٢؛ أمين واصف بك: معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، ص ٨٥.

(٣) ينظر: محمود شاکر: التاريخ الإسلامي المعاصر "إيران وأفغانستان"، ص ٢٧١: ٢٨١، ٢٩٥، ٢٩٦؛ د/ ياسين محمد مراد: في جغرافية العالم الإسلامي، ص ١٩١؛ مسعود الخوند:

مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٦٤؛ <http://ejabat.google.com/ejabat/thread>

(٤) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ١٩.

بها إلى مراتب الشرف القومي، حتى ليقال للبخيل إنه ليس من أصل أفغاني^(١). والأفغاني شديد التمسك بأهداب الدين الإسلامي الحنيف شديد الحرص على أداء فرائضه، وهو - مع ذلك - عظيم التسامح مع من يخالفه في العقيدة الدينية، ومن أبرز صفات الأفغاني عشقه الشديد للوطن وحبه العميق للحرية والاستقلال؛ فضلاً عن أنه قد يتحمل في صبر وجلد غوائل الفقر والعوز والحرمان وآلام الشدة والمرض، ولكنه لا يمكن أبداً أن يتحمل حكم الأجنبي لبلاد^(٢).

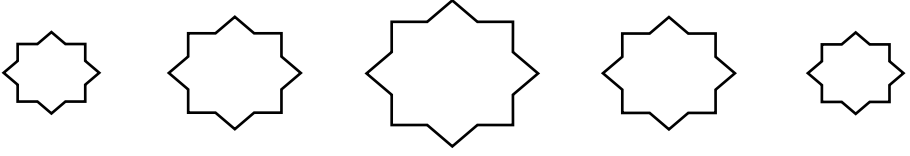
ويعنى الأفغانيون في معاملاتهم الشخصية بمراعاة آداب اللياقة وحسن السلوك ورقيق المجاملة وينظر الأفغاني إلى الحياة نظرة تفاؤل واطمئنان، وهو مَرِح يميل إلى الاستئناس بالناس والاجتماع بهم، وهو قليل الضحك، تقرأ على وجهه آيات الرجولة والشهامة مع سماحة وبشاشة^(٣).

ومن خلال ما سبق يتبين أنَّ الدافع الأساسي وراء تلك الهجمة الشرسة على الشعب الأفغاني في العصر الحديث أنَّه شعب مُتدين، عرف عنه أنَّه لا يستجيب للحديث من التقاليد والعادات الغربية إلا في حذرٍ وبقدر ما يتمشي مع حسن السلوك والآداب المرعية عندهم، ولا يتعارض مع التقاليد الإسلامية الصالحة.

(١) حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ٢٠؛ وينظر: د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٢٣٦.

(٢) ينظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي المعاصر، ص ٢٦٤؛ محمد رشيد رضا: الخلافة، ج ١ ص ٨٩ بتصرف يسير.

(٣) ينظر: حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي: أفغانستان، ص ٢٧.



الباب الأول

جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى في عهد السلطان محمود

الفصل الأول: المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية والحديث عن

قيامها

الفصل الثاني: التعريف بالسلطان محمود الغزنوي

الفصل الثالث: الأسباب والعوامل التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى

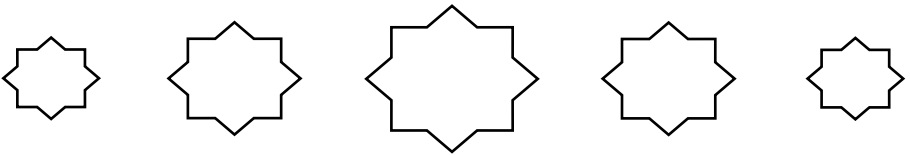
الله تعالى.

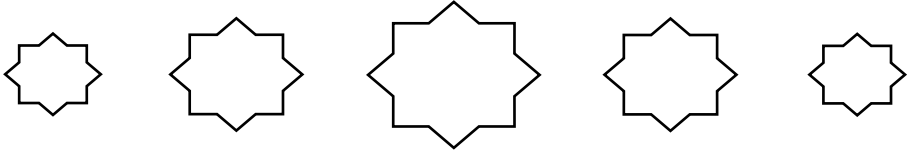
الفصل الرابع: الأساليب التي تبنتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله

تعالى.

الفصل الخامس: الوسائل التي استخدمتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى

الله تعالى.





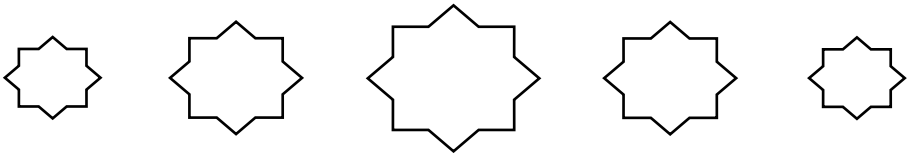
الفصل الأول

المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية والحديث عن قيامها

المبحث الأول: المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية.

المبحث الثاني: الدولة الغزنوية، نشأتها، وأحوالها السياسية حتى وفاة

سُبُكْتِكِين.



المبحث الأول

المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحياة السياسية في المشرق قبيل ظهور الدول

المستقلة:

كان بزوغ فجر الإسلام نعمة على شبه الجزيرة العربية، فقد وحد قراها وربط بين جماعاتها الصحراوية المتنافرة، وحولها إلى أمة عالمية تعج بالفاتحين.

وخلال قرن من وفاة الحبيب محمد رسول الله ﷺ اندفع المد الإسلامي والفتوحات شرقاً وغرباً، وأصبح نداء التوحيد يتردد صدها في رقعة تمتد من ضفاف نهر سيرداريا^(١) وحتى سواحل المحيط الأطلسي؛ ومع ذلك فإن النزعة الاستقلالية قد ظهرت أيضاً في مرحلة مبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، حينما وصل أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى السلطة؛ بينما أخذ الشيعة

(١) وسيرداريا هي التسمية الإيرانية لما يسميه العرب (سيحون)، وينبع هذا النهر من مرتفعات بامير الشمالية، وعموده الأساسي هو نهر قرداريا، ثم يتصل به نهر رافد أكبر من قرداريا هو نهر خيلام. محمود طه أبو العلا: (الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنهرى جيحون وسيحون في آسيا الوسطى)، ج١ ص ٣؛ ابن فضلان: رسالة ابن فضلان، ص ٣٣.

يطالبون بأن تبقى الخلافة في بيت النبي ﷺ من خلال نسل السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ؛ لقد كان ذلك بداية للشقاق الذي قسم العالم حتى اليوم، وخلف برّاً من الدماء.

كان الفرس في ذلك الوقت مناصرين لقضية الشيعة؛ - وهم الذين أقاموا ملكاً زاهراً سقط بفعل المسلمين في معركة نهاوند^(١) - فلقد كان حجم الهزيمة التي لحقت بهم عظيمة إلى حد أنها أنستهم وأصابتهم بالذهول، غير أنه بمرور الزمن تلاشي هذا الذهول، وحاولوا التخلص من العبودية، وأثناء حشد جهودهم اتجهوا بأنظارهم نحو سلالة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يحملهم في ذلك أصالة الأرومة والمحتد لهذه السلالة، والشجاعة التي أبدتها، والملحمة البطولية التي سجلتها في كفاحها^(٢).

وهكذا وجد التشيع أرضاً خصبة في بلاد فارس ويرجع السبب في ذلك إلى اعتقاد الفرس أن نسل الحسين بن علي يحمل حق بيت النبوة وحق الحكم في آل ساسان، "وذلك لأن الحسين بن علي عليه السلام تزوج شهربانو ابنة (يزدجرد الثالث)^(٣)،

(١) يُنظر: الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص ٦٠١؛ أحمد بن زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، ج١ ص ١٢١.

(٢) ينظر: توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٣٨؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٣٦.

(٣) هو يزدجرد بن شهريار بن أبرويز، جلس على العرش سنة ٦٣٢ م وهو ابن ٢١ سنة، تولى بعد أن تدهورت أحوال الدولة إلى جانب أنه كان غير محنك؛ هلك في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان عليه السلام، قتله نقار كان قد هرب عنده، وبهلاكه وضع الفرس السلاح الذي ظلوا يحاربون به العرب نحو من عشرين عاماً لاستعادة استقلالهم واسترجاع أمرهم، ولكنهم استخدموا سلاحاً آخر أمضى من آلات الحروب، وهو سلاح السياسة والدهاء والاختلاق

آخر ملوك آل ساسان" (١).

كان العباسيون وهم أحفاد عم النبي ﷺ يحملون القضية نفسها مع الشيعة باعتبارهم من أهل البيت، وهكذا شرعت الأطراف الثلاثة الذين تجمعهم قضية واحدة في العمل المخطط ضد الأمويين - العدو المشترك - وتم انجاز هذا العمل بتخطيط بارع قاده إبراهيم العباسي (٢) معتمداً على بسالة أهل خراسان وتفانيهم؛ وانتصر بنو هاشم على الأمويين في معركة فاصلة تسمى "معركة الزاب" سنة (١٣٢هـ) (٣)؛ "غير أن النصر استحوذ عليه بنو العباس، ووجد الشيعة من حلفائهم العباسيين من القسوة والشدة ما لم يلاقوه من أعدائهم الأمويين، ومع ذلك كان النصر في صالح الفرس، واستقرت سلطة عربية بحكم إسلامي حقيقي، في تجمع تربطه مصالح مشتركة، يشارك فيها الجميع دون اعتبار لمسألة العنصر أو الجنس" (٤).

تفريقاً لوحدة الأمة الإسلامية؛ مما كان له أثره بعد في عصر العباسيين كما مر. يُنظر: المقدسي: البدء والتاريخ، ج٣ ص١٧٣؛ الكلاعي الأندلسي: الإكتفاء، ج٤ ص٤١٦؛ د/ أبو زيد شلبي: الخلفاء الراشدون، ص١٦٦؛ أحمد عادل كمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ص٣١١.

(١) د/ مصطفى محمد رمضان: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٢٨١؛ توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٣٨ بتصرف.

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وكانت شيعة بني هاشم يختلفون إليه ويكاتبونه من خراسان، وهو الذي أنفذ أبا مسلم داعياً له إلى خراسان، وكان مقتله في صفر من سنة اثنتين وثلاثين ومائة. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٨ ص٣٦٧، ٣٣٨.

(٣) ينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص٣٤٥، ٣٤٦؛ المكي: سمط النجوم العوالي، ج٣ ص٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٦٢.

(٤) محمد ناظم: السلطان محمود، ص٣٦، ٣٧.

ومن ذلك الحين أخذ العباسيون يستعينون بالفرس - لأنهم أقاموا دولتهم على أكتافهم - وقدر الخلفاء العباسيون الأوائل موقف الفرس منهم، فكان أبو جعفر المنصور^(١) يُكرر لأهل خراسان قوله: "أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا^(٢)"، كما أوصى ولي عهده بهم بقوله: "وأوصيك بأهل خراسان خيراً، فإنهم أنصارك وشيعتك، بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئتهم، وتكافئهم على ما كان منهم"^(٣).

"وازداد نفوذ الفرس في عهد الرشيد والمأمون^(٤)، ولما ولي المعتصم^(٥)

(١) أبو جعفر المنصور هو: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي العباسي، أمير المؤمنين، ولد في سنة (٩٥هـ) أو في حدودها، ضرب في الآفاق إلى الجزيرة والعراق وأصبهان وفارس، أته البيعة بالخلافة بعد موت أخيه السفاح وهو بمكة بعهد السفاح لما احتضر إليه، فوليها اثنتين وعشرين سنة، قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه، عاش أربعاً وستين سنة، وتوفي سنة (١٥٨هـ). الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٧ ص ٢٣٣؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٦٩.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج٤ ص ٥٣٤؛ وينظر: د/ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ٥؛ أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١ ص ٨٢.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، مرجع سابق ج٤ ص ٥٤١؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٨ ص ٢٠٤؛ ولا شك أن هذه المرحلة قد تميّزت بالقوة والعظمة والتي لم يسبق لها مثيل.

(٤) سوف يأتي الحديث عنه.

(٥) المعتصم بالله هو: أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، بويع له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب سنة (٢١٨هـ)، وهو أول من أضيف في لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء، وكان أميراً لا يُحسن الكتابة ضعيف البصر بالعربية، توفي بمدينة سامرا يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة (٢٢٧هـ)، وبويع

الخلافة أساء الظن بالفرس لأنهم طموحون ويعملون على تحقيق مطامع قوية^(١)، فاستعان بالترك وبعث في طلبهم من فرغانة وأشروسنة، واتخذ من حسن هندامهم، وجمال منظرهم وشجاعتهم وتمسكهم بتعاليم الإسلام سبباً للاعتماد عليهم، فأصبح معظم جند الدولة العباسية منهم، كما أسند إليهم المناصب العسكرية والمدنية الكبيرة في دولته، وآثرهم على العرب والفرس في كل شيء، وبذلك قوي شأن الترك وازداد نفوذهم؛ بينما ضعف شأن العرب والفرس"^(٢).

أدّى ازدياد نفوذ العنصر التركي في الدولة العباسية واستئثارهم فيها بالنفوذ دون الخلفاء إلى حدوث كثير من القلاقل والاضطرابات في الدولة العباسية. وفي الحقيقة أن الأتراك كانوا يخشون الخليفة المعتصم لقوة بأسه، لكنه لما توفي وولى الواثق بالله الخلافة^(٣) أخذوا يتدخلون في شئون الدولة ولم يستطع

ابنه هارون الواثق بالله. الربيعي: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، ج٢ ص ٥٠٢؛ ابن خياط: تاريخ خليفة، ج١ ص ٤٧٨.

(١) وعلى الرغم من أن الفرس حققوا مكانة طيبة في الدولة العباسية - فكان منهم وزراء الدولة وقوادها- إلا أن ميولهم الشيعية ظلت واضحة في كثير من وزراء الدولة العظام، وبدأت طموحهم مبكرة في تحقيق الانفصال عن الدولة العباسية، وتحقيق كيان مستقل عنها؛ مما جعل الخليفة يتجه بأنظاره إلى غيرهم. د/ مصطفى محمد رمضان: العالم الإسلامي، ص ٢٨٢ بتصرف يسير.

(٢) د/ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ٥؛ وينظر: د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٢٤؛ د/ عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص ٧٧، ٧٨، ٧٩.

(٣) الواثق بالله: هو أبو جعفر، وقيل أبو القاسم أمير المؤمنين، ابن المعتصم بالله أبي إسحاق

الخليفة السيطرة عليهم ولما استخلف المتوكل^(١) عول على سلبهم السلطة والنفوذ فتخلصوا منه وأصبحت الدولة العباسية مسرحاً للفوضى والاضطرابات بسبب نفوذ الترك^(٢).

وهكذا أصبح الخليفة محروماً إلى حد ما من دعم القوة السياسية المهمة بالإضافة إلى أنه أصبح ممقوتاً من جانب العرب والفرس؛ وهكذا وجد الخليفة نفسه في عزلة تامة.

المطلب الثاني: دور الفرس في ظهور الدول المستقلة بالشرق:

لم يقف العرب والفرس مكتوفي الأيدي إزاء ضعف نفوذهم، واستثار الأتراك بالسلطة والنفوذ دونهم؛ بل عملوا على استرداد مكانتهم، فحاولوا الاستقلال ببعض بلدان الدولة العباسية^(٣) فأقام الفرس في شرق الدولة

محمد بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن المنصور الهاشمي العباسي، ولي الأمر بعهد أبيه، ولد لعشر بقين من شعبان سنة ست وتسعين ومائة، وتوفي بسامراء يوم الثلاثاء لخمس بقين من الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام. ينظر: الكتبي: فوات الوفيات، ج٢ ص ٥٧٢؛ بكر أبو زيد: طبقات النسابين، ص ٥٨.

(١) المتوكل على الله: هو جعفر بن محمد بن هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد، بويغ له بالخلافة بعد أخيه الواثق هارون العباسي في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وولد سنة سبع ومائتين، وهو أول من سلم عليه بالخلافة وبايعه الخاصة والعامة، وهو الذي أحيى السنة وأمات البدعة، مات مقتولاً في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وكانت خلافته خمسة عشر عاماً. ينظر: اليافعي: مرآة الجنان، ج٢ ص ١٥٤؛ السخاوي: التحفة اللطيفة، ج١ ص ٢٤٢.

(٢) ينظر: العكري: شذرات الذهب، ج٢ ص ١١٩.

(٣) كان للفرس في إقليم خراسان وضع خاص في الدولة العباسية منذ نشأتها، إذ كان هؤلاء الخراسانيون يشعرون بأنهم أصحاب فضل على الدولة العباسية، وبأن سيدهم "أبا مسلم

الإسلامية دولاً مستقلة عن الخلافة العباسية قبيل ظهور الدولة الغزنوية^(١) أتحدث عن أهمها بشيء يسير من التفصيل:

أولاً: الدولة الصفارية:

تأسست الدولة الصفارية على يد يعقوب بن الليث بن الصفار (٢٥٤-٢٦٥هـ) الذي أقامها على أنقاض الدولة الطاهرية^(٢)، بعدما قام بالقضاء عليها، وقد لقب بهذا اللقب لأنه كان في بداية أمره يحترف صناعة النحاس الأصفر

الخراساني" هو المؤسس الأكبر لهذه الدولة، ورغم ذلك لم يحسن العباسيون جزاءهم حين قتل المنصور أبا مسلم، والواقع أن الخلافة العباسية كانت تتجاوز كثيراً عن الخراسانيين، وتحاول إرضاءهم؛ اعترافاً بفضلهم على الدولة. ينظر: ابن الجوزي: المنتظم ج١ ص ٣٣٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١ ص ١٨١.

(١) ولقد ساعد على هذا أن الوجود العربي في فارس بعد قيام الدولة العباسية أصبح معدوماً أو نادراً؛ وذلك بسبب أن الألوفا من العرب الذين استقروا في إيران ساروا مع الجيوش العباسية غرباً للقضاء على الدولة الأموية عندما قامت الثورة العباسية ولم يعودوا إلى خراسان مرة أخرى، وفي المقابل بدأت الروح الإيرانية تتعش. د/ مصطفى محمد رمضان: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٢٨٢ بتصرف.

(٢) الدولة الطاهرية (٢٠٥-٢٥٩هـ / ٨٢١-٨٧٣م):

قامت هذه الدولة في خراسان، وقد أسسها طاهر بن الحسين أحد كبار قواد الجيش في عهد الخليفة المأمون الذي يعد العصر الذهبي للدولة العباسية؛ ولقد وقف طاهر بن الحسين إلى جوار المأمون في كثير من المواقف الحرجة حتى تمكن من الخلافة، ولم يمر إلا عامان حتى أقدم "طاهر بن الحسين" على خطوة جريئة في سنة (٢٠٧هـ / ٨٢٣م) حيث قطع الدعاء في الخطبة للمأمون، - وكان قطع الدعاء يعني الاستقلال عن الخلافة-؛ ولكن يشاء الله أن يموت طاهر في العام نفسه؛ لكن لقد تولى ابنه طلحة بعد أبيه بأمر من الخليفة المأمون، وظل الطاهريون على ولائهم للعباسيين؛ وعندما جاءت سنة (٢٥٩هـ / ٨٧٣م)، استطاع يعقوب الصفار أن يقيم دولته على أنقاض هذه الدولة. ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، مرجع سابق، ج٦ ص ٤٣٠.

بسجستان، ثم اشتهر بالفروسية، فأخذ يُحارب الخوارج في "سجستان" معلناً ولاءه للخليفة المعترز، ومظهراً شجاعة خارقة في قتال الخوارج حتى سيطر على سجستان، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصار يمد نفوذه على الأقاليم المجاورة حتى ملك "هراة"، وكانت تابعة للدولة الطاهرية^(١).

"وقد توجه "الصَّفَّار" إلى "كَرْمَانَ"^(٢)، وبسط نفوذه عليها، ثم توجه إلى فارس فأخذها بعد قتال عنيف مع غريمه "علي بن الحسين" الذي وقع أسيراً جريحاً في يده، ولم يكتفِ بهذا؛ بل توجه إلى خراسان، وحاصر العاصمة "نيسابور"^(٣) ودخلها سنة (٢٥٩هـ/ ٨٧٣م) -خلافًا لما أمره به الخليفة- بحجة أن أهل خراسان طلبوه للضعف الذي يعانيه الطاهريون في عهد الخليفة العباسي "المعتمد"^(٤)، وقبض على جميع الطاهريين بها، واستولى على البلاد التي كان يحكمها الطاهريون"^(٥).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢ ص٥١٣؛ د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٣٢.

(٢) كَرْمَانَ: وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. يُنظر: ياقوت: معجم البلدان، ص٤٥٤.

(٣) نيسابور: بينها وبين مرو سبعون فرسخاً، وتسمى أيضاً "أبرشهر". يُنظر: قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٩٧؛ ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٣٨٤، ج٥ ص٣٣١.

(٤) المعتمد على الله: هو أبو العباس أمير المؤمنين ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتمد بالله محمد بن الرشيد الهاشمي العباسي، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين، ومات ليلة الاثنين لإحدى عشرة بقية من رجب سنة تسع وسبعين فجأة ببغداد، بوع بالخلافة بعد قتل ابن عمه المهدي وتم أمره في الخلافة، وقد سار بنفسه لحرب يعقوب بن الليث الصَّفَّار، وهزم جيشه أقيح هزيمة سنة اثنتين وستين. الذهبي: تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج٢ ص٢٤٨، ٢٤٩؛ وينظر: ابن تغري بردي الأتابكي: مورد اللطافة، ج١ ص١٧٠، ١٧١.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص٣١ بتصرف يسير؛ وينظر: د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ

وتقدم "الصّفار" في البلاد بعد أن هزم خصومه، وذهب إلى "طبرستان" (١) فدخلها سنة (٢٦٠هـ / ٨٧٤م)، وهزم صاحبها "الحسن ابن زيد العلوي" الذي عاد إليها مرة أخرى في نفس العام (٢٦١هـ / ٨٧٥م)؛ ويدرك الخليفة خطره، فقد اتجه إلى بغداد، ولم يبق في يد الخليفة إلا هي، بعد استيلائه على "الأهواز"، فأمر الخليفة أن يجهز جيشاً بقيادة أخيه الموفق لمواجهة "يعقوب"، وذلك في عام (٢٦٢هـ / ٨٧٦م) (٢).

ويشاء الله أن تدور الدائرة على يعقوب فيهزم؛ ولكن الخليفة "المعتمد" يرى الاحتفاظ بولائه للخلافة، فمثله يمكن الاعتماد عليه في مواجهة الثورات والانتفاضات، فبعث إليه يستميله ويترضاه، ويقلده أعمال فارس وغيرها مما هو تحت يديه، ويصل رسول الخليفة إليه، وهو في مرض الموت، ولكن بعد أن كَوَّنَ دولة، وبسط سلطانه عليها (٣).

الإسلام، ص ٢٣٢.

(١) طبرستان: وهي بلدان واسعة كثيرة، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، وكانت طبرستان في القديم موطناً ومعقلاً وملجأً للأكاسرة والجبابرة، وبسبب حصانتها المنيعة ووعورة مضايقتها كانوا يرسلون إليها الخزائن والكنوز والذخائر. يُنظر: ياقوت: معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٤ ص ١٣؛ ابن اسفنديار: تاريخ طبرستان، ص ٨٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٢ ص ٥١٤ بتصرف يسير؛ وينظر: نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ٥١، ٥٢؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ص ٧٣.

(٣) ينظر: نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ٥٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٦ ص ٤٢٠، ٤٢١.

ويظهر أخوه (عمرو) (١) من بعده ولائه للخليفة، فيوليه الخليفة خراسان وفارس، وأصبهان (٢)، وسجستان (٣)، والسند، وكرمان، والشرطة ببغداد، وكان "عمرو" كأخيه ذا أطماع واسعة، فانتهاز فرصة تحسن العلاقة بينه وبين الخليفة وراح يتمم رسالة أخيه (٤).

لقد اتجه بنظره إلى إقليم ما وراء النهر الذي كان يحكمه السامانيون؛ غير أنه هزم ووقع أسيراً في أيدي السامانيين، وأُرسل به إلى بغداد ليقتضى عليه فيقتل سنة (٢٨٩هـ / ٩٠٢م)، ولم تكد تمر ثماني سنوات حتى كان السامانيون قد قضوا نهائياً على الصفاريين واستولوا على أملاكهم، والأيام دول (٥).

وخلاصة القول أنّ الدولة الصفارية زالت بسبب جهود الخلافة العباسية المتصلة للقضاء عليها، والهزائم المتكررة التي مني بها الصفاريون من أعدائهم السامانيين؛ فقد هزم إسماعيل بن أحمد عمر بن الليث، وأرسله أسيراً إلى بغداد، بالإضافة إلى تمرد قواد الدولة الصفارية على سادتهم، وما ترتب على

(١) عمرو بن الليث الصفار: قيل كان ضراًباً في الصفرة فآل به الحال إلى السلطنة، تملك بعد أخيه وأحسن السياسة وعدل، وعظمت دولته وأطاع الخليفة. الذهبي: تاريخ الإسلام، مرجع سابق، ج١ ص٢١٣، ٢٣٤، ٢٣٥؛ وينظر: الصفدي: الشعور بالعور، ج١ ص١٧٩، ١٨٠.

(٢) أصبهان: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص٢٠٦.

(٣) سجستان: وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة، وهي جنوبي هراة، وأرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً، ولا تزال شديدة تدير رحاهم. ياقوت: معجم البلدان، ج٣ ص١٩٠.

(٤) ينظر: ابن تغري: مرجع سابق، ج٣ ص٤٠، ٧٤.

(٥) ينظر: الطبري: تاريخ الطبري، ج٥ ص٦٣٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٦ ص٤٢٨.

ذلك من ضعف الدولة الصفارية.

ثانياً: الدولة السامانية:

تنتمي الدولة السامانية إلى "نصر بن أحمد الساماني"^(١) الذي ولاه الخليفة "المعتمد" على ما وراء النهر سنة (٢٦١هـ)، وكان لنصر هذا أخ يدعى "إسماعيل الساماني"^(٢) فولاه الخليفة بخاري؛ وقد عرف أن السامانيين كانوا في بلاد ما وراء النهر، وأنهم قضوا على الصفاريين واستولوا على أملاكهم؛ حتى إذا جاء عام (٢٧٩هـ/٨٩٣م) مات نصر فقام أخوه إسماعيل مقامه في بلاد ما وراء النهر، فوطد أمرها، وثبت قواعدها، وقام بحملة عسكرية ضد المجاورين له من المسيحيين؛ لأنهم كانوا يهاجمون المناطق الإسلامية من حين إلى آخر، وقد نتج عن هذه الحملة انتصاره في هذه الحروب، ودخول كبار قادة هذه البلاد في الإسلام^(٣).

وتبعثهم في ذلك الجماهير التابعة لهم، ولقد كان إسماعيل يحب الخير

(١) سَامَانُ: قرية من قَرْى سَمَرْقَنْد. الزبيدي: تاج العروس، ج٣ ص٢٢٣، وسَامَانِي: نسبة جماعة الملوك السامانية (ملوك ما وراء النهر وخراسان) وينسب كذلك أيضًا مواليهم وأصحابهم، وكانوا من أحسن الملوك سيرة، يرجعون إلى عدل ودين وعلم. ابن الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢ ص٩٤.

(٢) هو إسماعيل بن أحمد الساماني أمير خراسان وما وراء النهر توفي (سنة ٢٩٥هـ)، وقد كان عاقلاً عادلاً حسن السيرة في رعيته حليماً كريماً، فلما مات تولى بعده ولده أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني، وبعث إليه الخليفة تشريفه. ابن كثير: مرجع سابق، ج١١ ص١٠٤؛ وينظر: القيسي الدمشقي: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة، ج٥ ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٥ ص٥٠٢؛ القزويني: التدوين في أخبار قزوين، ج٢ ص٢٨٩، ٢٩٠؛ د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٣٢، ٢٣٣.

والعلم، فقرب إليه العلماء، ونشر الخير فيمن حوله^(١).

وفي عهد إسماعيل تم القضاء على الدولة الصفارية، وامتد نفوذه إلى خراسان، واستولى على طبرستان بعد أن انتصر على واليها العلوي "محمد بن زيد"^(٢) عام (٢٨٧هـ / ٩٠٠م)، وتمكن إسماعيل بعد ذلك من ضم الري وقزوین إلى حوزته وتحت سيطرته وتوارثت الأجيال السامانية الولاية بعد إسماعيل الساماني حتى سنة (٣٨٩هـ / ٩٩٩م)^(٣).

فلما ولي الأمير عبدالملك بن نوح بن نصر بن إسماعيل الساماني^(٤) حكم الدولة السامانية سنة (٣٤٣هـ / ٩٥٤م)، كان في العاشرة من عمره، فجنح أمراء الولايات إلى الاستقلال بولاياتهم عن الدولة السامانية، ولم يبق عمل من شأنه المحافظة على وحدة دولته، وتوفي سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م)، فخلفه أخوه منصور بن نوح^(٥)، فأخذت الدولة في الضعف بسبب خروج القواد عليها، وازدياد نفوذ

(١) حكمت الدولة السامانية: في آسيا الوسطى قرابة مائة وخمسة وأربعين عامًا، ولقد ازدهرت الحضارة الإسلامية في عهدها، حتى كانت بخارى وسمرقند وبلخ ومرو تحت حكمهم منارات للعلوم الدينية، يفتد إليها الطلاب للدراسة، وعندما رحل المقدسي إلى إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر في العهد الساماني، امتدحهم في الحكم. ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩: ٢٤٠.

(٢) هو محمد بن زيد العلوي: صاحب طبرستان، كان إذا افتتح الخراج نظر في بيت المال من خراج السنة التي قبلها وفرقه في قبائل قريش على دعوتهم، وفي الأنصار وفي الفقهاء وأهل القرآن وسائر طبقات الناس إلى أن يفرق جميع ما بقي. ينظر: الصفدي: مرجع سابق، ج٣ ص ٦٨: القلعي (م): تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، ج١ ص ٣٩١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص ٨٣؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٣ ص ١٢٢.

(٤) هو عبد الملك بن نوح الساماني صاحب خراسان وغزنة وما وراء النهر، سقط عن فرسه فمات فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح الساماني. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١ ص ٢٣٨.

(٥) توفي الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب بلاد خراسان وبخارى وغيرهما سنة (٣٦٦هـ)،

البويهيين الذين امتلكوا ما يقرب من نصف إيران^(١)، فامتدت الدولة البويهية على حساب الدولة السامانية التي أخذت في الضعف والانحلال، ولم يلبث السامانيون أن ألقوا بأنفسهم إزاء كل هذه الصعاب التي اعترضت سياستهم في أحضان الدولة الغزنوية الناشئة، حتى آل أمرها نهائياً إلى الغزنويين؛ وبذلك انقرضت الدولة السامانية التي ظلت تحكم آسيا الوسطى قرابة (١٤٥) عاماً^(٢).

ولا يُنسى التاريخ أن يذكر للدولة السامانية اهتمامها بالعلم والعلماء ورعايتها للآداب، وقيامها بنهضة فنية رائعة في العمارة، وصناعة الخزف والمنسوجات الحريرية، وصناعة الورق التي انتشرت في سمرقند، ومنها انتشرت في بقية العالم الإسلامي، وكان اهتمامهم باقتناء الكتب عظيمًا، فالمُطَّلَع على مكتبة الدولة وقتها يجد ما لا يوجد في سواها من كتب المعارف والعلوم^(٣).

وكانت ولايته خمس عشر سنة. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١ ص ٢٨٥.

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٤٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ١٧٧؛ وينظر: د/ مصطفى محمد رمضان: تاريخ الحركات الانفصالية في العالم الإسلامي، ص ٢٢٦.

(٣) ينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص ٨٨، ٨٩؛ ولقد تميز عهد السامانيين باستيعاب مذهب الإمام الشافعي وانتشاره؛ مما يجعلنا نعتبر هذه الفترة من أهم فترات التدوين والتأليف في علمي الفقه والحديث بخراسان، وقد ساعد على هذا الازدهار عدة عوامل أهمها: أن الدولة السامانية ربطتها بالخلافة العباسية صاحبة المذهب السني وممثلة زعامته الروحية علاقات طيبة؛ بل كانت الدولة السامانية نفسها من الدول التي أولت فقهاء المذهب السني رعايتها وعطفها، فهو مذهب الدولة الرسمي؛ كما اهتمت الدولة السامانية ببناء المدارس، ودور الكتب، والمساجد التي تمكن الفقهاء من ممارسة عملهم في نشر وتأليف مؤلفاتهم الفقهية. ينظر: د/ فتحي أبو سيف: خراسان تاريخها السياسي والحضاري،

ومن خلال التتبع لتاريخ الدولة السامانية يُرى أنّ زوال دولتهم يرجع إلى عدة عوامل منها: وقوع النزاع بين أفراد هذا البيت، وخروج القواد وعمال الأطراف عليهم، واستعانة بعض قواد الدولة ببني بويه، بالإضافة إلى تدخل النساء والوزراء في الحكم بسبب صغر سن بعض الأمراء؛ مما أضعف الدولة السامانية وأدّى إلى زوالها في النهاية.

وهكذا فقد مرّت الخلافة العباسية بعدة أطوار فبدأت قوية ثم ازدادت قوةً واتساعاً ثم بدأ الضعف يَدبُّ في أوصالها عندما اقتتل الأخوان "الأمين" (١) و"المأمون" (٢)، على الخلافة (٣) ثم دخلت مرحلة الضعف وتحكم الغير فيها،

ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(١) الأمين هو: أمير المؤمنين أبو عبد الله بن الرشيد هارون بن المهدي، وأمّه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، فهو هاشمي أبا وأما، ولم يتفق ذلك لغيره من الخلفاء إلا لعلي بن أبي طالب ولابنه الحسن، كان مولده بالرصافة سنة سبعين ومائة، كان ولي عهد أبيه فولّي الخلافة بعده، خُلع آخر أمره ثم أُسر وقتل صبراً في المحرم سنة ثمانٍ وتسعين ومائة بظاهر بغداد وطيف برأسه. ينظر: البستي: الثقات، ج٢ ص ٣٢٧؛ كحالة: أعلام، ج٢، ص ١٧: ٢٠.

(٢) المأمون هو: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، ولد سنة سبعين ومائة عندما استخلف أبوه الرشيد، وكان من رجال بني العباس حزمًا وعزمًا وحلمًا وعلماً ورأيًا ودهاءً وهيبَةً وشجاعةً وسؤددًا وسماحةً؛ توفي المأمون عام ٢١٨ هـ. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٥ ص ٢٢٥: ٢٣٠؛ وينظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢ ص ٤٤٤؛ محمد عبد الله عنان: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص ١١.

(٣) كان الرشيد قد عزم على تولية المأمون من بعده باعتباره أكبر أولاده سنًا إلا أنّه عاد فعدل عن ذلك وبايع ابنه الأمين، بسبب تدخل أمه زبيدة في الأمر؛ ولما آلت الخلافة إلى الأمين، عول على خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، وشجّعه على ذلك وزيره الفضل بن الربيع، وحثّه على تولية ابنه الرضيع موسى ولاية العهد وسماه الناطق بالحق، ومن ذلك الحين بدأت الفتنة بين الأمين والمأمون وسببها في الواقع نكث الأمين للعهد على نفسه في حياة أبيه. ينظر:

وفي هذه المرحلة بدأ ولاة الأقاليم البعيدة يستقلون بحكم تلك الأقاليم وينشئون ممالك مستقلة تأخذ شكل الحكم الذاتي حيث تكون مستقلة في كل شيء؛ ولكن ولاءها المعنوي والروحي للخلافة العباسية، وقامت العديد من الدول في الشرق والغرب تحت هذا الإطار^(١).

ففي الشرق ظهرت الدولة الطاهرية، والدولة السامانية، والدولة البويهية، والدولة الغزنوية^(٢)، وفي الغرب ظهرت الدولة الطولونية والإخشيدية ودولة الأغالبة وهكذا. ولا شك أنه كان لظهور هذه الدويلات الأثر الكبير في الحالة الاجتماعية^(٣) والاقتصادية^(٤) والدينية^(٥) والفكرية والأدبية^(٦).

-
- الأصفهاني: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ج١ ص ٧٨١؛ أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ج٣ ص ١٠١.
- (١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣ ص ٣٨١، ٣٨٢؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي المعاصر، ص ١٦.
- (٢) موضوع البحث.
- (٣) فأما عن الحالة الاجتماعية: فقد كان لهذه الدويلات أثر في تقدم الحضارة، ورفي المجتمع الإسلامي، وانتقال مركز الحضارة والرفي من بغداد عاصمة الدولة العباسية إلى مدن أخرى نافستها في كثير من المجالات، ومنها، قرطبة، وبخاري، وغزنة، وحلب.
- (٤) وأما عن الحالة الاقتصادية: فقد ساعد قيام هذه الدويلات على تدفق الثروات نتيجة لاهتمام القائمين على هذه الدول بوسائل توسيع بلادهم وازدهارها الاقتصادي، وعنايتهم بالزراعة والري والصناعة والتجارة، إضافة إلى اهتمامهم بالعمارة الذي بالغوا فيه درجة التنافس.
- (٥) وأما عن الحالة الدينية: فكان لهذه الناحية الأهمية البالغة لدى الأمراء والولاة والملوك، وشجع على ذلك ظهور المذاهب الدينية، فانتشرت مبادئ الشيعة، وخاصة الإسماعيلية في مناطق كثيرة من أرض الدولة العباسية، وقد أثر ظهور الشيعة على حركة التأليف الديني في هذه الفترة، كما ظهر مذهب الاعتزال، ونشأت الصوفية.
- (٦) وأما عن الحالة الفكرية والأدبية: فلم يقتصر تنافس هذه الدويلات على الأمور المادية

كما أنَّ بعض هذه الدول كان له أثرٌ حسنٌ في خدمة الإسلام ونشر الدين مثل الدولة الغزنوية والدولة الطولونية ودولة الأغالبة، وبعضها كان له أسوأ الأثر على الإسلام والمسلمين مثل الدولة البويهية الشيعية.

ففي أواخر القرن الرابع الهجري كانت العاصمة بغداد تئن تحت وطأة البيهيين أولئك الجفاة الذين انحدروا من إقليم الديلم في شمال إيران وتسلطوا على الخلافة فلم يعد للخليفة من الأمر إلا المظاهر والشكليات.

في فترة الضعف هذه التي تعيشها الخلافة العباسية السنية نبتت قوة في غزنة على يد أسرة تركية عميدها سُبُكْتِكِين الذي بدأ الجهاد في أرض الهند ثم جاء ابنه محمود الذي أظهر كفاءة عالية وشخصية قوية فجمع إقليم خراسان كله تحت إمرته ووصل إلى الري وأذربيجان وبارك الخليفة العباسي القادر بالله (١) هذه السلطنة السنية القوية.

فحسب، بل كان اهتمامهم بالأمر المعنوية وتنافسهم فيها أشد وأقوى، ومن يرجع إلى الناحية الفكرية في دولة الحمدانيين في حلب، أو الدول التي قامت في الأندلس يري ذلك جلياً.

(١) القادر بالله: أبو العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن ولي العهد موفق طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد ابن الرشيد هارون العباسي الهاشمي البغدادي، أمير المؤمنين، بويع القادر بالخلافة عند قبض الطائع في حادي عشر شهر رمضان سنة (٣٨١هـ)، ومولده في سنة (٣٣٦هـ)، صنف كتاباً في الأصول ذكر فيها فضائل الصحابة وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن، وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي بحضرة الناس، توفي سنة (٤٢٢هـ)، وكان من أحسن الخلفاء سيرة رحمه الله تعالى. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٥ ص١٢٧؛ سالم سليمان العيس: المعجم المختصر للوقائع، ص١٩٦.

المبحث الثاني

الدولة الغزنوية نشأتها، وأحوالها السياسية

حتى وفاة سُبُكْتِكِين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: جهود الطائفة الألبتكينية في قيام الدولة الغزنوية:

اعتمد السَّامانيون على الأتراك في أمور دولتهم، فكان قوام جيشهم منهم، وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة، فزاد نفوذهم، وعلا شأنهم في دولة آل سامان؛ والمعروف أنَّ الأتراك من العناصر التي كانت مصدرًا للقلق والاضطرابات في الدول التي استعانت بهم، ومن بينها الدولة السامانية، فقد أضعفوها وعملوا على زوالها^(١).

ومن أبرز هؤلاء الأتراك الذين ارتفع شأنهم في الدولة السامانية:

١. المملوك ألبتكين:

قامت الدولة الغزنوية بفضل "ألبتكين"^(٢)، الذي كان يعمل في الجيش

(١) ينظر: محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٨٥؛ د/ عصام الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة، ص ٣٩.

(٢) ألبتكين: كلمة مركبة من "ألب" بمعنى بطل، و"تكين" بمعنى المسمى، وهي تلحق بكثير من

الساماني، وما زال يرتقي في سلك الوظائف حتى ولي منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠هـ / ٩٥٤ - ٩٦١م)، ومن ثم ارتفع شأنه^(١)، حتى أن الوزير كان يأتمر بأمره، ويلتزم بتنفيذ تعليماته وتوجيهاته.

لم تصف الأمور لألبتكين، إذ خشي الأمير عبد الملك بأسه، وعول على إبعاده عن حاضرة دولته، فأسند إليه ولاية خراسان في عام (٣٤٩هـ / ٩٦٢م)^(٢)، ولما توفي الأمير عبد الملك سنة (٣٥٠هـ)، تشاور الأمراء في الدولة السامانية مع ألبتكين - الذي كان أكبرهم - فيمن يراه مناسباً لتولية أمر الدولة السامانية، فوقع اختيار ألبتكين على عم الأمير المتوفي، ورفض اختيار منصور بن نوح خلفاً لأخيه؛ لصغره؛ على أن اقترح ألبتكين لم يعمل به، ذلك أن الأمراء ولوا منصوراً دون أن ينتظروا وصول رد ألبتكين^(٣)، لذلك نشأ العداء بين الأمير الجديد منصور بن نوح وبين ألبتكين، الذي رفض اختياره، ولم تجد محاولات ألبتكين التودد للأمير الساماني^(٤).

الأسماء التركية، مثل "سبك" بمعنى "مثل" أو "شبيه". د/ شيرين عبدالمنعم حسنين: مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، ص ١٨؛ ٢٥٣.

(١) وقد ولد ألبتكين مؤسس مملكة غزنة حوالي سنة (٢٦٧هـ / ٨٨٠م) وبيع كرقيق إلى أحمد بن إسماعيل الساماني الذي أدرجه ضمن حرسه الشخصي، ثم أعتقه في عهد نصر بن أحمد وأصبح قائداً لفرقة عسكرية في عهد نوح بن نصر، ومنها وصل إلى منصب حاجب الحجاب. ينظر: نظام الملك: مرجع سابق، ج ١ ص ١٤٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٨٦.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٥٠؛ بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ١١٨.

(٣) نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ١٤٧، ١٤٨؛ النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٥٠، ١٥١، بتصرف.

(٤) النرشخي: تاريخ بخارى، مرجع سابق، ص ١٥٠، ١٥١.

خشي الأمير منصور من انتفاض ألبتكين عليه في خراسان فاستدعاه إلى بلاطه^(١)، ولما علم ألبتكين أن الأمير الساماني يضم له السوء، رفض التوجه إليه وأظهر التمرد والعصيان فعزله منصور عن خراسان، واسند ولايتها إلى أبي الحسين سيمجور، فقصد ألبتكين بلخ، وعول الأمير الساماني على إخضاعه فأرسل إليه جيشاً اشتبك معه وهزمه، فتوجه ألبتكين إلى غزنة^(٢) وحاصرها واستولى عليها من حاكمها الساماني، ولم يكتف بذلك بل غزا زابلستان وأقام بها إمارة مستقلة عن سادته السامانيين عاصمتها غزنة^(٣)، على أن الأمير منصور الساماني لم يقف مكتوف اليدين إزاء تمرد ألبتكين، فبذل محاولات - لسحق تمرده - كلها باءت بالفشل^(٤)، فكف عنه وبذلك قوي شأن ألبتكين في إمارته، وتوطد فيها سلطانه^(٥).

وعلى أثر ذلك قام ألبتكين بإخضاع بست وجزء من مملكة كابل؛ لكنه لم ينعم بهذه السيادة طويلاً؛ إذ وفاه الأجل في (٢٠ شعبان ٣٥٢هـ / ١٣ سبتمبر ٨٦٣م)^(٦).

(١) المرجع نفسه، ص ١٥١، ١٥٠، بتصريف.

(٢) ينظر: نظام الملك: سياست نامه، مرجع سابق، ج ١ ص ١٤٨، ١٥١، ٢٧٧.

(٣) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ١٥١، ١٥٠، بتصريف؛ د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٢٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٢٧٦؛ نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ١٥٢.

(٥) د/ عصام عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص ٧٠.

(٦) نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

٢. أبو إسحاق إبراهيم:

توفي ألبتكين وخلفه في حكم غزنة ابنه أبو إسحاق إبراهيم - قائد جيوش خراسان السامانية - غير أنه لم يستطع السيطرة على مقاليد الأمور في غزنة^(١)، وطرد منها إلى بخارى، فاستنجد بالأمير منصور بن نوح، فأمدّه بجيش مكنه من استرداد غزنة، وحكمها باسم السامانيين، وبذلك استرد السامانيون نفوذهم على غزنة، غير أن أبا إسحاق لم يلبث أن توفي في (٢٧ شوال ٣٥٤هـ / ٢٦ سبتمبر ٩٦٥م) دون أن يترك وريثاً يعقبه في حكم غزنة^(٢).

٣. بلكاتيكين:

ولما لم يترك أبو إسحاق ولداً مؤهلاً لخلافته، فإن القادة اختاروا لخلافته بلكاتيكين - أحد مماليك ألبتكين - وقد شغل قائداً للحرس في عهده، وقد اشتهر بالعفة والطهارة والعدل وبالحزم في الإدارة، واستمر في الحكم مدة عشر سنوات، وضرب النقود باسمه في غزنة سنة (٣٥٩ / ٩٦٩م)، ووافته المنية أثناء حصار كرديز (٣٦٤هـ / ٩٧٤م)^(٣).

٤. بريتكين:

خلف بلكاتيكين رقيق آخر لألبكتين هو بري أو بريتكين وكان مكروهاً من قبل أتباعه حتى أنهم دعوا أبا على لاويك ليكون ملكاً عليهم، وقد اصطحب

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج١ ص٥٦؛ حسن إبراهيم حسن: مرجع سابق، ج٣ ص٩٢.
 (٢) محمد ناظم: مرجع سابق، ص٤٥؛ وينظر: د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، ص٤١.
 (٣) محمد ناظم: السلطان محمود، ص٤٦؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٩٢.

أبو علي معه ابن ملك كابل وتقدم نحو غزنة، لكن سُبُكْتِكِينَ جمع حوالي ٥٠٠ من العبيد والتقى بالغزاة على مقربة من "جَرَّخ" والحق هزيمة ساحقة بهم، ثم أعدم كلا من أبي علي لاويك وابن ملك كابل بعد أن وقعا في الأسر؛ غير أن القادة والنبلاء أجمعوا على عزل بريتكين وتنصيب سُبُكْتِكِينَ أميراً على غزنة في (٢٧ شعبان ٣٦٦هـ / ٢٠ أبريل ٩٧٧م) (١).

المطلب الثاني: أبو منصور سُبُكْتِكِينَ نشأته وجهوده في قيام الدولة

الغزنوية:

أولاً: مولده نشأته:

ولد ناصر الدولة أبو منصور سيد الأمراء سُبُكْتِكِينَ حوالي سنة (٣٣١هـ / ٩٤٢م) من أب يدعى "جَقَّ" كان رئيساً لإحدى العشائر الصغيرة في تركستان، وقد تميز بقوة خارقة، وفي أحد الأيام قامت إحدى القبائل المجاورة بغارة على مضارب عشيرته فأسرت ابنه الثالث الذي لم يكن قد جاوز الثانية عشرة من عمره وهو سُبُكْتِكِينَ (٢).

وقد ظل في الأسر مدة أربع سنوات بيع على إثرها رقيقاً لرجل يدعى نصر الحاجي، ثم مرض سُبُكْتِكِينَ فاضطر نصر إلى تركه في مدينة نخشب طوال ثلاث سنوات، تعلم خلالها فنون الحرب وأساليب القتال؛ الأمر الذي أثار

(١) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ١٧٥؛ د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ

الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، ص ٤١.

(٢) الصيرفي: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ج١ ص ٤٣.

سرور سيده فعينه رئيسًا للغلمان^(١).

وفي سنة (٣٤٨هـ/ ٩٥٩م) نقل سُبُكْتِكِينَ إلى بخارى حيث ابتاعه ألبتكين الذي كان يشغل منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك، وقد شعر ألبتكين نحوه بود خاص؛ الأمر الذي جعله يرقيه بسرعة في مراتب غلمان القصر، دون أن يمر بالتدرج الذي كان معمولاً به أثناء الخدمة، وبعد وفاة ألبتكين أصبح سُبُكْتِكِينَ حاجب الحجاب والقائد الموثوق به لأبي إسحاق إبراهيم، وتزوج من ابنة ألبتكين^(٢).

ثانياً: توليته سُبُكْتِكِينَ العرش وتوسيع مملكته:

خلال فترة حكم بلكاتيكين وبريتكين استمر سُبُكْتِكِينَ ينعم بمظاهر التقدير والإجلال؛ لدرجة أن القادة لم يروا أفضل منه فأجمعوا علي توليته العرش^(٣).

ويذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ): "أنه كان في ابتداء أمره من غلمان أبي إسحاق بن ألبتكين... وكان مقدماً عنده، وعليه مدار أمره، وقدم إلى بخارى أيام الأمير منصور بن نوح مع أبي إسحاق، فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل، والعفة وجودة الرأي والصرامة، وعاد معه إلى غزنة، فلم يلبث أبو إسحاق أن توفي، ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم، فاجتمع عسكره ونظروا فيمن يلي أمرهم ويجمع كلمتهم، فاختلفوا ثم اتفقوا على سُبُكْتِكِينَ؛

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٤٦.

(٢) نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ١٥٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٢٨٦؛ الساداتي:

تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج ١ ص ٨٣.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥ ص ١٧٥.

لما عرفوه من عقله ودينه ومروءته وكمال خلال الخير فيه، فقدموه عليهم وولوه أمرهم، وحلفوا له وأطاعوه، فوليهم وأحسن السيرة فيهم، وساس أمورهم سياسةً حسنةً، وجعل نفسه كأحداهم في الحال والمال، وكان يذخر من إقطاعه ما يعمل منه طعاماً لهم في كل أسبوع مرتين" (١).

وهكذا استطاع سُبُكْتُكِين بحسن سياسته اكتساب محبة الرعية وأمراء البلاد المجاورين له، ولم يلبث الخليفة العباسي أن اعترف بحكومته، فأصبح حكمه بهذا الاعتراف بالصيغة الشرعية، وتحققت أمنية له طالما اختلجت في صدره، فتلقب بناصر الدولة، وبعث له الخليفة بالعقد والخلع التقليدية، وأصبح سُبُكْتُكِين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية الشرعية، وعلى الرغم من استقلاله الفعلي فقد ظل يظهر ولاءه للسامانيين (٢).

وخلال السنة الأولى والثانية من ارتقاء سُبُكْتُكِين العرش، استطاع أن يتوسع على حساب بست (٣) وقصدار (٤)، ثم وجه اهتمامه إلى الهند (٥)، وكانت

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص ٢٨٣؛ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ

الهند من الأعلام، ص ٦٠؛ الشيخ محمد الخضري: الدولة العباسية، ٣٧٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١ ص ٢٨٦؛ د/ حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص ٢٣٤.

(٣) بُسْت: مدينة بين سجستان وغزني وهرارة، من أعمال كابل، وهي من البلاد الحارة المزاج، خرج منها جماعة من أعيان الفضلاء. ياقوت: معجم البلدان، ج١ ص ٤١٤، ٤١٥.

(٤) قُصْدَار: ناحية مشهورة قرب غزنة، وهي من بلاد السند، بينها وبين بست ثمانون فرسخاً. ياقوت: معجم البلدان، ج٤ ص ٣٤١، ٣٥٣.

(٥) والهند حالياً - أو كما يُطلق عليها رسمياً جمهورية الهند - بلد تقع في جنوب آسيا، وسابع أكبر بلد من حيث المساحة الجغرافية، والثانية من حيث عدد السكان، ولا يمكن التحديد

المناطق الممتدة من لمغان وحتى نهر جناب خاضعة لحكم جييال من أسرة هندوشاهية، وقد اتخذ جييال من حملة سُبُكْتِكِينَ ذريعة لمهاجمة غزنة حوالي سنة (٣٧٦هـ/٩٨٦م) والتقى الجيشان قرب جبل يسمى غوزك على الطريق ما بين غزنة ولمغان وقاتل الهندوس بكل بسالة، إلا أن هبوب عاصفة ثلجية قد تسببت في وقوع اضطراب بين صفوفهم؛ الأمر الذي جعل جييال يعرض الصلح، وكان محمود راغباً في استمرار المعركة حتى إلحاق الهزيمة الكاملة بالهندوس^(١)؛ ولكن رأى سُبُكْتِكِينَ أنَّ الصلح أنفع في ذلك الوقت وتم الصلح وتعهد جييال بدفع مليون درهماً وخمسين فيلاً، والتخلي عن الحصون وبعض المدن الصغيرة على الحدود^(٢).

الدقيق للاحتكاك الأوّل بين الهند والعرب، إلّا أنّ الثابت تاريخياً أنّ العرب كانوا على صلة تجارية بالهند قبل الإسلام؛ حيث وصلت سفنهم إلى أغلب المدن الهندية؛ بل وذهبوا إلى خليج البنغال، وبلاد الملايو، وجزر إندونيسيا، وفي عهد الراشدين وصلت بعض القوات الإسلامية إلى شمال بومباي، وفي خلافة معاوية رضي الله عنه أرسل جيشاً إلى السند، وأُرسل في خلافة عبد الملك بن مروان محمد بن قاسم لغزوها، فبدأ في فتحها، وكان ذلك بداية انتشار الإسلام فيها، كما كاتبَ عمرُ بن عبد العزيز ملوك السند فأسلم بعضهم، وفي عهد هشام بن عبد الملك تم القضاء على الفتن، وفي الخلافة العباسية ظهرت الاضطرابات؛ ففي خلافة هارون الرشيد ولّى العديد من الولاة على السند حتى وصل عمر الهَبَّاري إلى حكمها فأطاعه الناس، ولما ضعفت الخلافة خضعت للسامانيين، ثم جاء السلطان محمود الغزنوي ونشر الإسلام في هذه البلاد. ينظر: د/ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص ٣٤٨.

(١) والهندوسية: ديانة وثنية يعتنقها أهل الهند، وقد تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر (ق.م) إلى وقتنا الحاضر، ولا يُوجد للديانة الهندوسية مؤسس معين، ولا يُعرف لمعظم كتبها مؤلفون معينون، كما تكثرت في هذه الديانة الآلهة التي يعبدها الهندوس بصورة مثيرة للعجب. سامي عبد الله أحمد المغلوث: أطلس الأديان، ص ٦١١.

(٢) ابن الأثير: الكامل: ج٧ ص ٣٧٤؛ وينظر: وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية:

غير أن جييال قام بنقض العهد مع سُبُكْتُكِين، ودعا إلى عقد تحالف بضم رجوات الهنود، وتقدم على رأس هذا الحشد نحو غزنة، إلا أن سُبُكْتُكِين قد تمكن من هزيمة هذا التحالف وضم المواقع الممتدة بين لمغان وبيشاور ونشر الإسلام بين سكانها، كما أن الخلع والأفغان القاطنين في هذه المنطقة قد أعلنوا ولائهم وانضموا إلى جيوش سُبُكْتُكِين^(١).

وهكذا فبرغم هذه الحروب التي قام بها سُبُكْتُكِين في الهند؛ إلا أنها لم تكن سوى غزوات مهدت طريق الفتح أمام جيوش المسلمين فيما بعد.

ثالثاً: طبيعة علاقة سُبُكْتُكِين بالدولة السامانية:

في الوقت الذي وصل فيه سُبُكْتُكِين إلى عرش غزنة، كانت الدولة السامانية تتدهور وتضمحل، وأخذ حكام بعض الأقاليم في التمرد عليها، غير أن سُبُكْتُكِين ظل على ولائه وقدم للأمر نوح العون والمساعدة في القضاء على المتمردين، وعندما اتفق فايق وأبو على سيمجور ضد الأمير نوح وجه الأمير نوح ندائه إلى سُبُكْتُكِين الذي استجاب على الفور وأسرع إلى هرات عبر الممرات الجبلية لملاقاة حشود المتمردين^(٢).

واستطاع سُبُكْتُكِين عن طريق التفاوض مع المتمردين أن يرغمهم على

تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام، ص ١٢١، ١٢٢.

(١) ينظر ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ٤٧٤، ٤٧٥؛ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص ٦٠.

(٢) أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢١٥؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٨٧، ٩٣.

التصالح مع الأمير ودفع مبلغ ١٥ مليون درهم تعويضاً له؛ لكنه بعد فترة وجيزة قام أبو علي بنقض الصلح فهاجمه سُبُكْتِكِين عند هرات في (١٥ رمضان ٣٨٤هـ / ٢٣ أكتوبر ٩٩٤م)، وقد استبسل أبو علي في القتال لكن هجوم محمود قد عجل بهزيمته؛ فاضطر للهرب إلى الري واتخذ ملجأ له عند فخر الدولة^(١).

ودخل المنتصرون هرات فأنعم الأمير على سُبُكْتِكِين بلقب ناصر الدين والدولة وولاية بلخ، وعلى محمود بلقب سيف الدولة وقائد لجيوش خراسان^(٢).

رابعاً: وفاة سُبُكْتِكِين:

بعد انتهاء حركة التمرد انصرف سُبُكْتِكِين إلى بلخ وجاءته الأخبار بوفاة إحدى شقيقاته وبعض أقاربه، فاغتم لذلك وحزن أشد الحزن حتى وقع مريضاً، وقرّر الذهاب إلى غزنة للاستشفاء هناك؛ حيث الهواء المنشط والمنعش، وفي الطريق لفظ أنفاسه الأخيرة عند قرية "مادروموي" على حدود بلخ في شعبان (٣٨٧هـ / أغسطس ٩٧٥م)^(٣).

"وهكذا قضى سُبُكْتِكِين نحبه وكان محبوباً من جنوده الذين قاسمهم الشدة

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٤٦٦.

(٢) المرجع نفسه، ج٧ ص٤٦٧، ٤٧٠؛ وينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٨٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل: مرجع سابق، ج٧ ص٤٨٨؛ وينظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: مرجع سابق، ص٦٠.

ومن مواطنيه الذين نعموا بإدارته الخيرة وخلد اسمه بلقب الأمير العادل الذي أطلقه عليه المؤرخون؛ قوي الإرادة لا يستسلم للمحن والشدائد، إنسانياً وكرامياً في الشدة والرخاء" (١).

أما علاقته بسيدته الأميرة نوح فهي جديرة بالإطراء والثناء فقد كان أسرع في تقديم العون والمساعدة لسحق التمرد، وصد الغزو القادم من تركستان وكان موقفه واضحاً وجلياً رافضاً للخيانة التي دأب عليها نبلاء بخارى ضد حكومته.

"لقد كان رجل دولة عظيمًا، استطاع أن يوطد مركزه بعلاقات المصاهرة، فخطب لابنه محمود أميرة من البيت الفريغوني الذين كانوا على صلة مصاهرة بالأسرة السامانية، ومن هذه السيرة الطيبة والسياسة المتبعة استطاع أن يضمن مركزاً متميزاً جعل الإمارات الأخرى تسعى نحو ربط أواصر الصداقة معه" (٢).

يقول عنه ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: "وكان عادلاً، خيرًا، كثير الجهاد، حسن الاعتقاد، ذا مروءة تامة، وحسن عهد ووفاء؛ لا جرم بارك الله في بيته، ودام ملكهم مدة طويلة جازت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم" (٣).

ومما لا شك فيه أن هذه الخلال التي كان يتمتع بها سُبُكْتُكِين قد مكنته من الوصول إلى المراتب العليا في الدولة، وكسب ثقة الجميع وعلى رأسهم الأمير

(١) ينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٩٤؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص٥٠.

(٢) محمد ناظم: المرجع نفسه، ص٥٠.

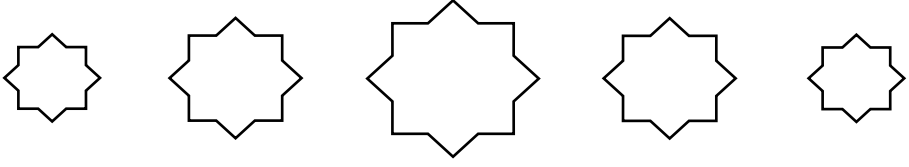
(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٤٨٨؛ وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٦ ص٥٠٠؛ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: الإعلام، ص٦٠.

نوح، كما كانت لها بصماتها الواضحة بعد ذلك على ولده السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين.

كما يُعتبر سُبُكْتِكِين هو المؤسس الأول والحقيقي للدولة الغزنوية الشرعية^(١) حيث اعترف بها الخليفة العباسي؛ ولم يكتف سُبُكْتِكِين بحكم غزنة فقط؛ بل عمل على بسط سيطرته على البلاد المجاورة، فسيطر على منطقة خراسان؛ فإليه يرجع الفضل في وضع أساس إمبراطورية الغزنويين.



(١) يقول بن خلدون في كتابه (العبر): "وهذه الدولة من فروع دولة بني سامان وناشئة عنها، وبلغت من الاستطالة والعز المبالغ العظيمة، واستولت على ما كانت دولة بني سامان عليه، في عدوتي جيحون وما وراء النهر وخراسان وعراق العجم وبلاد الترك وزيادة بلاد الهند". ابن خلدون: العبر، ج٤ ص ٤٧٣.



الفصل الثاني

التعريف بالسلطان محمود الغزنوي

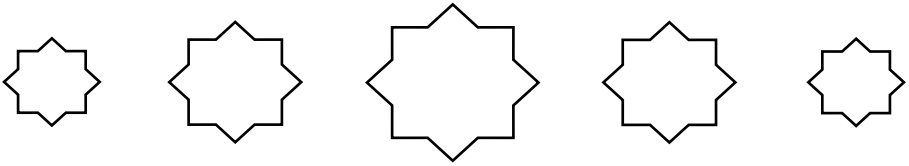
المبحث الأول: السلطان محمود الغزنوي، أسرته، مولده ونشأته.

المبحث الثاني: صفات السلطان محمود وأخلاقه، عقيدته ومذهبه.

المبحث الثالث: الصراع حول العرش والوصول إلى الحكم.

المبحث الرابع: علاقته بالدولة السامانية والخليفة العباسي.

المبحث الخامس: وفاة السلطان محمود الغزنوي.



المبحث الأول

محمود الغزنوي، أسرته، مولده ونشأته

وفيه مطلبان:

■ **المطلب الأول: السلطان محمود الغزنوي، أسرته:**

أولاً: السلطان محمود.

لقد ظلت شخصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مضرّباً للأمثال في كل باب في العدل والحق والقوة والورع والجهاد والزهد والخوف وإتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان له من المواقف المشهورة والآثار المحمودة ما جعلت العالم بأسره يعترف بفضلته وأثره في البشرية وقتها؛ حتى أن "مايكل هارت" صاحب كتاب "الخالدون مائة" قد وضعه ضمن هؤلاء العظماء^(١).

وظنّ المسلمون أن هذه الشخصية لن تتكرر مرة أخرى عبر التاريخ؛ والحق أننا لن نجد في التاريخ شخصية تتطابق مع الفاروق عمر رضي الله عنه؛ ولكننا سوف نجد في أحداث التاريخ بعض أبطال المسلمين الذين حاولوا التشبه به في كثير من مواقفه؛ ولعل السلطان محمود كان أحدهم، مع الفارق الكبير بين الشخصيتين.

(١) ينظر: مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد صلى الله عليه وسلم، ص ٢٩٠.

"إنه الملك العادل الكبير، والولي المجاهد الغازي، والثاغر المرابط والمؤيد المنصور، يمين الدولة وأمين الملة، ناصر الحق ونظام الدين وكهف الدولة، محطم الصنم الأكبر وقاهر الهند وكاسر أصنامهم وندودهم وأوثانهم وسلطانهم الأعظم قهراً، والسلطان المجاهد العظيم"^(١) (أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكِين بن جق بن قرا أرسلان بن قرا ملات بن قرا نعمان بن فيروز بن سنجان بن يزدجرد آخر ملوك الفرس)^(٢).

ولقد امتن الله ﷻ على هذا البطل العظيم بأن هدي الله على يديه أكثر من مائة مليون نسمة لا يزال أحفادهم إلى الآن يملئون باكستان وكشمير وبعض المدن في الهندستان!؟.

ومن نافلة القول أنَّ الزمن الذي تألَّق في سماءه كوكب السلطان محمود الغزنوي لا يسمح بظهور مثله بحال، فليست هناك خلافة راشدة تفسح ميدان البطولة المخلصة لأمثال خالد وسعد وعمر وأبي عبيدة والمثنى، وليس هناك خليفة أموي راسخ السلطان، مرهوب الكلمة، واسع الملك، تحشد حوله الكفاءات الممتازة من أمثال قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم، وموسى بن نصير.

إنَّ الناظر إلى حال الدولة العباسية في عهد السلطان محمود يرى أنها قد تساقطت جناباتها، وتداعت أسسها؛ ففي كل مملكة أمير يحكم، أو خليفة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٦ ص٢٢٣، ج١٢ ص٢٧، ٢٩؛ وينظر: الذهبي: العبر، ج٣ ص١٤٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص١٧٥.

(٢) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٦٠ في هوامش الفصل.

يناوي، أو وال يدل وبيته؛ حتى بغداد نفسها تقع فريسة لكل طامع من الوزراء، الأبعد يهيب أتباعه ويحشد جنوده، ثم يصل إلى مقر الخلافة ليكون أمير المؤمنين لعبة في يده؛ إذ يصدر عن أمره، ويسير في تياره، فإذا تمكن خصومه من طرده وتملكوا الأمر من بعده، كان أمير المؤمنين رهن مشيئتهم كما يبتغون^(١).

هذه الحال المؤسفة - من تفكك الخلافة الإسلامية، وقيام الدويلات المستقلة في العواصم المختلفة، وتشاحن المغرضين على الرياسة والسلطان - لم تحل دون ظهور رجل كمحمود الغزنوي يجمع الكلمة ويحشد الجند، ثم يغزو بأتباعه بلاد الوثنية ليعلو الأذان الإسلامي في ربوع متناهية كانت تقدر الأصنام وتعبد التماثيل من دون الله^(٢)؛ حتى صار بطلاً من أبطال الإسلام المعدودين^(٣).

ثانياً: أسرته:

وأما أبوه فهو ناصر الدولة وأمير غزاة الهند أبو منصور سُبُكْتِكِين^(٤)، وأما أمه فهي ابنة أحد نبلاء زابلستان؛ ولهذا أطلق عليه محمود الزابولي من قبل شعراء بلاطه، وقيل إنه ابن أمة^(٥)، وهذا غير صحيح فلا يمكن أن يكون محمود ابن أمة ويدعوه شعراء البلاد بمحمود الزابولي^(٦).

(١) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨١.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص ٨١، ٨٢.

(٣) د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٢٦.

(٤) سبق التعريف به في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٥) نسب ذلك إلى الفردوسي في هجائه للسلطان محمود.

(٦) نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ١٥٧؛ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: مرجع سابق،

وله من الإخوة ثلاثة وهم: إسماعيل ونصر ويوسف؛ فأما أخوه إسماعيل - منافسه على العرش - فقد ظل السلطان محمود يحتفظ له بمكانة تليق به إلى أن شارك في مؤامرة ضد حياة السلطان؛ ورغم ذلك لم يمسه بسوء بل أبعدته من غزنة إلى جوزجان حيث أمضى بقية حياته بسلام^(١).

أما الأخ الثاني وهو أبو المظفر نصر فقد عهد إليه محمود بأعلى المناصب العسكرية في الإمبراطورية، وهو قائد جيوش خراسان وحاكم ولاية سيستان وظل في هذين المنصبين حتى وفاته سنة (٤١٢هـ / ١٠٢١م)^(٢).

وأما أخوه الثالث أبو يعقوب يوسف وكان طفلاً صغيراً عند وفاة سُبُكْتِكِين فقد تكفل السلطان بتربيته مع ولديه مسعود ومحمد، وبعد وفاة نصر ارتقى يوسف إلى منصبه ومركزه، وفي سنة (٤١٧هـ / ١٠٢٦م) منحه الخليفة لقب عضد الدولة ومؤيد الملة، وربما تم ذلك بناء على اقتراح من السلطان محمود^(٣).

وله من الأولاد سبعة وهم: أبو سعيد مسعود، وأبو أحمد محمد وسليمان وإسماعيل، ونصر وإبراهيم وأبو منصور عبد الرشيد^(٤).

وله من البنات ثلاث إحداهن زوجت "لمنوجهر" حاكم طبرستان، والأخرى تدعى زينب زوجت ليغانتكين بن قدرخان حاكم كاشغر، والثالثة

ص ٧١؛ محمد ناظم، السلطان محمود، ص ٦٠ هوامش الفصل.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٤٨٩؛ وينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥ ص ١٧٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ٤٧٠؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٢٤.

(٣) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١١٥؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢١٤.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١ ص ٧٢.

زوجت لعنصر المعالي كيكائوس بن دارا بن قابوس مؤلف كتاب قابوس نامه^(١).

وأما عن موقفه من أبنائه فإنه قد أعطى اهتماماً كبيراً من أجل تربيتهم، كما وضع إشرافاً صارماً على حياتهم الخاصة، فكان الوكلاء السريون يقدمون إليه التقارير السرية عن نزواتهم؛ الأمر الذي كان يعرضهم للتوبيخ القاسي والتعذير في بعض الأحيان من قبل والدهم السلطان محمود^(٢).

وكان السلطان محمود قد عهد إلى ريحان الخادم بتربية الأمراء الثلاثة - محمد ومسعود أبناءه ويوسف ابن سُبُكْتِكِين أخيه- فكان يصرخ فيهم ويحذرهم من عقاب أبيهم إذا لاحظ عليهم ما لا يليق بهم، وقد اعتاد هذا الخادم أن يأخذ الأمراء الثلاثة إلى الريف للتنزه مرتين في الأسبوع؛ لكي يتمتعوا بجمال الطبيعة ويسعدوا بهواء الريف النقي، وكان يُهيئ لهم في كل مرة الجو المناسب ليتمتعوا بأوقاتهم سواء أكانت في ركوب الخيل والتدريب عليه، أم في تهيئة المأكولات اللذيذة لهم^(٣).

وإلى جانب التعليم والتربية المعتادة فقد تدرّبوا على فنون الحرب، كما اكتسبوا خبرة جيدة في العمل الإداري؛ حيث وُضِعوا في موقع المسؤولية في الولايات المهمة مع بعض الرجال البارزين كوزراء لهم.

(١) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢١١؛ د/ فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، ص ١١٠، ١١٣؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢١٤.
(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٣٩، ١٤٠؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٢٥.
(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١١٦.

ففي سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م) عين مسعود حاكماً على هرات، وفي سنة (٤٢٠هـ) أصبح مسئولاً عن ولاية الري التي كانت قد فتحت لتوها؛ أما محمد فقد عين حاكماً لجوزجان بعد وفاة أبي نصر محمد حاكم هذه الولاية، وأثناء غياب السلطان في حملته على كنج سنة (٤٠٩هـ/١٠١٨م) عهد إليه بإدارة الإمبراطورية^(١).

المطلب الثاني: مولد السلطان محمود ونشأته:

ولد سيف الدولة أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكِين بين ليلة التاسع والعاشر من شهر الله المحرم سنة (٣٦١هـ/ ٢ نوفمبر ٩٧١م)، من أم هي ابنة أحد نبلاء زابلستان^(٢).

وهو كأبناء الأمراء تلقى علومه عن طريق معلم خصوصي، وقد كان معلمه هو والد القاضي أبي علي صينية، وبفضل هذا المعلم تكونت لدى محمود خلفية جيدة في مختلف المعارف الدينية؛ حيث حفظ القرآن الكريم، ونال قسطاً من علوم الفقه والحديث، كما تكونت لديه خبرة جيدة بالأمور السياسية وذلك من خلال تدريب والده سُبُكْتِكِين له على أسلوب الحكم الناجح^(٣).

وأيضاً فإنَّ السلطان محمود قد نال تجربة كبيرة في مجال الإدارة؛ حيث تركه أبوه نائباً عنه في غزنة تحت وصاية الوزير أبي علي الكرمانى عند توجهه

(١) ينظر: ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٩٤؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص٢١٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٨٨؛ وينظر: د/ محمد حسن العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص٣٧.

(٣) ينظر: د/ محمد حسن العمادي: ص٣٧؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص٥٧.

لحرب بست، وكان وقتها لم يتجاوز السابعة، وعقب ذلك بسنوات قليلة عين في منصب حاكم ولاية زامين داور^(١).

علاوة على ذلك فإن السلطان محمود قد اكتسب مهارة في فنون الحرب فهو مبارز بالسيف على درجة كبيرة من الكفاءة، وبارع في الرماية، ومقاتل بالرمح منقطع النظير.

وقد اكتسب فنون الحرب هذه من خلال مصاحبته لأبيه في المعارك والحروب، فعندما كان لا يزال صغيراً أبلى بلاءً حسناً في حملة أبيه التأديبية ضد الغور، وعندما بلغ الخامسة عشر أدى دوراً هاماً في المعركة التي جرت قرب لمغان سنة (٣٧٦هـ / ٩٨٦م) بين والده وجييال^(٢).

وفي سنة (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) سعى بعض الوشاة للوقعة بين الأب وابنه، وكانت النتيجة أن سجن محمود في قلعة غزنة؛ غير أن سوء الفهم هذا سرعان ما زال؛ حيث أطلق سراحه واستعاد حظوته، وبعد بضع سنوات وعلى وجه التحديد في سنة (٣٨٤هـ / ٩٩٤م) قاتل محمود إلى جانب أبيه في حروبه ضد فايق وأبي علي وبرزت من خلالها مواهبه القتالية والقيادية^(٣).

ولقد اعترف الأمير الساماني بما أسداه من خدمات فأنعم عليه بلقب سيف الدولة وعينه قائداً لجيوش خراسان^(٤).

(١) د/ محمد رجب البيومي: مرجع سابق، ص ٨٣؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٥٧، ٥٨.

(٢) محمد ناظم: المرجع نفسه، ص ٥٨.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٤٦٦؛ ٤٦٧؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ٤٦٧، ٤٧٥.

المبحث الثاني

صفات السلطان محمود وأخلاقه ، عقيدته ومذهبه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صفات السلطان محمود وأخلاقه:

مما لا شك فيه أن السلطان محموداً اتصف بصفات رائعة تجل عن الحصر كما كان عبقرية عسكرية خارقة:

أَمَّا عَنْ صِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا مُتَوَسِّطُ الطُّوْلِ، قَوِيًّا، مُتَنَاسِقُ الْبُنْيَانِ، ذَا مِزَاجٍ طَيِّبٍ، طَلَّقَ الْمَحْيَا، وَذَا عَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ حَادَّتَيْنِ، وَذُقْنِ مُسْتَدِيرٍ، وَلِحِيَّةٍ خَفِيفَةٍ، غَلِيظُ الصَّوْتِ وَفِي عَارِضِيهِ شَيْبٌ^(١).

وهكذا فقد كان للسلطان محمود تكوين بدني رائع، يظهر من خلال وقفته الشجاعة في الحرب؛ فقد كان يقاتل في مقدمة صفوف جيشه، ويندفع في بعض الأحيان أثناء المعركة الحامية الوطيس؛ مما كان سبباً في إصابته بما يقرب من اثنتين وسبعين مرة خلال معاركه العديدة^(٢).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٤٩٣؛ وينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص١٠٣.

(٢) ينظر: نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص٨٥؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص٢١٦.

ومن المواقف الغريبة التي تدل على قوته البدنية وشجاعته الفائقة ما حدث في حصار الملتان؛ "حيث قتل السلطان أعدادًا كثيرة من أعدائه لدرجة أن يده التصقت بمقبض سيفه بسبب تجمد الدّم عليها؛ ولم يستطع فكها إلا بعد غمسها في ماءٍ دافئ" (١).

ولا شك أن حيوية السلطان محمود واستهانته بالمخاطر كان لها أثرها في رفع معنويات جنوده وتحمسهم في لحظات اليأس الشديدة.

وأما عن صفاته الخُلُقِيَّة فقد كان السلطان محمود عاطفيًا ويتضح ذلك من خلال الاهتمام الذي أبداه بتربية أبنائه وتدريبهم تدريجيًا لائقًا، ويتبين ذلك من خلال الكرم الذي عامل به إخوته، وبالرغم من عناده الصارم فإنه كان يراعي مشاعر أتباعه، حتى أنهم بعد وفاته ظلوا على وفائهم وتحديثوا عنه بكل تأثر، وحتى أولئك الذين أغضبوه أو ثاروا عليه عاملهم بكل عطف، ولم يعاقبهم بشيء أكثر من السجن؛ غير أن طبيعته العاطفية لم تقده إلى المحاباة أو التحيز، ولم يعرف عنه أن اختياره لوزرائه كان لسبب آخر عدا الكفاءة والمهارة (٢).

لقد كان السلطان محمود صارمًا في إدارته للعدالة وفرض احترام القانون بكل الوسائل في أرجاء إمبراطوريته، فلم يكن هناك تساهل أو معاملة خاصة أو تمييز لأحد بسبب منزلته أو كرم محتده؛ نرى ذلك حين قام أحد التجار في غزنة بدعوى ضد الأمير مسعود؛ حيث لم يستطع الأمير أن ينجو من استدعاء

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢١٦.

(٢) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥ ص ١٧٧؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢١٤، ٢١٣؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨٧، ٨٨.

القاضي إلا بعد أن بادر على الفور بتسديد ما عليه من ديون للتاجر، كما أن نوشتكين -القائد الشهير- لم يسلم من القبض عليه وإنزال حد الجلد عليه على مرأى ومسمع من الناس طبقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية^(١).

كما كان السلطان محمود شاعراً وعالمًا ذائع الصيت؛ حيث ألف كتاباً سماه "تفريد الفروع"^(٢) وهو كتاب يبحث في الفقه، كما كانت له مشاركات في المناظرات الدينية والأدبية التي نظمها العلماء في بلاطه، ولم تكن في فكره نزعة شك كتلك التي انتابت القائد المغلى الكبير "أكبر"^(٣)؛ بل عقيدة مستقيمة لمسلم مثقف^(٤).

ولا شك أن السلطان محمود كان نصيراً كبيراً للعلم، فقد كان بلاطه ملتقى

-
- (١) ينظر: الزبيدي: تاج العروس، ج٣٥ ص٧٥؛ نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص٨٥.
- (٢) قال الإمام مسعود بن شيبة: كان السلطان المذكور -يقصد السلطان محمود بن سبكتكين- من أعيان الفقهاء وكتابه هذا المشهور في بلاد غزنة وهو في غاية الجودة وكثرة المسائل ولعله نحو ستين ألف مسألة. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ص٤٢٦؛ وينظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص٧٢.
- (٣) يعتبر السلطان "أكبر" من أشهر سلاطين الدولة المغولية في الهند؛ تولى الحكم سنة (٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م - ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) واتسعت الدولة المغولية في عهده شرقاً وغرباً؛ غير أنه ابتدع في آخر عهده ديناً جديداً كان مزيجاً من الوثنية والهندوسية والإسلام؛ فأنكر الوحي والحشر والمعجزات، وحرّم ذبح البقر وأحل الخمر، وأوقد النار على طريقة المجوس، كما قام بتعذيب العلماء الذين رفضوا عقيدته. ينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص٢١٩ هامش غير مرقم.
- (٤) محمد ناظم: السلطان محمود، ص٢١٩؛ يقول نظام الملك: "وكان محمود كاتباً وقارئاً يهوى الإصغاء إلى أخبار الملوك دائماً، ولقد حاز كل الصفات والسير الحميدة. نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص١٥٧.

للعلماء من أرجاء العالم الإسلامي، كما كان كريماً معهم جداً وسخاءه في هذه الناحية قل أن يقارن؛ حيث كان عطاءه يقدر بآلاف الدنانير^(١).

كان السلطان محمود ملتزماً بإتباع أوامر الدين الإسلامي حريصاً على القيام بواجباته، فكان يؤدي الصلاة في أوقتها، كما جعل لنفسه ورداً من القرآن يومياً، وكان ينفق كثيراً للتخفيف من مآسي الناس، وعلاوة على ذلك يقوم - يومياً - بتوزيع الصدقات بين الفقراء ويحدد قدرًا كبيراً من المال للإنفاق على العلماء وعلى العاجزين من الناس في أرجاء إمبراطوريته، كما اعتاد السلطان محمود أن يقدم مساعدة مالية للمتطوعين الذين يصحبونه في حملاته على الهند^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن السلطان محموداً كان كثير التضرع إلى الله تعالى، وحتى أثناء جلبة المعركة وضجيجها كان السلطان لا ينسى أن يتضرع إلى الله طالباً العون منه ﷻ، وكان يأمل ويتمنى أداء فريضة الحج^(٣)؛ غير أن الظروف السياسية حالت دون ذلك؛ ولذا ما فتى يبذل الجهود من أجل توفير الراحة والطمأنينة لحجاج بيت الله الحرام، فقدم لبدو الصحراء إعانات مالية شرط السماح لقوافل الحجيج بالمرور بسلام^(٤).

(١) ينظر: نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص ٨٥؛ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: مرجع سابق، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٢١.

(٣) ويُذكر عنه أنه كسا الكعبة ديباجاً أصفر، وهذا من مآثره رحمه الله تعالى. بدر الدين محمود بن أحمد العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٩ ص ٢٣٥؛ ابن حجر: فتح الباري، ج٣ ص ٤٦٠.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٣٥ بتصرف؛ وينظر: ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٤ ص ٢٥٥،

ولم يكن السلطان محمود يسمح لأي انحراف عن مذهب أهل السنة فوضع رقابة مذهبية بين أتباعه المسلمين، وعين موظفًا مهمته معاينة أولئك الذين يتهمون بإحداث بدعة أو هرطقة^(١).

قال عنه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وكان من أحسن ملوك أهل المشرق إسلامًا وعقلًا ودينًا وجهادًا وملكًا في آخر المائة الرابعة"^(٢).

وهكذا فقد كان السلطان محمود رقيقًا، عادلًا، نقيًا عطوفًا، كريمًا، تقيًا، ورعًا، صاحب شخصية عظيمة تثير الإعجاب؛ فيقف بجلاء كأحد كبار الفاتحين في العالم، وطوال فترة فتوحاته التي تزيد على ثلاث وثلاثين سنة من الحروب الضارية لم يهزم فيها قط، وكمشجع للعلوم فقد استحق الإطراء والمديح من قبل الكتاب المسلمين، ولعل كلمات ولده مسعود في رثائه أفضل ما يجسد هذه المعاني: "سلام عليه... عقت النساء أن يلدن مثل محمود"^(٣).

وحقيقة ظلت سيرة السلطان المجاهد محمود بن سُبُكْتِكِين يتداولها العامة والخاصة في بلاد الأفغان وباكستان وإلى يومنا هذا، حتى أن القوات المسلحة الباكستانية أطلقت اسم "الغزنوي" - نسبة لمحمود بن سُبُكْتِكِين - على أحد الصواريخ الباليستية قصيرة المدى^(٤).

ص ٢٥٦؛ محمد ناظم: مرجع سابق، ص ٢٢١.

(١) ينظر: ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ج ٥ ص ٣٣٣؛ وسوف يأتي الكلام عن ذلك بشيء من التفصيل بإذن الله تعالى.

(٢) ابن تيمية: بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ج ٢ ص ٣٣١.

(٣) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢٤؛ ناصر خسرو: سفرنامه، ج ١ ص ١٠٧.

(٤) www.islamdor.com

المطلب الثاني: عقيدة السلطان محمود ومذهبه:

كان السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين على عقيدة أهل السنة كما كان رَحِمَهُ اللهُ يكره البدعة وأهلها، والفرق الضالة بأسرها؛ لذلك فلقد أزال من كل بلد فتحه كل الاعتقادات الباطلة والفرق الضالة، وعمل على نشر الإسلام الصحيح في كل نواحي السند إلى حوض البنجاب.

ولقد كان في بداية أمره من أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ غير أنه بعد فترة من ارتقاءه العرش أظهر ميلاً إلى طائفة الكرامية؛ لكنه عدل عن ذلك إلى المذهب الشافعي، وما ذلك إلا لأنه كان حنفيًا في الأصل مولعًا بعلم الحديث، وكان الناس يسمعون الحديث من الشيوخ بين يديه وهو يسمع، فحدث أن تناظر عنده فقهاء الحديث من أصحاب الشافعي وغيرهم، وفقهاء الرأي - يومًا - فرأى قوة مذهب أهل الحديث فرجحه^(١).

وهكذا فقد كان السلطان محمود رغم ملكه الفسيح في غاية الديانة والصيانة وكراهية المعاصي وأهلها، لا يجسر أحد على إظهار معصية في بلاده ولا خمراً ولا شيئاً من الملاهي والمعازف، وكان يحب العلماء والصالحين والمحدثين وأهل الخير والدين والصلاح، وكان حنفيًا ثم صار شافعيًا على يد الإمام القفال الصغير^(٢)، وكان شديدًا على أهل المعاصي ولو كان من أهل بيته.

(١) تنظر تفاصيل هذا الموضوع عند الإمام الذهبي في كتابيه: تاريخ الإسلام، ج٢٩ ص٧٢؛ سير أعلام النبلاء ج١٧ ص٤٨٦؛ ولا شك أن هذا التحول المتكرر في الاعتقاد فيما يخص التفاصيل الدينية، يبرز لنا بجلاء أن السلطان كان متشربًا روح البحث والتساؤل في الدين.

(٢) القفال: هو الإمام الكبير العلامة، شيخ الشافعية، أبو بكر، عبد الله بن أحمد بن عبد الله

المبحث الثالث

الصراع حول العرش والوصول إلى الحكم

توفي سُبُكْتُكِين في (شعبان ٣٨٧هـ/ أغسطس ٩٩٧م) عند رجوعه من بلخ إلى غزنة، وقُبيل وفاته نَصَّب ابنه الأصغر - من ابنة ألبكتين - خليفة له في حكم غزنة وبلخ، وأخذ له يمين الولاء من الأعيان وأوصاه خيراً بأسرته ومواليه^(١).

وقد أسرع إسماعيل على الفور وأعلن نفسه ملكاً وقدم يمين الولاء للأمير منصور بن نوح، وكضمان لكسب ولاء الجند في صراعه المنتظر مع أخيه محمود قام بتوزيع الأموال عليهم، وهي الأموال التي شقي أبوه وكدح من أجل جمعها^(٢).

ومن الصعوبة بمكان معرفة الأسباب التي جعلت سُبُكْتُكِين يعهد بالأمر من بعده إلى إسماعيل ويفضله على محمود؛ لكن ربما يرجع ذلك إلى تأثير صلة

المروزي الخراساني، ولد (٣٢٧هـ/ ٩٣٩م)، (ت ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م)، حَدَقَّ في صناعة الأقفال حتى عمِلَ قُفْلاً بآلاته ومفتاحه زنة أربع حبات من حديد، فلما صار ابن ثلاثين سنة، أنس من نفسه ذكاءً مفرطاً وأحبَّ الفقه، فأقبل على قراءته حتى برع فيه، وصار يُضرب به المثل، وهو صاحب طريقة الخراسانيين في الفقه، مات وله من العمر تسعون سنة. ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، ج١ ص ٤٩٦: ٥٠٠؛ فؤاد صالح السيد: معجم الألقاب، ص ٢٦٢.

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص ٤٧٧؛ سالم سليمان العيس: المعجم المختصر للوقائع، ص ١٨٠.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص ٤٨٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ١٧٦.

إسماعيل بالبتكين^(١)، أو وجوده إلى جانبه وهو على فراش الموت^(٢)؛ ويرى بعض الباحثين أن الأب رأى طموح محمود واتساع آماله، فخاف أن يقذف بجيشه إلى الهند في حماسة واتقاد، دون أن يسلك مسلك الحيطة والاتئاد، وآثر أن يعهد بالملك إلى إسماعيل؛ ليأمن بهدوئه عثار التوثب والانطلاق^(٣).

ومع ذلك تبقى الحقيقة التي لا شك فيها وهي أن سُبُكْتِكِينَ كان قاصراً في نظرته السياسية حين ولي إسماعيل ورفض الابن الأكبر - والأكثر كفاءةً من بين أبنائه - محمود.

وفي الحقيقة أنه لم يكن لدى محمود الرغبة في حرمان أخيه إسماعيل من نصيبه في التركة؛ بل أراد أن يجعل لنفسه مكانة متميزة، فعندما تناهى إليه نبأ وفاة أبيه أرسل مع أبي الحسن حمولي إلى أخيه إسماعيل رسالة تحمل مشاعر الود والإخاء عارضاً عليه ولاية بلخ أو خراسان إذا رغب في ذلك، وأن غزنة حق مميز لمحمود^(٤).

وإزاء هذا الموقف العصيب حاول أبو الحارث الفريغوني حاكم جوزجانان صهر محمود أن يقنع الأخوين بطرح الخلاف والسعي إلى التفاهم والوصول

(١) ويميل أغلب المؤرخين إلى هذا الرأي؛ على أساس أن إسماعيل كان ابن سبكتكين من زوجته ابنة البتكين التي كانت لها مكانتها الخاصة عنده، فهي ابنة قائده ومولاه، وبسبب هذه المصاهرة وصل إلى الإمارة، فلا ريب أن تبقى لهذه الزوجة مكانتها وتأثيرها على زوجها في جعل ولاية عهده لابنها إسماعيل بدلاً من ابن غريمته الذابلية وهو محمود. د/ فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية، ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص ٤٨٨.

(٣) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨٤.

(٤) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص ٤٨٨؛ ابن خلدون: العبر، ج٤ ص ٤٧٧.

إلى حل يرضي الجميع؛ غير أنّ إسماعيل شك وارتاب في نوايا هذه الوساطة، ولم يسمع لهذا الاقتراح؛ لذا لم يجد محمود بداً من التوجه نحو غزنة لاحتلالها وتنفيذ رغبته بالسيف^(١).

وقبل أن تشتعل نار الحرب قام محمود بمحاولات عدة للتفاهم مع أخيه إسماعيل؛ لكنّه فسّر سعي محمود للسلام على أنه ضعف؛ لذا تصدى مرة أخرى في وجه الدعوة إلى التصالح^(٢).

وفي ذلك الحين أصبح جليلاً أمام محمود أنه لم تعد هناك وسيلة للتفاهم سوى الاحتكام إلى السيف وعلى أرضية المعركة، فقد أعد محمود جيشه لمواجهة جيش إسماعيل، وكانت القوتان متكافئتين إلا في كفاءة قائديهما:

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٤٨٨؛ وينظر: العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ٢١٩.
 (٢) ينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٦٤؛ ومن الواضح أنّ الشواهد كلها تدل على أنّ محموداً كان هو الوريث الشرعي، فمنذ أن كان طفلاً عندما تركه سبكتكين وكيلاً عنه، وعندما عهد إليه بولاية "رامين داور" في شبابه، وكذلك عندما أظهر مهارة وحيوية أثناء الصراع مع "رجا جيال" ومع أبي علي سيمجوري وشارك أباه في إدارة البلاد والحروب؛ حتى إنه حين قدر الأمير نوح لسبكتكين هذه الخدمات تسلم محمود قادة جيوش خراسان؛ والذي يعد أكبر المناصب في الإمبراطورية؛ بينما لم يرد أي ذكر لإسماعيل في أي عمل كان، ولا يمكن أن يبقى بعيداً عن الأضواء إذا كان هو المقصود؛ وفوق هذا فإن سبكتكين كان متلهفاً في تقديم ابنه المفضل محمود فطلب له يد أميرة من الفراغنة الذين يرتبطون برباط المصاهرة مع السامانيين؛ وبذلك يتضح أنّ محموداً كان يملك شرعية ضمنية لوراثة العرش؛ أما تسمية إسماعيل للعرش فربما كانت نزوة مزاج متقلب لرجل يحتضر؛ وبهذا يتضح أن محاولات محمود المتكررة لتسوية الخلاف بينه وبين أخيه إسماعيل لا ترجع إلى ضعف مركزه الشرعي للعرش؛ بل إلى رغبة حقيقية في تحاشي حرب الأخوة. محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٤٣، ٢٤٤ بتصرف يسير.

فأحدهما شاب غرَّ تنقصه التجربة، يقضى جل وقته بين جموع المتعلمين ورجال الأدب؛ وأما الآخر فهو رجل ناضج محنك، والذي بشجاعته الهائلة وهمته النشيطة بعثر صفوف التركمان المندفعة بالسهولة نفسها التي بعثر بها جيوش الهندوس العاجزة والغريبة المنشأ والأطوار^(١).

وهكذا فإنَّ التفاوت في إمكانات هاذين القائدين قد حدد نتيجة المعركة القادمة؛ فقد التقى الجيشان في سهل غزنة في (ربيع الأول ٣٨٨هـ/ مارس ٩٩٨م)، وتماسك جيش إسماعيل طوال النهار، لكنه مع الغروب كان قد هُزم وتراجع أمام الهجوم العنيف الذي قاده محمود، وكسب محمود معركة عرش غزنة، والتجأ إسماعيل إلى القلعة متحصناً بها؛ لكن الحقيقة أنه كان من الصعوبة الصمود لمدة طويلة بالقلعة، خاصة أن معظم البلاد قد سقطت في يد أخيه؛ لهذا أثر الاستسلام بعد أن تعهد محمود بالعفو عنه؛ وهكذا انتهى عهد إسماعيل بعد سبعة أشهر من الحكم^(٢).

احتجز السلطان محمود أخاه إسماعيل وخصه بكل تسامح وعطف يليق بمكانته؛ غير أنه في نهاية سنة (٣٨٩هـ/ ٩٩٩م) أساء إسماعيل ثقة أخيه وتآمر على حياته فلمح محمود جوانب المؤامرة، فأعدم رئيسها نوشتكين كاج؛ أما إسماعيل فقد أبعده إلى غزنة وأرسله إلى الأمير منصور في جوزجان ليقتضي حياته هناك في طمأنينة وسلام^(٣).

(١) ينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٦٤، ٦٥.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ٤٧٧ بتصرف؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٦ ص ٥٠٠؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي المعاصر، القارة الهندية، ص ١٦.

(٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٧ ص ٤٨٩؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٢٤.

المبحث الرابع

علاقته بالدولة السامانية، والخليفة العباسي وخلع الألقاب عليه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علاقته بالدولة السامانية:

بعد أن انتهى السلطان محمود من أمر أخيه إسماعيل وتمت له السيطرة على غزنة تقدم نحو بلخ وقدم يمين الولاء للأمير أبي الحارث منصور -خليفة الأمير نوح وولده-، وعلى الفور بعث الأمير منصور بن نوح يهنئ السلطان محمود بالنصر الذي أحرزه على أخيه إسماعيل، واعترف له بسيادته على بلخ وهرات وترمد وبست.. الخ؛ لكنه أبدى اعتذاره بالنسبة إلى خراسان لكونه قد نصب عليها بكتزون القائد العسكري، وصاحب النفوذ في بخاري، وهنا أوفد السلطان محمود رسولاً إلى الأمير يبرهن له على أحقيته في خراسان؛ لكن الأمير رفض التراجع عما أمر به^(١).

غير أن ذلك لم يرضي السلطان محمود -وهو الذي يسير على سياسة أبيه في المحافظة على كيان دولته ومد نفوذها إلى البلاد المجاورة- فلم يتغاضى

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٤٩٤ بتصرف؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٧٠.

عن انتزاع خراسان منه - وهي التي كان يليها من قبل السامانيين قبل أن يلي السلطة - فعول على استردادها بالقوة المسلحة، فسار إلى نيسابور وبها بكتوزون، فلما علم بكتوزون بمسير محمود رحل عنها، فدخلها السلطان محمود منتصراً سنة (٣٣٨هـ / ٩٩٧م)؛ لكنه اضطر إلى الجلاء عنها بعد أن نمي إلى علمه أن بكتوزون استنجد بالأمير الساماني منصور بن نوح^(١).

ولما توفي الأمير منصور في العام التالي، عاود محمود محاولته في استرداد خراسان، واشتبك مع بكتوزون في عدة معارك هزمه فيها، واستولى على خراسان، وولى قيادة الجيوش لأخيه نصر، وأمره بأن يتخذ من نيسابور قاعدة له، واتفق أصحاب بلدان خراسان على طاعته ومن بينهم صاحب الجوزجان وأمير غرشتان^(٢).

على أن خراسان لم تصفُ للسلطان محمود إلا بعد أن خاض عدة حروب ومعارك مع أمراء آل سامان وقادتهم^(٣).

المطلب الثاني: علاقة السلطان محمود بالخليفة العباسي وخلع

الألقاب عليه:

ومما لا شك فيه أن الناظر في علاقة السلطان محمود بالخليفة العباسي يجد أنه كان متأثراً بالعوامل الدينية تأثره بالعوامل السياسية، يتضح ذلك من خلال

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٤٩٤، ٤٩٥؛ وينظر: د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، ص ٩٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٧٠؛ وينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٧٢، ٧٣.

(٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٣؛ ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٣٤.

موقفه عندما نُخلع الخليفة الطائع سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م)؛ فلم يعترف الأمير الساماني نوح بن منصور بالخليفة القادر، واستمر يقرأ الخطبة باسم الخليفة المخلوع^(١).

وعندما تمكن محمود من هزيمة الأمير الساماني عبد الملك عند مرو سنة (٣٨٩هـ/ ٩٩٩م) واحتل خراسان أمر بأن تقرأ الخطبة باسم الخليفة القادر الذي بادر على الفور فاصبغ عليه براءة السيادة على خراسان ومنحه لقب التشريف "يمين الدولة وأمين الملة"، وكان يلقب قبل السلطنة بسيف الدولة^(٢).

ومضى السلطان محمود بعد ذلك يؤكد على احترامه العميق للخليفة القادر بالله، ففي سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠١م) قام الواثقي -الذي يعود نسبه إلى الخليفة الواثق بالله- بالمطالبة بالخلافة ونال تأييد خانات تركستان فما إن وصل إلى خراسان حتى بادر السلطان محمود بالقبض عليه واعتقاله في إحدى قلاعته حتى وفاته^(٣).

وفي سنة (٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) أرسل الخليفة الفاطمي الحاكم رسالة إلي السلطان محمود بغرض الحصول على ولائه؛ لكن السلطان قدمها إلى الخليفة حيث أحرقت في مشهد عام، وعقب ذلك بفترة قصيرة وفي نفس السنة أرسل

(١) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٤ ص ٢٠٠ بتصرف؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٧ ص ٤٥.

(٢) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥ ص ٤٦٢؛ العكري: شذرات الذهب، ج٣ ص ٢٢٠؛

ابن تغري: مرجع سابق، ج٤ ص ٢٠٠.

(٣) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٢٥.

الحاكم من مصر الداعية التاهرتي للغرض نفسه؛ غير أن السلطان وتحت الإذعان لوصايا عقيدته أمر بأن يعدم هذا الداعية^(١).

وكعلامة على ورع السلطان وتقواه فان الخليفة شرفه أكثر بأن منحه لقب "نظام الدين"^(٢).

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن للقب السلطان وجود قبل عهد محمود فهو أول من تلقب به في الإسلام وصار سنة بعده^(٣)، كما ضربت هذه الألقاب على السكة التي كانت تحمل اسمه^(٤).

وفي سنة (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) حدثت ثَغْرَةٌ في العلاقة بين السلطان محمود والخليفة وذلك حين كان أبو علي حسن المعروف بحسبك -والذي أصبح فيما بعد وزيراً للسلطان محمود- عائداً من الحج فتسلم خلعة الخليفة الفاطمي الظاهر بالله متظاهراً بأن ما حدث كان بناءً على أوامر السلطان، فأرسل الخليفة القادر رسالة شديدة اللهجة إلى السلطان متهمًا فيها حسبك باتتحاله مذهب القرامطة كما طالب السلطان بإعدامه^(٥).

غضب السلطان محمود في بادئ الأمر من لهجة الخليفة غير أنه اختار

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢ ص١٢ ص١٧ بتصرف يسير؛ وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٤٨٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص٨٠؛ العكري: شذرات الذهب، ج٣ ص١٢٧؛ محمد ناظم: مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٣) نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص٨٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٤٨٨.

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٩٥.

(٥) ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨ ص٢٥٣.

موقف التوقير والتبجيل الذي اعتاده وأرسل الخلعة مثار غضب الخليفة إلى بغداد حيث أُحْرِقَتْ في ميدان عام؛ وبهذا استطاع السلطان أن يرضي الخليفة^(١).

وفي (شوال ٤١٧هـ / ديسمبر ١٠٢٦م) أظهر الخليفة إعجابه الشديد بانتصار محمود في معركة "سومَنات" فخلع عليه لقب "كَهْف الدولة والإسلام" وألقاباً أخرى على ولديه مسعود ومحمد وعلى أخيه يوسف أيضاً^(٢).

وفي نهاية حياة السلطان محمود بدا أنه كان عازماً على أن يصبح الخليفة في حمايته؛ إذ حين كان ولده مسعود في الري سنة (٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) وجه إليه التعليمات بأن يخضع أصفهان ومن ثم تحرير الخليفة من سيطرة البويهيين؛ غير أن الموت عاجله قبل أن يصبح هذا المخطط واقعاً ملموساً^(٣).

وهكذا استطاع السلطان محمود - بشجاعته وحسن سياسته وطاعته - أن يحوز رضا الخليفة القادر بالله، "فكتب إليه عهداً على خراسان والجبال والسند والهند وطبرستان وسجستان، ولقبه "يمين الدولة، وناصر الملة، نظام الدين ناصر الحق، نصير أمير المؤمنين"، وكان قبل ذلك يلقب بمولى أمير المؤمنين، ولقب بالسلطان، وجلس على التخت، ولبس التاج، ودخل عليه البديع الهمذاني يوماً وامتدحه بأبيات يقول فيها:

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيماني
أأفريدون في التاج أم الإسكندر الثاني

(١) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٤ ص ٢٥١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨ ص ٢٥٣، ٢٥٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥ ص ٤٦٢؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٢٦.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص ٤٩٤؛ ٢٢٧.

إلينا بسليمان
على أنجم سامان
عبيدا لابن خاقان
لحرب أو لميدان
على منكب شيطان
إلى ساحة جرجان
إلى أقصى خراسان
وبعد رسال الخان
على كاهل كيوان^(١)

أم الرجعة قد عادت
أظلت شمس محمود
وأمسى آل بهرام
إذا ماركب الفيل
رأت عيناك سلطانا
فمن واسطة الهند
ومن قاصية السند
فيومًا رسل الشاه
لك السرج إذا شئت



(١) العكري: شذرات الذهب، ج٣ ص١٢٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٩ ص٧٤.

المبحث الخامس

وفاة السلطان محمود الغزنوي

لا شك أنّ المتاعب الجمة والاجهادات المستمرة التي لاقاها السلطان محمود في غزواته المتعددة - وبخاصة في حملاته الصيفية على الهند - كان لها أثرها الكبير على بدن السلطان محمود؛ فتذكر كتب التاريخ أنّه قد أُصيب بمرض الملاريا أثناء حملته على الزط سنة (١٨ هـ / ١٠٢٧ م)؛ والذي أصبح - مع مرور الأيام - مرضًا مزمنًا وازدادت صحته سوءً وتحول هذا المرض إلى هزال مصحوبًا بإسهال^(١).

وقد ظل السلطان محمود مدة سنتين يقاسي من هذا المرض؛ غير أنه لم يستسلم له، وبقي تلك المدة دون أن يضطجع على فراش ولا توسد وسادًا؛ بل كان يتكئوا جالسًا حتى مات وهو كذلك؛ وذلك لشهامته وصرامته وقوة عزمه ومحاولته حجب صحته المعتلة عن مواطنيه؛ وبالرغم من تحذيرات أطبائه الذين نصحوه بالراحة التامة، فقد داوم على برنامجه اليومي - من مباشرة أمور رعيته -؛ فكان يجلس في بلاطه كالعادة ويمنح مقابلتين يوميًا بكرةً وعشية^(٢).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٨٨؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٧٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٨٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٧ بتصرف يسير؛ وينظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص ٧٣.

كما أنه خلال تلك الفترة أخذ يُطارَد السلاجقة حتى أخرجهم من خراسان، وتقدم حتى الري، وبشكل مفاجئ سحق عصيان منوجهر، ولم يتخل عن رحلاته المنتظمة السنوية في أرجاء إمبراطوريته، وقد أمضى صيف (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) في خراسان وقضى الشتاء التي تلا ذلك في بلخ؛ غير أن هواء بلخ لم يكن مناسباً لصحته؛ لذا رجع إلى غزنة التي وصلها في منتصف ربيع الآخر (٤٢١هـ/ ٢٢ أبريل ١٠٣٠م) (١).

غير أن هذا التغيير في الهواء لم يدخل أي تغيير على صحته، وبعد أسبوع من المعاناة أسلم الروح إلى بارئها في الساعة الخامسة من بعد ظهر الثلاثاء الموافق ٢٣ من ربيع الأول (٤٢١هـ/ ٣٠ من أبريل ١٠٣٠م) عن عمر ناهز التاسعة والخمسين، بعد أن أنشأ دولة واسعة، ضمت معظم إيران وبلاد ما وراء النهر وشمال الهند كله، ونشر ديناً لا يزال له أتباع كثيرون في الهند؛ ودفن السلطان في نفس الليلة عند صلاة العشاء في حديقة فيروزي بغزنة؛ حيث كانت مكاناً محبباً إليه كثيراً، ويذهب الناس إلى قبره للدعاء عنده (٢).

قال أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي ... وقد زُرت مشهده بظاهر غزنة وهو الذي يتقرب إليه الناس ويَرجون استجابة الدعوات عنده (٣).

وإن الناظر إلى نهاية السلطان محمود يجد أنها كانت منسجمة تماماً مع

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٦٣٧، ٦٦٨، ج٧ ص٧٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٠٨.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص٢٧؛ ابن مفلح المقدسي: الفروع، ج٢ ص١٢٧.

(٣) ابن مفلح المقدسي: الفروع، ج٢ ص١٢٧.

أطوار حياته من حيث الاعتماد على النفس، وشجاعته الشخصية منقطعة النظير، واستهانته بالمخاطر؛ وهكذا مات البطل على شاكلة الصورة التي كان يحيها.

إنَّ لحظة مماته بعثت في نفسه آلاماً عظيمةً، ربما لإحساسه أنَّ هذه الإمبراطورية الهائلة التي بنيت بثمرن باهظ من الدماء هي الآن مقدمة على التداعي والسقوط؛ ففي الأفق البعيد لمحت عيناه الحادتان سحابةً مظلمةً منذرةً بعاصفةٍ، ولم تكن سوى السلاجقة الذين سمح لهم في لحظة ضعف بالإقامة والاستقرار في خراسان، وهم الآن يجمعون قواهم في سرعة مذهلة^(١).

يبدأ أنَّ هذه المنجزات التي تحققت في حياة نضالية نشيطة بدت لتصبح شظايا وفتات، عندما يضطجع على فراش الموت سلطان عظيم^(٢).

وهذا هو الذهبي في كتابه: (سير أعلام النبلاء) يتحدث عن السلطان محمود فيقول: "... وأمسى وقد فارقتَه الجنود، وتنكست لحزنه البنود، وناح عليه الوالد والمولود، وسكن ظلمة اللحد، وقد خطب له بالغور وبخراسان، والسند والهند وناحية خوارزم وبلخ وبجرجان وطبرستان، والري والجبال وأصبهان، وأذربيجان وهمذان وأرمينية، وكان مكرماً لأمرائه وأصحابه، وإذا نقم عاجل، وكان لا يفتر ولا يكاد يقر، سار مرة في خمسين ألف فارس وفي مائتي فيل، وأربعين ألف جمازة^(٣) تحمل ثقل العساكر، وكان يعتقد في الخليفة

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص٤٨؛ د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢٦.

(٢) ينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص١٧٥.

(٣) جمازة: وتطلق هذه الكلمة على النياق أو الخيول السريعة. ينظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ج١ ص٦٥٠.

ويخضع لجلاله، ويحمل إليه فناطر من الذهب، وكان إلباً على القرامطة والإسماعيلية، وعلى المتكلمين،... وتصرفه على الأخلاق الزكية، وكان فيه شدة وطأة على الرعية؛ ولكن كانوا في أمن وإقامة سياسية، لا يترك الركوب والسفر، قبض وهو في مجلسه ودسته^(١)، ما وضع جنبه، ولما احتضر قال لوزيره يا أبا الحسن ذهب شيخكم، ثم مات^(٢).

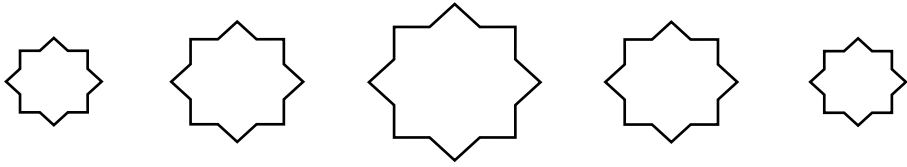
وهكذا فبرغم هذه الحياة الطويلة فوق ظهور الخيل ورفقة السلاح؛ إلا إنه مات على فراشه بعدما أصابه داء البطن، ومكث عامين مريضاً؛ ولكن لا يضطجع؛ بل يتكأ على جنبه ويحضر مجلس الحكم؛ ليفصل بين الناس، ويسير شؤون الدولة، حتى مات رَحِمَهُ اللهُ مَبْطُوناً، ولعلها تكون شهادة - كما ورد ذلك في الحديث^(٣) - تعوض هذا السلطان العظيم الذي فتح بلاد الهند، ونصر الإسلام ونشره؛ كي ما يرضى عنه ربه، وظل طوال حياته يطلب الشهادة كي ما ينالها، فسلام عليك يا أعظم سلاطين الإسلام.



(١) دَسْتَه: الدَسْتُ بالفارسية اليَدُ، وفي العربية بمعنى اللباس والرئاسة والحيلة، واستعملت هذه الكلمة بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرأسة. الزبيدي: تاج العروس، ج٤ ص ٥١٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص ٤٩٢، ٤٩٣.

(٣) فعن جابر بن عتيك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ وَالْعَرَقُ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجَمْعٍ شَهِيدَةٌ". (صحيح)، سنن النسائي الكبرى، باب النهي عن البكاء على الميت، ج١ ص ٦٠٦، حديث رقم (١٩٣٧).

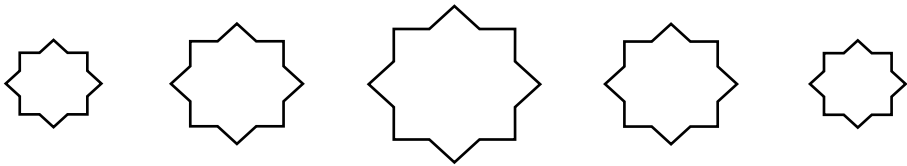


الفصل الثالث

الأسباب والعوامل التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى

المبحث الأول: الأسباب المادية التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: أهم العوامل و الأسباب المعنوية التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى.



المبحث الأول

الأسباب المادية التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تأمين الحدود:

كان وراء قيام الدولة الغزنوية - في ظل سلطانها المجاهد- بتلك الجهود العظيمة في الدعوة إلى الله أسباباً كثيرة دفعتها إلى ذلك، منها المادية والمعنوية، ومن أهم تلك الأسباب المادية، تأمين الحدود:

فقد حرص السلطان محمود عقب توليه السلطنة على توسيع مملكته وتأمين حدودها، فغزا الهند سبعة عشر غزوة ووصلت حملاته إلى هضبة الدكن، وضم إلى دولته كذلك إقليم البنجاب، وأخضع بلاد الغزنويين "غزنة وهراة" ومد نفوذه إلى بلاد ما وراء النهر، فخضعت له الإمارات المجاورة و... قام بين يديه أمراء خراسان سماطين^(١) مقيمين برسم الخدمة وملتمزين^(٢)، وبذلك أصبحت حدود دولته تمتد من شمال الهند في الشرق إلى العراق في

(١) السماطان من الناس: الجانبان، ويقال: مشى بين السماطين، أي الجانبيين. الرازي: مختار الصحاح ج١ ص ١٣٢.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ١٧٧.

الغرب، ومن خراسان وطخارستان وجزء من بلاد ما وراء النهر في الشمال إلى سجستان في الجنوب.

"كما اتخذ السلطان من مدينة "لاهور" مقرًا لحكمه في الهند حيث عين نائبًا له هناك"^(١)؛ الأمر الذي شجعه على أن يتطلع إلى القضاء على البويهيين^(٢) في بغداد.

وفي سنة (٤٠٩هـ/١٠١٩م) هاجم الأفغان^(٣) مجموعات من جيش السلطان محمود كانت عائدة من مهمة عسكرية فوق الممرات الجبلية من كنوج، وإزاء ذلك خرج إليهم السلطان في نهاية السنة نفسها بُعيد عودته من كنوج، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

حيث لم يزل لواءه مغبرًا من تراب الطريق مثل وردة بريّة
ولم يزل سيفه مضرّجًا بالدماء مثل رمانة حمراء
ولكي يأخذهم السلطان على حين غرة، أوحى إليهم أنه ذاهب في اتجاه آخر ثم عطف عليهم وأحاط بهم في مخابئهم الجبلية وأعمل بينهم مذبحه فطيعة

(١) عصام الدين الرؤف الفقى: الدول المستقلة في المشرق، ص ١٢٩، ١٣١.

(٢) قامت الدولة البويهية الشيعية في الجزء الغربي من إيران وفي العراق، وأسسها أسرة بني بويه؛ وأشهر رجال أسرة بني بويه الحاكمة ثلاثة هم: عليّ والحسن وأحمد أبناء بويه؛ وتعود أصول هذه الأسرة إلى الفرس؛ سيطر البويهيون على أصفهان والري وهمدان والكرج وكرمان والأهواز. ينظر: ابن كثير: مرجع سابق، ج ١١ ص ٢١٢، ٢٢١؛ د/ علي محمد الصلابي: دولة السلاجقة، ص ٣١: ٤١.

(٣) يسكن الأفغان المناطق الجبلية الواقعة بين غزنة ونهر السند، وقد اعتاد هؤلاء شن غارات على المناطق الحدودية لمملكة السلطان محمود، كما أنّهم كانوا يقومون بنهب القوافل المارة على الطريق ما بين خراسان والهند. ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ١٢٤.

حتى إنه لم يتمكن من الهرب سوى مجموعة صغيرة وبعض النساء والأطفال ثم عاد السلطان إلى غزنة^(١).

ويصف ابن بطوطة تلك المناطق وأهلها أثناء رحلته فيقول: "ثم سافرنا إلى كابل وكانت فيما سلف مدينة عظيمة، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان، ولهم جبال وشعاب، وشوكة قوية، وأكثرهم قطاع طريق، وجبلهم الكبير يسمى كوه سليمان، يذكر أن نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر إلى أرض الهند وهي مظلمة، فرجع ولم يدخلها، فسمي الجبل به، وفيه يسكن ملك الأفغان^(٢)."

ولما رأى السلطان محمود أن علي تكين أمير بخارى يُسيء جواره في أعماله، ويعترض رسله المترددين إلى ملوك الترك، فأحفظ ذلك السلطان، وأجمع على المسير إليه وإخضاعه؛ ليأمن جانبه، فنهض السلطان من بلخ سنة (٤٢٠هـ)، وعبر النهر، وقصد بخارى فهرب منها "علي تكين"، ولحق بايلك خان، ودخل السلطان محمود بخارى، وملك سائر أعمالها وأخذ الجزية من سمرقند...^(٣).

ومن الأعمال التي قام بها السلطان محمود لتأمين حدود مملكته طرده

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٢٤؛ زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١ ص ٣٣٧.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج١ ص ٤٣٧، ٤٣٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص ٤٩٥، بتصرف يسير؛ وكان علي تكين أخو ايلك خان ملك الترك، وصاحب تركستان، الذي ملك بخارى من يد بني سامان سنة (٣٩٠هـ) ثم ولى عليها أخاه علي تكين ورجع. ابن خلدون: العبر، ج٤ ص ٤٩٥، وينظر: المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ ص ١٣٧.

للأتراك السلاجقة^(١) خارج أرضه وقبضه على زعيمهم؛ خاصة بعدما رأى أن قوتهم تتزايد، وأصبحوا يشكلون خطراً على دولته، ولن يتمكن من الفتوحات في بلاد الهند حتى يأمن جانبهم.

يقول عنهم الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: "وهم قوم لهم عدد وقوة وشوكة، وكانوا لا يدخلون تحت طاعة سلطان، وإذا قصدهم من لا طاقة لهم به دخلوا المفاوز والبراري وتحصنوا بالرمال"^(٢).

المطلب الثاني: إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله:

١. فضل الجهاد^(٣).

إنَّ الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وخير وسيلة للحفاظ على بلاد المسلمين، وحفظ حرمتهم، وبه يُمكنُ للدعوة أن تصل إلى شتى بقاع الأرض،

(١) ويرجع أصل السلاجقة إلى الترك الذين كانوا يقيمون في الصحراء الواسعة الشاسعة التي تمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر قزوين، ويمثلون مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة بـ"الغز"؛ كانوا يصيفون في بلاد البلغار ويشتون في تركستان وينهبون ما طرقوه. ينظر: المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ ص ١٣٦.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٠ ص ٣٧٨؛ ومما لا شك فيه أنَّ ظهور الأتراك السلاجقة كان بمثابة نقطة تحول في تطور الشرق، حيث تمكنوا من فرض سيطرتهم على الشرق الأدنى كله، وحلوا محل العرب والفرس معاً على الساحة السياسية. جان سوفاجيه، كلودكاين: مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) والجهاد هو الدعاء إلى الدين الحق، وقاتل من لم يقبله، بالمال والنفس، قال: ﴿ أَفْرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: ٤١]، وعرفه الزحيلي بقوله: "هو بذل الوسع والطاقة في قتال الكفار، ومدافعتهم بالنفس والمال واللسان. ينظر: ١. د/ وهبه الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ج٣، ص ٧١٢؛ أحمد زماني: بحوث حول النظام العسكري في الإسلام، ص ٣٠.

وهو طريق السعادة والسيادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقد ورد عن الصادق عليه السلام طائفة كبيرة من الأحاديث التي تبين فضل الجهاد ومكانته، منها ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ الصَّلَاةُ عَلَىٰ مِيقَاتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ثُمَّ بُرِّئِ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٢).

والأمة المسلمة حين تقعد عن الجهاد لا تقوم لها قائمة، ولا يرتفع لها لواء، ولا تذكر بين الأمم، فحياتها وعزها وكرامتها في الجهاد في سبيل الله عز وجل، والواقع خير دليل على هذا.

وقد بين المولى تبارك وتعالى أنه لو لم يدافع المجاهدون في أدوار الحياة عن قيم الإنسانية، لم تبق المصالح الإنسانية كما هي؛ لأنَّ دَابَّ الْمُعْتَدِينَ وَالظَّالِمِينَ أَنْ يَغَيِّرُوا الْقِيَمَ حَسَبَ أَهْوَائِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣)، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتِ صَوْمِعُ وَيَبَعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ﴾ (٤).

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، حديث رقم (٢٦٣٠)، ج ٣ ص ١٠٢٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٤) سورة الحج، آية: ٤٠.

وقال في موضع آخر: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (١). فتشير هذه الآيات إلى أهمية الجهاد والدفاع، حيث إنهما سبب لانهايار المفسدين ومنع المفساسد المستشراة، وأنهما يوجبان بقاء المصالح واستمرارها.

٢. حكم الجهاد:

شرح الله تبارك وتعالى الجهاد ليكون سياجاً للأمة، تصل به الدعوة إلى كل مكان، وتكسر به الحواجز القائمة بين الناس ودعوةً لله تعالى (٢). كما شرع الله ﷻ مع الجهاد الرباط (٣)؛ كي تفرض الأمة هيبتها على العالمين فلا يطمع بها طامع، ولا ينالها عدوان (٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن القتال بالسيف هو آخر درجات الجهاد وأعلى مستوياتها؛ وأما أول درجاته فهو الدعوة إلى الحق والتي هي أحسن والمجادلة بالحسنى، وإن كانت هذه هي غايته المقصودة، وفي هذا يقول جلا وعلا: ﴿أَدْعُ

(١) سورة المؤمنون، آية: ٧١.

(٢) ينظر: د/ عبد الغفار عزيز: الدعوة الإسلامية، ص ١٣١، ١٣٢.

(٣) والرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وهو شعبة من شعب الجهاد، ومنه ربط الخيل بإزاء العدو، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِمْ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقيل إن أصل الرباط: ما تربط فيه الخيول ثم أطلق على كل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم. ابن منظور: لسان العرب، مادة "ربط"، ج٧ ص ٣٠٢؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج٧ ص ٣٩٤؛ المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢ ص ٤٢٧.

(٤) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص ١٤٧، ١٤٨؛ نزار عبد القادر محمد ريان: أحاديث الشهادة والشهيد، ص ٥، ومن التمهيد.

إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾.

والجهاد في الإسلام حرب في غاية النقاء والطهر والسمو، وهذا الأمر واضح تمام الوضوح في جانبي التنظير والتطبيق في دين الإسلام، وعند المسلمين، وبالرغم من الوضوح الشديد لهذه الحقيقة إلا أن التعصب والتجاهل بحقيقة الدين الإسلامي الحنيف، والإصرار على جعله طرفاً في صراع وموضوعاً للمحاربة، أحدث لبساً شديداً في مفهوم الجهاد عند المسلمين، حتى شاع أن الإسلام قد انتشر بالسيف، وأنه يدعو إلى الحرب والعنف، ويكفي للرد على هذه الحالة من الافتراء ما أمر الله به من العدل والإنصاف، وعدم خلط الأوراق، والبحث عن الحقيقة كما هي، وعدم الافتراء على الآخرين، حيث قال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ (٢).

وقد فطن لبطلان هذا الإدعاء المؤرخ الفرنسي غوستاف لبون في كتابه "حضارة العرب" وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفي عصر الفتوحات من بعده، فيقول: "قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة...، ولم ينتشر القرآن إذن بالسيف؛ بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند - التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل - ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفس فيها...، ولم يكن القرآن أقل انتشاراً في

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧١.

الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط" (١).

والجهاد ينتظمه حكامان:

الأول: فرض الكفاية، وهذا إذا لم يكن النفي عامًا، ومعناه أنه يُفترض على جميع من هو أهل للجهاد؛ لكن إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وإن ضعف المجاهدون عن مقاومة الكفار، فعلى جميع المسلمين أن يُجاهدوا معهم، وأن يمدوهم بالسلاح والمال.

والثاني: فرض العين، وهو إذا هجم الكفار على بلد إسلامي، فالجهاد فرض عين على كل المسلمين، لقوله تعالى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

وفي هذه الحالة تخرج المرأة دون إذن زوجها، والولد دون أبيه.

وإنَّ الناظر في تاريخ الدولة الغزنوية، خاصة في عهد السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين يجد - بلا أدنى شك - أنها كان لها باع طويل في هذه الناحية، فقد بذلت الغالي والرخيص في إعداد الجيوش وتحديث السلاح، من أجل رفع راية

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) سورة التوبة: آية ٤١، وبالنظر في هذه الآية يتبين - بلا أدنى شك - أنه يجب على كل دولة إسلامية حماية وطنها من الغزو الخارجي والاحتلال العسكري، مع توفير جميع القوى العسكرية لحماية بلدها وصيانتها من الاعتداء عليها، وكذلك يجب على عموم المسلمين أن يهبوا للجهاد من يدهم المسلمين من الكفار، ويتأكد الوجوب على الأقرب فالأقرب ولا يجوز السكوت عن ذلك، ولو كانت للمسلمين دولة موحدة لما أمكن لليهود احتلال فلسطين وإقامة دولة لهم في قلب الوطن الإسلامي. باقر شريف القرشي: النظام السياسي في الإسلام، ص ٢٥١ بتصرف يسير.

الجهاد في سبيل الله، لفتح البلاد، وتعبيد العباد إلى رب العباد.

وفي ذلك يقول الحافظ الذهبي في السير: "قلتُ رتبة محمود رفيعة في الجهاد وفتح الهند وأشياء مليحة، وله هنات ... وقد ندم واعتذر، فنعوذ بالله من كل متكبر جبار، وقد رأينا الجبارين المتمردين، الذين أماتوا الجهاد، وطغوا في البلاد فواحسرةً على العباد"^(١)، وقال عنه ابن بطوطة في رحلته: "ثم سافرنا إلى مدينة غزنة، وهي بلد السلطان المجاهد محمود بن سُبُكْتِكِين الشهير الاسم وكان من كبار السلاطين يلقب بيمين الدولة وكان كثير الغزو إلى بلاد الهند وفتح بها المدائن والحصون"^(٢)؛ "كما أنَّ هذه الشعوب - أهل غزنة - المحاربة لم تعرف سبيلاً لنشر الإسلام إلا بالجهاد والفناء فيه مهما كانت التضحيات"^(٣).

ولا دليل أوضح من جواب السلطان محمود على رجل هندي لما سأل السلطان قائلاً: "أي رجل أنت؟ قال: أدعو إلى الله وأجاهد من يُخالف دين الإسلام، قال: فما تريد منا، قال: أن تتركوا عبادة الأصنام، وتلتزموا شروط الدين، وتأكلوا لحم البقر، وتردد بينهما الكلام حتى خوِّفه محمود وهُدِّده، وقال الحاجب للهندي، أتدري من تُخاطب، وبين يدي أي سلطان أنت؟ فقال الهندي: إن كان يدعو إلى الله كما يزعم فليس هذا من شروط ذلك، وإن كان سلطاناً قاهرًا لا ينصف، فهذا أمر آخر، فقال الوزير دعوه"^(٤).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص١٧٤.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ج١ ص٤٣٧.

(٣) د/ حسن إبراهيم حسن: الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص٢٣٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٤٨٩.

ولقد كانت الدولة الغزنوية المباركة دولة جهاد منذ بداية عهدها، حيث أنّ جهود مؤسسها سُبُكْتِكِين وغزواته وحملاته على بلاد الهند تحدث عنها غير واحد من أصحاب السير والتاريخ.

قال عنه الذهبي: "هو ناصر الدولة أبي منصور، أمير الغزاة الذين يغيرون من بلاد ما وراء النهر على أطراف الهند، فأخذ عدة قلاع وافتتح ناحية بست" (١).

فنرى هذا البطل الشجاع حينما اجتمع أبو علي بن سيجور وفائق على منافرة الأمير نوح وعصيانه، كتب الأمير نوح إلى سُبُكْتِكِين - وكان أميراً على غزنة ونواحيها- يستقدمه لنصره، منهما وإنجاده عليهما، وولاه خراسان، وفي هذا الوقت كان سُبُكْتِكِين في شغل عن أمرهم بما هو فيه من الجهاد في سبيل الله مع كفار الهند (٢).

ولقد سار أبناؤه وأحفاده على خطاه، فضربوا للناس أروع الأمثلة في البطولة والتضحيات، من أجل دعوة الناس إلى الله.

فهذا هو العالم والمؤرخ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ يقول وهو يتحدث عن غزنة بلد السلطان محمود: "وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وسنة، لا يجسر أحد من الملوك عليهم، ولا يطيق أحد مقاومتهم، وهم بنو سُبُكْتِكِين (٣).

(١) الذهبي: العبر، ج٣ ص١٤٧؛ بتصرف يسير.

(٢) ابن خلدون: العبر، مرجع سابق، ج٤ ص٤٦٧؛ بتصرف يسير.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص١٧٨.

ولقد تجلّت هذه الجهود في أنصع صورة لها في السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين، الذي دَوَّخ أعداء الإسلام في وقته وفتح الطريق أمام خلق كثير ليتعرفوا على عظمة وجلال هذا الدين؛ ومن أجل هذا استحق شهادات تقدير، وأوسمة ونياشين كثيرة من الخليفة القادر بالله؛ بل وممن كتبوا عنه بإنصاف أيضاً؛ وحقاً فهو الغازي والمرابط، يمين الدولة وأمين الملة، ناصر الحق، ونظام الدين، وكهف الدولة، محطم الصنم الأكبر، وقاهر الهند، والسلطان المجاهد العظيم.

قال عنه الذهبي رَحِمَهُ اللهُ مَبِيناً بعض أعماله الجليلة، التي أكرمها الله بها بسبب صدق نيته في الجهاد من أجل الدعوة إلى الله تعالى، حيث يقول: "وأما السلطان محمود فافتتح غزنة، ثم بلاد ما وراء النهر، ثم استولى على سائر خراسان، وعظم ملكه، ودانت له الأمم، وفرض على نفسه غزو الهند كل عام، فافتتح منها بلاداً واسعة، وكان على عزم وصدق في الجهاد^(١).

وقال عنه ابن الأثير أيضاً: "كان كثير الغزوات ملازماً للجهاد في سبيل الله^(٢).

ويقول عنه أحد الباحثين المعاصرين: "وكان مما ساعد على انطلاق عبقريته الحربية اطمئنانه إلى تأمين مؤخرته حين أقبل على الهند غازياً، فضلاً عن شيوع الخلاف بين أمراء الهنادكة أنفسهم، وقد تيسر لمحمود إلى جانب

(١) الذهبي: العبر، ج٣ ص١٤٧؛ العكري: شذرات الذهب، ج٣ ص٢٢٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٩٠، بتصرف يسير.

ذلك كله رجال أكفأ تمكنت عقيدة الجهاد من أنفسهم، فنفانوا في خدمته" (١).

كما أنه من الأسباب التي شجعت السلطان على نشر الإسلام في بلاد الهند - ولا يمكن إغفالها في هذا المقام - تلك الأحوال التي كانت تمر بها البلاد، فقد كانت الهند تغص بالمشاكل والأزمات السياسية الحادة، إلى جانب الانحلال الاجتماعي الذي فرضته طبيعة الهندوسية من أنظمة طبقية، أضعفت من شأن المجتمع الهندي وترابطه (٢).

كما لا يمكن -أيضاً- استثناء الباعث الاقتصادي وراء هذه الحملات، حيث أن ممتلكات الهند وثراء أراضيها الفاحش كان من الأهداف التي وضعها السلطان صوب عينيه (٣).

وهكذا فقد ظل السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين مدة ملكه مجاهداً غازياً، أخذاً على عاتقه نشر الإسلام في بلاد الهند، والقضاء على الوثنية فيها؛ لذا قيل إن فتوحاته تعدل في المساحة ما فتحه الفاروق عمر رضي الله عنه، وبلغت رايته الجهادية أماكن لم تبلغها راية، ولم تتل بها قط سورة ولا أية، وأقام شعائر الإسلام في أقصى ربوع الأرض، واستبدل بيوت الأصنام بمساجد الإسلام.



(١) الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١ ص ٩٨.

(٢) المرجع نفسه، ج١ ص ٩١، ٩٢.

(٣) المرجع نفسه، ج١ ص ٩١؛ الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ١٠٠.

المبحث الثاني

أهم العوامل والأسباب المعنوية التي دفعت الدولة الغزنوية لنشر الإسلام والدعوة إلى الله

وفيه مطلبان:

■ **المطلب الأول: حب الإسلام والغيرة على الدين رجاء الأجر من الله**

تعالى:

إِنَّ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ حُبَّ الْإِسْلَامِ وَالغَيْرَةَ عَلَى الدِّينِ مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ وَتَبَرَّزَ تِلْكَ الْحَقِيقَةُ فِي أَنْصَعِ صُورِهَا مِنْ خِلَالِ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ؛ دَفْعًا لِلْمُشْرِكِينَ عَنْ عَوْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِشْفَاقًا مِنْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدَّارِ، فَيَسْبُوا النِّسَاءَ وَالذَّرَارِي، وَأَيْضًا حَتَّى لَا يَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى (١).

(١) قلتُ: وليس بعيداً عما فعله الغرب - أصحاب العقائد الباطلة - حينما حملوا على الشرق حملة واحدة، بحيث لم يبق ملك من ملوكه، ولا شعب من شعوبه إلا اشترك فيها، واستمرت المجالدات بين الغربيين والشرقيين أكثر من مائتي سنة، جمع فيها الغريون من الغيرة والحمية لدينهم ما لم يسبق لهم من قبل، وجيشوا من الجند وأعدوا من القوة ما بلغته طاقتهم، وزحفوا على ديار المسلمين، وكانت فيهم بقية من روح الدين؛ فغلب الغريون على كثير من البلاد الإسلامية، غير أن تلك الحروب الجارفة انتهت بإجلالهم عنها بفضل الله تعالى.

لقد كانت الدولة الغزنوية تسعى في المقام الأول إلى إيقاظ الناس من الغفلة، وإزالة كل من يصد عن سبيل الله، وتخليص المستضعفين، وتثبيت الحكم الإسلامي، وهذا ما يحقق للمجاهد في سبيل الله الانتصار والغلبة، كما وقع للنبي ﷺ في غزوة بدر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (١).

ولذا لما علم السلطان محمود بحال الهنود وما هم فيه من الضلال المبين؛ حيث توجهوا في عبادتهم إلى غير الله ﷻ؛ حملته الغيرة الإسلامية، والحمية الإيمانية، وتجدد له نور الإيمان، وأشرق عليه شعاع الإيقان، فأسرع بأبطاله وشجعانه يقطعون الصحاري القفار، ويحطمون الأصنام الصغار والكبار، كما كانوا يتركون خلفهم الأفاضل من الدعاة والمعلمين لنشر الدين وتعليم الإسلام، وإنارة العقول التي طالما سجدت لغير الله تعالى.

ومن أكبر الأدلة على ذلك تلك الغيرة المتقدمة التي ظهرت من السلطان محمود على الإسلام؛ -لأنَّ هناك من الهنود من يكفرون بالله ﷻ، ويعبدون الأصنام- لما ادعى الهنود بأنَّ الأصنام التي حطمها السلطان محمود على أرض الهند، إنما كانت بفضل غضب سومنات عليها، ولو أنه راض عنها لأهلك من قصدتها بسوء، ووصل هذا الادعاء إلى علم السلطان، فغار وغضب، وقرر القيام بحملة كبيرة، وقطع الصحاري لتحطيم هذا الصنم، الذي يعبد من دون الله عز وجل، مهما كلفه ذلك من مال وطاقات.

وبعدما حقق السلطان محمود نصره المبين على كفار الهند وفتح المعبد "سومنات"، عزم على هدم هذا الصنم، فجاءه رؤساء الهنود وعرضوا عليه دفع

(١) سورة آل عمران، آية: ١٢٣.

أموال طائلة تقدر بالملايين، وهنا مال أصحاب محمود وأمراء جيشه بالقبول، وترك الصنم؛ لتعويض الأموال الكثيرة التي أنفقت على تمويل الحملة، فبات السلطان طوال الليل يفكر ويستخير الله ﷻ، فلما أصبح قرر هدم الصنم "سومنا" وعدم قبول الأموال، وقال كلمته الشهيرة والتي تكتب بماء الذهب: "إني فكرت في الأمر الذي ذكر، فرأيت إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم؟ أحب إلي من أن يقال: أين محمود الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا، ثم عزم فكسره ﷻ^(١)".

ولذلك دعا له ابن كثير بقوله - بعد موقفه المبارك هذا- بقوله: "ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل، الذي مثقال دائق منه خير من الدنيا وما فيها، مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي، فرحمه الله وأكرم مثواه"^(٢).

ولا نملك مع هذا الموقف العظيم إلا أن نقول للسلطان محمود هنيئاً لك ما وفقك الله إليه من حسن العمل للإسلام ونصرته، ونرجو من الله -تعالى- أن تنادي يوم القيامة بما أحببت أن تنادي به.

والعجيب أن المسلمين بعدما كسروا صنم سُمونات وجدوا بداخله كنوزاً هائلة من الياقوت والجواهر أضعاف أضعاف ما عرضه الهنود، فغنمه المسلمون، وهكذا جمع الله ﷻ لهم فضيلة كسر الصنم، كما أفاء عليهم بأضعاف أضعاف ما تركوه، ومن ترك شيئاً لله ﷻ عوّضه الله خيراً منه^(٣).

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص ٢٢، ٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ج١٢ ص ٢٣.

(٣) وسوف يأتي الحديث عن فتح سومنا، وتحطيم هذا الصنم، وإبطال هذه الخرافة التي كانوا

وهذا المشهد العظيم للسلطان محمود يُبرز لنا حقيقة هذا الطراز الفريد من القادة الربانيين الذين لم تشغلهم الدنيا عن الآخرة، ولا أموال الدنيا وكنوزها عن نشر رسالة الإسلام، وخدمة الدعوة إليه، والذين ضربوا لنا أروع الأمثلة في بيان نصاعة وصفاء العقيدة الإسلامية، وأظهروا حقيقة الجهاد في سبيل الله، وغاياته النبيلة.

وفي ذلك يقول الدكتور عدنان علي رضا النحوي: "لَمَّا جاء السلطان محمود الغزنوي، كان همُّه الأول هو نشر الإسلام، وإزاحة الشرك والوثنية،... إلى أن قال: وحاول أحد ملوك الهندوس ثنيه عن عزمه هذا بإغرائه بالمال الوفير، فأجابه السلطان محمود بقولته الخالدة: "إننا مسلمون، نعمل لنشر الإسلام وهدم الأصنام ومعابدها، وبذلك نجد أضعافاً مضاعفة من الأجر عند الله، ولا حاجة لنا بهذا المال"^(١).

كما يؤكد الذهبي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تِلْكَ الْحَقِيقَةِ، وهي أَنَّ السلطان محمودًا لم يكن يبغى من وراء كل ذلك غير الأجر من الله تبارك وتعالى، -فيقول على لسان السلطان محمود في رسالته إلى القادر بالله-: "ولقد كان العبد يتمنى قلع هذا الصنم ويتعرف الأحوال، فتوصف له المفاوز إليه، وقلة الماء، وكثرة الرمال، فاستخار العبدُ الله في الانتداب لهذا الواجب؛ طلبًا للأجر من الله عز وجل"^(٢).

كذلك تحدثنا بعض المصادر عما أنفقه ذاك السلطان المجاهد في سبيل

يعتقدونها في المبحث الثالث من الفصل الخامس بإذن الله تعالى.

(١) د/ عدنان رضا النحوي: ملحمة الإسلام في الهند، ص ١٣٥.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٨ ص ٢٦١.

الفتح؛ لأجل نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، وأنَّ هدفه لم يكن الغزو لأجل الغزو فقط؛ فيقول القزويني: "لما غزا بلاد الهند سعى سعيًا بليغًا في فتح سومنات وتخريبها، طمعًا بدخول الهند في الإسلام"^(١).

ولذلك لما سأله الهندي، قائلًا: فما تريد منا؟ قال: أن تتركوا عبادة الأصنام، وتلتزموا شروط الدين، وتأكلوا لحم البقر"^(٢).

وهذا ابن كثير يُبين لنا مدي حبه لهذا الدين وغيرته عليه، من خلال أعماله العظيمة وجهوده المباركة، فيقول: "وقام في نصر الإسلام قيامًا تامًا وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها وعظم شأنه واتسعت مملكته وامتدت رعاياه وطالت أيامه، لعدله وجهاده وما أعطاه الله إياه"^(٣).

ولما بلغ السلطان محمود أنَّ العراقيين لم يتمكنوا من أداء فريضة الحج سنة (٤١٠، ٤١١هـ)، وذلك بسبب أعراب البادية، قام على الفور باتخاذ كافة التدابير اللازمة التي تيسر أداء هذه الفريضة وتؤمن سلامة الحجيج.

يقول صاحب النجوم الزاهرة: "فلما كانت سنة اثنتي عشرة قصد جماعة من العلماء وعامة المسلمين يمين الدولة وقالوا له: أنت سلطان الإسلام، وأعظم ملوك الأرض، وفي كل سنة تفتح من بلاد الكفر ما تحبه، والثواب في فتح طريق الحج أعظم، وقد كان الأمير بدر بن حسنويه، وما في أمرائك إلا من هو أكبر منه شأنًا، يسير الحاج بماله وتديبره عشرين سنة، فتقدم السلطان

(١) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٧.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧ ص ٤٨٩.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٩.

محمود إلى قاضيه أبي محمد الناصحي بالتأهب للحج، ونادى في أعمال خراسان بالحج، وأطلق للعرب ثلاثين ألف دينار من ماله الخاص، سلمها إلى الناصحي المذكور غير ما جهز من الصدقات، فحج بالناس أبو الحسن الأقساسي، فلما بلغوا "فيد" حاصرتهم العرب، فبذل لهم القاضي الناصحي خمسة آلاف دينار، فلم يقنعوا، وصمموا على أخذ الحاج، فركب رأسهم جماز بن عدي، وقد انضم إليه ألفا رجل من بني نبهان، وأخذ بيده رمحًا وجال حول الحاج، وكان في السمرقنديين غلام يعرف بابن عفان، فرم جماز بسهم فسقط منه ميتًا، وهرب جمعه، وعاد الحاج في سلامة^(١).

المطلب الثاني: إعلاء كلمة الله والفوز بإحدى الحسينيين:

وإنَّ من أهم الأسباب المعنوية التي دفعت الدولة الغزنوية لنشر الإسلام والدعوة إلى الله، هو إرادة إعلاء كلمة الله تعالى؛ "ولا يخفي أنه في غزوات السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين تمثلت سطوة الإسلام كأقوى ما تكون، وأصبح للإسلام الكلمة العليا في شمال الهند كلها، وأوغل محمود في الهند بصورة لم تتوفر لفتح مسلم من قبل، وقد نظر المؤرخون إلى أعماله من هذه الزاوية، ورأوا فيها إعزازًا لكلمة الله"^(٢).

"فقد بلغ في فتوحه إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تتل به قط سورة ولا آية، فدحض عنها أدناس الشرك وأقام بدلاً من بيوت الأصنام مساجد

(١) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٤ ص٢٥٥، ص٢٥٦؛ وينظر: ابن الأثير: ج٨ ص١٣٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨ ص٢٤٥.

(٢) د/ حسن إبراهيم حسن: الإسلام في آسيا الوسطى، ص٢٤٩.

الإسلام، وبدلاً من مشاهد البهتان معابد التوحيد والإيمان^(١).
ومن أهم الأدلة على ذلك، قول عبد الغافر الفارسي^(٢) عن سلطان هذه
الدولة: "كان صادق النية في إعلاء كلمة الله تعالى، مظفراً في غزواته، ما خلت
سنة من سني ملكه، عن غزوة أو سفرة"^(٣)؛ وقال في موضع آخر: "ما خرجتُ
إلا لتحطيم الأصنام وإعلاء كلمة الله"^(٤).

ولقد وعد الله ﷻ المسلمين بالنصر أو الشهادة، فقال: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّونَ بِنَا
إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾^(٥)، ولقد أدرك المسلمون هذه النفيسة فقاتلوا بكل ما أوتوا
من قوة في سبيل ذلك^(٦)، حتى استشهد منهم العشرات، ومن بقي منهم عاش
عزیزاً بفضل الله ﷻ ثم بالنصر الذي أيدهم به الله، ولعل من أهم الأدلة على
ذلك ما قرره أحد الباحثين قائلاً: "وذاعت شهرته - يقصد السلطان محمود -
في المشرق الإسلامي كله، وهرع إليه المطوعة من كل ناحية ليعملوا تحت لوائه

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥ ص ١٧٨؛ العكري: شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٢١؛ بتصرف
يسير.

(٢) هو أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ثم النيسابوري راوي "صحيح
مسلم". الأصبهاني: معجم السفر، ج ١ ص ٧٢؛.

(٣) العكري: شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٢٠.

(٤) د/ عدنان رضا النحوي: ملحمة الإسلام في الهند، ص ١٣٥.

(٥) سورة التوبة: ٥٢.

(٦) روى الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مثل
المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم، وتوكل الله
للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمه". صحيح
البخاري، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ج ٣ ص ١٠٢٧، حديث
رقم (٢٦٣٥).

إسهامًا منهم في حركة الجهاد، وقد انضم إليه من إقليم ما وراء النهر وحده نحو عشرين ألفًا من المحاربين الأشداء" (١).

والشهادة في سبيل الله اجتناب وانتقاء لا يصل إليها إلا المختارون المصطفون، وهي أمنية عزيزة على كل قلب مؤمن بالله، لا يفضلها شيء إلا النبوة (٢).

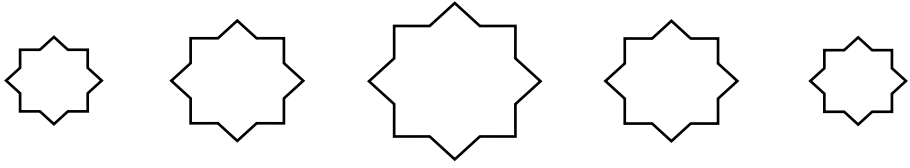
كما أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٣) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ (٣).

وإنه لمن مفاخر هذه الأمة أن ترى الشهادة فرحة تسعد بها النفس، وتشرف بها البيوت، حتى إن الناس يتفاخرون إذ يقولون: منا شهيد، فهل منكم شهيد؟
وحين تركز الأمة إلى الحياة وتخلد إلى الأرض، وتزهده في الجهاد فضلا عن الاستشهاد، يصيبها ما يصيب الأمم من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وضياح الديار والهوان على الناس، والأمة في يومنا هذا تواجه المحنة تلو المحنة، والشدة تلو الشدة، إلا أنها كلما أصابتها محنة ركنت إليها ثم تناستها، وهي تفكر في كل شيء إلا في الجهاد في سبيل الله والاستشهاد.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ٩٥؛ د/ حسن إبراهيم حسن: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ٢٤٦.

(٢) فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله: أي الجهاد أفضل؟ قال: أن يُعقرَ جوادك ويُهراق دُمك. (صحيح) ابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ذكر البيان بأن أفضل الجهاد ما رزق المرء فيه الشهادة، ج ١٠ ص ٤٩٧، برقم (٤٦٣٩).

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩، ١٧٠.



الفصل الرابع

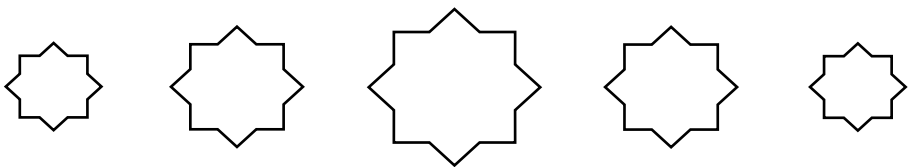
الأساليب التي تبنتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى

المبحث الأول: تمسك الدولة بالأخلاق الإسلامية في تعاملها مع رعاياها وأهالي البلاد المفتوحة، والاهتمام بالعلماء وتقريبهم.

المبحث الثاني: الاعتماد على الأكفاء من الوزراء والكتاب والقضاة وغيرهم.

المبحث الثالث: مواجهة الفكر المنحرف بالفكر الصحيح الصريح داخل حدود الدولة.

المبحث الرابع: أشهر الدعاة الذين اعتمدت عليهم الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى.



المبحث الأول

تمسك الدولة بالأخلاق الإسلامية في تعاملها مع رعاياها وأهالي البلاد المفتوحة والاهتمام بالعلماء وتقريبهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رحمة الدولة بالرعية ومعاملتها السمحة مع أهالي
البلاد المفتوحة:

عملت الدولة الغزنوية - بقيادة السلطان محمود - على القيام بعدة أساليب^(١) مكنتها من الدعوة إلى الله تعالى، كان من أهمها رحمتها بالرعية ومعاملتها السمحة مع أهالي البلاد المفتوحة.

إنَّ المُطَّلِعَ على تاريخ الدولة الغزنوية في تلك الفترة الزمنية يجدها قد جسدت الشريعة الغراء على أرض الواقع، فعلى سبيل المثال نجد السلطان محمود لا يقدم على غزو حتى يستخير ربه ﷻ مما يدل على فقهه وعلمه

(١) وبالرجوع إلى كتب المعاجم وغيرها لتحديد معنى كلمة "أسلوب" وجدت أنها وردت في اللغة بعدة معانٍ، منها: الطريق، والطريقة، والوجه، والفن، والمذهب؛ وأما أسلوب الدعوة: فهو الطريقة المقنعة المؤثرة في المدعو بما يتناسب مع حاله؛ لأنَّ طبائع الناس ومنازلهم مختلفة. ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ج١٢ ص٣٠٢؛ أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشي: وسائل الدعوة، ص٢٨.

وقيادته الحكيمة، قال ابن كثير: "وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات، ثم استخار الله السلطان محمود لَمَّا بلغه خبر هذا الصنم وعباده وكثرة الهنود في طريقه والمفاوز المهلكة والأرض الخطرة في تجشم ذلك في جيشه وأن يقطع تلك الأهوال إليه"^(١).

ومما يدل على سماحة المسلمين في عرضهم الدين الإسلامي علي أهل البلاد المفتوحة، ما قرره أرنولد قائلاً: "وفي الحق أن الإسلام قد عُرض في الغالب على الكفار من الهندوس قبل أن يفاجئهم المسلمون بالقتال"؛ ثم أكد نتيجة هذه الأخلاق قائلاً: "لهذا تقدم عشرة آلاف رجل، وأعلنوا برغبتهم في التحول إلى الإسلام ونبذهم عبادة الأصنام"^(٢).

وبالنظر إلى حياة السلطان محمود نجد أنه كان زاهداً في المال، وذلك ليس عن قلة؛ بل اجتمع له من الكنوز والثروات من خلال فتوحاته ما لم يجتمع لملك قبله، فكان ينفق هذا كله على فتوحاته السعيدة؛ من أجل نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى، كما كان كثير البذل والعطاء في كل أوجه الخير الأخرى من إعانة المرضى والمحتاجين، وإصلاح الطرق وتغسيل الموتى وتكفينهم، وغير ذلك مما فيه صلاح البلاد وإسعاد العباد.

يحكى نظام الملك فيقول: "إنَّ أحد وزراءه قال له يوماً: مولاي السلطان افعل ما سيحبك الناس من أجله أكثر من نساءهم وأبنائهم وأنفسهم، التي

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص٢٢؛ وينظر: اليافعي: مرآة الجنان، ج٣ ص٢٤؛ الذهبي:

تاريخ الإسلام، ج٦ ص٤٧١.

(٢) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٨٨.

سيلقون بها في الماء والنار تلبية لك، فقال السلطان ماذا أفعل؟ قال الوزير: اتخذ الذهب عدوًّا يُحبك الناس، فسر محمود وقال في طيات هذا القول ألف معنى وفائدة، وشرع محمود في بذل العطايا، وفتح باب الخيرات، فأحبه الناس، وأخذوا في مدحه والثناء عليه، وعلى يديه تمت الأعمال الجليلة والفتوحات العظيمة^(١).

ولقد قال لوزيره الميمندي ذات يوم "لَمَّا نفضت يدي من الذهب كسبت الدنيا والآخرة، ولما احتقرت الدينار نلتُ عزَّ الدارين"^(٢).

ولما نزل القحط بخراسان عام (٤٠١هـ / ١٠١١، ١٠١٠م) وأصاب البلاد بسلسلة من المجاعات، وخاصة نيسابور؛ بسبب الظروف المناخية، هرعت الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود بتقديم الغوث لهم، وبذلت الدولة كل ما في وسعها للتخفيف من هذه المأساة؛ حيث أمر السلطان بأن تُوزع الأموال والغلال على المنكوبين في كل المناطق التي نكبت، حتى عادت البلاد والعباد إلى ما كانت عليه قبل القحط.

ويصف الذهبي تلك المحنة وموقف الدولة الغزنوية وسلطانها منها - في كتابه (تاريخ الإسلام) - فيقول: "أنه في عام (٤٠١هـ) حدث قحط شديد بخراسان - لا سيما بنيسابور - فهلك بنيسابور وضواحيها مائة ألف أو يزيدون، وعجزوا عن غسل الأموات وتكفينهم، وأكَلَت الجيفة والأرواث ولحوم

(١) نظام الملك: سياست نامه، ج١، ص ٨٤.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ص ٨٥؛ قلتُ: أين ملوك وسلطين ورؤساء العالم اليوم من هذه الكلمات التي تستحق أن تكتب بمداد من ذهب على صفحات القلوب؟.

الآدميين أكلاً ذريعاً، وقبض على أقوام بلا عدد كانوا يغتالون بني آدم
ويأكلونهم، وفي ذلك يقول أبو نصر الدهلي:

قد أصبح الناس في بلاء وفي غلاء تداولوه
من يلزم البيت مات جوعاً أو يشهد الناس يأكلوه

ثم يتابع الذهبي كلامه فيقول: "وقد أنفق محمود بن سُبُكْتِكِين في هذا
القحط أموالاً لا تحصى حتى أحيا الله الناس وجاء الغيث"^(١).

وهكذا كانت أخلاق الدولة الغزنوية - بقيادة سلطانها محمود بن
سُبُكْتِكِين - من الرحمة والعدل والإحساس بالآخرين، سيراً على خطى
السابقين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من القادة والعلماء الصادقين
المخلصين، طمعاً في صلاح الدنيا والفوز بما عند الله عز وجل.

ومما لا شك فيه أن قدوم السلطان محمود إلى بلاد الهند فاتحاً كان له
أعظم الأثر في علو نجم المسلمين وازدياد أعدادهم؛ حيث دخل في دين الله
الكثير من الهنود في عهده، كما فتح أمام طبقة المنبوذين نافذة إلى التطلع
والطموح والحرية^(٢).

كما كان السلطان محمود رحمته الله كثيراً ما يهرع إلى الدعاء والاستغاثة بالله
وخاصة عند الشدائد، نرى ذلك من خلال موقفه حينما كان في طريق إلى
سومناث وقطع المفاوز وخاض المستنقعات، حيث نفذ الماء من الجميع حتى

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ١٩٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٨ ص ١٠، بتصرف يسير.

(٢) ينظر: د/ مصطفى محمد رمضان، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ٣٠٨.

كادوا أن يهلكوا، وهنا قام السلطان محمود وأمر من معه بالابتهاال والاستغاثة بالله ﷻ، وأخذ يجأر إلى الله حتى بعث الله ﷻ لهم سحابة أمطرت عليهم الماء الوفير فشربوا وسقوا، وقويت أبدانهم وقلوبهم على عدوهم، ولعل هذه كرامة من الله تعالى للسلطان.

المطلب الثاني: حب الدولة للعلماء وتقريبهم والاهتمام بهم.

يتبوأ العلماء - العالمون بالحق، والعاملون به، الأمرون بالمعروف والنأهون عن المنكر، القائمون على حدود الله - منزلة عالية في الشريعة الإسلامية، فهم بمنزلة الرأس من الجسد، والقلب من البدن، والفؤاد من الإنسان، فقد أشهدهم الله على توحيدته بقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)، فبدأ بنفسه سبحانه، ثم ثنى بملائكته المسبحة بقدسه، ثم ثلث بأوليائه العلماء ولو كان هناك أفضل منهم لذكره.

ورفع الله منزلتهم بقوله سبحانه: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (٢)، وخصهم بخشيتهم لله تعالى، فقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣)، وحكم بتفضيلهم فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة آل عمران، أية رقم: ١٨.

(٢) سورة المجادلة، أية رقم: ١١.

(٣) سورة فاطر، أية رقم: ٢٨.

(٤) سورة الزمر، أية رقم: ٩.

وأكد النبي ﷺ مكانة العلماء ومنزلتهم وفضلهم، فجعلهم ورثة الأنبياء، فقال: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَأُورِثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ"^(١)، وجعلهم ﷺ أئمة الناس، فقال: "يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ"^(٢).

إنَّ العلماء هم أحق الناس بالولاية والقرب من الإمام فقد كان القراء أصحاب مشورة عمر كهولاً كانوا أو شباناً، ومن هنا ندرك أن عدل عمر رضي الله عنه كان مبنياً على العلم، حيث أن الرشد يبني على اجتماع العلم والإمارة^(٣).

هذا: ولقد اتصفت الدولة الغزنوية بقيادة سلطانها بحبها للعلماء والصالحين، والحرص على تقريبتهم وإكرامهم، وزيارتهم وطلب الدعاء منهم، خاصة أثناء الاشتباك مع الأعداء؛ وذلك لما فيه من الانتفاع بالتعلم منهم، واستشارتهم أو التبرك بدعائهم في الغزو ونحوه^(٤).

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ج١ ص ٢٨٩، ٢٩٠، حديث رقم (٨٨).

(٢) الإمام مسلم: صحيح مسلم، باب من أحق بالإمامة، ج١ ص ٤٦٥، حديث رقم (٦٧٣).

(٣) ومما ابتلي به كثير من المسلمين في هذا الزمان هو الوقوع في أعراض العلماء والدعاة بنبذهم بألقاب السوء وتبديعهم وتضليلهم، فإذا سأل الإنسان أحدهم عن ذلك قال: هذا بيان للأخطاء والبدع حتى لا تنتشر، وتحذير للناس من هذا المبتدع، وقد يكون بعضهم قد غرر به فيتكلم في العلماء عن حسن قصد، فيعتقد أنه يُحارب المبتدعة بفعله هذا، والبعض الآخر يتكلم في العلماء لوجود هوى في نفسه، فهو لاء ينصحون فإذا لم يتوبوا فإنه يحذر منهم ومن مكائدهم.

(٤) لقد كان من أسلاف السلطان محمود من يحرص على هذا الأمر، فلا غرو أن نجد السلطان يتمسك بسيرتهم ويسير على خطاهم رجاء السعادة في الدارين، فهذا الأصمعي يحكى فيقول: "لما صاف قتيبة بن مسلم الباهلي -القائد العظيم وفتح بلاد ما وراء النهر- للترك وهاله

فهذا هو السلطان محمود نراه يزور العالم الزاهد، القدوة، أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني البسطامي ويستمع إلى وعظه وينهل من علمه.

جاء في السير للذهبي أَنَّ السمعاني رَحَّلَهُ قال فيه: "هو شيخ العصر، له الكرامات والأحوال، وكان يكري على بهيمة، ثم فتح عليه، زاره محمود بن سُبُكْتِكِين، فوعظه ولم يقبل منه شيئاً، توفي يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وأربع مئة عن ثلاث وسبعين سنة" (١).

كذلك أرسل السلطان محمود إلى "ابن أبي الطيب الإمام العلامة المفسر الأوحد أبو الحسن علي بن أبي الطيب عبدالله بن أحمد النيسابوري صاحب التفسير المشهور، لسمع وعظه" (٢)، وقال عبد الغافر الفارسي: "وكان مجلسه مورد العلماء" (٣).

وهذا هو العالم المقرئ "أبو عبد الله الخبازي" (٤)، وكان عارفاً بالقراءات

أمرهم، جعل يكثر السؤال عن محمد بن واسع، فقليل هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه يصبص بأصبغه نحو السماء، قال تلك الإصبع أحب إلي من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير". الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص ١٢١؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ج١ ص ٢٨٦.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص ٤٢١، ٤٢٢.

(٢) الذهبي: المرجع نفسه، ج٨ ص ١٧٣.

(٣) الذهبي: العبر، ج٣ ص ١٤٧.

(٤) الخبازي: هو محمد بن علي بن محمد بن الحسن المقرئ، أبو عبد الله الخبازي، نبيل مشهور من أكابر المقدمين بنيسابور، المنظور إليه، المشاور في الأمور، المبجل في المحافل والمشاهد، قعد سنين في مسجده المشهور به لقراءة القرآن، وحضر مجلسه الأكابر وأولاد الأئمة، وقرؤوا عليه، وتبركوا بالقعود بين يديه. الصيرفي: المتخب من كتاب السياق لتاريخ

ووجوهها، مكثرا في الروايات، وكان له لتقدمه في علم القرآن والقراءات صيت وذكر عند السلاطين، وجاه وقدر عندهم؛ استحضره السلطان محمود إلى غزنة، واستمع إلى قراءته، وأكرم مورده، وردّه إلى نيسابور^(١).

ولقد كان من إكرام السلطان محمود للوعاظ والصالحين أنه كان يقوم لهم تواضعاً لقدرهم، وإكراما لشأنهم، وحباً منه لهم، وذلك مثل ما فعله مع الواعظ عثمان النيسابوري الجداوي.

يقول ابن كثير في البداية والنهاية: "كان خيراً صالحاً، وكانت له وجاهة عند الخلفاء والملوك، وكان الملك محمود بن سُبُكْتِكِين إذا رآه قام له، وكانت محلته حمى يحتمي بها من الظلمة، وقد وقع في بلده نيسابور موت، وكان يغسل الموتى محتسباً، فغسّل نحواً من عشرة آلاف ميتاً، رَحِمَ اللهُ" ^(٢).



نيسابور، ج ١ ص ٤٣.

(١) المرجع نفسه، ج ١ ص ٤٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ١٩.

المبحث الثاني

الاعتماد على الأكفاء من الوزراء والكتاب والقضاة وغيرهم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اعتماد الدولة على الأكفاء من الوزراء:

من المعروف أنّ تولي المناصب والرئاسات والقيادات في الإسلام ليست حكراً ولا إرثاً على أحد، كما أنها ليست وقفاً على نفر من دون الناس، وإنما هي في الإسلام حق لكل من كان أهلاً لها، قوياً عليها، مؤدياً حقها، غير طامع فيها، ولا حريص عليها أو ساعياً لها^(١).

ومن هذا المنطلق عنيت الدولة الغزنوية عناية كبيرة باختيار الرجال الأكفاء الذين تمكنت عقيدة الجهاد من أنفسهم؛ لذا تفانى هؤلاء الرجال في خدمة هذه الدولة المباركة، فتحدثنا بعض المصادر عن منهج السلطان محمود منذ الوهلة

(١) د/ صبحي عبده سعيد: الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي، ص ٨٢، وعلى ذلك فالمناصب في الإسلام لأهل المواهب والاستعدادات، لا للأقارب والأنساب، فمن كان ضعيفاً، غير قادر على القيام بحقها، أو سعى طالباً إياها حريصاً عليها لم يكن من أهلها، وخير دليل على ذلك موقف النبي ﷺ المشهور من أبي ذر رضي الله عنه حينما طلب أبو ذر الإمارة فقال له رسول الله ﷺ: "يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" مسلم: صحيح مسلم، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ج ٣ ص ١٤٥٧، حديث رقم (١٨٢٥).

الأولى لحكمه عندما آل إليه الأمر من أخيه أنه: "تسلم منه مفاتيح الخزائن ورتب في غزنة النواب والأكفاء وانحدر إلى بلخ" (١).

ويؤكد تلك الحقيقة أحد الباحثين بقوله: "وقد تيسر لمحمود إلى جانب ذلك كله رجال أكفاء تمكنت عقيدة الجهاد من أنفسهم، فتفانوا في خدمته" (٢).

وأذكر بعض النماذج من هؤلاء الرجال البارزين الذين اعتمدت عليهم الدولة الغزنوية في بعض شئونها فأثبتوا جدارتهم وقدموا خدمات جليلة للدولة؛ مما ساعدها على نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى:

كان من هؤلاء الرجال (أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني) الذي عمل وزيراً للسلطان محمود الغزنوي، ولقد كان يعمل في بداية حياته نائباً و كاتباً لفائق الذي كان والياً للسامانيين على خراسان، ولما أفل نجم فائق التحق بخدمة الأمير ناصر الدين سُبُكْتِكِين، وبعد أن توفي هذا الأمير وتولى ابنه محمود عرش السلطنة شمل أبا العباس بعنايته، وأسند إليه منصب الوزارة، فأثبت جدارته في ضبط أمور السلطنة، وإنجاز مهام الجيش والشعب، وإدخال اللغة الفارسية في دواوين الدولة (٣).

وكان من أبرز وزراء السلطان محمود -أيضاً- الوزير (أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي^(٤))، فقد كان إماماً فاضلاً ومحبوباً لدى العظماء، وذلك

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥ ص ١٧٧.

(٢) الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القرة الهندية وحضارتهم، ج ١ ص ٩٨.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦٤، ١٦٥ بتصرف يسير.

(٤) والميمندي نسبة إلى ميمند، قال ياقوت هي رُستاقُ بفارس، وأخرى بَغَزَنَة، بين باميان

بفضل جمال خطه ووفور فضله، وكان أخا السلطان محمود في الرضاة، وزميله في الدراسة فترة الطفولة والشباب، كما كان والده يعمل في منطقة بست في تنظيم أموال الديوان، وذلك أثناء حياة الأمير ناصر الدين سُبُكْتِكِين^(١).

هذا وقد تدرج الوزير أحمد بن الحسن في عدة مناصب إدارية قبل أن يتولى الوزارة، فقد شغل منصب رئيس ديوان الرسائل، ثم أخذت العناية والرعاية السلطانية شيئاً فشيئاً ترفع مكانته إلى أن اسند إليه منصب مستوفي الولايات وشئون الجند، بالإضافة إلى أعماله سالفه الذكر، ثم تقلد مهمة تنظيم جميع أموال بلاد خراسان^(٢).

وقد أبدى الميمندي مهارة فائقة في إدارة وانجاز جميع هذه المهام بسرعة تدعو إلى الدهشة، ولولاه لما أمكن انجازها إلا في سنوات طويلة، ولمّا تغيرت معاملة السلطان الحسنة على وزيره السابق أبي العباس الإسفراييني، قرر إسناد منصب الوزارة وإدارة جميع شئون السلطنة إلى الميمندي بعد أن اكتسب تلك الخبرة الطويلة في مجال عمله المتواصل في شئون الدولة، سواء في خراسان أو في الأقاليم الأخرى من الدولة، كما ترك السلطان له الحل والعقد في جميع أمور الدولة، وفي بداية عهده أعاد إلى اللغة العربية قوتها كلغة الدواوين، وأمر بكتابتها في جميع إدارات الدولة دون غيرها، وظل ذلك الوزير القوي يقوم بتدبير أمور

والغور، منها الكاتب الماهر المدبّر أبو الحسن عليّ بن أحمد الميمندي، وزير السلطان الغازي محمود بن سُبُكْتِكِين، أنار الله برهانه. ينظر: الزبيدي: تاج العروس، ج ٩ ص ١٩٠؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٥ ص ٢٤٥.

(١) ينظر: العقيلي: آثار الوزراء، ص ١٥٢، ١٥٣؛ الزبيدي: تاج العروس، ج ٩ ص ١٩٠.

(٢) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ١٦٠، ١٦١ بتصرف يسير.

الملك والمال إلى أن كان هدفاً للحساد من ندماء السلطان، وكبار الأعيان في الدولة؛ الأمر الذي حمل السلطان على عزله سنة (٤١٤هـ / ١٠٢٣م)، بعد أن صُودرت أمواله؛ لأمر أنكرها، وأمر السلطان بحبسه في قلعة كالنجر، إذ بقي فيها حتى نهاية حكم السلطان محمود^(١).

المطلب الثاني: الاعتماد على الأكفاء من القضاة والكتاب وغيرهم:

ومن القضاة الذين علا شأنهم في الدولة الغزنوية القاضي (أبو العلا صاعد بن محمد الاستوائي^(٢))، وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية بخراسان في زمانه، وخدم الغزنويين خلال حكمهم طيلة حياته، وأحبه السلاطين، وحفظوا له سابقته في خدمتهم، فعين قاضياً على نيسابور، ثم عينه السلطان محمود مربيًا وأستاذًا لابنه مسعود، وسلم إليه إمرة الحجيج سنة (٤٠٢هـ / ١٠١١-١٠١٢م)، فلما بلغ من علو المنزلة والمكانة الرفيعة في الدولة عمل حساده على السعي به لدى السلطان محمود؛ الأمر الذي سبب له محنة خطيرة، ثم برئ مما نسب إليه؛ بل لقد زادت تلك المحنة تقريباً وثقة لدى حكام غزنة^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٨٩؛ البيهقي: تاريخ البيهقي، مرجع سابق، ١٦٠، ١٦١ بتصرف يسير؛ وقيل أن السبب في عزل السلطان له وحبسه أنه أراد يوماً أن يسم السلطان محمود. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص ٤٩٤.

(٢) هو: صاعد بن محمد ابن أحمد بن عبد الله القاضي أبو العلا الأستوائي، النيسابوري، الفقيه، شيخ الحنفية ورئيس نيسابور، وقاضيهما وكبيرها، وكان يُقال له شيخ الإسلام، سمع أبا عمرو بن نجيد وبشر بن أحمد وعلي بن عبد الرحمن البكائي، ومات في ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص ٥٠٧، ٥٠٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٦ ص ١٣٦.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢٢٧، ٢٢٨؛ العتبي: تاريخ اليميني، ج٢ ص ٣١٦.

كذلك كان أبو الفتح البستي^(١) كاتب السلطان محمود وموضع سره ومستشاره في أمره، وكان إمامًا فاضلاً^(٢) ويذكر العتبي أنه كان كاتبًا لدى القائد بايتوز في بست، وعندما فتحتها سُبُكْتِكِينَ الغزنوي اتصل به وجعله كاتبًا له إذ كان محتاجًا إلى مثله في حنكته وداريته، وأصبح أبو الفتح فيما بعد رئيسًا لديوان الرسائل لدى سُبُكْتِكِينَ، وكان يعتبر حلقة اتصال بين رجال عصره من الحكام والأمراء وبين الدولة الغزنوية وحاكمها سُبُكْتِكِينَ^(٣).

لعب أبو الفتح دورًا مهمًا في توطيد العلاقة بين سُبُكْتِكِينَ والدولة السامانية حيث كان رئيسًا لديوان الكتابة، فكان على اتصال دائم برجال البلاط الساماني من خلال مكاتباته الرسمية لهم، وتحقيقًا لهذه الغاية وثق أبو الفتح صلته بالوزير الكبير صاحب بن عباد ومدحه بكثير من شعره الذي ضمنه الكثير من المودة والتقدير والإعجاب، وكان نتيجة هذا المديح أن كسب احترام هذا الوزير الكبير، وأدى ذلك إلى عدم الاحتكاك بين الدولتين حول السيادة

(١) هو أبو الفتح البستي (٤٠٠هـ/١٠١٠م) علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، وقيل علي بن أحمد بن الحسن، أبو الفتح شاعر عصره وكاتبه، ولد في قرية "بُست" من بلاد كابل بين هراة وغزنة، وإليها ينسب؛ نشأ مربيًا معلمًا، ثم صار كاتبًا مُجيدًا، ورئيسًا للكتاب في دواوين الدول التركية، ويقال أنه ولد سنة (٣٦٠هـ/٩٧١م)، سمع الكثير من أبي حاتم بن حبان، روى عنه الحاكم والحسين بن علي البردعي وشيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني وآخرون. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص١٤٧؛ البيهقي: الزهد الكبير، ج١ ص٢٦١.

(٢) ابن تغري: النوم الزاهرة، ج٤ ص١٠٦، ٢٢٨.

(٣) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٤٨٤؛ ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٧٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٥ ص١٧٥، ١٧٦.

والسلطة على الأقاليم السامانية طوال حياة الصاحب بن عباد^(١).

وبهذا استطاع البستي بفضل أعماله الجليلة التي قدمها للدولة الغزنوية في بداية عهدها أن يحميها من كل خطر يواجهها؛ نتيجة لتعامله مع أصحاب النفوذ للدول المجاورة إلى أن تمرست على الخبرة السياسية والقوة العسكرية في المنطقة؛ هذا بينما كان أميره سُبُكْتُكِين يجاهد في بلاد الهند.

وبعد وفاة الأمير سُبُكْتُكِين عام (٣٨٧-٩٩٧م)، وتولى السلطان محمود الغزنوي الحكم من بعده استمر أبو الفتح في خدمة السلطان، وكتب البستي لمحمود عدة فتوح، لكنه غضب عليه ولا يعرف السبب^(٢)، ونفاه إلى ما وراء النهر ببلدة أوزجند قرب بخارى، فمات بها غريبا سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) وقيل سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)^(٣).

قال عنه صاحب شذرات الذهب "أبو الفتح البستي الشاعر المفلق علي بن محمد الكاتب، شاعر وقته، وأديب ناحيته، صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس، الأنيس البديع التأسيس، فمن ألفاظه البديعة قوله: من أصلح فاسده أرغم حاسده، من أطاع غضبه أضاع أدبه، عادات السادات سادات العادات، من سعادة جدك وقوفك عند حدك، الرشوة رشاء الحاجات، أجمل الناس من كان للإخوان مولى، الفهم شجاع العقل، المنية تضحك الأمنية، حد العفاف الرضا

(١) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص١٧٥، ١٧٦.

(٢) المرجع نفسه، ج٣ ص٣٧٧.

(٣) ينظر: ابن الصلاح: طبقات الفقهاء الشافعية، ج٢ ص٦٤٤؛

بالكفاف" (١).

وهذا هو العالم الأديب والكاتب أبو سعد الدينوري (٢)، كان يتولى عمل الفرض والإعطاء بنيسابور، كان مكلفاً من قبل السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين بالإجابة على كتب الخليفة القادر بالله، حيث كان السلطان يعتمد عليه في هذا الأمر (٣).

ومن المعروف أنّ الحاكم في الإسلام مسئول أمام الله ثم الناس، وقد يحدث أن تقع أخطاء من معاونيه الذين يشاركونه مهام السلطة بسبب الإهمال والتقصير، أو بسبب الانحراف والشطط وتغليب المصالح الخاصة على المصالح العامة؛ الأمر الذي يلحق بسببه أضراراً بالناس؛ ولأن الأمر كذلك فلا يكفي الحاكم أن يحسن اختيار القادة والمعاونين، وإنما عليه أن يراقب أعمالهم، ويداوم متابعته نشاطهم؛ ليتأكد من حسن تصرفهم للأمر المخولة لهم (٤).

ومما يُحمد للدولة الغزنوية أنها لم تكن تتهاون مع أي صاحب منصب فيها إذا بدر منه خطأ أو تقصير، مهما كانت منزلته أو مكانته؛ بل كانت تنزل العقوبة

(١) العكري: شذرات الذهب، ج٣ ص١٥٩؛ وينظر: الذهبي: العبر، ج٣ ص٧٧.

(٢) الدينوري (٤١٠هـ / ١٠٢٠م) نصر بن يعقوب بن إبراهيم الدينوري، أبو سعد: عالم بالأدب، من كبار الكتاب، له تصانيف، منها "روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات" و "ثمار الأُنس في تشبيهات الفرس" و "التعبير القادري.. الخ" في الأحلام، ألفه للقادر بالله، وفرغ منه في رمضان (٣٩٩هـ) منه نسختان في الرباط، وكنيته عليها أبو سعد. الزركلي: قاموس تراجم الأعلام، ج٨ ص٢٩.

(٣) المرجع نفسه، ج٨ ص٢٩.

(٤) د/ صبحي عبده سعيد: الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي، ص٨٧ بتصرف يسير.

بهم دون تهاون أو تأخير، وخاصة إذا ما استغل هؤلاء نفوذهم في الحصول على المال الوفير، أو في استعباد الناس وإذلالهم.

فنى - كما سبق - السلطان محمود يقبض على وزيره أحمد بن الحسن الميمندي ويصادر أمواله، بعد أن نما إلى علمه أنه يسيء استغلال سلطاته، ولما ولي السلطان مسعود الحكم أمر بالإفراج عنه، واسند إليه الوزارة.

ولما حدث أن أنفق السلطان في إحدى غزواته ألف دينار، ولم يحظ بطائل، اتهم وزيره، بسبب سوء تخطيطه، وقال أغرمتني هذا المال، وأخذ منه خمسمائة آلاف ألف دينار، ثم اعتقله^(١).

ولما حدث خلاف بين الأمير على القريب -الذي كان كبير حجاب السلطان محمود- والوزير أبي العباس الفضل بن أحمد الاسفراييني حول بعض القضايا المالية والإدارية في الدولة، وتباطأ الاسفراييني في سداد المبالغ التي كانت على وزارته لخزانة الدولة؛ بل وعجز عن ذلك، فلما علم بهذا السلطان محمود بما حدث، صادر أمواله، وسجنه حتى مات عام (٤٠٤هـ)^(٢).

ولمّا تقدم رجل من الرعية يشكوا إلى السلطان محمود أن قاضي مدينته أنكر أمواله التي قد استودعها إياه إلى حين رجوعه من بعض أسفاره، هب السلطان محمود لإعادة المال المغتصب إلى الرجل الفقير المسكين، وأخذ يعمل كل حيلة حتى أوقع بالقاضي وكشف عن خيانتته، وهم بمعاقبته عقوبة

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٤ ص٣٥٦.

(٢) ينظر: العقيلي: آثار الوزراء، ص١٥٠، ١٥٢.

شديدة؛ غير أن الناس شفعوا له؛ لكبر سنه، فاكتفي السلطان بأن عزله من منصبه، وأن يُفدي نفسه بخمسين ألف دينار، ويرد المال إلى صاحبه^(١).



(١) تنظر هذه القصة بالتفصيل عند نظام الملك في كتابه سياست نامه، ج١ ص ١١٩: ١٢٢.

المبحث الثالث

مواجهة الفكر المنحرف بالفكر الصحيح الصريح داخل حدود الدولة

وفيه أربعة مطالب:

لم يكد الأمر يستقر للدولة الغزنوية بقيادة للسلطان محمود بن سُبُكْتِكِين، حتى رأت أن أوضاع العالم الإسلامي شديدة الاضطراب على المستوى الداخلي؛ حيث تفرقت دولة الخلافة وتمزقت أوصالها لأشلاء مبعثرة في شكل دولة هنا وهناك، ومعظم هذه الدول قد أصبح نكبةً ووبالاً على الإسلام، وتقاتلوا فيما بينهم على الملك والأرض والدنيا الفانية، وأصبح الخليفة لا حول له ولا قوة أُلُوبَةً في يد قادة الجيش والمتغلبين من ولاية الأقاليم، وانفصل الجزء الغربي بأكمله "مصر والمغرب العربي" إضافة "للشام والحجاز واليمن" وأصبح تابعاً للدولة الفاطمية، وأصبحت عقيدتهم هي الغالبة على المستوى الرسمي لكثير من ولاية الأقاليم وانتشر التشيع بسبب "البويهيين" الشيعة المتحكمين في الخلافة العباسية، وواكب ذلك ضعف الدولة السامانية وانتشار الفساد فيها ولم تصبح قادرة على القيام بدورها المنوط بها. أما على المستوى الخارجي فلقد كان أمراء الهند خاصة شمالها يترصبون بالمسلمين الدوائر خاصة بعد أن حقق المسلمون عدة انتصارات باهرة عليهم واستولوا على بلاد "الأفغان" و"الخليج" منهم، وبدأ أمراء الشمال في التجمع مرة أخرى

لمنع تقدم المسلمين نحو كشمير، وكان هناك خطر من نوع آخر وهم كفار الترك أو الأتراك الغزية^(١) الذين كانوا يعيشون في الأرض فساداً ويعتمدون على السلب والنهب لخيرات المسلمين.

لذلك كان على الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود التحرك على الصعيدين الداخلي والخارجي في سبيل خدمة الإسلام ونصرة الدين في هذه الفترة العصيبة من حياة الأمة، فما لبثت أن أثبتت جدارتها في هذا المضمار. فأما عن جهودها على المستوى الداخلي في محاربة الأفكار المنحرفة فهي كما يلي:

المطلب الأول: القضاء على الدولة البويهية، وغيرها من الفرق الضالة والأفكار المنحرفة:

لا شك أنه كما يجب على الدولة أن تقوم بحماية الوطن من الاحتلال العسكري، كذلك يجب عليها أن تقوم بحمايته من الغزو الفكري والاحتلال الثقافي، فإن خطر ذلك لا يقل عن خطر الاحتلال العسكري، وهذا ما فعلته الدولة الغزنوية دون تقصير، وكُتِبَ التاريخ خير شاهدٍ على ذلك.

كانت الدولة البويهية ذات هوى وميول رافضية، كما أنها كانت دولة ذات جذور فارسية ظهرت في أوائل القرن الرابع الهجري في شرق الهضبة الإيرانية

(١) والغز: أمة عظيمة من الترك، وهم الذين أطلق عليهم الأتراك السلاجقة (أصحاب أرسلان بن سلجوق)، وكانت بلادهم تحف بالبلاد الإسلامية في آسيا الوسطى من الغرب والجنوب. مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري الإسلامي، ص ١٥.

التي كانت تعد المرتع الخصب للعقائد الضالة والأفكار الفاسدة.

وتطورت هذه الدولة مستغلة ضعف الخلافة العباسية وتحكم القادة الأتراك فيها حتى قويت شوكتها وصارت القوة المتحكمة في أمور الخلافة ببغداد، وكانت هذه الدولة من عوامل التفرق والخذلان في الكيان الإسلامي كله، وزاد خطرهما بشدة بعدما قامت الدولة العبيدية باحتلال مصر وإنشاء الخلافة الفاطمية فيها سنة ٣٦٢هـ/هجريّة، وأصبح الإسلام والخلافة بين فكي الأفعى الشيعية في الشرق والغرب؛ بل عزم كبيرهم وهو "أحمد بن بويه" على إزالة اسم الخلافة من بني العباس ويوليها علويًا من الشيعة.

كان مجد الدولة بن بويه (٣٧٨-٤٢٠هـ/٩٩٧-١٠٢٩م)، حاكمًا فاسدًا ولم يستطع إدارة الدولة جيدًا؛ ولذلك فقد كانت أمه تتولّى هذا الأمر، وعندما ماتت أمه سنة (٤١٩هـ/ ١٠٢٨م) انتقلت أعباء الحكم الثقيلة إليه؛ غير أنه لم يكن جديرًا بحملها؛ مما سهل على الجيش خلعه، وأصبحت حياته مهددة؛ لذا بادر بمناشدة السلطان محمود لتقديم المساعدة^(١).

لقد كان السلطان محمود تواقًا ومتلهفًا لهذه الفرصة لذلك أسرع بالإعداد للقضاء على هذه الدولة البويهية المنحرفة، فأعد قوة قوامها ثمانية آلاف فارس بقيادة الحاجب على وزوده بتعليمات تتضمن القبض على مجد الدولة، وبالرغم من سوء حالة السلطان الصحية وقتها فإنه قاد حملة بنفسه نحو جرجان؛ ولعلّ الغرض منها صد أي محاولة سلجوقية لتقديم العون لمجد

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٧٠؛ سالم سليمان العيس: المعجم المختصر للوقائع، ص ١٨٠.

قبض السلطان محمود على مجد الدولة وابنه أبي دلف وأرسل سجينين إلى الهند، وعقب ذلك شرع السلطان في إعدام القرامطة (٢) والباطنية (٣)، وشنق الآلاف منهم ورجموا ونقل بعضهم في إذلال مكبلين في الأصفاد إلى خراسان،

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٩٥؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١١٢.
(٢) والقرامطة: فرقة من الشيعة نظمت نفسها تنظيمًا دقيقًا، وتُنسب من حيث اسمها إلى آل يحمدان قرمط بن الأشعث؛ يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة، أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك، وكانا يبيحان المحرمات، ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم لأنهم أقل الناس عقولاً، ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق،.... ويُقال لها القرامطة قيل نسبة إلى قرمط بن الأشعث البقار، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض"، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها الإلحاد والإباحية، وهدم الأخلاق، والقضاء على الدولة الإسلامية. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، مرجع سابق، ج ١١ ص ٦١، ٦٢؛ الذهبي: العبر، ج ٢ ص ٦٥؛ شريف يحيى الأمين: معجم الفرق الإسلامية، ص ١٩٢.

(٣) والباطنية: فرقة عرفها المجتمع الإسلامي، وصاحب الدعوة إليها جماعة، منها: ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وأصله من الأهواز ببلاد الفرس، ثم دخل في دعوتهم حمدان بن قرمط، وظهرت هذه الدعوة أولاً في أيام المأمون وانتشرت في زمان المعتصم، وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام؛ بل هي من فرق المجوس، فقد كانوا يؤمنون بالزرادشتية وعبادة النار، ومن مفاصد هؤلاء الباطنية أنهم أباحوا نكاح البنات والأخوات واقتراف جميع اللذات، يقول صاحب كتاب الفرق بين الفرق: "اعلموا أسعدكم الله أن ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى؛ بل أعظم من مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة؛ بل وأعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان. أبو منصور البغدادي: الفرق بين الفرق، ج ١ ص ١٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧١؛ د/ طه ندا: مرجع سابق، ٨١، ٨٢، ٨٣.

كما فتشت بيوتهم وأضرمت النيران في الكتب التي تحمل عقائدهم؛ أما الكتب التي تحمل أفكارًا تتفق مع عقيدة السلطان فقد نقلت إلى غزنة^(١).

يقول الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات): "كان رستم بن علي الديلمي (مجد الدولة) بالري^(٢) وقد أظهر بدع الباطنية، وأباح الفروج والدماء، وسب الصحابة والخلفاء الراشدين، فتجهز إليه السلطان محمود ابن سُبُكْتِكِين وقبض عليه وعلى أشياعه من أعيان الرافضة...، وحمله وأعوانه وابنه وجماعة من الديلم، وقتل السلطان جماعة منهم وصلبهم على شوارع المدينة، وأخذ ما كان قد احتجزه رستم بن علي من الجواهر، وكان قيمة ذلك خمس مائة ألف دينار، ومن الذهب مائتي ألف وستين ألف دينار، ومن الفضيات الأواني ما بلغ قيمته ثلاثين ألف دينار، ومن ثياب النسيج وغيرها خمسة آلاف ثوب وثلاث مائة ثوب، وأحرق تحت خشب المصلوبين خمسون حملاً من الكتب فيها كلام الفلاسفة والنجامة والبدع"^(٣).

واستقر السلطان فترة من الزمن في الري، وعين بعض القادة لتسيير الأمور الإدارية في البلاد، ومنع سائر الفرق من الكلام على المنابر غير أبي حاتم بن حاموش الحافظ، وكان مقدم أهل السنة بالري، فكان من دخل الري من سائر الفرق، يعرض اعتقاده عليه، فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٧١؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص١٢٠.
(٢) الري: كانت مدينة عظيمة ببلاد الجبال، فتحها نعيم بن مقرن في خلافة عمر رضي الله عنه وفيها والد الخليفة هارون الرشيد، وهي الآن أطلال على مسافة ٥ كم من طهران. أمين واصف بك: الفهرست، ص ٦٠.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص٨١.

وقال أبو إسماعيل الهروي عن السلطان محمود الغزنوي: قرأت كتاب محمود الأمير يحث فيه على كشف أستار هذه الطائفة والإفصاح بعيبهم ولعنهم حتى كان قد قال فيه: "أنا ألعن من لا يلعنهم"^(٢).

ويكفي لبيان فسادهم أنّ السلطان محمودًا لما فتح بلادهم وأسقط ملكهم "مجد الدولة" وجد في حوزته من الزوجات الحرائر ما يزيد عن خمسين امرأة ولَدَنَ له نيفًا وثلاثين ولدًا، ولما سأله عن ذلك قال مجد الدولة: "هذه عادة من سبقني، ويقصد به "كسرى الفرس"؛ وهذا يدل على أن البويهيين كانوا يخططون للارتداد للعصر الساساني مرة أخرى، فكان ما قام به السلطان محمود حيالهم خدمة جليلة للإسلام^(٣).

لم تقف جهود السلطان محمود عند الري فقط؛ بل تعرض القرامطة والباطنية إلى اضطهاد شديد في كل مكان من الإمبراطورية، وتم القبض عليهم وسجنهم، وخُيروا بين التخلي عن مذهبهم أو التعرض للقتل والإحراق، وحتى الأدب الذي كان مصطبغًا بفكرتهم وعقيدتهم لم ينبج من الملاحقة القاسية^(٤).

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨ ص ٥٠٧، ٥٠٨؛ تذكرة الحفاظ، ج ٣ ص ١١٨٧ بتصرف يسير.

(٢) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ج ٥ ص ٣٣٣.

(٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ١٧١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٣٦.

(٤) ينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٩٦؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٢١.

وبعدما انتهى السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين من كسر شوكة البويهيين سنة (٤٢٠هـ)، أرسل كتاباً إلى الخليفة يقول فيه: "أنه قبض علي مجد الدولة وعلى رؤوس الباطنية من قواده، وخرج الديالمة معترفين بذنوبهم، شاهدين بالكُفر والرفض على نفوسهم، فَرُجِعَ إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فأفتوا بأنهم خارجون عن الطاعة، داخلون أهل الفساد، يجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جنائتهم إن لم يكونوا من أهل الإلحاد، فكيف واعتقادهم لا يخلوا من التشيع والرفض والباطن.

ثم يتابع السلطان كلامه فيقول: وذكر هؤلاء الفقهاء أن أكثر هؤلاء القوم يُصَلُّون ولا يُزَكُّون، ولا يعترفون بشرائط الدين، ويجاهرون بالقذف وشم الصحابة، والأمثل منهم معتقدٌ مذهب الاعتزال، والباطنية منهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وحكموا - يعني الفقهاء - بأن رستم بن علي في حباله خمسون امرأة من الحرائر، ولدن له ثلاثة وثلاثين نفساً، وحول رايته إلى خراسان، فانضم إليه أعيان المعتزلة والرافضة، ثم نظر فيما احتجبه رستم، فعثر من الجواهر على ما قيمته خمسمائة ألف دينار... إلى أن قال: فخلت هذه البقعة من دُعاة الباطنية وأعيان الروافض، وانتصرت السُّنة، فطالع العبدُ بحقيقة ما يسره الله تعالى لنصرة الدولة القاهرة" (١).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٨ ص ٢٦٦، ٢٦٧.

المطلب الثاني: تحالف الدولة الغزنوية مع الخلافة العباسية ضد

الدولة الفاطمية

كانت معظم الدول التي ظهرت بأطراف الخلافة العباسية تتعامل مع الخلافة بصورة مهينة، فيزدرون الخليفة العباسي، ولا يحترمون هيبة الخلافة، بل امتدت أيديهم بسفك دماء بعض الخلفاء مثلما حدث مع المعتز، والمتوكل، والمهتدي (العباسيين)، فلما جاء السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين وقامت الدولة السبكتيكية أعلن السلطان محمود ولاءه الكامل وتبعيته التامة للخليفة العباسي وقتها "القادر بالله"، وامتثل لكل الأوامر التي كانت تأتيه من الخليفة القادر بالله.

لم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل أقام السلطان مع الخليفة العباسي حلفاً قوياً أمام أطماع الدولة الفاطمية بمصر، ووقف سداً منيعاً أمام محاولات الروافض الكثيرة لنشر الرفض ببلاد خراسان وما حولها، مستغلين الأثر السيئ الذي خلفه وجود الدولة البويهية؛ ونتيجة لاشتهار أمر السلطان محمود في العالم الإسلامي حاولت الدولة الفاطمية في مصر -وهي دولة شيعية المذهب- أن تستمليه إليها فأرسلت أحد دعايتها لإغرائه بالهدايا كي يقيم الدعاية لهم في بلاده؛ غير أن عقيدة السلطان وولاؤه للخليفة جعلته يقوم بحرق كتبهم وهداياهم، كما قام بقتل التاهرتي مندوبهم للدعوة، وأهدى بغلته إلى القاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي.

يقول الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء): "قال أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي: لما قدم التاهرتي الداعي من مصر على السلطان محمود يدعوه سراً إلى مذهب الباطنية - وكان التاهرتي يركب بغلاً يتلون كل ساعة من

كل لون- ففهم السلطان سر دعوتهم فغضب، وقتل التاهرتي الخبيث، وأهدى بغله إلى القاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي، شيخ هراة، وقال: كان يركبه رأس الملحدين، فليركبه رأس الموحدين"^(١).

ولما سمع أن أحد أمرائه وقد أرسله أميراً على قافلة الحجيج قد قبل هدايا من الفاطميين في موسم الحج أمره بالعودة بها مرة أخرى إلى بغداد عاصمة الخلافة وأن يحرقها بنفسه على باب قصر الخلافة أمام أعين الناس^(٢).

المطلب الثالث: نشر الدولة الغزنوية للسنة ومحاربتها للبدعة:

وكما سبق فقد انتشرت دعوة الملاحدة المنافقين الذين كانوا إذ ذاك بمصر وقد بنو القاهرة وغيرها، وفي ذلك الوقت صنف الناس الكتب في كشف أسرارهم وهتك أستارهم؛ وكان هذا مما دعا القادر إلى إظهار السنة وقمع أهل البدع، "فكتب الاعتقاد القادري المنسوب إليه، وهو في الأصل من جمع الشيخ أبي أحمد القصار- وهو من أجل المشايخ وأعلمهم"^(٣).

لقد كان السلطان محمود يعتقد في ضرورة الوحدة الدينية للدولة وفي القسوة لمعاقبة كل المنشقين والخارجين عليها؛ وذلك توكيداً منه لموقف الخليفة العباسي حيالهم.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله (الخليفة)

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص٤٨٦؛ تاريخ الإسلام، ج٢٩ ص٧١، ٧٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص١٧ بتصرف يسير.

(٣) ابن تيمية: بيان تلبس الجهمية، ج٢ ص٣٣١، ٣٣٢؛ أحمد محمود السادتي، ج١ ص٨٧.

بعض فقهاء المعتزلة، فأظهروا الرجوع وتبرؤاً من الرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذت خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوا أحل فيهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم، وامثل محمود بن سُبُكْتِكِين أمر أمير المؤمنين في ذلك، واستن بسنته في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها... فأبعد جميع طوائف أهل البدع، ونفاهم عن ديارهم وصار ذلك سنة في الإسلام، وعزل خطباء الشيعة وولي خطباء السنة^(١).

ويذكر ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ ما قاله عنه الإمام الهروي الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ مبيئاً ما ناله من الذكر الجميل والثناء الحسن بعد هذه الأعمال: "فطار للحامدين كل مطار، وصار للمادحين كل مسار، لا ترى عاقلاً إلا وهو ينسبه إلى متانة الدين وصلابته، ويصفه بشهامة الرأي ونجابته"^(٢).

المطلب الرابع: حراسة الدولة الغزنوية للدين وإقامتها للعدل:

لا شك أن من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وظيفة حراسة الدين وإقامة العدل، ثم سياسة الدنيا بالدين؛ وحراسة الدين تكون بأساليب كثيرة جداً، منها صيانة الشريعة من التحريف، وتنقيتها من البدع والشركيات، وحماية التراث الإسلامي، والدفاع عن العقيدة السنية، وتصحيح عقائد الناس، وإتباع الدليل في القضايا الفقهية، ونبذ التقليد والتعصب المذهبي، ونشر العلم الشرعي، وإقامة الحجة على خلق الله، وصيانة المفاهيم الإسلامية من أي تحريف تحت ضغط

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص٦؛ وينظر: الدمشقي: الصواعق المرسله، ج٤ ص١٢٨٦،

١٢٨٧؛ ابن تيمية: توحيد الألوهية، ج٤ ص١٥.

(٢) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ج٥ ص٣٣٢، ٣٣٣.

العولمة أو تحت ضغط الأمر الواقع، في عصر زلزلة الثوابت.

كما أن إقامة العدل وأداء الحقوق لأهلها من أسباب بقاء الدول وتفوقها وغلبتها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة (الحسبة): "الجزء في الدنيا متفق عليه أهل الأرض، فإن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يُروى: "أنَّ الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"^(١).

ولمَّا سمع عمرو بن العاص المستورد بن شداد يحدث عن النبي ﷺ بقوله: تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ، قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَئِن قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لِأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِإِمْسَاكِيٍّ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ^(٢).

فكأنَّ عمرًا رضي الله عنه يحكم بأنَّ هذه الخصال هي السبب في بقائهم وكثرتهم، وفي المقابل يكون الظلم وتضييع الأمانة وإهدار الحقوق هي معالم الخراب والهزيمة، وهذا أصل مقرر في علم الاجتماع، وقد عقد له ابن خلدون في مقدمته فصلاً بعنوان: (الظلم مؤذن بخراب العمران)^(٣).

(١) ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، ج٢٨ ص٦٢.

(٢) الإمام مسلم: صحيح مسلم، باب تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ، ج٤ ص٢٢٢، حديث رقم (٢٨٩٨).

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٥١، والمقصود أنَّ الأمم الكافرة إن توفرت على معالم قيام

وبالنظر في سيرة السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين - قائد الدولة الغزنوية - نجده مثلاً يحتذي به للحاكم المسلم الذي يعلم جيداً مهام الحاكم والواجبات المنوطة به؛ لذلك فلقد جاءت حياته وفترة ملكه تصديقاً لهذه الواجبات والمهام الموكلة إليه، فلقد كان رغم ملكه الفسيح في غاية الديانة والصيانة وكرهية المعاصي وأهلها، لا يجرؤ أحد على إظهار معصية في بلاده، ولا خمراً ولا شيئاً من الملاهي والمعازف، فلقد كانت حياته على الاستقامة والجدادة، واقتدى به شعبه فصار لا يشغلهم سوى قضية الدين ونشره والجهاد في سبيل الله، وكان محمود من أحرص الناس على نشر الإسلام في البلاد المفتوحة خاصة كشمير وبلاد الغور- في أفغانستان حالياً-؛ وكان كلما فتح بلداً بعث فيه الدعاة والمعلمين لنشر الدين وتعليم الإسلام، وأزال كل الفرق الضالة والباطنية، حتى لا تفسد عقائد حديثي الإسلام في تلك البلاد.

ولا أدلّ على ذلك من تلك الكلمات التي جاءت على لسان السلطان محمود في الرسالة التي أرسلها إلى أبي علي الياس أمير كرمان وتيز حيث يقول: "ثم أسندتُ كلّ الأعمال والمهام إلى سادة خراسان وولاتها وحكامها، فهم من الحنفية أو الشافعية الأَطْهَار؛ إنَّ هاتين الطائفتين أعداء للرافضة والباطنية، وكل الخارجين على الدين، وعلى وئام مع الأتراك، ثم نحيت كل الكتبة العراقيين؛ لعلمي أن أكثرهم من تلك الفئات الباغية، وأنهم يفسدون على الترك أعمالهم؛ كل هذا لكي أصفي العراق من أصحاب المذاهب الخبيثة، والمعتقدات السيئة،

الدول ونهضتها، أقامها الله وجازاها بجنس عملها، ولا يظلم ربك أحداً، فالله تعالى يعطيهم في الدنيا ما يستحقونه باعتبار ما عندهم من خير وما يبذلونه من حق.

في مدة قليلة بعون الله ﷻ، فالله تعالى خلقنا لهذا، وولانا الخلق لنمحو المفسدين من على وجه المعمورة، ونحمي أهل الصلاح، ونملا الأرض عدلاً وسخاءً ورحمةً^(١).

عمل السلطان محمود طوال حياته على إقامة ناموس العدالة حتى على أقرب المقربين، فلقد اشتكى له بعض رعيته يوماً أن ابن أخته يعتدي على حرمة بيته وحرمة زوجته محتمياً بقرابته من السلطان، فنذر محمود ألا يأكل ولا يشرب حتى يأخذ حق هذا الرجل الضعيف وظل صائماً عدة أيام، حتى ضبط محمود ابن أخته وهو يزني بامرأة هذا الرجل قسراً عنها، فأخذه وقتله بيده حتى يرتدع كل من تسول له نفسه وقرابته من السلطان أن يخالف الشرع ويعتدي على الناس، وهكذا يكون الحاكم المسلم القدوة الذي تردع فعاله قبل نضاله.

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: "وكان السلطان محمود حازماً عادلاً لا يجترأ أحد على إظهار المعصية في دولته من خمرٍ أو معازف"^(٢).

ثم يتابع رَحِمَهُ اللهُ فيقول: "وقد اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه في داره وعلى أهله في كل وقت فيخرجه من البيت ويختلي بامرأته، وقد حار في أمره، وكلما اشتكاه لأحد من أولي الأمر لا يجسر أحد عليه خوفاً وهيبةً للملك، فلما سمع الملك ذلك غضب غضباً شديداً، وقال للرجل ويحك متى جاءك فائتي فأعلمني، ولا تسمع من أحد منعك من الوصول إلي، ولو جاءك في الليل فائتي فأعلمني، ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم إن هذا

(١) نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص ١٠٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص ٣٠، بتصرف يسير.

الرجل متى جاءني لا يمنعه أحد من الوصول إلي من ليل أو نهار، فذهب الرجل مسرورًا داعيًا، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله، فذهب باكيًا إلى دار الملك، فقيل له أن الملك نائم، فقال قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلًا ولا نهارًا، فنبهوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد حتى جاء إلى منزل الرجل، فنظر إلى الشاب وهو مع المرأة في فراش واحد وعندهما شمعة تقد، فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأسه، وقال للرجل ويحك الحقني بشربة ماء فأثابه بها فشرب، ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل بالله لم أطفأت الشمعة؟ قال ويحك إنه ابن أختي وإني كرهت أن أشاهده حال الذبح، فقال ولم طلبت الماء سريعًا، فقال الملك إني آليت على نفسي منذ أخبرتني أن لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أنصرك وأقوم بحقك، فكنت عطشان هذه الأيام كلها حتى كان مما رأيت، فدعا له الرجل وانصرف الملك راجعًا إلى منزله ولم يشعر بذلك أحد" (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "ولما كانت مملكة محمود بن سُبُكْتِكِين من أحسن ممالك بني جنسه، كان الإسلام والسنة في مملكته أعز، فإنه غزا المشركين من أهل الهند، ونشر من العدل ما لم ينشره مثله؛ فكانت السنة في

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص ٣٠، ٣١؛ قلت: وفي هذه الواقعة من السلطان محمود ما يدل على حسن نيته وتحريره العدل والقضاء على الفتن في مهدها؛ غير أنها ممزوج عدلها بالجهل ببعض أحكام الشريعة، فلم يكن له لو ثبت عنده أن ابن أخته زنى بعد الإحصان أن يتعدى الرجم إلى حز الرقبة، ثم ليس في القصة ما يقتضي ثبوت الزنا عنده، فإنه لم يتحقق بالقرائن من أنه يزن، ومن هذا وأشباهه يعرف سر الشريعة في اشتراط كون السلطان مجتهدًا؛ لأن غير العالم إذا تحرى العدل لا يتأتى له إلا بصعوبة شديدة، بخلاف العالم فإنه يعرف ما يأتي وما يذر.

أيامه ظاهرة، والبدع في أيامه مقموعة" (١).

ومن خلال ما سبق يتبين أنّ السلطان محمود لم يركن إلى الدعة والراحة؛ بل عمل على نشر الإسلام في بلاد السند والأفغان بصورته الصحيحة؛ ذلك لجهل أهل تلك البلاد بالإسلام الصحيح، وأزال كل العقائد والأفكار الباطلة والمنحرفة.

وهكذا أظهر رَحِمَهُ اللهُ السّنة ونظف بلاده وطهرها من كل الفرق الباطنية المخالفة للإسلام وقتل منهم أعداداً هائلة، كما كان يعظم المشايخ ويقربهم ولا يستغنى عن مشورتهم.



(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج٤ ص٢٢؛ توحيد الألوهية، ج٤ ص٢٢؛ وينظر: اللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ج٤ ص٧٢٣.

المبحث الرابع

أشهر الدعاة الذين اعتمدت عليهم الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى

الدعوة إلى الله تعالى فضلها عظيم، والقيام بها من أشرف الأعمال، وهناك الكثير من الآيات والأحاديث التي تدلُّ على ذلك، منها:

قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

أي لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه، وفي الآية حث على الدعوة إلى الله سبحانه، وبيان فضل العلماء الداعين إليه على بصيرة، وفق ما جاء عن رسول الله محمد ﷺ.

وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: أتى رجل النبي ﷺ فسأله، فقال: ما عندي ما أعطيك، لكن أنت فلاناً، قال: فأتى الرجل، فأعطاه، فقال رسول الله ﷺ: "من دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ أَوْ عَامِلِهِ" (٢).

(١) سورة فصلت، آية رقم: ٣٣.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، باب فضل إعانة الغازی في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، حديث رقم (١٨٩٣)، ج ٣ ص ١٥٠٦.

فَإِنْ كُنَّا نَزِيدُ أضعافًا مُضاعِفَةً مِنَ الأَجورِ فعَلِينَا أَنْ نُدُلَّ النَّاسَ عَلَى الخَيْرِ وَنُدْعُ إِلَى اللَّهِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَهُ أَجورُ الأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمِنْ بَعْدِهِ الصَّحابةُ وَالتَّابِعُونَ وَكُلُّ دَاعِيَةٍ يَحْمِلُ الدَّعوةَ بِصَدقٍ وَإِخْلاصٍ وَفَهْمٍ. " وَقَالَ بَعْضُ العُلَماءِ: إِنَّ أَثرَ الدَّعوةِ وَنَشْرَ الهُدَى يَصِلُ لِلحَيواناتِ (الحفاظ عليها ورعايتها) مِمَّا يَدْعُوها إِلَى الدَّعاءِ لِلدَّاعِيَةِ! "(١).

هذا: ولقد أدركت الدولة الغزنوية - بقيادة السلطان محمود - هذه المعاني الجليلة فعملت على بث الدعاة المخلصين بين أهل البلاد المفتوحة؛ لتعليم الناس شئون دينهم، وقام هؤلاء الدعاة بدور كبير في نشر الإسلام وتصحيح عقائد المسلمين داخل حدود الدولة وخارجها.

"ولقد أدى السلطان محمود - بنفسه - دور المبشر والواعظ في كل مرة عقب الانتصارات التي يحققها جيشه، فقد أنشأ المدارس في كل أنحاء البلاد المفتوحة، وعين الوعاظ لتعليم الهندوس، وتلقينهم بساطة دين المنتصرين" (٢).

وكان مما يثلج صدر السلطان محمود أن يدخل المدينة الجديدة فيشرح للناس هداية الإسلام، ويقرئهم آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ فكان يصطحب معه من أئمة المسلمين وعلمائهم من يسرون مع الجيوش الباسلة، ويدع في كل مدينة من العلماء من يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فكانوا يأمرون الناس بالعدل والإحسان، وينهون عن الفحشاء

(١) علي بن نايف الشحود: الخُلاصَةُ في فِقهِ الدَّعوةِ، ص ١٤.

(٢) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٢٣.

والمنكر، ويقىمون الدعائم الرفيعة للقيم والأخلاق الإسلامية، فيحيون المساواة العادلة في أمم تنازعها الإقطاع، وتعدد بها الطغاة، وتألّه فيها الحجر، وعُبد الصنم والكواكب والنار من دون الله؛ مما جعل أعداد المسلمين في زيادة مستمرة^(١).

يقول ابن الأثير رحمته الله: "وأقام يمين الدولة ببهاطية، حتى أصلح أمرها ورتب قواعدها، وعاد عنها إلى غزنة، واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه"^(٢).

كما يُذكر أن السلطان محموداً لما أخضع أنهار "نور، وكيرات" عين عليهم واعظاً لتعليم الذين اعتنقوا الإسلام مبادئ الدين الحنيف^(٣).

وكان من أبرز الدعاة وأشهرهم في الدولة الغزنوية:

١. "شيخ الإسلام الإمام القدوة أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور الأنصاري الهروي"، مصنف كتاب ذم الكلام، وشيخ خراسان، من ذرية صاحب النبي صلوات الله عليه وآله أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه^(٤).

(١) أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ٤٣٦، ٤٣٧ بتصرف؛ د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٥٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ٣٣.

(٣) ينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٠٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨ ص ٥٠٣؛ قال عنه الحافظ الذهبي: "كان آية في لسان التذكير والتصوف، من سلاطين العلماء، يروي في مجالس وعظه الأحاديث بالإسناد، وينهى عن تعليقها عنه، قال: وكان بارعاً في اللغة حافظاً للحديث، يدخل على الأمراء والجبابة، فما

اشتهر أبو إسماعيل بثقافته الدينية والدنيوية وأسلوبه البسيط السهل في الإقناع، وقد قيل إنه كان من أول الدعاة إلى عقيدة الإسلام في مدينة لاهور، وقد قدم إليها سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٥م)، وظل بها فترة طويلة يدعو الناس إلى الإسلام، ويعلمهم شرائعه، وتدفتت عليه وفود كثيرة من جميع أنحاء الهند؛ للاستماع إلى مواعظه، ووفقَّه الله في أن اهتدى على يديه الكثير من الهنود، وقد قيل أنه ما من كافر وفد عليه واتصل بشخصه، إلا وتحول إلى عقيدة الإسلام، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٤٠٨هـ/١٠١٧م)^(١).

٢. ومن الدعاة الذين علا ذكرهم في الدولة الغزنوية -أيضاً- العالمُ الجليل "الناصري، قاضي القضاة أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصري الحنفي الخراساني كان قاضياً للسلطان محمود، عظيم القدر عنده"^(٢).

قال عنه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفي هو: "شيخ الحنفية في عصره، والمقدم على الأكابر من القضاة والأئمة في دهره، له مجلس التدريس والنظر، والفتوى والتصنيف، وله الطريقة الحسنة في الفقه، المرضية عند الفقهاء من أصحابهم، وكان ورعاً مجتهداً، قصر اليد، توفي سنة (٤٤٧هـ)، وكان عنده الحديث عن بشر بن أحمد الإسفرايني، والحاكم أبي أحمد الحافظ، وطبقتهم، وعقد له مجلس الإملاء سنين، روى عنه أبو عبد الله الفارسي، وإسماعيل بن

بيالي، ويرى الغريب من المحدثين فيبالغ في إكرامه. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص ٥٠٥، ٥٠٦.

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٣١٥ بتصرف يسير.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص ٦٦٠ بتصرف يسير؛ وينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ص ٢١.

عمرو البحيري" (١).

٣. ومن أشهر الدعاة في الدولة الغزنوية-أيضاً- "الإمام المحدث الحافظ الواعظ أبو حاتم أحمد بن الحسن بن محمد الرازي البزاز، الملقب أبوه بخاموش"، له رحلة ومعرفة وشهرة، وكان مقدم أهل السنة بالري، وذلك أن السلطان محموداً بن سُبُكْتِكِين لما دخل الري وقتل بها الباطنية منع الكل من الوعظ غير أبي حاتم، وكان من دخل الري يعرض عليه اعتقاده فإن رضيه أذن له في الكلام على الناس وإلا منعه (٢).

قال الشيخ أبو إسماعيل الهروي قصدت أبا الحسن الخرقاني الصوفي ثم عزمت على الرجوع فوقع في نفسي أن أقصد أبا حاتم، فلما قربت من الري كان معي رجل في الطريق من أهلها فسألني عن مذهبي فقلت: حنبلي، فقال: مذهب ما سمعت به، وهذه بدعة، وأخذ بثوبي وقال: لا أفارقك إلى الشيخ أبي حاتم، فقلت: خيرة، فذهب بي إلى داره، وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم، فقال: هذا سألته عن مذهبه فذكر مذهباً لم أسمع به قط، قال: وما قال؟ فقال قال: أنا حنبلي، فقال أبو حاتم: دعه فكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم (٣)، فقلت في

(١) الصيرفيني: المنتخب، ج١ ص ٣٠٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ص ٥٠٧، ٥٠٨ بتصرف يسير.

(٣) والإمام أبو حاتم -بلا شك- لا يقصد بهذه العبارة أن من انتمى إلى مذهب آخر -من المذاهب المعتمدة- خرج من الإسلام؛ ولكنّه يقصد بها هؤلاء الذين خالفوا الكتاب، وضربوا بالسنة عرض الحائط، وأخذوا يعيشون في الأرض فساداً، وابتدعوا أموراً ما أنزل الله بها من سلطان، فأراد رَحِمَهُ اللهُ بقوله "حنبلياً" كل المذاهب الصحيحة التي لا تتعارض مع الكتاب والسنة؛ وإلا لكان هذا الكلام منه تعصباً مذموماً.

نفسى: الرجل كما وصف لي، ولزمته أيامًا وانصرفت^(١).

٤. ومن دعاة الدولة الغزنوية الذين كانت لهم مكانة عظيمة عند السلطان محمود العالم الزاهد، القدوة أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني البسطامي، اشتهر بعلمه وصلاحه وتقواه، لدرجة أن السلطان محمودًا كان يذهب بنفسه ليزوره ويستمع إلى وعظه.

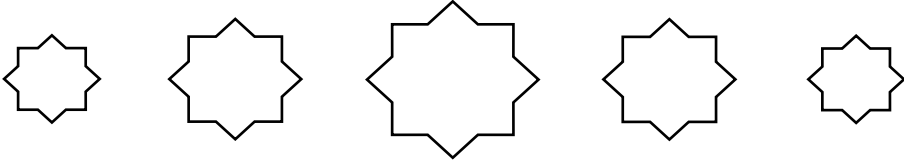
٥. وأيضًا من الدعاة البارزين في الدولة الغزنوية في عصر السلطان محمود "الأستاذ الواعظ" أبو بكر الواعظ محمد بن إسحاق بن محمشاذ" الإمام أبو بكر الزاهد بن الزاهد بن الزاهد، بسيط الجاه، كان صاحب القول في وقته عند السلطان محمود مقربًا لديه، دعا إلى السنة، وهدم المسجد الجديد الذي بناه الروافض، وظهرت به دولة الكرامية، وعقد له مجلس الإملاء بشط الوادي سنة خمس وأربع مائة^(٢).

هذا وقد حظيت الدولة الغزنوية بالكثير من الدعاة العالمين العاملين - لم يتسع المقام لذكرهم - وقام هؤلاء بدور الوعظ والإرشاد وتصحيح عقائد المسلمين، داخل حدود الدولة وخارجها، وهدى الله على أيديهم الكثير إلى الدخول في الإسلام، ولا تزال آثارهم المباركة باقية إلى اليوم.



(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨ ص ٥٠٨ بتصرف يسير.

(٢) الصيرفي: المنتخب، ج ١ ص ٢٢.



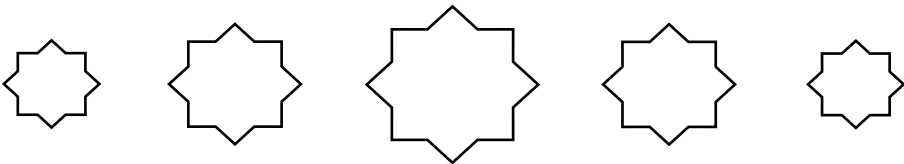
الفصل الخامس

الوسائل التي استخدمتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى

المبحث الأول : إعداد الجيوش وتحديث السلاح وإشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة.

المبحث الثاني : تأمين الطرق، ونبذ الفرقة والخلاف والقضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية.

المبحث الثالث : مواجهة أهل العقائد المنحرفة والممل الزائغة خارج حدود الدولة.



المبحث الأول

إعداد الجيوش وتحديث السلاح وإشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إعداد الجيوش وتحديث السلاح:

من المعروف أنه لا بد لكل عمل من وسائل تساعد على نجاحه ورقية؛ لذلك كانت للدولة الغزنوية وسائل^(١) متعددة ساعدتها على نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى، كان من أهمها إعداد الجيوش وتحديث السلاح.

لا شك أن الجيش عدة الدولة ترهب به أعداءها، وعلى أي دولة كي يكون جيشها أدواتها القوية للردع والدفاع عنها أن توليه العناية التامة: إعدادًا وتكوينًا وتدريبًا؛ ليكون في النهاية قوة مادية ومعنوية منضبطة، محددة المهام العسكرية دون سواها، ليبقى الجيش في كل الحالات درع الدولة وخادمها، لا قوة مرعبة

(١) وبالرجوع إلى كتب اللغة وغيرها من المراجع نجد أن كلمة "وسيلة" يُقصد بها في اللغة عدة معان، منها: الرغبة، والقربة، والطلب، والوصلة وهو ما يتوصل به إلى الشيء، وفي الاصطلاح: هي الأداة الموصلة إلى غاية؛ والوسيلة الدعوية هي الأداة المنضبطة شرعًا، الموصلة إلى غاية منضبطة. المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ج١ ص ٧٢٦؛ ابن سيده المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، ج٨ ص ٦١٢؛ حمود بن جابر الحارثي: دعوة النبي ﷺ للأعراب، ص ١٣٧، ١٤١.

للدولة والمجتمع خطراً عليها قبل خطرهما على الأعداء^(١).

ولهذا لم يكن يخفي على الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢)، فنجدها تهتم اهتماماً كبيراً بإعداد الجيوش وتحديث السلاح، حتى أصبح الجيش الغزنوي في القرن الخامس الهجري أكبر قوة ضاربة في المنطقة من ناحية العدة والعتاد والعدد، يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ عن السلطان محمود: "فندب جيشه لذلك، فانتدب معه ثلاثين ألفاً من المقاتلة ممن اختارهم لذلك، سوى المتطوعة، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عبَّاده، فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة، قال: فما كان بأسرع من أن ملكناه"^(٣)، وقال غيره: "ويحشد الجند ثم يغزو بأتباعه وقيادته بلاد الوثنية ليعلو الأذان الإسلامي في ربوع متناثرة تقُدس الأصنام، وتعبد التمثال من دون الله"^(٤).

(١) د/ عمر بن قينة: الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية، ص ٣٠ بتصرف يسير؛ وقد رأينا في عصرنا الحاضر كيف تحولت بعض الجيوش العربية إلى أداة هلاك وتدمير لشعوبها التي ما عادت تقنع بالشعارات البراقة، والوعود الكاذبة، وكسر الخبز التي تُرمى لها في ظل الغياب الكامل للكرامة الإنسانية.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠؛ ولو أن الحكام المسلمون في عصرنا، أقاموا الشرع، وامثلوا أمر الله، في قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ لما سبقهم أحد إلى صنع المدافع والقذائف، وسائر أنواع السلاح، ولا إلى بناء الجوارى المنشآت في البحر كالأعلام، ولا إلى العلوم والفنون التي تتوقف عليها هذه الأعمال. الشيخ: محمد رشيد رضا: الخلافة، ج ١ ص ٨٨، بتصرف يسير.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ص ٢٢.

(٤) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨٢.

وحينما يستعرض الباحث عناصر الجيش وأسلحته في العصر الغزنوي يجد تتطوراً كبيراً في هذه الناحية.

أما عن جانب التكوين لأي جيش فمن المعلوم أن اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد وعدم الجدية والبلاء في الحرب؛ لذا ينبغي أن يؤسس الجيش من كل جنس وملة، ولم تكن الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود لتغفل هذا الأمر.

يقول نظام الملك: "درج السلطان محمود على أن يؤسس جيشه من عدة أجناس من الترك والخراسانيين والعرب والهنود والغوريين والديالمة، وكان يضع في أثناء السفر ثلة من كل جنس للحراسة في مكان خاص؛ بحيث لم يكن أي فريق منهم يجرؤ على ترك مكانه خوفاً من الفرق الأخرى؛ بل كانوا يحرسون إلى جانب بعضهم حتى الصباح، دون أن تغمض لهم أجفان"^(١).

ثم يتابع كلامه فيقول: "وكان كل جنس منهم يقاتل في المعارك والحروب ببسالة ومضاء حفاظاً على سمعته وخوف العار والهزيمة وكَيْلاً يقول أحد بأن الجنود من الجنس الفلاني وهنوا في القتال وتقاعسوا، وكان كل فريق يبلي في القتال بلاءً حسناً ويبدل غاية جهده؛ إظهاراً لقدرته وتفوقه على الآخرين؛ ولأنَّ قاعدة اختيار المحاربين كانت تتم على ذلك النحو، فقد كانوا جميعهم جادين مستبسلين وطلاب سمعة وشهرة، ولا جرم أنهم إذا ما هرعوا إلى السلاح لم يكونوا يتراجعون قبل أن يهزموا الجيش المعادي ويتصرفوا عليه، وحين يتتصر

(١) نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص ١٤٠.

جيش ما مرة أو مرتين، ويكتب له الظفر على الأعداء فإن مائة منه بعد ذلك تغلب ألفاً من جيش العدو، وأن أي جيش آخر لن يقوى على التصدي له ومقاومته، كما أن جيوش البلدان المجاورة والمحاذية تهاب هذا الملك وتخافه؛ فتضع له عصا الطاعة والولاء" (١).

وكان من حسن التنظيم عند السلطان محمود أنه "كان يقسم رجاله فرقاً فرقا، ويجعلهم يتناوبون الأماكن المختلفة كل يوم، فأوقع في نفوس أعدائه أنه مصطحب معه عدداً أكثر من عددهم المترامي، إذ يرون كل يوم من المسلمين جديداً لم يقعوا عليه من قبل" (٢).

وأما عن أنواع الأسلحة في الجيش الغزنوي وتطورها فكما يلي:

١. سلاح الفرسان:

وهو من الأسلحة التي حظيت باهتمام كافة السلاطين المسلمين في الهند، كما دُعِم هذا السلاح بأمر الفرسان وأقوى الخيول، واعتبر من ركائز الجيوش الإسلامية في الهند، بدءاً بالفاتحين العرب بقيادة محمد بن القاسم الثقفي الذي اسند مهمة فتح السند والملتان إلى سلاح الفرسان بالدرجة الأولى (٣).

ويشير البلاذري هنا إلى عدد وحجم الجيش العربي الذي تحرك لفتح الهند، إذ يتكون من ستة آلاف من الفرسان والمشاة من أهل الشام والعراق

(١) نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ١٤٠، ١٤١.

(٢) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨٦.

(٣) د/ أحمد محمد الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ٨٧.

وغيرهم^(١).

وحينما تُستعرض قوات الدولة الغزنوية يُلاحظ تفوقها الكبير في تطوير سلاح الفرسان الذي شكل عماد الدولة الغزنوية في المشرق الإسلامي، كما اتفق أغلب المؤرخين الذين اهتموا بدراسة الإرث الغزنوي، على أن تلك الدولة حققت سيادة إسلامية واسعة وكبيرة على الهند وإيران وآسيا الوسطى وأفغانستان بفضل سلاح الفرسان الذي بناه القائد السلطان محمود الغزنوي^(٢).

واعتبر المؤرخ الإنجليزي الفنستون (ellphinston) أن الجيش النظامي في سلاح الفرسان وذلك قبل وفاة السلطان محمود الغزنوي بست سنوات بلغت ما تعدادها أربعة وخمسين ألف فارس من خيرة الفرسان؛ بينما يشير المؤرخ الحسيني إلى أن الجيش الغزنوي في سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) كان يتكون من مائة ألف فارس ما عدا الأتباع والأوباش، في حين أكد المؤرخ الأمريكي مير (meyer) على أن عدد الفرسان بلغ مائة ألف فارس^(٣).

ومما يُؤكد ما سبق - وهو أن عدد الفرسان في جيش الدولة الغزنوية زاد على الخمسين ألفاً وربما يصل إلى المائة ألف - ذلك العدد الذي ورد في كتاب السلطان محمود إلى الخليفة القادر بالله يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند وما اجتمع له من العساكر، وقد أورد هذه الرسالة الحميري في كتابه الروض

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٧١.

(٢) د/ أحمد محمد الجورانة: المرجع سابق، ص ٨٧.

(٣) د/ أحمد محمد الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٨٧؛ وينظر: العمادي:

خراسان في العصر الغزنوي، ص ١١٥.

المعطار، والذهبي في كتابه السير، فيقول الذهبي رَحِمَهُ اللهُ:

"وافتح ابن سُبُكْتِكِين عدة مدائن بالهند، وورد كتابه ففيه صدر العبد من غزنة في أول سنة عشر وأربع مئة، وانتدب لتنفيذ الأوامر، فرتب في غزنة خمسة عشر ألف فارس، وأمهض ابنه في عشرين ألفاً، وشحن بلخ وطخارستان باثني عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل، وانتخب ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف راجل لصحبه راية الإسلام، وانضم إليه المتطوعة فافتتح قلاعاً وحصوناً، وأسلم زهاء عشرين ألفاً وأدوا نحو ألف ألف من الورق وثلاثين فيلاً وعدة الهلكى خمسون ألفاً"^(١).

ومن خلال هذه الرواية السابقة يتبين لنا ضخامة عدد الفرسان المهرة في جيش الدولة الغزنوية؛ مما يعكس مدي الاهتمام الكبير والتطوير المستمر من السلطان محمود لهذا النوع من السّلاح.

٢. سلاح المشاة:

وأما سلاح المشاة فيأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد سلاح الفرسان، وإذا كانت غالبية الدول الإسلامية في الهند قد اتخذت من العناصر الإسلامية مثل الأتراك والمغول والفرس والأكراد والأفغان والعرب - التي والت تلك الدول الإسلامية - عناصر رئيسية لبنية سلاح الفرسان، فإن سلاح المشاة يختلف تماماً عن الطبيعة التي كانت تسيطر على الفرسان، حيث احتوى

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥ ص١٣٥؛ وينظر: الحِميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١ ص ٤٧٤.

هذا السلاح - المشاة - على المقاتلين الهنود الذين لا يملكون ثمن شراء الخيل أو السلاح^(١).

وحينما يطالع الإنسان مسيرة الفتح الإسلامي للهند، يُلاحظ أنَّ معظم الحروب الكثيرة التي قادها الغزنويون - على سبيل المثال - كانت تعتمد بالدرجة الأولى على فاعلية وكفاءة سلاح الفرسان، وإنَّ اهتمام الدولة الغزنوية بسلاح المشاة كان على نطاق ضيق جدًّا، بل تكاد أهمية هذا السلاح تتلاشى حينما يكون الحديث عن حركة الجيش الغزنوي تجاه الهند، ومع ذلك فإنَّ ثمة إشارات عند المؤرخين حول عدد ما تملكه تلك الدولة من مشاة، فالمؤرخ الفنستون (ellphinston) ذكر عدد سلاح المشاة في الجيش الغزنوي وقدره بحوالي عشرين ألفاً^(٢).

٣. سلاح الفيلة:

وهو من القطاعات الحربية التي استحدثها المسلمون في حربهم في آسيا، غير أنَّ هذا السلاح قد شهد تطورًا كبيرًا تحت رعاية الدولة الغزنوية التي بذلت جهدًا كبيرًا من أجل بناء جيش قوي قادر على تحقيق أهدافها، وبذلك تكون الدولة الغزنوية صاحبة السبق في مضمار تأسيس هذا النوع من الأسلحة في حضارة العرب المسلمين.

ومن الغريب أنَّ الدولة الغزنوية لم تكن تمتلك فيلاً واحدًا قبل مجيئها

(١) د/ أحمد محمد الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٨٨.

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

غازية إلى الهند، ففي حربها في آسيا الوسطى مع الأتراك لم يكن لديهم هذا النوع من السلاح؛ بل كانت البدايات في نشأة هذا السلاح كنتيجة من نتائج الانتصارات التي حققوها على أرض الهند، ومكتسباً من مكاسب الحروب؛ حيث كانوا في كل معركة يخوضونها مع الهند يغنموا فيلةً كثيرةً، وأحياناً يصلحوا الهنود على فيلةٍ بدلاً من الأموال^(١).

وقد خلص المؤرخ الهندي محمد حبيب إلى أن مجموع ما كانت تمتلكه الدولة الغزنوية من الفيلة في جيش السلطان محمود الغزنوي قد تجاوز الألفين وخمسمائة فيل^(٢).

المطلب الثاني: إشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب

الدولة:

ومما لاشك فيه أن اشترك الهنود في الجيش الغزنوي كان خطوة مهمة في طريق الالتحام بين الهنود والإسلام؛ إذ شكل الهنود القوة الثانية في الجيش الغزنوي، بعد قوة الغلمان الأتراك، فقد كانوا يشبهونهم في افتقارهم إلى الروابط الأسرية وتأثرهم بمصالحهم الشخصية في ولائهم للدولة التي يخدمون فيها^(٣).

ولقد كانت لحملات السلطان محمود الغزنوي وانتصاراته في الهند الأثر

(١) المرجع نفسه، ص ٨٩.

(٢) المرجع نفسه، نفس الصفحة، وذكر ابن خلدون في تاريخه أن غزنة كانت تحتوي على مربط لألف فيل يحتاج كل واحد منها لسياسته ومائدته خطة واسعة. ابن خلدون: العبر، ج ٤٩١ ص ٤٩١.

(٣) ينظر: العتبي: تاريخ اليميني، ج ٢، ص ٧٩.

الكبير في تدعيم جيشه بأعداد كبيرة من الهنود، من خلال ثلاثة مصادر هي:-

١. عن طريق السبايا.

٢. أفراداً انضموا للجيش جنوداً مرتزقة، طامعين في الأموال والغنائم.

٣. جنود انضموا إلى الجيش الغزنوي بموجب اتفاقية عقدها ملكهم مع السلطان محمود الغزنوي^(١).

ونتيجة لهذه الزيادة في تعداد الهنود في غزنة لم يجد السلطان محمود بداً من الاهتمام بشئون هؤلاء القوم، وأن يجعل لهم حياً سكنياً خاصاً بهم في عاصمته^(٢).

وكان للهنود قائد خاص بهم مثل القائد "سوندرا" و "تلك بن حجام"، وكان رسم توليه لهذا المنصب خلعة ذهبية من السلطان، ويلبسه في رقبة طوقاً ذهبياً مرصعاً بالجواهر، ويمنحه الخيل ويضرب له على الطبول، وهذا الأمر كان وفق ما يفعله الهنود في مراسمهم لعظمائهم^(٣).

وقد قدر عدد الهنود في جيش محمود الغزنوي بثلاثين ألفاً، ووكل إليهم سلاح الأفيال لمهارتهم الخاصة في حسن استخدامه أثناء الحرب، كما برعوا في سلاح الفرسان^(٤).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ٥٥.

(٢) فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ٢٨٤.

(٣) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤٣٠، ٤٣١.

(٤) فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ص ٢٨٤.

واستطاع الهنود كسب ثقة حكام غزنة، حيث أوكل إليهم محمود الغزنوي بعض الإمارات الهندية، وكذلك حينما لم يطمئن مسعود بن محمود لزيادة نفوذ الأتراك في دولته اعتمد عليهم، فذاك القائد "تلك بن حجام" - كما سبق - والقائد "سوندرا" كان على رأس قوة كبيرة من الفرسان الهنود، وقد أرسله السلطان مسعود لإخضاع بعض الأمراء الخارجين على حكمه؛ بل إن مسعوداً عندما لم يقدر على صد الخطر السلجوقي في خراسان وتعرض لعدة هزائم متتابة، فكر في نقل مقر حكمه إلى الهند؛ ليتخذاً قاعدة ينطلق منها لمحاربة السلاجقة^(١).

ومع نهاية العصر المتأخر للدولة الغزنوية أصبح الهنود القوة الأساسية في الجيش الغزنوي، بعد أن فقد هؤلاء السلاطين ممتلكاتهم في خراسان، ولم يبق لهم سوى أملاك الهند، فقد استعان بهم أرسلان شاه (٥٠٩هـ / ١١١٨م - ٥٤٧ / ١١٥٢م) في حربه ضد الغوريين^(٢).

ومما لا شك فيه أنه من الإجراءات المهمة التي قام بها السلطان محمود - والتي ساعدت على نشر الإسلام بين الهنود- إبقاء الأمراء الهنود- الذين أعلنوا إسلامهم ودخلوا في طاعته- في مناصبهم، مثل نواسة شاه؛ ولكنه لما ارتد قبض عليه السلطان مثل حاكم كالنجر وكواليار، فأتاحت هذه الفرصة للاندماج بين الترك والهنود، فهذا "تلك الهندي" كان مقرباً من السلطان مسعود، و مترجماً للوزير الميمندي بينه وبين الهنود، كما كان يجيد الكتابة باللغة الفارسية

(١) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤٣٠، ٤٣١، ٦٢٩.

(٢) فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي: السياسة الخارجية للدولة الغزنوية، ٢٨٤.

والهندية، ونظرًا لكفاءته لم يتوان السلطان مسعود في تعيينه نائبًا عنه في الهند^(١). وهكذا كان من أهم العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في الهند إشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش الإسلامي مع السلطان محمود، حتى أن بعض الأهالي التي لم تكن على الدين الإسلامي وقفوا إلى جانب السلطان في كثير من فتوحاته^(٢).

ومن الخطوات المهمة التي اتخذتها الدولة في عهد السلطان محمود عملية الاندماج بين سكان هذه الدولة المترامية الأطراف، حيث قام السلطان بتدعيم هذه المناطق، وبخاصة بلاد الهند بدماء جديدة، وذلك بإتباعه سياسة التهجير الإجباري، فكان يُرسل إليها من يُريد التخلص منه، سواء أكانوا أفراداً أو جماعات، وغالبًا ما كان يتم هذا التهجير بأعداد كبيرة لتصل أحيانًا إلى عدة آلاف.

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢٩: ٣١.

(٢) ولا بأس في أن يستعين المسلمون بغير المسلمين في الأمور التي لا تتصل بالدين، ومنها الشؤون الإدارية والحربية، وأن يُسهم لهم في الغنائم كالمسلمين، وقد استعان النبي ﷺ بناس من اليهود وأسهم لهم. يُنظر: د/ يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٩٥، ٢٩٦، وتشير بعض المصادر إلى ثمة تطور حدث في هذه المنطقة قبل ظهور الدولة الغزنوية وهو أن الدولة الأموية بدأت تجند أبناء البلاد لتدفع بهم إلى المعركة، كما دفعت بربر المغرب الأقصى إلى معركة الأندلس، كما ضمنت أن يتطرق الإسلام إلى قلوب هؤلاء المطوعة بعد اختلاطهم بالعرب والتعاون معهم. يُنظر: الطبري: مرجع سابق، ج ٤ ص ٢١؛ حسن أحمد محمود: آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، ص ١٤٦؛ ومن خلال ما سبق يتضح أن تلك السياسة كانت متبعة قبل ظهور الدولة الغزنوية، وقد أبدت ثمارها؛ الأمر الذي جعل الدولة تسير على تلك السياسة.

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن الأثير في (الكامل) حينما استولى السلطان محمود على خوارزم، فيذكر أنه: "سَيَّرَ الأسرى أفواجًا تلو الأخرى إلى غزنة، ثم سَيَّرَهُم إلى الهند، -حتى إنَّ قطار الأسرى كان ممتدًّا من بلخ حتى لاهور والملتان-، ثم أخرج هؤلاء بعد وصولهم إلى الهند وسَيَّرَهُم إلى أطرافها، ليحموها من الأعداء ويحفظونها من الفساد، كما ألحق بهم المناوئين لحكمه^(١)، وبهذا العمل وضع السلطان محمود ثقلًا بشريًّا إسلاميًّا في الهند، كان عاملاً قويًّا في تدعيم الوجود الإسلامي بهذه البلاد.

وفضلاً عن هؤلاء فقد تمت هجرات عن رضا نفس من أصحابها، وغالبًا ما كانت تتجه إلى الهند، وكان هؤلاء يهدفون بهجراتهم، إما الاشتراك في الجهاد والحملات الغزنوية والعمل في مجال نشر الدعوة الإسلامية بين أهل الهند، أو رغبة في تحسين أحوالهم المعيشية، وفي كلتا الحالتين استقرت هذه الجماعات في بلاد الهند، واتخذوا منها وطنًا لهم^(٢)؛ الأمر الذي كان له أثره العظيم في مجال الدعوة إلى الله تعالى.



(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ٩٤ ، ٩٥ بتصرف يسير.

(٢) محمد أمان صافي: أفغانستان والأدب العربي عبر العصور، ص ٣٨٦.

المبحث الثاني

تأمين الطرق ونبذ الفرقة والخلاف والقضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تأمين الدولة الغزنوية للطرق داخل وخارج

حدودها:

إنَّ المطلع على تاريخ الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود يجد بلا أدنى شك أنَّها كان لديها إحساس عظيم بالمسؤولية الضخمة تجاه رعاياها؛ لذا فقد كانت الدولة تفعل كل ما في وسعها من أجل المحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم، يتضح ذلك جلياً من خلال المواقف المحمودة الآتية:

نما إلى علم السلطان محمود أنَّ بلاد الغور التي تجاور غزنة - وكانوا كَفَّارًا- يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وكانت بلادهم عبارة عن جبال وعرة ومضايق غلقة، وكانوا يحتمون بها فلما كثر ذلك منهم لم يُطق السلطان على ذلك صبراً، وأنف أن يكون مثل هؤلاء جيرانه وهم على هذه الحال من الكفر والفساد، فعزم على حربهم وكسر شوكتهم، فلمَّا تمكن منهم، أمر بإظهار شعائر الدين فيهم، وترك عندهم من العلماء من يعلمهم شرائعه وعاد.

يقول الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام): "وبقيت جبال الغور في وسط

ممالك السلطان محمود وبها قوم من الضلال الخالين عن سمة الإسلام، يُخيفون السبيل ويتمنعون بتلك الجبال الشواهد، فأهم السلطان شأنهم، وصمم على تدويخ ديارهم، وانتزاع بكرة الاستطالة من رؤوسهم، فاجلب عليهم بخيله ورجله، وقدم أمامه والي هراة (التونناش)، ووالي طوس (أرسلان)، فسارا مقتحمين مضايق تلك المسالك إلى مضيق قد غص بالكمأة، فناشدوا الحرب تناوشًا بطلت فيه العوامل إلا الصوارم في الجماجم، والخناجر في الحناجر وتصابر الفريقان حتى سالت نفوس، وطارت رؤوس، فلحقهم السلطان في خواص أبطاله، وجعل يلجئهم إلى ما وراءهم شيئًا فشيئًا، إلى أن فرقهم في عطفات الجبال، واستفتح المجال إلى عظيم الكفرة المعروف بابن سوري فغزاه في عقر داره، وأحاط ببلده، وشد عليه، فبرز الرجل في عشرة آلاف كأنما خلقوا من حديد، وكان أكبادهم الجلاميد، يستأنسون بأهل الوقائع استئناس الظبايا السرايع، ودام القتال إلى نصف النهار، فأمر السلطان بتوليتهم الظهور استدراجًا، فاغثروا وانقضوا على مواقعتهم، واغتموا الفرصة فكرت عليهم الخيول بضربات غنيت بذواتها عن أدواتها، فلم ترتفع منها واحدة إلا عن دماغ منثور، ونياط مبتور، وصرع في المعركة رجال كهشيم المحتظر، أو أعجاز نخل منقعر، وأسر ابن سوري وسائر حاشيته، وأفاء الله على السلطان ما اشتمل عليه حصنه من ذخائره التي اقتناها كابر عن كابر، وورثها كافر عن كافر، وأمر السلطان بإقامة شعار الإسلام فيما افتتحه من تلك القلاع، فأفصحت بالدين المنابر، واشترك في عز دعوته البادي والحاضر، ولعظم ما ورد على ابن سوري

مص فص خاتم مسموم فأتلف نفسه، وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين" (١).

ولقد كان هذا الغرض - تأمين الطرق - في مقدمة الأسباب التي دفعت الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود إلى الزحف بجيوشها والاستيلاء على بلاد الري، وأسر حاكمها، وقتل جماعة منها؛ وذلك حينما تابعت الرسائل على السلطان بفساد هذه البلاد، وقطعهم الطريق على الناس؛ لدرجة أن الناس أصبحوا لا يأمنون على حياتهم وأعراضهم، فانتخى السلطان لها، وهرع على الفور لنجدة الناس، ومحو آثار الظلم والفساد والفجور من هذه البلاد.

فتطالعنا بعض المصادر على هذه الحقيقة فتبين أن تأمين الطرق كان في مقدمة الأغراض التي من أجلها جاء السلطان إلى الري، فيذكر صاحب كتاب (سياست نامه): "أن السلطان محمود كتب إلى أبي علي الياس أمير كرمان وتيز (٢) الرسالة التالية "لم يكن غرضي من القدوم إلى العراق الاستيلاء عليها، فقد كنت في غزو وجهاد مستمر بالهند؛ لكنني أتيتها لكثرة الرسائل المتعاقبة التي كانت تصل إلي من المسلمين، وكلها تتحدث عن فساد الديالمة وظلمهم بالعراق، وإظهارهم البدعة والجهر بها، ونصبهم الكمائن على ملتي الطرق ومعابرها، فكلما مرت امرأة أو غلام طيرير وسيم ينقضون عليهم ويأخذونهم عنوة، ويرتكبون الفاحشة معهم" (٣).

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٧ ص٢٤٥، ٢٤٦؛ وينظر: ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٨٥؛
الشيخ محمد الخضري: الدولة العباسية، ص٣٨٠.
(٢) (وذلك بعد فتح الري).
(٣) نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص١٠٢.

وفي هذه الأثناء (أي لما استولى السلطان محمود على العراق) سرق لصوص من "كوج وبلوج"^(١) بضاعة امرأة كانت في إحدى القوافل النازلة بدير الجص، فمضت المرأة إلى السلطان محمود تشكو إليه قائلة: "لقد سرق اللصوص ما بحوزتي من بضاعة بدير الجص، فإما أن تستردها وإما أن تعوضني بها" فقال محمود: "أين يقع دير الجص؟" قالت المرأة: "خذ من الولايات ما تستطيع أن تعرف ما يدور فيها وتوفىها حقها وتحفظها" فقال: "حق ما تقولين، ولكن أتدرين من أي قوم كان أولئك اللصوص ومن أين أتوا؟" قالت: "من كوج وبلوج وقد جاءوا من قرب كرمان" قال محمود: "ذلك المكان بعيد عن متناول اليد وهو خارج عن نطاق ولايتي ولا حكم لي على لصوصه" فقالت المرأة: "أي سلطان أنت ولا تستطيع أن تدبر ولايتك، وأي راعٍ أنت ولا تستطيع أن تحمي الشاة من الذئب، شتان بيني وبينك أنا في ضعفي وانفرادي، وأنت في قوتك وجيشك" فترقرقت في عيني محمود الدموع وقال: "حق ما تقولين، ما أنا فاعله الآن هو أن أعوضك عن بضاعتك، أما اللصوص فسأعمل على التصرف بشأنهم ما وسعني جهدي"، وأمر بتعويض المرأة عن بضاعتها من الخزانة^(٢).

وبالنظر في الحوار السابق الذي دار بين تلك المرأة الضعيفة التي اغتصب مالها وبين السلطان محمود يتبن مدى ثقة المرأة في عدل السلطان، ومدى طمعها في نصرته، وأنه لا يقبل الظلم والفساد بأي حال من الأحوال؛ لذا لم يقبل عقلها

(١) التي كانت تابعة لولاية كرمان.

(٢) نظام الملك: المرجع السابق، ج١ ص ١٠١ بتصرف يسير.

أن يرد عليها السلطان بقوله: " أن المكان خارج عن نطاق ولايتي ولا حكم لي على لصوصه " فأخذت تذكره بقوته وضعفها، وأن هذا الكلام غير مقبول من أصحاب النخوة والشهامة أمثالك؛ الأمر الذي جعل السلطان يبكي، ويأمر بتعويضها عما افتقدته من مالها، كما أثارت حميته أيضاً؛ حيث أنه يجب ألا يحدث هذا في عهد السلطان وهو من القوة والهيبة مالا يخفي على أحد، فكيف يجرأ أمثال هؤلاء على هذا الصنيع؛ لذا قام السلطان على الفور باتخاذ الإجراءات اللازمة للقضاء على هؤلاء اللصوص.

أولاً: أرسل إلى أبي علي الياس والذي كان مجاوراً لهذه البلاد يلومه على ما حدث، ويأمره بالقبض على هؤلاء اللصوص وشنقهم، أو إرسالهم مكبلين إلى السلطان.

ثانياً: شرع في إحكام خطة من شأنها القضاء على كبار اللصوص خارج منطقتهم، ثم القضاء على بقيتهم في "كوج وبلوج"، وإراحة الناس من شرهم، وتأمين السلامة للمسافرين وغيرهم^(١).

وهكذا لم تألو الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود جهداً في تأمين الطرق وتذليلها، وضمان السلامة للناس، مهما كلفها ذلك من مال ونفقات.

(١) لمعرفة المزيد حول خطة السلطان محمود في القضاء على هؤلاء اللصوص ينظر كتاب: سياست نامه، لنظام الملك، ج١ ص ١٠٢: ١٠٦.

المطلب الثاني: نبذ الفرقة والخلاف والقضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية:

لاشك أن استقرار الجبهة الداخلية يعد أحد العوامل الهامة في تحديد قوة الطرف الإسلامي في تفاعله مع الأطراف غير الإسلامية، فعلى سبيل المثال اهتم أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في أول عهده بالفتوحات لتدعيم الجبهة الداخلية، وكان نجاحه في هذا الصدد أحد العوامل الرئيسية في ازدهار الدولة الأموية، واهتم العباسيون والمماليك بدعم هذه الجبهة الداخلية، كما احتفظت الإمارة العثمانية خلال فترة نموها وبناء دولتها بوحدها السياسية^(١).

ولم تغفل الدولة الغزنوية هذا الجانب، حيث ظهرت سياستها - بقيادة سلطانها محمود - منذ الوهلة الأولى، فقامت بالقضاء على الخصوم المعارضين لها داخل الدولة الإسلامية لتستعد لنشر الإسلام في الخارج؛ وكما سبق القول فإنه حينما تولى السلطان محمود حكم الدولة الغزنوية وجد أن أوضاع العالم الإسلامي شديدة الاضطراب على المستوى الداخلي؛ حيث تفرقت دولة الخلافة وتمزقت أوصالها لأشلاء مبعثرة في شكل دولة هنا وهناك، ومعظم هذه الدول قد أصبح نكبةً ووبالاً على الإسلام، واستبدلوا بالجهاد في سبيل الله الصراع على الأرض والطين، ووصل الحال بالخليفة إلى أن أصبح لا حول له ولا قوة ألعوبة في يد قادة الجيش، والمتغلبين من ولاية الأقاليم.

(١) ودودة عبد الرحمن بدران: وضع الدول الإسلامية في النظام الدولي في أعقاب سقوط الخلافة، ص ٨٩.

وليس هذا فقط؛ بل ظهرت بعض الفتن والحركات الخارجة ضد حكم الدولة الغزنوية، وخاصة في خراسان وسجستان، فتصدى لها السلطان محمود؛ لحماية وحدة المسلمين وكلمتهم، وضرب بيد من حديد ضد الخارجين علي الدولة.

وكان أول ما قام به السلطان محمود بعدما تغلب على أخيه إسماعيل، وكسب معركة عرش غزنة، أن احتجزه في بعض القلاع، وخصه بكل تسامح وعطف يليق بمكانته؛ معاملة بجنس مقصوده.

يقول ابن خلكان رحمته الله: "وكان السلطان محمود قد اجتمع بأخيه إسماعيل في مجلس الأئس بعد ظفره به فسأله عما كان في نفسه أنه يعتمده في حقه لو ظفر به؟ فحملته سلامة صدره ونشوة السكر على أن قال: كان في عزمي أن أسيرك إلى بعض القلاع موسعاً عليك فيما تقترحه من دارٍ وغلماٍ وجوارٍ ورزقٍ على قدر الكفاية؛ فعامله بجنس ما كان قد نواه له وسيره إلى بعض الحصون وأوصى عليه الوالي أن يمكنه من جميع ما يشتهي"^(١).

كما قام السلطان محمود بعدة معارك مع أمراء آل سامان وقادتهم حتى صفت له بلاد خراسان، فيذكر ابن خلكان: "أنه لما انتظم الأمر للسلطان محمود كان في بعض بلاد خراسان نواب لصاحب ما وراء النهر من ملوك بني سامان فجرى بين السلطان محمود وبينهم حروب انتصر فيها عليهم وملك بلاد خراسان وانقطعت الدولة السامانية منها وذلك في سنة تسع وثمانين

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ص ١٧٧.

وثلاثمائة" (١).

ولا شك أنّ الدولة السامانية كانت دولةً قويّةً سنيّةً ظاهرةً، حفظت البوابة الشرقية للعالم الإسلامي لفترةٍ طويلةٍ؛ ولكنها لم تقم بدور الدعوة ونشر الإسلام في امتداد الشرق الإسلامي، وكان عصرهم كله حروب وصراعات مع الجيران، ولم تكن لولاية هذه الدولة سياسة رشيدة، ولا اتجاه واضح؛ مما جعل المشاكل والمتاعب تأتي كثيراً من جانبهم، خاصة بعدما اقتتلوا فيما بينهم ودب الفساد والانحراف فيهم؛ مما أدى إلى زوال هيبتهم وضعف دولتهم، وأصبحوا عائقاً أمام حركة الفتوحات الإسلامية، والتي كان ينوي السلطان محمود القيام بها، وبالفعل قضى محمود بن سُبُكْتِكِين على الدولة السامانية، بعدما انتصر على عبد الملك بن نوح الساماني عند مدينة مرو سنة (٣٨٩هـ)، وأنهى الوجود الساماني بخراسان، ثم أنهاه بسجستان سنة (٣٩٣هـ) (٢).

وفي هذه الأثناء انتهر خلف بن أحمد والى سجستان فرصة انشغال السلطان محمود بتلك الحروب -وعلى الرغم من تبعيته للدولة الغزنوية- فسير ابنه طاهر إلى قهستان فملكها، ثم سار منها إلى بوشنج -من أعمال خراسان- واستولى عليها (٣).

(١) المرجع نفسه، ج٥ ص١٧٧؛ وينظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: الإعلام، ص٧١.
 (٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١ ص٣٢٥؛ د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٢٥؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٨٨.
 (٣) ينظر: ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٣٤؛ د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، ص٩٦، ٩٧.

لكن السلطان ما كاد ينتهي من حروبه حتى عول على استعادة البلدان التي استولى عليها خلف بن أحمد، كما سار السلطان بنفسه إلى خلف، فتحصن منه؛ لكن السلطان محمود ضيق عليه الخناق حتى أعلن ولاءه لغزنة واقتدى نفسه بمبلغ كبير من المال سنة (٣٩٠هـ/٩٩٩م)^(١). غير أن خلف بن أحمد أظهر نواياه السيئة نحو السلطان محمود، وعلم السلطان محمود بأن خلف بن أحمد يستعد للتخلص من الحكم الغزنوي لبلاده، فأرسل السلطان إلى خلف جيشاً باغته في حصن اعتصم به، وقبض عليه^(٢)؛

وبذلك تأكد النفوذ الغزنوي على سجستان سنة (٣٩٣هـ/١٠٠٢م)^(٣).

كما وقف السلطان محمود "ضد آل بويه بالري ومن على شاكلتهم من السلاجقة الذين لا يرحبون بقيام مُلكٍ إسلاميٍّ كبيرٍ، وسيكونون بتأمرهم المتواصل سداً في طريقه، فرأى -لبعد نظره- أن يضم ممالكهم إلى سلطانه؛

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٣٤، ٤٣٥؛ د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، ص٩٧.

(٢) ولقد كان من جملة الأسباب التي دفعت السلطان محمود إلى القبض على خلف ثم قتله، أن خلفاً قتل آلافاً من المسلمين المعتدلين وما ذلك إلا لأنهم كانوا يخالفون مذهبه، يقول ابن خلكان: قال ياقوت: "كان خلف في أول أمره على مذهب أهل الرأي، وكان أهل مذهبه يغرونه بقتل من خالف مذهبه، فقتل ألوفاً كثيرة على ذلك الرأي، ثم إنه رجع عن مذهب أهل الرأي إلى مذهب أهل الحديث، فقتل خلقاً كثيراً من أهل الرأي، فقبض عليه السلطان محمود بن سبكتكين وحبسه في قلعة، فشرب دواء حتى غاب رشده وخيّل إلى الموكّلين به أنه قد مات فسُلّم إلى أهله، فجعلوه في تابوتٍ ومضوا به، فبلغ ذلك السلطان فقبض عليه مرةً أخرى، ففعل فعلته الأولى، فأمر السلطان أن يجعل في تابوتٍ ويغلق حتى مات. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ص٣٧٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٣٥؛ د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٩٧.

ليجد من الوحدة الشاملة ما يساعد على تحقيق مشروعه الكبير في نشر الإسلام^(١).

ولقد كان السلطان محمود رَحِمَهُ اللهُ يحرص أشد الحرص على وحدة الصف المسلم؛ لذا كان ينهي عن الاختلاف المؤدي إلى الفرقة، كما كان يبغض الجدل وينهى عنه.

يذكر الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: "أَنَّ قاضي القضاة الدامغاني، قال: قرأت على أبي صالح الفقيه بدامغان - وهو من أصحاب أبي عبد الله الجرجاني - وأصابني جدري، فاكتحلت، وجئتُ إلى المجلس بعدما برئت، فقال: أنت مجذور فقم، فقمْتُ، وقصدتُ من دامغان نيسابور، فأقمتُ أربعة أشهر، وصحبتُ أبا العلاء صاعد بن محمد الاستوائي قاضياً... وجرت فتنة بين الطوائف هناك فمنعهم محمود بن سُبُكْتِكِين من الجدل، فخرجتُ إلى بغداد ووردتها^(٢).

وهكذا كان السلطان محمود رَحِمَهُ اللهُ لا يقبل أي خللٍ في دولته من شأنه أن يتسبب في غرس بذور الفرقة بين المسلمين، أو أن يحدث فتناً أو خلافاتٍ أو شحناً بين المسلمين؛ فقد كان رَحِمَهُ اللهُ صارماً في هذا الجانب، كما كان يشتد في معاقبة المعتدين، ولو كانوا من أقرب الناس إليه.

فقد سبق أن رأينا موقفه حينما اشتكى له بعض رعيته يوماً أن ابن أخته يعتدي على حرمة بيته وحرمة زوجته، محتمياً بقرابته من السلطان، حيث نذر

(١) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨٢.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٢ ص ٢٥٠.

السلطان محمود ألا يأكل ولا يشرب حتى يأخذ حق هذا الرجل الضعيف، وظل صائماً عدة أيام، حتى ضبط ابن أخته وهو يزني بامرأة هذا الرجل قسراً عنها، فأخذه وقتله بيده؛ حتى يرتدع كل من تسول له نفسه وقرابته من السلطان أن يخالف الشرع ويعتدي على الناس.

ولمّا تقدمت امرأة إلى السلطان بدعوى ضد عامل نيسابور لمصادرته أملاكها، تم جلد هذا العامل، وطرده من وظيفته^(١).

ومما سبق يتضح بجلاء أنّ الدولة الغزنوية بذلت أقصى طاقتها من أجل توحيد الأمة، ونبذ الفرقة والخلاف، والقضاء على الفتن والثورات؛ وعلى الرغم من هذا الملك العظيم للسلطان محمود واتساع دولته حتى أقصى بلاد الهند؛ إلا أنه كان يدين بالولاء للخليفة العباسي القادر بالله، ولم ير الخروج عليه أبداً، وكان يخطب له على منابر بلاده أولاً، ثم اسمه ثانياً، ولقد حاول الفاطميون استمالته أكثر من مرة وأرسلوا له الهدايا والتحف ولم يطلبوا منه سوى أن يخطب لهم في بلاده، فكان يرسل بتلك الهدايا للخليفة العباسي حتى تحرق في دار الخلافة^(٢)، وكان يمثل لأوامر الخليفة ويعمل بها دائماً، ولم يعترض يوماً على الخليفة العباسي؛ على الرغم من قوته وضعف الخليفة.



(١) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٠٨.

(٢) ينظر: المبحث الأول، من الفصل الرابع.

المبحث الثالث

مواجهة أهل العقائد المنحرفة والملل الزائفة خارج حدود الدولة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القضاء على أكبر ملوك الهند جييال:

على الرغم من عظمة الأعمال التي قامت بها الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود على المستوى الداخلي، وأثرها القوي والبعيد على الشرق الإسلامي كله؛ إلا أن ما قامت به على المستوى الخارجي - وأقصد بذلك تلك الحملات الجهادية العظيمة التي قامت لأكثر من ثلاثين سنة متصلة على بلاد الهند وما حولها-، هي التي رفعت ذكر هذه الدولة بقيادة ذاك السلطان العظيم، وأعلت شأنها وبيضت صفحتها في التاريخ، وبوأتها مكانة لم تصل إليها دولة بعدها من الفتوحات والجهاد في سبيل الله، ومن أبرز هذه الأعمال القضاء على أكبر ملوك الهند جييال.

حيث لم تكن شبه الجزيرة الهندية وحدة سياسية واحدة تحكمها إدارة وحاكم واحد، فلقد كانت مقسمةً لعدة أجزاء وإمارات وأقاليم؛ وذلك لضخامة مساحتها وكثرة الصحاري بها، وكل إقليم كان له ملك يحكمه، وكان أكبر هؤلاء الملوك سنًا وشأنًا وقوةً وبأسًا هو الملك "جييال"، وكان في نفس الوقت أشدهم حقدًا وكرهًا للمسلمين عمومًا، وآل سُبُكْتِكِين سلاطين الدولة

الغزنوية خصوصاً؛ حيث أنه قد سبق وأن التقى في معركة كبيرة مع الأمير سُبُكْتُكِين سنة (٣٦٩هـ) وهزمه "سُبُكْتُكِين" هزيمة منكرة جعلت قلبه يحترق ويتلظى على المسلمين^(١).

ولما انتهت الدولة الغزنوية - بقيادة السلطان محمود - من الأمور الداخلية جعلت كل همها القضاء على "جيبال" هذا، وبالفعل قام السلطان محمود بحملة جهادية كبيرة على شمال الهند، حيث معقل جيبال، واصطدم معه في معركة "برشور" في المحرم سنة (٣٩٢هـ)، وصبر المسلمون على القتال رغم الفارق الهائل بين الجيشين^(٢).

فلما انتصف النهار انهزم الهنود وقتل معظمهم، ووقع جيبال نفسه في الأسر، وكان في عنقه قلادة من الجواهر الثمين تقدر بمائتي ألف دينار وحدها، فصار هو وماله وعشيرته غنيمة للمسلمين، وقتل من الكفار خمسة آلاف، ومن الفيلة خمسة عشر فيلاً، وكان السلطان محمود شديد الذكاء وعلى دراية تامة بنفسية كفار الهند فبعدهما أسر جيبال وألبسه شعار الذل، أطلق سراحه نظير دية ضخمة، وهو يعلم ما سيفعله به قومه^(٣).

لقد كانت عادة الهنود أنهم من وقع في الأسر من ملوكهم لا تنعقد له رئاسة عليهم أبداً، فلما عاد جيبال إلى بلده ورأى حاله، وما صار إليه من هزيمة وذل

(١) ينظر المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٢) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٣٣٠؛ الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج ١ ص ٩٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ٢٠.

وعار وضياع ملك ومال، حلق رأسه، ثم ألقى بنفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة^(١)، وبذلك أزال محمود أكبر عقبة في طريقه لنشر الإسلام بالهند.

إنَّ كل ما قام به السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين على الصعيد الداخلي وإزالته للدولة البويهية والسامانية وكل الفرق الباطنية الضالة، كان من أجل الهدف الأسمى الذي نذر محمود حياته من أجله ألا وهو نشر دين الإسلام في بلاد الهند والجهاد في سبيل الله ﷻ، فلقد استمر محمود في سلسلة طويلة من الحملات الجهادية على شمال الهند ابتداءً من سنة (٣٩٢هـ حتى سنة ٤١٨هـ).

بدأ محمود فتوحه في الهند من مركز قوة، فلقد كان يسيطر على إقليم غزنة وهو الإقليم الجبلي الذي يشرف على سهول البنجاب، فكانت مداخل الجبال وممر خيبر في يده، كذلك كان قد مد سلطانه على كل بلاد إيران وما وراء النهر، فلم يعد هناك عدو يناوئه في شمال البلاد أو غربها، وبهذا تمكن من أن يوجه كل قواه نحو الشرق حيث الشمال الهندي^(٢).

لم تقف جهود الدولة الغزنوية عند حدود المواجهات مع ملوك الهند وإماراتها المختلفة؛ بل تعداه إلى أن يضع حداً حاسماً للإمارة العربية الشيعية المتواجدة في إقليم المُلتان^(٣)، والتي بدأت تضع الكثير من العراقيل في وجه

(١) ينظر: ابن الأثير: المرجع نفسه، ج٨ ص ٢٠؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص ٩٧.

(٢) ينظر: محمود شاکر: التاريخ الإسلامي المعاصر، القارة الهندية، ص ١٧؛ د/ إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية، ص ٣١٥.

(٣) والمُلتان حالياً: مدينة باكستانية تقع في الجزء الجنوبي من محافظة البنجاب، وهي من أكبر مدن باكستان، تبعد عن كراتشي بحوالي ٩٦٦ كلم، وسميت المُلتان باسم الصنم وهي مولا

الغزنويين وبرنامجهم في السيطرة على الهند، فقاد السلطان أول حملة على تلك الإمارة المتمردة، والتي يتزعمها "أبو الفتوح داود بن نصر الشيعي"، وذلك سنة (٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م)، حيث استسلم أبو الفتوح للسلطان وبايعه كزعيم جديد على الهند^(١).

وبناءً على هذا أقره السلطان أميراً على الملتان؛ إلا أنه لم يحافظ على العهد الذي أبرم بينه وبين السلطان الغزنوي، حتى سارع إلى إعلان حالة العصيان والتمرد على الدولة الغزنوية، رافضاً الانصياع والخضوع للغزنويين، وقد كان نقض أبو الفتوح للعهد مبرراً أمام السلطان محمود وذريعة لشن الحرب على الملتان من جديد؛ الأمر الذي جعل السلطان يقود حملة كبيرة وذلك سنة (٤٠١هـ/ ١٠١٠م)، ونجح في القبض على حاكم الملتان الشيعي، وأرسله إلى مدينة غزنة وسجن في قلعة "غور" في أفغانستان إلى أن مات فيها، وبذلك يكون السلطان محمود قد قضى نهائياً على الدولة العربية الشيعية في الملتان^(٢).

ثم سار السلطان إلى كواكير، وكان بها ستمائة صنم، فافتتحها وأحرق أصنامها وهرب صاحبها إلى قلعة له، فسار خلفه إليها، وهي حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان وفيه خمسمائة فيل، وعشرون ألف دابة، وهو مشحونٌ بالأقوات، والمسالك إليه متعذرة بخمر الشجر وملتف الغياض، فأمر السلطان

(اسم الملة) استهان (مكان) وبعد ذلك تحول اسم من مولاستهان الي ملتان. ينظر:

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org/wiki/ملتان.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ص ٣٤؛ وينظر: الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٩٨.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ص ٣٤؛ الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية،

ج١ص ٩٢.

بقطع الأشجار حتى اتضحت المسالك، واعترضه دون الحصن وادٍ عظيم العمق بعيد القعر، فطم منه عشرين ذراعاً بالأجره المحشوة بالتراب وصيره جسراً، ومضى منه إلى القلعة وحاصرها ثلاثة وأربعين يوماً، حتى طلب صاحبها الصلح، فلم يجبه السلطان إلا بعدما بلغه أن إيلك خان مجمع على غزو خراسان، فصالحه على خمسين فيلاً، وثلاثة آلاف من الفضة وخلع عليه السلطان، فلبس خلعتة، وشد منطقتة، ثم قطع أصبعه الخنصر وأنفذها إلى السلطان توثقة فيما يعتقدونه، وعاد السلطان إلى خراسان بعد أن كان عازماً على التوغل في بلاد الهند^(١)، وبهذا أصبحت كل نواحي السند إلى حوض البنجاب بلاداً مسلمة.

وفي سنة (٣٩٧هـ) سار يمين الدولة نحو الهند؛ والسبب في ذلك أن حفيد جيبال السابق ذكره - كان قد أسلم على يد السلطان فاستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم، فبلغ السلطان أنه ارتد عن الإسلام ومال لأهل الكفر والطغيان، فسار إليه مجدداً، فحين اقترب منه فر من بين يديه، واستعاد يمين الدولة تلك الولاية وأعادها إلى حكم الإسلام، واستخلف عليها بعض أصحابه ورجع إلى غزنة^(٢).

انتهاز أمراء الهند فرصة غياب السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين لتأديب الخارجين عليه في بلاد ما وراء النهر، وخلعوا طاعته وجمعوا قواتهم لقتاله وذلك سنة (٣٩٨هـ) فعاد الأسد المجاهد بمنتهى السرعة في جيش كثيف من

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص٣٥؛ ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٨٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٨٤؛ زيني دحلان: الفتوحات الإسلامية، ج١ ص٣٣١، ٣٣٢.

الأبطال المجاهدين وهزم الجيش الهندي المتحد هزيمةً ساحقةً وذلك عند قلعة "بهيم نغر" على سفح "الهمالايا"، وعندها أذعن كل أمراء الهند لسلطان الإسلام، ودخل كثير منهم الإسلام، ومن بقى دفع الجزية عن يد وهو من الصّاعرين^(١).

وفي سنة (٤٠٨هـ) بدأ السلطان محمود في فتح كشمير، فدخلها من ناحية الشمال الغربي فعبر نهر "جهلم" ودخل قلب كشمير وأخضع أمراءها وتحولت كشمير إلى بلاد مسلمة^(٢)، وكان لهذا الانتصار صدَى بعيدٌ، حيث دخل معظم أمراء الهند في دين الإسلام وعلموا أنه الدين الحق الذي لا يغلب من يتمسك به، ويدعوا إليه، وعلى عقب هذه المهمة فتح السلطان "قنوج" التي كان بها قريباً من عشرة آلاف بيت صنم، والتي يزعم أهلها أنها بنيت من مائة ألف سنة إلى ثلاثمائة ألف -كذباً منهم وزوراً- ولما عاد السلطان محمود من هذه الغزوة أمر ببناء جامع غزنة، فيقال أنه بني بناءً لم يسمع بمثله ووسع فيه، وكان جامعها القديم صغيراً، وأنفق ما غنمه من هذه الغزوة في بناءه^(٣).

وهكذا رأينا أنّ السلطان محمود بعد أن رتب البيت الداخلي، وتأكد من سلامة الصف المسلم، وجه كل قواته لفتح بلاد الهند، واستمر أكثر من خمس وعشرين سنة متصلة يجاهد أمراء الهند الكفرة، وكان أول صدام له مع الملك

(١) ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١ ص ٣٣٨؛ ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ٤٨٤.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ٩٥؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٩٩.

(٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ٩٧؛ زيني دحلان: مرجع سابق، ج ١ ص ٣٣٥، ٣٣٦؛ د/ طه ندا فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٧٩.

جيبال أكبر ملوك الهند، وانتصر عليه انتصاراً هائلاً، أحدث دويًا كبيراً في بلاد الهند كلها؛ مما جعل أمراء شمال الهند الملقبين بالراجوت يكونون تحالفًا مقدسًا فيما بينهم للقضاء على المسلمين، وانتهز هذا التحالف الهندوسي غياب محمود الغزنوي، وأعادوا احتلال عدة بلاد فتحها محمود، فأسرع إليهم بجيش كثيف، وسحق جيش الهند المتحد، ثم أكمل فتح بلاد كشمير، ودخل أهلها في دين الله أفواجًا، وواصل محمود الغزنوي فتحه لبلاد الهند، وكل مدينة يفتحها يحطم أصنامها، ويهدم معابدها، حتى هدم عشرة آلاف معبد هندوسي، وأزال سلطان طبقة البراهمة؛ مما زاد من حقدهم عليه، وعلى المسلمين عمومًا؛ غير أنه لما هدم معبدهم وكسر الصنم سومنات كان ذلك أعظم وأشد على نفوسهم.

▣ **المطلب الثاني: هدم صنم الهندوس الأكبر سومنات وإبطال**

خرافتهم المزعومة:

استمر السلطان الفاتح محمود بن سُبُكْتِكِين في حملاته وفتوحاته لبلاد الهند، وكان كلما فتح بلدًا أو هدم صنمًا أو حطم معبدًا قال كفار الهند: "إنَّ هذه الأصنام والبلاد قد سخط عليها الإله "سومنات"^(١)، ولو أنه راض عنها لأهلك من قصدتها بسوء"^(٢).

(١) ويقع المعبد سومنات على بعد مائتي فرسخ - (حوالي ١٠٠٠ كم) - من مصب نهر "الجانج" بولاية "الكوجرات" في غرب الهند، وهو أعظم أصنامهم، في حصن حصين على ساحل البحر. ابن خلدون: العبر، ج٤ ص ٤٩١، ٤٩٢؛ وينظر: زيني دحلان: مرجع سابق، ج١ ص ٣٤١.

(٢) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٤٨.

سأل السلطان محمود عن سومنات هذا فقيل له: إنه أعظم الأصنام، ومعبود الهنود الأكبر، ويعتقد الهنود أنّ الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه، على عقيدة التناسخ عندهم، فيعيدها فيمن شاء بزعمهم، وأن المد والجزر الذي عنده إنما هو عبادة البحر له، فافتتن به أمم لا يحصون، ولم يبق ملك ولا ذو ثروة إلا وقد قرب له قرباناً من نفيس ماله^(١).

ولهذا الصنم وقف عشرة آلاف قرية، وعنده ألف كاهن لطقوس العبادة، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس ولحي زواره، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون على باب الصنم؛ وعندما اطلع السلطان محمود على كل هذه المعلومات عزم وتوكل على الله في غزوه وتحطيمه، وفتح معبده ظناً منه أنّ الهنود إذا رأوا تحطيم معبودهم وكذب أمره دخلوا في دين الإسلام وانتهت الوثنية من الهند^(٢).

خاض السلطان محمود العديد من المفاوضات والمستنقعات، حتى أعوزه وجيشه الماء حتى كادوا أن يهلكوا فقام محمود ومن معه بالابتهال والاستغاثة بالله ﷻ، فبعث الله ﷻ لهم سحابة أمطرت عليهم الماء الوفير فشربوا وسقوا وقويت أبدانهم وقلوبهم على عدوهم^(٣).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص١٤٨؛ العكري: شذرات الذهب، ج٣٩٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، مرجع سابق، ج٤ ص٤٩٢؛ تاريخ الإسلام ج٢٨ ص٢٦١.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨ ص٢٦١؛ العكري: مرجع سابق، ج٣٩٠، ومن البديهي أنّ السلطان محموداً لم يكن ليخاطر بعبور مثل هذه الصحارى والمستنقعات لمجرد تحطيم صنم أو الاستيلاء على ما بمعبد هندوكي من الأموال، فواقع الأمر أنّ المعبد كان أخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكي، كما كان يتخذ في الوقت نفسه مثابة للأموال التي كان ينفق منها

قاتل الهنود على باب معبد الصنم "سومنا" أشد ما يكون القتال، حتى راح منهم خمسون ألف قتيل، ولما شعروا أنهم سيفنون بالكلية ركبت البقية منهم مراكب في النهر وحاولوا الهرب، فأدركهم المسلمون فما نجا منهم أحد، وكان يوماً على الكافرين عسيراً، وأمر السلطان محمود بهدم الصنم "سومنا" وأخذ أحجاره وجعلها عتبة لجامع غزنة الكبير شكراً لله ﷻ (١).

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي أَحْدَاثِ (سنة سبع عشرة وأربعمائة): "وفيها ورد كتاب من محمود بن سُبُكْتِكِينَ إِلَى الْخَلِيفَةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ يَذْكَرُ أَنَّهُ دَخَلَ بِلَادَ الْهِنْدِ أَيْضًا، وَأَنَّهُ كَسَرَ الصَّنَمَ الْأَعْظَمَ الَّذِي لَهُمُ الْمَسْمُومَاتُ، وَقَدْ كَانُوا يَفِدُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ كَمَا يَفِدُ النَّاسُ إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَأَعْظَمَ، وَيَنْفِقُونَ عِنْدَهُ النِّفَقَاتِ وَالْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي لَا تُوصَفُ وَلَا تُعَدُّ، وَكَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْقَافِ عَشْرَةَ آلَافِ قَرْيَةٍ وَمَدِينَةٍ مَشْهُورَةٍ، وَقَدْ اِمْتَلَأَتْ خَزَائِنُهُ أَمْوَالًا، وَعِنْدَهُ أَلْفُ رَجُلٍ يَخْدُمُونَهُ، وَثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ يَحْلِقُونَ رُؤُوسَ حَجِيجِهِ، وَثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ يَغْنُونَ وَيَرْقِصُونَ عَلَى بَابِهِ لَمَّا يَضْرِبُ عَلَى بَابِهِ الطُّبُولَ وَالْبُوقَاتِ، وَكَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَجَاوِرِينَ أَلُوفٌ يَأْكُلُونَ مِنْ أَوْقَافِهِ، وَقَدْ كَانَ الْبَعِيدُ مِنَ الْهِنْدِ يَتَمَنَّى لَوْ بَلَغَ هَذَا الصَّنَمَ، وَكَانَ يَعُوقُهُ طَوْلُ الْمَفَاوِزِ وَكَثْرَةُ الْمَوَانِعِ وَالْآفَاتِ؛ ثُمَّ اسْتَخَارَ اللَّهُ السُّلْطَانَ مَحْمُودَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ هَذَا الصَّنَمِ وَعِبَادِهِ وَكَثْرَةَ الْهِنْدِ فِي طَرِيقِهِ وَالْمَفَاوِزِ الْمَهْلِكَةِ، وَالْأَرْضِ الْخَطِرَةَ فِي تَجَشُّمِ ذَلِكَ فِي جَيْشِهِ، وَأَنْ يَقْطَعَ تِلْكَ

على الأعمال الحربية. الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج ١ ص ٩٦.

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٨ ص ١٥٠ بتصرف يسير؛ وينظر: القلقشندي: مآثر الإنافة، ج ١ ص ٣٣١.

الأهوال إليه فندب جيشه لذلك، فانتدب معه ثلاثين ألفاً من المقاتلة ممن اختارهم لذلك سوى المتطوعة، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عباده؛ فإذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة؛ قال: فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفاً وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار" (١).

ثم يُتابع ابن كثير فيقول: "وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة ليرك لهم هذا الصنم الأعظم فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم، فقال السلطان: "حتى أستخير الله ﷻ" فلما أصبح قال: "إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم، أحب إلى من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا، ثم عزم فكسره رَحِمَهُ اللهُ فوجد عليه وفيه من الجواهر واللائي والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة" (٢).

وبعدما انتهى السلطان محمود من أمر الهند أرسل إلى الخليفة القادر كتاب يذكر ما افتتحه من بلاد الهند فيه: "أني فتحت قلاعاً وحصوناً وأسلم زهاء عشرين ألفاً من عبّاد الأوثان، وسلموا قدر ألف ألف درهم من الورق، وبلغ عدد الهالكين منهم خمسين ألفاً، ووافي العبد مدينة لهم عاين فيها زهاء ألف

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص٢٢؛ وينظر: الذهبي: العبر، ج٣ ص١٢٨، ١٢٩؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٤ ص٢٦٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ص٢٢، ٢٣.

قصر مشيد وألف بيت للأصنام، ومبلغ ما في الصنم ثمانية وتسعون ألف مثقال وثلاثمائة مثقال، وقلع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم فحصل منهم عشرون ألف ألف درهم، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثة وخمسين ألفاً، واستعرض ثلاثمائة وستة وخمسين فيلاً^(١).

○ نتائج معركة سومنات:

تُعتبر معركة سومنات -وهي المعركة الغزنوية السادسة عشر في الهند- وهي بدون شك، من المعارك الإسلامية الفاصلة، لا في تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية فحسب؛ بل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية على وجه العموم؛ حيث كانت عامل فصل في مصير تاريخ الهند الذي حوله الفاتح الكبير محمود الغزنوي لصالح حضارة العرب والمسلمين، فكانت بحق اختراقاً خطيراً لأهم المراكز الحضارية والعقائدية للهند؛ الأمر الذي ترتب عليه سقوط كافة الأقاليم الهندية الشمالية على يد المسلمين^(٢).

كما يمكن اعتبارها خلاصة الجهد الذي بذلته الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود في حروبه على أرض الهند، وعكست في نفس الوقت إدارة السلطان الحكيمة لتلك المعركة الحاسمة والفاصلة في تاريخ الهند؛ حيث أظهرت براعة السلطان في استثمار التناقضات التي تُسيطر على المجتمعات الهندية، كحالة التفكك السياسي والانحلال الديني والاجتماعي، بالإضافة إلى

(١) العكري: شذرات الذهب، ج٣ ص١٨٩.

(٢) د/ أحمد محمد الجورانه: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص١٠٠، ١٠١؛ الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص٩١، ٩٢.

الهمة العالية والطموح الكبير الذي كانت تتمتع به القوات الغزنوية، وهذه بعض النتائج التي تمخضت عنها تلك المعركة:

- (١) خلقت حالة من التوازن الاستراتيجي للدولة الغزنوية، التي بذلت جهودًا مضاعفة في توطيد سلطتها في الأقاليم الواقعة في آسيا الوسطى وإيران.
- (٢) منحت الدولة الغزنوية مزيدًا من الاستقرار والسيادة والهيبة في الشرق.
- (٣) كانت سببًا وراء انضمام الهنود بشكل كبير إلى الدين الجديد الذي حمّله معهم الفاتحون الغزنويون.
- (٤) سيطرت الدولة الغزنوية على أكثر المواقع الهندية خصوبة والتمثلة في أراضي البنجاب^(١).

وهكذا رأينا أنّ السلطان محمودًا بدأ فتوحاته الكبيرة في بلاد الهند من مركز القوة بعد أن ثبت الجبهة الداخلية لدولته، فقد سيطر على سهول "البنجاب"؛ حيث كانت مداخل الجبال وممر خيبر الشهير في يده، وكذلك لم يكن هناك مناوئ أو معارض داخلي للسلطان محمود يعيق حملاته الجهادية، والهضبة الإيرانية كلها تحت حكمه وسيطرته، لذلك كانت البداية في غاية القوة والتوفيق.

ولقد كان من ثمرة هذه الحملات الموفقة أن هدم السلطان محمود نحو عشرة آلاف معبد هندوسي، وأخذ يحطم أية قوة هندية تبرز له، وحول المعابد الهندوسية إلى مساجد يعبد الله فيها وحده، كما أخذ السلطان على عاتقه نشر

(١) د/ أحمد محمد الجورانه: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ١٠٠، ١٠١؛ الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ص ٩١، ٩٢.

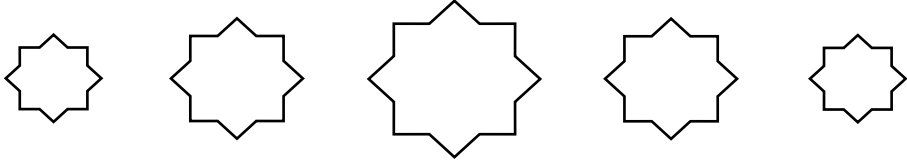
الإسلام في بلاد الهند والقضاء على الوثنية فيها، وبلغ في فتوحاته إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، ولم تتل به قط سورة ولا آية.

وهكذا فلقد كان السلطان محمود يدرك تماماً أن محاربة العقائد الباطلة ليست بالغزو وفتح البلاد فقط، فذلك أمر، والأهم منه هو نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى وترك العلماء العالمين العاملين ليعلموا الناس ويصححوا العقائد لهم. ولقد حاول بعض الهندوس إقامة المعبد مرة أخرى ولكن لم يرض بذلك السلطان أورنجزيب عالمكير^(١) رَحِمَهُ اللهُ فهدمه عام ١٧٠٦م، وأقامت الحكومة الهندية هذا المعبد مرة أخرى عام (١٩٤٧م) وهو موجود إلى اليوم^(٢).



(١) أورنجزيب عالمكير (١٦٥٨م / ١٧٠٧م) أحد أشهر ملوك المغول الذين حكموا الهند، كان صاحب شخصية ممتازة أوتيت حظاً كبيراً من المواهب والاستعدادات، وكان من أبرز مزاياه شجاعته الفائقة وذهنه المتقدم وقدرته على ضبط عواطفه، وكان إلى جانب ذلك مسلماً شديد الاعتداد بالإسلام يبلغ حد الصرامة وتجاهل الاعتبارات السياسية التي تتحكم في توجيه أمور البلاد، وكان يحرص على أداء الصلوات في أوقاتها ولو كان ذلك إبان المعارك والحروب، كما كان شديد الحرص على إقامة العدل بين الناس. د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلام، ص ١٩١، ١٩٩.

(٢) الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، ج١ ص ٩٥؛ arabegyfriends.com



الباب الثاني

الإنجازات الحضارية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي

تقديم: السمات العامة للحضارة الإسلامية في الدولة الغزنوية في عصر السلطان محمود.

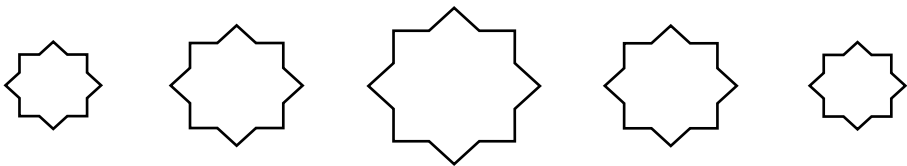
الفصل الأول: إنجازات الدولة في الناحية السياسية والإدارية.

الفصل الثاني: إنجازات الدولة في الناحية الاقتصادية.

الفصل الثالث: إنجازات الدولة في الناحية الاجتماعية.

الفصل الرابع: إنجازات الدولة في الناحية الثقافية.

الفصل الخامس: الشبه حول الدولة وسلطانها، والرد عليها.



تقديم

السمات العامة للحضارة الإسلامية في الدولة الغزنوية في عصر السلطان محمود □

يُعتبر عصر الدولة الغزنوية بوجه عام وعصر السلطان محمود بوجه خاص ضمن العصور التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية في خراسان وما حولها من البلاد التابعة للدولة، وإن كان ذلك العصر لم يدم إلا فترة قصيرة.

فقد رأينا كيف اتسعت رقعة هذه الدولة في عهد السلطان محمود حتى شملت أصفهان والري وهمذان وما يليها من البلاد، كما ملك طبرستان وجرجان وخوارزم والسند وغزنة وبلاد الغور والبنجاب، وبذلك لمع نجم السلطان محمود في حكم هذه المناطق الواسعة من القسم الشرقي لبلاد إيران وأفغانستان الحالية والجزء الأوسط من بلاد الهند.

وبالرغم من هذا الاتساع الكبير للدولة في تلك الفترة إلا أنه كان يسودها استقرار جزئي لنظام إداري، تمثل في مجموعة دواوين قام بإدارتها موظفون أكفأ، ومخلصون للسلطان ولدولته، بالإضافة إلى أن السلطان باشر بنفسه الإشراف الدقيق على هذا الجهاز حتى لا يحصل أي تلاعب في تنفيذه.

انتعشت الحياة الاقتصادية في الدولة الغزنوية وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلها السلطان محمود من الارتقاء بالصناعة وتنمية الثروة الزراعية وتوفير

الأسواق وغير ذلك، وبالتالي انعكس هذا على الحياة العامة في الدولة؛ الأمر الذي كان له الأثر الحسن في النهوض بالدعوة إلى الله تعالى.

وبالنظر إلى حال الدولة الغزنوية في فترة حكم السلطان محمود - من الناحية الاجتماعية - نجد أنها قد نعمت بالهدوء والاستقرار إلى حد ما، وذلك بفضل الجهود المباركة التي بذلها السلطان لتوحيد الأمة ونبذ الفرقة والخلاف، وسياسته الحكيمة في القضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية.

كما عملت الدولة الغزنوية على النهوض بالحركة الثقافية في خراسان والبلاد الواقعة تحت حكمهم على حد سواء، ليوكبوا تلك النهضة الثقافية التي ازدهرت في المنطقة بعد أن توالى عليها حكومات الدول المستقلة على مدى قرن ونصف من الزمن وكان آخرها دولة بني سامان، حيث كان لقيام هذه الدول المستقلة في شرق الدولة الإسلامية أثره في ازدهار الحياة الثقافية بها، فقد نافست حواضر هذه الدول بغداد بعد أن كانت أكبر مراكز العلوم والآداب، وأصبح لهذه الحواضر شخصية متميزة في علمها وأدبها تعمل على تجميل نفسها بالعلماء والأدباء، وتعزز بهم، وتيسر لهم سبل الحياة الهنيئة؛ ولذا لم تفتأ الدولة الغزنوية تجتذب إلى عاصمتها غزنة كثيرًا من الشعراء والعلماء، فصارت بذلك من أعظم الدول نظامًا وأدبًا وعلماً^(١).

هذا ومع أن الدولة اتجهت في بداية عهدها إلى التوسع في بلاد الهند من أجل تدعيم قوة الإسلام في تلك المناطق، وحماية أراضي المسلمين من هذه القوة الكافرة؛ إلا أن ذلك لم يكن عائقًا في طريق الدولة للاهتمام بالحياة العلمية

(١) ينظر: محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، ص ٢٠٨.

والثقافية وتشجيع العلماء والأدباء في كافة نواحيها؛ هذا ولقد راج العلم والأدب في ذلك العصر رواجًا كبيرًا، وكان الوزراء أنفسهم من مهرة الكتاب، وصارت غزنة مركزًا جديدًا للعلم والأدب يؤمها العلماء ويقصدها الطلاب من شتى البقاع، وتفوقت على غيرها من العواصم كبخارى وسمرقند وطبرستان والري وأصفهان؛ فيقال: أنه كان في بلاط السلطان محمود نحو أربعمئة شاعر، وقد ساعدته تلك الثروة الطائلة التي جمعها من معابد الهند وغيرها على تشجيع الشعراء وتوزيع العطايا والهبات عليهم، فلا غرو أن التف حوله هذا العدد الكثير من الشعراء يمدحونه ويطرون شجاعته وبطولته، ويسبغون عليه ألقابًا عظيمة من الألقاب التي لقبه بها الخليفة القادر بالله مثل يمين الدولة وأمين الملة وغيرها، كما أطلقوا عليه كذلك حامي الدين وسلطان المسلمين.

ويكفي للدلالة على عظمة غزنة من الوجهة العلمية وجود شعراء مثل الفردوسي والفرخي والعنصري ومنوجهري، ومن العلماء أمثال البيروني وابن سينا وغيرهم ممن سيأتي الكلام عنهم بإذن الله.

ومن نافلة القول أنه إذا اتجه هؤلاء العلماء والشعراء إلى بلاط السلطان محمود في العاصمة غزنة فإن هذا الإجراء لم يقلل من أهمية إقليم خراسان وحواضره^(١) كنيسابور وبلخ ومرو وهرات؛ لأن هذا الإقليم لا يمكن لأحد أن

(١) وترجع هذه الأهمية إلى أن خراسان -بعد الإسلام- كانت محط أنظار العلماء المسلمين لتلقي العلوم والآداب، وقد اكتسبت هذه الأهمية بعد دخول نخبة كبيرة من الصحابة والعلماء والمسلمين مع الفتح الإسلامي لهذه البلاد، حيث استقروا فيها وتناسلوا وتكاثروا وتأثروا وأثروا في مجتمعاتها، فتعلمذ على أيديهم أبناء خراسان وتعلموا منهم شتى أنواع العلوم والمعارف الإسلامية، حتى أصبحوا من أشهر العلماء في العصور الإسلامية التالية؛ مما جعل

ينكر أنه قد برز فيه من العلماء والشعراء الذين أثروا في الحضارة الإسلامية بالعلم والأدب، حتى بدا هذا الإقليم من أشهر الأقاليم الإسلامية قاطبة، لاحتوائه على العلماء والأدباء في ذلك العصر والعصور السابقة.

وكان معظم هؤلاء الشعراء أمثال الفردوسي وفرخي ومنوچهري وغيرهم من كبار الشعراء والعلماء العظام أمثال البيروني وابن سينا كانوا ينتمون إلى خراسان قلباً وقالباً، ويكونون لها في كل المحافل ما حباهم الله من العلم والأدب، ولكنهم مع ظهور هذه الدولة وما لقيت من السمعة الطيبة في هذه البلاد ذهبوا إلى غزنة ليساهموا بآدابهم وعلمهم في بلاط هذا السلطان العظيم الذي استطاع بصلاته وعطاياه أن يحتضن هؤلاء الخيرة من الشعراء والعلماء في ذلك العصر.

كذلك من السمات العامة للحياة الثقافية في هذا العصر كثرة المجالس الاجتماعية والأدبية الخاصة منها والعامة وكانت هذه المجالس بمثابة تجمع لهؤلاء الأدباء والعلماء كي يبرز كل منهما في مجال علمه وأدبه وشعره، وكانت عطايا السلاطين والأمراء كفيلة بدفعهم إلى الابتكار والإبداع، ويُقال إن السلطان محموداً كان ينفق على العلماء مئات الآلاف من الدينار كل عام فضلاً عن الأرزاق التي كان يجريها على طلبة العلم^(١).

خراسان في عيون المؤرخين والجغرافيين المسلمين منبراً من منابر العلم والأدب تتجه إليها أنظار العلماء والأدباء من جميع أقطار الأرض. ناجي معروف: عروبة العلماء المنسويين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، ج٢ ص ١٠٤ بتصرف يسير.

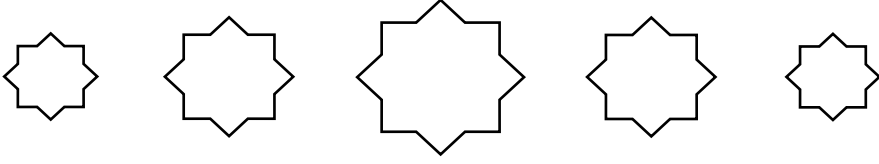
(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٩٠؛ على الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، تونس، ١٩٦٥، ص ٤٠.

ومما لا شك فيه أنَّ بلاط السلطان محمود قد احتل مكانة كبيرة في التاريخ الأدبي لإيران؛ حيث خطأ في عصره خطوات كبيرة نحو التقدم والرقي؛ وإذا كان السامانيون قد وضعوا الدعامة الوطيدة لإقامة صرح هذا الأدب فإن السلطان محمودًا قد سار على خطاهم، ونجح في تشييد هذا الصرح كما يبدو من تلك الآثار الخالدة التي تركها شعراء ذلك العصر.

وإذا كان السلطان محمود قد أمر بإلغاء اللغة الفارسية من الديوان وإحلال العربية محلها، فإن اللغة الفارسية مع هذا بقيت هي لغة الشعر والأدب.

وهكذا اكتسب السلطان محمود الغزنوي مكانته في التاريخ بفتوحاته التي لم تُسبق، وبجهوده الحضارية التي لم يشغله عنها فتوحاته وغزواته.



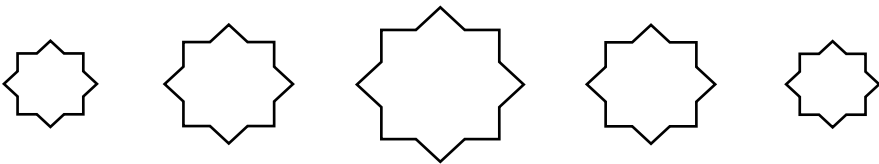


الفصل الأول

إنجازات الدولة في الناحية السياسية والإدارية

المبحث الأول: نظام الحكم.

المبحث الثاني: الوظائف والدواوين الإدارية.



المبحث الأول: نظام الحكم

المطلب الأول: سلطان الدولة:

حرص سلاطين الدولة الغزنوية على صبغ حكمهم بالصبغة القانونية بعد سقوط الدولة السامانية، وكان لا يتم ذلك إلا إذا أرسل الخليفة العباسي تقليدًا للسلطان الجديد بالحكم، ولا شك أن هذا التقليد كان يكسب حكمهم هبة في نفوس رعاياهم-وكما سبق- فقد أرسل الخليفة العباسي القادر بالله إلى السلطان محمود خلعًا لم يُسمع بمثلها فور توليته الحكم، ولقبه في كتابه "يمين الدولة وأمين الملة".

هذا وكانت الدولة الغزنوية من الناحية القانونية تابعةً للخلافة العباسية، غير أن هذه التبعية كانت اسمية فقط، إذ حكم بنو سُبُكْتِكِينَ مملكتهم مستقلين تمامًا عن بغداد، وظلوا يتوارثون الحكم حتى انهارت دولتهم^(١).

أما عن قاعدة الوراثة في الحكم فلم تسر على نظام ثابت، وذلك أن بعض سلاطين الغزنويين عهدوا بالحكم إلى غير الوريث الأحق، فناصر الدين سُبُكْتِكِينَ عهد إلى ابنه إسماعيل على الرغم من أن ابنه محمود أكبر أبنائه سنًا، وكذلك فعل السلطان محمود إذ عهد إلى ابنه محمد، وأغفل ابنه الأكبر

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٥٣.

مسعود^(١)، وقد أدى ذلك إلى حدوث الكثير من المنازعات حول الوصول إلى الحكم بين أبناء بيت سُبُكْتِكِين؛ ومهما يكن من أمر هذه المنازعات فقد ظل هذا البيت الغزنوي العريق قابضاً على زمام الأمور في الدولة الغزنوية حوالي قرنين من الزمان، وفشلت محاولات القادة العسكريين خلال تلك الحقبة في انتزاع الحكم من بني سُبُكْتِكِين^(٢).

(١) لقد كانت مسألة ولاية العهد تشغل بال السلطان محمود كثيراً، وفي فترة مبكرة، فنراه في سنة (٤٠٦هـ / ١٠١٥م) يُسمي ابنه الأكبر مسعود وريثاً شرعياً له، ويأخذ له البيعة من كبار الدولة، وفي سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) يُعيّنه حاكماً على هرات مع أبي سهل محمد بن الحسين الزوزني كوزير له؛ غير أنّ طبيعة العناد والمزاج المُتَعَجِّرف للأmir مسعود جعلت والده يطرده وينفيه إلى الملتان سنة (٤١٢هـ / ١٠٢١م)، ثم بعد فترة قصيرة دُعي مرة أخرى واستعاد مكانته؛ فيما كان الأمير محمد حاكم جوزجانان يحوز رضا السلطان وثقته، حتى أنه عند توجهه إلى كَنُوج تركه وكيلاً عنه في غزنة، وطلب من الخليفة أن يتصدر اسم الأمير محمد اسم مسعود في المراسلات الرسمية؛ كان السلطان محمود يُدرك أنه يستحيل على خلفه متابعة إمبراطورية صعبة التكوين كهذه؛ لذا قام بتقسيمها على ولديه فأعطى محمد الولايات المهمة مثل ولاية خراسان وغزنة وبلخ وشمال الهند والأقاليم التي فتحت لتوها، ولم يُعطي لمسعود أكثر من مملكة الري؛ ولا شك في أنّ هذه القسمة غير المتكافئة قد زادت من إشعال نار الشقاق بين الأحزاب المتنافسة في البلاط، إلى حد أن بعض عبيد السلطان حاول القيام بمؤامرة للقبض عليه ورفع مسعود إلى العرش، لولا المعارضة الشديدة التي أبدتها مسعود في كلماتٍ تدل على ما يمكنه من احترام عميق لعظمة السلطان؛ إذ قال للمتآمرين "احذروا عاقبة فعلتكم فإنني لن أكون طرفاً في مؤامرة حقيرة ضد والدي ولا أطيق أن أراه حزيناً... وأتقبل توبيخه لي... إنه ملك قل أن تجد له نظيراً في كل العالم؛ هذا وقد تزايد الشعور بالمرارة من قبل السلطان تجاه الأمير مسعود، وقبل وفاته بوقت قصير كان قد تم حرمانه من كافة الحقوق وترك الإمبراطورية لولده محمد. ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، مرجع سابق، ص ٣٩: ٤١؛ عبد الحي بن فخر الدين الحسيني: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ص ٧١؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٢٨: ٢٣١.

(٢) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٧٩: ٨٤؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام،

"كانت جل حياة السلطان محمود انكباباً على العمل المرهق، كما كان يستطيع -اعتماداً على إمكانياته الذاتية- مراقبة وكبح أي انحلال في الأجهزة الإدارية في دولته، والتي أُنيطت مسؤوليتها إلى قاداته، ومتى وصل إلى علمه أية عملية استبداد أو اختلاس أو ابتزاز، كان ينزل العقاب بالمذنبين، كما كان لتجواله المألوف بصورة مستمرة -في طول البلاد وعرضها- أثره في تذكير العمال في ولاياتهم النائية بسيدهم اليقظ الموجود في غزنة"^(١).

ومن المعروف أن الحاكم في الإسلام مستودع لكل سلطة، وبما أنه لا يستطيع القيام بمهامها المتعددة كلها أو بعضها وحده فقد كان لازماً أن يقوم بإسنادها وتوزيعها على معاونين له يشاركونه فيها الآراء والمسئولية، فاستعانة الحاكم بمعاونين له أمر لازم يجد سنده الشرعي في الإسلام^(٢).

وبالنسبة للسلطان محمود الغزنوي فقد كان حاكماً مطلقاً في دولته؛ حيث كان هو المشرع والحاكم والمنفذ لكل سلطات الدولة، ولكنه مع هذه المميزات -التي وردت عنه كحاكم مطلق- فقد شارك معه في الحكم والإدارة خواجه بزرگك (الوزير الأعظم) لإدارة دفة البلاد والدولة؛ ولكي يحافظ على الاستقرار والأمن في ممتلكاته الممتدة في كل من خراسان وبلاد خوارزم وغزنة وبلاد الهند والري وأصهبان، كما استعان في إدارة دولته بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والمقدرة^(٣)، ومن أبرز هؤلاء الرجال، كبير الحجاب، والمشرف

ص ١٥٣؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٦١، ٦٢.

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٨٢.

(٢) ينظر: الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٣٠.

(٣) كما أن السلطان محموداً كان يعمل على تطبيق مبدأ الشورى في كثير من الأحيان، استجابةً

على المملكة، وقائد الجيش^(١).

ولقد قام السلطان محمود بإبقاء الكثير من الموظفين السامانيين في وظائفهم بمجرد ولائهم وتبعتهم للنظام الغزنوي، أمثال أبي العباس الفضل ابن أحمد الإسفراييني^(٢) الذي كان يعمل كاتبًا لدى فائق الذي كان واليا للسمانيين على خراسان قبل أن يصبح وزيرًا للسلطان محمود، وكذلك أبو علي حسن بن محمد الميكالي النيسابوري، الذي كان يلازم السلطان منذ بداية نشأته وأوائل صباه، وخاصة فترة حروب السلطان مع السيمجوريين في خراسان، وعمل في عدة مناصب قبل أن يصبح وزيرًا للسلطان، وقد وقع عليه الاختيار بعد عزل الوزير أحمد بن الحسن الميمندي من بين ثلاث شخصيات كانت مرشحة لمنصب الوزارة، ويكفيه أن قال عنه السلطان محمود "إنه يتفوق عليهم جميعًا بعلو النسب وكمال الحسب والوقوف على دقائق الأمور"^(٣).

للتوصيات الإلهية التي تأمر المسلمين بالشورى فيما بينهم في كافة الأمور، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]، فكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينما تعترضه مواقف معينة يدعو مجلسًا يضم شخصيات مدنية وعسكرية ليستمع إلى آرائهم ونصائحهم.

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٥٣.

(٢) الإسفراييني: نسبة إلى إسفرايين، وهي بلدة بنواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان. السمعاني: الأنساب، ج ١ ص ١٣٣.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٥٤، ١٥٥؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ٦٢، ٦٣.

المطلب الثاني: الوزارة:

١. مؤهلات الوزير وواجباته:

كان منصب الوزير من أهم المناصب في الدولة الغزنوية، لأن الوزير كان على رأس الديوان، وكان يسمى السيد الأعظم، ويشرف على أعمال الدولة ويرأس جميع موظفيها؛ مما جعل الوزير يمسك بزمام الأمور ويستطيع توجيه سياسة الدولة - في الداخل والخارج - إذا كان قوياً نافذ الكلمة.

وكان للدولة الغزنوية وزير واحد فقط، ويقوم بإدارة مجموعة من الدواوين، التي كانت تُعرف حين ذاك بديوان الاستيفاء، وديوان الإشراف، وديوان الرسائل، وديوان عرض الجيش.

ولقد كان الوزير في العصر الغزنوي يخضع لشروط معينة عندما تسند إليه الوزارة، ومن هذه الشروط ألا يكون رجلاً عجولاً، يعقد الأمور؛ بل يجب أن يكون دقيقاً في تنفيذ الأوامر، وأن يتمتع بالكفاءة الوافرة التي تؤهله لحل القضايا المستحدثة، وأن يكون على دراية بالحساب والكتابة، فالوزير أحمد حسن الميمندي، اشتهر بفصاحة العلم، وعلو الهمة، وبعد النظر، وحسن السياسة، وقام عقب توليته الوزارة بإحلال اللغة العربية محل الفارسية في المراسلات الرسمية^(١)، ويذكر العتبي أنه رفع ألوية الكتابة "وعمر أفنية الآداب، وأمر الكتاب أن يتحاشوا الفارسية إلا عن ضرورة - من جهل من يُكتب إليه، وعجزه

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٥٤؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٨٧، ١٩٠.

عن فهم ما يتعرب به إليه-؛ فطارت توقعاته في البلاد" (١) أما سلفه أبو العباس الإِسْفَرَايِينِي؛ فقد أُخِذَ عليه إهماله الأسلوب الأدبي الرائع في الكتابة؛ حتى انتقلت الخطابات في أيامه من العربية إلى الفارسية (٢).

وكان من شروط اختيار الوزير -أيضاً- أن يكون قد تدرج في عدة مناصب إدارية في الدولة، فمثلاً الوزير أحمد بن الحسن الميمندي قد شغل عدة مناصب إدارية قبل أن يصبح وزيراً، منها أنه كان جائباً للضرائب، ورئيساً لديوان الرسائل، ومحاسباً عاماً، كما كان الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الإِسْفَرَايِينِي يشغل منصب البريد في مرو أثناء حكم السامانيين قبل أن يعتلي منصب الوزارة في العصر الغزنوي (٣).

ومن أهم اختصاصات الوزير في الدولة الغزنوية -أيضاً- إدارة شئون الدولة كافة الخارجية والداخلية، وقد تسند إليه كذلك الشئون العسكرية، مثل الوزير أحمد حسن الميمندي في عهد السلطان محمود، لكنه حينما أُعيد توليته الوزارة في عهد السلطان مسعود، رفض الإشراف على النواحي العسكرية لكبر سنه، وأسند السلطان قيادة الجيش إلى أبي سهل الزوزني، أما الوزير أحمد عبدالصمد فقد قاد الجيوش، وأشرف على الشئون العسكرية، بالإضافة إلى الشئون الخارجية والداخلية للدولة؛ وقد يخلف الابن أباه في منصب الوزارة،

(١) اليميني: تاريخ اليميني، ج١ ص ٢١٢: ٢١٧.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦٤، ١٦٥ بتصرف يسير؛ أحمد أمين: ظهر الإسلام، ١٩٥٢، ج١ ص ٢٨١.

(٣) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٨٩؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ٦٥.

فالوزير عبدالرازق بن أحمد حسن الميمندى ولى الوزارة بعد وفاة الوزير أحمد عبدالصمد^(١).

كما كان أبو العباس الإسفراييني يتولى -بجانب عمله كوزير- الشؤون المالية للدولة، فلما عجز عن دفع المبالغ المعتادة على وزارته، غضب عليه السلطان محمود، ويقال أنه دخل السجن بمحض إرادته، رغم استنكار أصحابه ذلك العمل، وبقي في سجنه حتى مات^(٢)؛ وأما الوزير أحمد بن عبد الصمد الشيرازي فقد لعب دوراً كبيراً في الحروب في إدارة شؤون الجيش فترة الحروب التي دارت بين الغزنويين والسلاجقة، حتى أصبح موضع ثقة السلطان مسعود بعد ذلك وترك له أمر قيادة الجيوش هناك^(٣).

لم يتهاون السلاطين الغزنويون مع وزرائهم إذا ما استغلوا نفوذهم في الحصول على المال الوفير، فالسلطان محمود قبض على وزيره أحمد حسن الميمندي وصادر أمواله سنة (٤١٢ هـ / ١٠٢١ م) بعد أن نمى إلى علمه أنه يسئ استغلال سلطاته، ولما ولى السلطان مسعود الحكم أمر بالإفراج عنه، وأسند إليه الوزارة^(٤).

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨ ص ١٨٩؛ البيهقي: تاريخ البيهقي، ١٦٠، ١٦١ بتصرف يسير؛ العقيلي: آثار الوزراء، ص ١٨٠، ١٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٠، ١٥٢؛ محمد ناظم: السلطان محمود، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣٥٠ بتصرف.

(٤) عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ١٥٥.

٢. مراسم تعيين الوزير:

جرت العادة إذا رشح السلطان رجلاً لتولى الوزارة أن يكتب المرشح إلى السلطان بياناً بالمهام التي سيضطلع بها بعد تعيينه، والإصلاحات والإنجازات والواجبات التي يعتزم أداءها، وبعد أن يطلع عليها السلطان، ويوافق عليها، يستدعيه ويأمره بأن يقسم بتنفيذ ما تعهد به في احتفال خاص داخل القصر، كما يُحفظ هذا البيان المكتوب في قسم المحفوظات السلطانية الخاصة ويقوم على رعايتها قائم يسمى "دوات دار"^(١).

كان تعيين الوزير يخضع لرسوم معينة فبعد أن يقسم القسم المعهود يأمره السلطان بالذهاب إلى خزانة الملابس لارتداء الخلعة المخصصة له، وتتكون من قباء ناصع البياض عليه نقوش دقيقة بديعة فضية دقيقة الطراز وسلسلة فخمة ومقطعة تزن ألف مثقال مرصعة بالفيروز، وبعد ارتداء هذه الخلع السلطانية يدخل الوزير مجلس السلطان، فيقف له الجميع، ويؤدي التحية للسلطان، ثم يسمح له السلطان بعد ذلك بالجلوس بين يديه^(٢).

ويُساعد الوزير في عمله عدد من الحجاب يرتدون السواد ويستعين كذلك بعدد من الكتاب والنساخ والمساعدين؛ وإذا وُلّي الوزير يهدى السلطان بعض الهدايا النفيسة، ويبادلها السلطان الهدايا^(٣).

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦٣؛ بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، ص ٨٦؛ عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ١٥٥.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦٤؛ عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ص ١٥٥.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٦٥؛ بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين، ص ٨٨.

وأما أبو علي حسن بن محمد المعروف بحسبك، فقد خدم السلطان محمود منذ طفولته حتى ارتقى إلى منصب رئيس نيسابور، وقد وُصف بحلاوة الحديث وحسن التصريف، كما اتصف بحدة الطبع وثراء الذهن- ولم يكن صاحب مهارة في فن الكتابة والإنشاء وغيرها من الأمور التي اتصف بها الوزيران السابقان الاسفراييني والميمندي- رشحه السلطان لمنصب الوزارة بعد عزل الميمندي، وقلده هذا المنصب الرفيع، ومن الجدير بالذكر أن حسبك هذا قد شغل عدة مناصب في الدولة قبل أن يرتقي منصب الوزارة^(١).

وفي سنة (٤١٤هـ) اسندت إليه بعثة الحج، وبعد رجوعه اتهمه الخليفة العباسي بالقرمطة، وسبب هذا الاتهام أنه أثناء عودته من الحج مر في طريقه بأراضي الدولة الفاطمية في بلاد الشام، وقيل أنه قبل الخلع التي أنعم عليه بها الخليفة الظاهر بالله الفاطمي، فتسبب ذلك في إغضب الخليفة معتقداً أن ذلك قد تم بإيعاز من السلطان محمود؛ غير أن السلطان هدأ من روع الخليفة، فأرسل هذه الخلع والهدايا إلى دار الخلافة لحرقتها أمام الملاء لتكون نهاية لهذه القضية التي أثارت المجتمع الإسلامي على الدولة الغزنوية^(٢).

تعرض بعض الوزراء لبعض المحن نتيجة لمواقفهم المضادة من سادتهم، كما حدث للوزير حسبك آخر وزراء السلطان محمود الغزنوي، فلما توفي هذا السلطان بعث في طلب الأمير محمد بن محمود، وساعده في تولية الحكم خلفاً

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩١؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٧١؛

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٩٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٨، ص ٢٥٣، ٢٥٦.

لأبيه؛ غير أن محمداً لم يستمر في الحكم، إذ تمكن مسعود من انتزاع الحكم لنفسه، فأضمر له مسعود موقفه المناهض لتوليته الحكم؛ فعزله عن الوزارة، وأمر بالقبض عليه، وصادر أمواله، وانتهت حياته، نهايةً أليمةً محزنة^(١).

هذا ومن خلال ما سبق يتبين أنه قد خدم الدولة الغزنوية - في فترة حكم السلطان محمود أربعة وزراء وهم: أبو العباس الفضل بن أحمد الاسفراييني، وأحمد بن الحسن الميمندي، وأبو علي حسن بن محمد المعروف بحسبك، وأحمد بن عبد الصمد الشيرازي، وهؤلاء قاموا بإصلاحاتٍ كثيرةٍ في أجهزة الدولة، فمنهم من حَسُنَ ذكره وحُمِدَت أعماله، ومنهم من أُلقي في السجن وصُودرت أمواله؛ بل والموت كما كان مصير الوزير حسبك.

تنوعت ألقاب الوزير، فالوزير أحمد حسن الميمندي لقب بالأستاذ الرئيس أو الخواجة، وأحمد عبدالصمد حينما كان وزيراً لأبي سعيد التونتاش - والي خوارزم - لقب بـ "الضيف العميد المعتمد".

وكما كان للسلطان وزير، فقد كان للوالي وزير، فأحمد عبدالصمد كان وزيراً لأبي سعيد التونتاش قبل أن يلي منصب وزير الدولة الغزنوية، ولما أُسند إليه منصب وزارة الدولة، عهد إلى ابنه عبدالجبار بتولي الوزارة لهرون

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١؛ عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ص ١٥٧؛ ويُذكر محمد ناظم "أن السلطان مسعود حنق على حسبك بسبب ما كان يتمتع به من حصانة كبيرة من قبل السلطان محمود، حتى بلغ من القوة شأنًا عظيمًا؛ ولذلك ما إن ارتقى مسعود إلى العرش حتى وجه إلى حسبك التهمة القديمة، وهي القرمطة، وبذلك تم إعدامه عام (٤٢٢هـ / ١٠٣١م). محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، ص ١٩١.

التوتناش الذي ولى خوارزم بعد أبيه^(١).

المطلب الثالث: الحجابة:

ومن المناصب الكبيرة في الدولة الغزنوية، "كبير الحجاب" فاختصاصه يشبه اختصاص كبير الأمراء في عصرنا الحالي؛ إذ يقوم بنقل أوامر السلطان إلى كبار رجال الدولة، وينقل رغبات وطلبات الوزير وكبار الموظفين إلى السلطان، ثم تطور لفظ الحجاب في الدولة الغزنوية فأصبح يطلق على عدد من أفراد حاشية السلطان، من أمراء وقواد وندماء، ويخلع هذا المنصب على كل واحد منهم تقديرًا لخدمته، ولا يتقلد منصب الحجابة -في الغالب- شخص لا يتمتع بحب السلطان له، ويراعى في اختيار الحجاب أن يكون من المخلصين في خدمة البلاط الغزنوي منذ فترة طويلة، ولا يمثله إلا إذا كان من حاشية السلطان؛ ولهذا كان يقوم بالإشراف التام على مقر السلطان ومجلسه وشؤونه الخاصة، ويستشير السلطان في كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها، وقد يسند إليه السلطان مهمة قيادة الحملات الحربية، ويعرض على السلطان الأمور الهامة التي يجب على السلطان بحثها، وإبداء الرأي فيها^(٢).

وبلغ من أهمية هذا المنصب أن صاحبه يتولى تدبير أمور الدولة في حالة غياب السلطان، فحينما توفي السلطان محمود بعث على قريب - كبير الحجاب

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦، ٥٦٥؛ عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ص ١٥٧، ١٥٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٨٩: ٩٢؛ بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين، ص ٩٧، ٩٨.

– إلى السلطان محمد لتولى الحكم، وتولى كبير الحجاب تدير شؤون الملك حتى مجيء محمد وتوليه السلطنة، غير أنه عاد وخرج على السلطان محمد، وأرسل إلى مسعود يطلب منه القدوم لتولى الحكم، ويسر له ذلك؛ ولكن السلطان مسعود أخذ عليه استدعاه محمد، وعدم انتظار مقدمه، فأمر بالقبض عليه، وصادر أمواله^(١).

والمراسم السلطانية تتم بإشراف كبير الحجاب، فقد صحب كبير الحجاب بلكاتكين –الذي خلف على قريب – الوزير أحمد حسن الميمندي إلى خزانة الملابس لارتداء خلعة الوزير، وتمت مراسم التعيين بمباشرة^(٢).

ومن أبرز حجاب السلطان محمود، أبو سعيد التونتاش، لعب دوراً هاماً في الاستيلاء على خوارزم، وضمها إلى الدولة الغزنوية سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م). ذكره أن التونتاش كان مملوكاً تركياً انضم إلى الجيش الغزنوي، وما زال يتدرج في مناصب الجيش حتى ولى قيادته في عهد السلطان سُبُكْتِكِين، ثم أسند إليه منصب حاجب الحجاب، وولاه السلطان محمود ولاية خوارزم ولقبه خوارزم شاه، وكان السلطان مسعود يخاطبه بالعم^(٣).

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣٨٨؛ عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦٩، ١٧٠.

المطلب الرابع: المشرف على المملكة:

ومن أبرز مناصب الدولة الغزنوية، منصب المشرف على المملكة ويشبه اختصاصه اختصاص رئيس المخابرات في عصرنا الحالي، فهو يقوم بجمع الأخبار التي تتعلق بالدولة، والتي تمس أمنها وسلامتها، وينقلها إلى السلطان، ويعاونه في عمله أربعة مشرفين يرأسون عددًا كبيرًا من المشرفين الأقل منزلة، ويتولى كل واحد منهم الإشراف على مدينة أو ناحية؛ لكي يزودوه بالأخبار والمعلومات الكافية حول الأمن والاستقرار في جميع أقاليم الدولة، ليقدّم به التقرير الشامل إلى السلطان أو الوزير^(١).

ولذا كان يمنح رئيس هذا الديوان والمشرفون الذين يعملون معه المكافآت السخية والوعود بالمناصب الرفيعة في الدولة، لضمان عدم إغرائهم وغوايتهم حتى لا يقبلوا الرشاوى من الموظفين الذين يتوقعون أن تكتب التقارير عن طيشهم وحمقتهم؛ كما كانت الدولة تعمل على أن تحوز ثقة العبيد والخدم الذين كانوا يعملون مع الأمراء وكبار رجال الدولة؛ ليكونوا عيونًا عليهم، فمثلاً

(١) عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ص ١٥٩، ١٦٠؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٨٢؛ كانت الدولة الغزنوية تبث العيون في كل الأطراف دائماً، في زي تجار وسياح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش؛ لنقل كل ما يسمعون من أخبار، حتى لا يظل ثمة شيء خافياً، وحتى يمكن تلافي أي طارئ جديد في حينه، فما أكثر ما كان الولاة والمستقطعون والعمال والأمراء يضمرون للسلطان خلافاً وعصياناً، ويتربصون به الدوائر سراً؛ لكن الجواسيس كانوا يكتشفون ذلك، ويخبرون الملك به فيركب من وقته وينقض عليهم بغتة، فيحقيق بهم ويُحبط مآربهم ومقاصدهم، وكانوا إذا ما عرفوا بأن ملكاً ما أو جيشاً أجنبياً ينوي الهجوم على المملكة يُخبرون السلطان فيأخذ للأمر أهبتة. نظام الملك: سياست نامه، ج ١ ص ١١١ بتصرف يسير.

كان السلطان يعين مشرفين على أبنائه، وخاصة ولي العهد ليعرف تحركاته ويكشف كل أموره الخفية^(١).

فيذكر البيهقي أنه وردت الأخبار إلى السلطان محمود بأن الأمير مسعود إبان مقامه في هرات كان يعمد سراً إلى السهر مع جماعة من الشبان، ويقوم مجالس الطرب، فيؤتى إليه خفية بالمطربين والمطربات في غفلة من أستاذه أبو الريحان الذي كان يقوم بتربيته، ولم تنته القصة عند ذلك؛ بل إنهم نقلوا إلى السلطان أخباراً أخرى حتى أنهم قالوا: أنه بنى لنفسه داراً وللذين معه، لمختلف أنواع الاجتماعات في ساعة السهر، مع أن أباه السلطان قد عين مشرفاً على نجله الأمير - حين يكون في الخارج بعيداً عن مراقبته - لكي يعد عليه أنفاسه، ومع ذلك لم يصل إلى هذا المكان الذي كان يسهر فيه، كما أن السلطان وضع مشرفين يعرفهم الأمير من قبيل الغلمان والفرسان والعجائز والمطربين وغيرهم، الذين كانوا ينهون إليه كل ما يقفون عليه من أحوال ذلك النجل حتى لا يخفي عليه شيء، وبذلك كان يؤنبه بما صدر من خلال رسائله وينبهه ويقوم بنصيحته؛ فهو ولي العهد ويعرف أن سرير الملك سيؤول إليه^(٢).

وكان لولي العهد عيون على أبيه السلطان، وكان من جملة أولئك نوشتكين الخاصة، وهو أقرب المقربين إلى السلطان محمود، وكذا عمته الأميرة الحرة الختلية؛ لكي يبعثوا له بالمعلومات عن أمور الدولة وتصريفات السلطان إزائه، ومدى حبه له، وما الذي غير رغبته وجعله يعطي ولاية العهد لأخيه محمد

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٢٦، ١٢٧.

عندما بلغت وشاية مفادها أن مسعوداً غير صالح للإمساك بزمام الحكم لهذه الدولة وأنه يقيم الحفلات والسهرات دون علم والده؛ وهذه الأمور بطبيعة الحال أثرت في والده السلطان حتى أنه غير رؤيته في ابنه الأمير مسعود وأبعده عن العاصمة وعين أخاه محمد ولياً للعهد^(١).

وهكذا فقد كانت مهمة المشرف على المملكة المحافظة على أمن الدولة ومصالحها، والإشراف على شئونها الداخلية والخارجية، والمحافظة عليها من الأعداء والمتمردين على السلطة، كما كان للمشرف جواسيس ينبثون بين الرجال، مثل رسول الخليفة، حيث كان يصحبه رجل متنكر يبلغ كل ما يرى قل أو كثر إلى مشرف المملكة، ويرسل هذه الأخبار مع السعاة تبعاً - وهم موظفون موكلون بهذا العمل - فيبلغها المشرف إلى السلطان.

المطلب الخامس: العارض أو قائد الجيش:

كان العارض (قائد الجيش) هو المسئول المباشر أمام السلطان في الشؤون العسكرية، كما كان الوزير هو المسئول الأول أمام السلطان في الشؤون الداخلية والخارجية للدولة، وحسب القواعد المتبعة في الدولة الغزنوية لتولى منصب صاحب ديوان العرض، كان لا يشترط فيه أن يكون عسكرياً؛ فلذلك كان السلطان يختار أحد الشخصيات البارزة لهذا الديوان، على أن تغلب عليه صفة الإدارة أكثر من كونه ضابطاً في الجيش؛ ومع هذا فإن الوزير كان في معظم الأحيان هو الذي كان يشغل هذا المنصب بالإضافة إلى مهام منصبه كوزير،

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٢٦؛ العمادي: ص ٨٤؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٨.

وقد مر الحديث عن الوزير بن حسن الميمندي حينما قبل ديوان العرض بالإضافة إلى أعماله كوزير في عهد السلطان محمود.

بيد أنه كان يجب على العارض السهر على راحة الجنود والتأكد من مستوى فعالية الجيش، وكان يُجرى سنويًا استعراضًا عسكريًا في ساحة "شاهار" في نواحي غزنة، للاطلاع عما إذا كان كل الفرسان في كامل تجهيزهم العسكري، والمشاة منضبطين بقيادتهم، والفيلة في أهبى حللها، والجميع يمرون في طوابير أمام السلطان، كما كان السلطان نفسه يولى اهتمامه بهذه العروض للتأكد من أن الجيش يتمتع بالعناية والرعاية^(١).



(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٢؛ الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٨٥.

المبحث الثاني

الوظائف الإدارية والدواوين

المطلب الثاني: الوظائف الإدارية:

كانت الدولة الغزنوية تتكون من عدة أقاليم، وكانت إدارة هذه الأقاليم متأثرة تأثرًا واضحًا بالنظم القبلية التي تجعل الوالي أو الحاكم يستأثر بإدارة الإقليم الذي عيّن عليه، دون تدخل من جانب السلطان في تنظيم الإقليم وتصريف أموره الداخلية، فحاكم كل إقليم كان مستقلاً استقلالاً تاماً في إدارة أمور إقليمه، مع إعلانه الطاعة والولاء للسلطان^(١).

وكانت الدولة الغزنوية - وهي في أوج قوتها - تضم أقاليم عديدة، أشهرها خراسان وحوارزم وبلاد الهند وسجستان والري وأصفهان، وغيرها من الأقاليم الأخرى التي بدأت تسن لنفسها القوانين وترسي قواعد إدارتها بالتعاون مع الإدارة المركزية في غزنة، وكان يتم ذلك عن طريق الاتصال والمشاورة في كافة الأمور الإدارية^(٢).

كما كان والى الإقليم في عهد السلطان محمود يستعين بعدد من الموظفين

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٢٩، ٢٣٠؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٩٦.

(٢) محمد ناظم: مرجع سابق، ص ٢٣٠.

في إدارة أمور إقليمه، وكان يتخذ أحياناً وزيراً له يُشرف على هذه الإدارة، كما كان يتخذ الجند ويستعين بالقبائل في تكوين جيش له، يحمي به حدود إقليمه ويرد كيد أعدائه عنه، ويوسع به سيطرته على الأراضي المجاورة لإقليمه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً، فكان لكل حاكم جيش تابع له مختص به^(١).

كذلك كان الوالي هو المسؤول عن الموظفين المدنيين الذين يقومون بجباية الضرائب في الإقليم، وهو بدوره المسؤول المباشر بعد ذلك أمام السلطان أو الوزير في تقديم الكشوف بالأموال والضرائب التي دخلت ديوانه خلال السنة^(٢).

وبالنظر إلى حال الدولة الغزنوية في فترة حكم السلطان محمود نجد أنه كان يسودها استقرار جزئي لنظام إداري تمثل في مجموعة دواوين قام بإدارتها موظفون أكفاء ومخلصون له ولدولته^(٣)، بالإضافة إلى أن السلطان باشر بنفسه الإشراف الدقيق على هذا الجهاز حتى لا يحصل أي تلاعب في تنفيذه.

ولا غرو فإنَّ المتتبع لنشأة السلطان محمود وأبنائه يرى أنَّهم قد تلقوا تعليمهم الخاص على أيدي علماء واكبوا الحضارة الإسلامية كدين ودولة، فنشأ هؤلاء السلاطين النشأة الإسلامية وتربوا التربية الصالحة، فبذلك انصهرت فيهم هذه الصفات الجديدة بالإضافة إلى النشأة الأولى التي وُلدَ عليها سُبُكْتِكِين في بيئة بدوية تركية، مع البيئة الإسلامية وقوانينها، التي كان يجب على السلاطين

(١) العمادي: مرجع سابق، ص ٩٦، ٩٨.

(٢) ينظر: عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٦٥.

(٣) ينظر: المبحث الثاني من الفصل الخامس في الباب الأول.

أن يحكموا بها، وعلى الموظفين تنفيذها، وهم بذلك قد ورثوا جزءاً كبيراً من مبادئ حضارتهم الجديدة من الحضارة الإسلامية الفارسية، التي أُرست قواعدها الدولة السامانية في بلدان الخلافة الشرقية.

"ولعل أول عمل قام به السلطان محمود بعد أن تولى الحكم في خراسان وغزنة أنه أبقى على بعض السامانيين في وظائفهم، ورَحَّبَت الدولة الغزنوية بهؤلاء الرجال المدربين، وعملوا معاً في الدولة في عهد السلطان محمود، بعد أن دخلت في حوزته معظم الأقاليم التابعة للدولة السامانية، نظراً لوجود مجال العمل الذي يلائم قدراتهم وخبراتهم الإدارية في تلك البلاد"^(١).

ومن هؤلاء الرجال الذين أبقاهم السلطان محمود في وظائفهم (خلف بن أحمد بن محمد بن الليث) الذي كان والياً على سجستان من قبل السامانيين، ولما انضمت ولاية سجستان إلى الدولة الغزنوية أبقاه سُبُكْتِكِين والياً عليها، وكان من أقوى ولاة أقاليم هذه الدولة؛ لقوة بأسه وسماحة كفه^(٢)؛ غير أنه نزع إلى الاستقلال أكثر من مرة، فخرج على سُبُكْتِكِين، وعفا عنه وأبقاه على ولايته، وكان سُبُكْتِكِين يعمد إلى مداراته؛ ولما توفي سُبُكْتِكِين أَمَرَ السلطان محمود خلفاً على سجستان؛ غير أنه - عاد كما سبق - إلى التمرد والعصيان، فعزله محمود وأَمَرَ ابنه طاهر مكانه، فاعتكف خلف بن أحمد في أحد الحصون وانقض على ابنه طاهر فقتله؛ لكن السلطان محموداً لم يمكنه من العودة إلى

(١) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٩٤؛ ينظر: عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٤ ص ٤٧٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢٧ ص ٣٧٠، ٣٧١.

إقليم سجستان^(١).

كذلك أبقى السلطان محمود الغزنوي حكم بلاد طبرستان وجرجان في أيدي بنى زيار، فأقر (منوجهر بن قابوس بن وشمكير) في حكم هذه البلاد، بعد أن آلت إليه سنة (٤٣٠هـ - ١٠٢٩م)، ولما توفي أقر ابنه أنوشروان على حكم هذه الولاية، وخلفه دارا بن قابوس بن وشمكير^(٢).

وكانت ولاية جوزجان لأل فريغون يتوارثون حكمها، وكان بين أميرها أبوالحارث أحمد بن محمد وبين بيت سُبُكْتِكِين مصاهرة، ولما توفي أبو الحارث خلفه ابنه أبو نصر في حكم هذا الإقليم بإقرار من السلطان محمود^(٣).

أما ولاية غرستان فلم يبق الحكم في بيتها إلا فترة محدودة، وذلك أنه على الرغم من إقرار السلطان محمود لحاكمها بالبقاء والياً على غرستان من قبله، إلا أنه نزع إلى الاستقلال، فعزله السلطان، وحال بين أسرته وبين حكم هذا الإقليم^(٤).

يتضح لنا مما تقدم أن السلاطين الغزنويين كانوا يختارون الولاة من أهل البيوتات الكبيرة، بل عينوا ولاية رفعوا مراتبهم إلى مرتبة الوزير في المنزلة.

(١) ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٣٩٠، ٣٩٣هـ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٧ ص١١٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٤٢٠هـ؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٦٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٧ ص٤٦٣، ج٨ ص٤٦٦.

(٤) العتبي: اليميني، ج١ ص١٢٦: ١٤٠.

كما حرص الغزنويون على تنظيم أمور الهند، فعهدوا إلى أحد كبار موظفيهم بتوليته منصب نائب السلطان في الهند، ويختص بإدارة الإقليم الهندي من الدولة، والدفاع عنه ضد هجمات الهنود، والمحافظة على الأمن والنظام^(١).

ومما يجدر ذكره أن الغزنويين أسندوا المناصب العسكرية والمدنية للهنود، واستخدموا في غير أرض الهند، وكانت تلك خطوة هامة في طريق الالتحام بين الهند والإسلام^(٢).

كما عنت الدولة الغزنوية خاصة في عهد السلطان محمود عناية كبيرة بمنصب القضاء، وقصرته على العلماء والزهاد والأمناء، وكانت الدولة تقوم بعزل كل من لم يتصف بهذه الصفات وتعين آخر صالح يحل محله، كما كانت الدولة تفرض للقاضي راتب شهري يكفيه أمور معاشه حتى لا يفكر في أن يخون الأمانة^(٣).

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٦٨.

(٢) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ٢٥١، ٢٥٢ بتصرف.

(٣) نظام الملك: سياست نامه، ص ٧٧؛ ولا شك هذا العمل هام ودقيق، لأنّ دماء المسلمين وأموالهم بيد القضاة، فإذا ما حكم أحدهم حكماً عن جهل وطمع وعمد فعلى القضاة الآخرين عدم تنفيذ الحكم وإجرائه، وإخبار الملك به لعزل ذلك الشخص ومعاقبته، وعلى ولاية الأمر والحاكم أن يشدوا من أزر القضاة ويحفظوا للعدالة هيبتها ورونقها، فإذا ما امتنع شخص أو تأخر عن الحضور، فيجب إحضاره عنوة وقسراً، فلقد كان صحابة رسول الله ﷺ يتولون القضاء بأنفسهم ولم يعهدوا به لأحد؛ لكي لا يسود غير العدل والحق، ولا يستطيع أحد أن يفر من ساحة العدالة. نظام الملك: سياست نامه، ص ٧٧.

وكانت الدولة الغزنوية قد اتخذت من المذهب الحنفي في القضاء والفتاوى مذهباً رسمياً للدولة، وذلك على الرغم من انتشار المذهب الشافعي والدعوة له؛ ولذلك علا شأن القضاة الأحناف لدى السلاطين، فكان فقهاء المذهب الحنفي من المقررين لدى السلطان محمود، فلما ضم نيسابور إلى دولته سنة (٣٩١هـ / ١٠٠٠-١٠٠١م)، صحبه عدد كبير من علمائها إلى غزنة، من بينهم أبو صالح التباني وهو من كبار فقهاء المذهب الحنفي بها^(١).

وعندما ازدادت أهمية القضاء في الدولة، وأشرف السلطان شخصياً على تعيين القضاة للأقاليم، كان من واجبات هؤلاء القضاة فض المنازعات التي كانت تحدث بين الأفراد، وإصدار الأحكام حسب قوانين وقواعد الشريعة، كما كان من واجباته أن يقوم بالوعظ والإرشاد، بالإضافة إلى الخطبة في أيام الجمع والمناسبات؛ ومن القضاة الذين علا شأنهم في الدولة الغزنوية خاصة في عهد السلطان محمود القاضي (أبو العلا صاعد بن محمد الاستوائي)، الذي خدم الدولة الغزنوية طيلة حياته، وأحبه السلاطين، وقد عينه السلطان محمود قاضياً على نيسابور^(٢).

انقسمت كل ولاية إلى عدد من المدن، يحكم كل منها رئيس يشرف عليه الوالي، ويقوم رئيس المدينة بإدارتها وإدارة النواحي التابعة لها، ومن أهم موظفي المدينة الشحنة (المحتسب) ويقوم بحمايتها وحماية الناحية التي تليها من الغزو الخارجي، ويرأس عددًا من الجند لتأدية مهمته^(٣)، وصاحب الشرطة،

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢٢٥.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢٢٧، ٢٢٨؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٠١.

(٣) وكان المحتسب مطالب -بالإضافة إلى مهامه السابقة- بالنظر في المواد الغذائية والاطمئنان

ويقوم بحفظ الأمن والنظام، ويسمى في الدولة الغزنوية خليفة المدينة^(١).

كذلك كان يعين في المدن الخطباء الذين يصلون بالناس في المساجد الجامعة، فكان القاضي يختبر هؤلاء الخطباء للتأكد من صلاحهم، وحفظهم القرآن، فالصلاة من الأمور الدقيقة، وصلاة الناس مرهونة بالإمام، فإذا ما اختلت صلاته اختلت صلاتهم أيضًا^(٢).

أما الأمور الدينية وأوقاف التعليم في كل مدينة، فكانت تدار -بشكل مستقل- من قبل موظف يدعى "مشرف الأوقاف" وكان رئيس هذه المؤسسة يقوم بالإشراف الكامل على جميع الوقف وأوجه إنفاقه^(٣).

وهكذا فقد عنى السلاطين الغزنويون عناية كبيرة باختيار ولاية على قدر كبير من الكفاءة، ولم يجدوا غضاضةً في الإبقاء على الحكام الذين انتزعوا منهم بلدانهم ماداموا على الطاعة والولاء لهم؛ بل أبقوا الحكم وراثيًا في بيوتهم، وكان الوالي يقوم بحفظ الأمن والنظام داخل ولايته، وحمايتها من الخطر الخارجي،

عليها وكذلك الموازين والمقاييس، وكذا مراقبة الصناعات في أعمالهم دون ازعاج أو مضايقة، والتأكد من أن الشريعة مُصانة والأخلاق غير منتهكة؛ وقد جرت العادة دائمًا في إسناد هذا العمل إلى أحد خاصة الملك أو خدمه، أو إلى تركي عجوز ممن لا يحابون أحدًا، وممن يهابهم الخاص والعام، وهكذا كانت الأمور تصرف بالعدل، وقواعد الإسلام تطبق بإحكام، نظام الملك: مرجع سابق، ص ٨٠؛ محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٠٢.

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٠٢، ٢٠٣؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧٠، ١٧١.

(٢) نظام الملك: سياست نامه، ص ٨٠ بتصرف يسير.

(٣) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ٢٠٣.

وجباية خراجها والإنفاق على الولاية مما يجمعه من أموالها، وإرسال ما تبقى إلى خزانة الدولة في غزنة.

المطلب الثاني: الدواوين

ومن أبرز الدواوين في الدولة الغزنوية:

١. ديوان العارض.

٢. ديوان الرسائل.

٣. ديوان الاستيفاء.

٤. ديوان البريد.

١. ديوان العارض:

ويختص بشؤون الجيش من تغطية نفقاته الحربية وأرزاق الجند، إلى غير ذلك من نفقات الجيش^(١)؛ ومن أبرز رؤساء ديوان العارض في الدولة الغزنوية - في عهد السلطان محمود - أبي القاسم كثير؛ غير أن أمواله صودرت بعد أن اتُّهم باستحواذه على أموال الجند لنفسه^(٢).

(١) ويعتبر ديوان العارض (الجند) من أكثر المؤسسات الإدارية رعايةً واهتمامًا لدى كافة سلاطين المسلمين الذين تعاقبوا على حكم شبه القارة الهندية؛ حيث وظفوا كافة مقومات الدولة المالية والبشرية والإدارية والسياسية؛ لتكون في خدمة ومصلحة الجيش، وهي المؤسسة التي حققت للمسلمين سيطرة كاملة على جنوب آسيا لسنين طويلة. الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٨٥.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧١.

ويصف محمد ناظم واجبات صاحب ديوان العرض في وقت الحرب فيقول: "يُعتبر صاحب ديوان العرض القائد العام للجيش في أوقات الحرب، حيث أنه كان يسهل للجيش جميع المحطات التي يتوقفون بها، وهذه التسهيلات عبارة عن التدابير اللازمة لتأمين المواد التموينية لأفراد الجيش، أو مراقبة الطريق لمعرفة أخبار تحركات العدو، وكذلك تزويد هذه المحطات بالعلف اللازم لحيواناتهم، كما تحدث عن الغنائم على أن توزع على الضباط والجنود بعد أن يؤخذ منها الخمس حسب الشريعة الإسلامية للسلطان من العبيد والحيوانات والغنائم الأخرى، وإذا لم يكن السلطان في هذا الموقع كان ينوب عنه من ديوان الاشراف شخص ليأخذ حقوقه، أما الأشياء الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة والفيلة كانت من نصيب السلطان، ثم توزع بقية الأخماس الأربع المتبقية على أفراد الجيش كل حسب رتبته، فكان نصيب الفارس ضعف نصيب الجندي المترجل، ثم كانت هناك مكافآت خاصة للذين بذلوا الجهد وأحسنوا البلاء في ميدان القتال، وهذه الصلوات عبارة عن ملابس أو رواتب تشجيعية، أو رتبة عسكرية"^(١).

أما عن رواتب الجند فقد أورد نظام الملك فصلاً يقول فيه: "لقد كان من

(١) ينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٢، ١٩٣، وتزداد أهمية صاحب ديوان العرض حينما نطالع المهام الموكلة إليه تنفيذها: كالمشاركة في خوض المعارك الحاسمة، وقيادة المعارك بنفسه في حال غياب السلطان، والتدخل في حسم بؤر التوتر والصراعات التي تمس استقرار وأمن الدولة، والإضلاع بمهام ترشيح الأمراء لولاية العهد، كما يعتبر العارض المرجع الأول في كل شأن يتعلق بشئون الدولة. الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٨٦.

عادة الملوك القدماء ألا يقطعوا الجيش شيئاً، بل يدفعوا لكل منهم بحسب درجته وطعمه^(١) من الخزينة نقداً أربع مرات في السنة، فكان الجند في يسر ورخاء دائماً؛ أما عمال الخراج فكانوا يجمعونه ويحملونه إلى خزينة الملك، ومنها تصرف أطماعاً للغلمان والجيش مرة كل ثلاثة أشهر، وهو ما أطلقوا عليه حساب العشرينية^(٢) وما زال هذا العرف قائماً في آل محمود، وكان ينبه على أصحاب الإقطاع في حال غياب أحد الجند لموته أو لأي سبب آخر أن يعلنوا ذلك ولا يخفوه، أما القادة فلينبه عليهم وقد صرفت لهم مرتباتهم، أن يعدوا الجيش كله ويهيئوه لأي مهمة وحادث، فإذا ما تخلف أحد فعليهم إبلاغ ذلك حالاً ليكون تخلفه بإذن السلطان، وإن لم يفعلوا فتنبغي معاتبتهم ولومهم وتغريمهم - أي القادة - أطماع الجند المتخلفين^(٣).

هذا وكان ديوان العرض يحتفظ بسجل يكتب فيه أسماء كل الجنود والضباط والذين يعملون في الجيش، وكانت هذه السجلات تبين أسماء المقاتلين الذين مازالوا في الجيش أو المحالين على المعاش، أو المفقودين في الحروب، وسنوات خدمة كل منهم، وكذلك كانت تُحفظ في هذا الديوان كشوف بالمصرفات التي صُرفَتْ في الحروب حسب تاريخ ومكان وقوعها، وكانت تُرسل نسخة منها إلى ديوان الرسائل لتكون مرجعاً للدولة^(٤).

(١) طمع: مفرد أطماع، وهو رزق الجند، وقيل أطماع الجند، أي أوقات قبضها. الفيروزآبادي:

القاموس المحيط، ج١ ص ٩٦٢.

(٢) وهي المكافآت النقدية التي كانت تعطى للجند، لكي يستطيعوا تجهيز أنفسهم لحملة قادمة من المؤن وغيرها.

(٣) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٣٩.

(٤) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٢.

ولقد كان جيش السلطان محمود يتألف من الفرسان، وكان لكل فارس حصانان، ثم المشاة، وكانوا أقلية بسبب أنهم لم يكونوا سريعي الحركة والتنقل، ثم الحرس الخاص للسلطان، وكانوا من الرقيق ممن يتوافر فيهم عنصرا الثقة والإخلاص لسيدهم، وذلك بحكم طبيعة نشأتهم، وكان السلطان يشرف عليهم بنفسه، ولهم قيادة وإدارة مستقلة، كما كانت لهم راية تحمل شعاراً مميزاً عبارة عن أسد ورماح.

وأخيراً الفيلة من العناصر الهامة في جيش السلطان محمود وكان سائسوها من الهندوس، وقد أولاهم عناية كبيرة؛ لدرجة أنه كان يشرف عليها بنفسه، وكان يستعرضها سنوياً ثم يأمر بإرسال الفيلة الهزيلة والضعيفة إلى الهند بغية تسمينها وتقويتها^(١).

وهكذا فقد كانت الخدمة العسكرية في جيش السلطان محمود على درجة كبيرة من العناية والتنظيم، وكان السلطان نفسه هو القائد الأعلى للجيش، ولم يغفل أي شيء من شأنه أن يساعد على تطوير الجيش ويرفع من كفاءة الجنود.

٢. ديوان الرسائل (قسم المراسلات)^(٢):

ومن واجبات صاحب ديوان الرسائل الرئيسية هو تحرير أو كتابة الرسائل

(١) الجورانة: الهند في ظل السيادة الإسلامية، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩.

(٢) يُعتبر ديوان الرسائل (قسم المراسلات) مستودع الأسرار ويجب أن يقوم عليه خادم مخلص موثوق به، ومجرب، ويستحب أن يكون متقدماً في السن ومتمرس، وعادةً ما يكون رجلاً قد نال حظاً كبيراً من العلم والأدب والدبلوماسية والبراعة، ولطبيعة واجباته ومهامه فقد كان له أعداء كثيرون؛ غير أنه كان قادراً على كسب احترام الموظفين التابعين له من طريق إرضائهم وإتباع أسلوب اللطف معهم. محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٦.

السلطانية إلى الخليفة أو حكام الدول المجاورة، أو أمراء الأقاليم أو الولاة وأصحاب الدواوين في الأقاليم الأخرى، وكان السلطان يملي على صاحب الديوان الرسائل المهمة والخاصة التي توجه إلى الخليفة أو إلى حكام الدول المجاورة؛ أما الرسائل العادية والمتعلقة بشئون الإدارة في الدولة والموجهة إلى الأمراء والولاة وأصحاب الدواوين، فكان صاحب ديوان الرسائل هو الذي يقوم بصياغتها ثم يعرضها على السلطان للموافقة والتوقيع عليها. أما التقارير السرية التي كانت تكتب إلى الحكام والقادة والمشرفين وأصحاب البريد، فكانت تراجع من قبل صاحب الديوان للإطلاع عليها ومعرفة محتوياتها قبل عرضها على السلطان^(١).

ويستعين صاحب هذا الديوان بعدد كبير من الكتاب الموظفين، وكانوا يتقاضون رواتب مجزية، ويشترط في هؤلاء الكتاب الدقة في التلخيص، والمهارة في قراءة الخطوط الغربية، وحسن عرض الموضوعات، وغير ذلك من المؤهلات التي تتطلبها الأعمال الكتابية^(٢).

ومن بين هؤلاء الموظفين موظف يعرف بكتاب الديوان يختص بترتيب الكتب وتلخيصها، ويعرضها على صاحب الديوان، ومن موظفي ديوان الإنشاء المراجعون، ويختصون بقراءة وتصفح كل ما يكتب في الديوان قبل أن يراجعه

(١) ينظر: محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٦، ١٩٧؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٧٩؛ وجرت العادة في هذا الديوان أن يعهد هؤلاء الموظفون بأولادهم للعمل به لاكتساب الخبرة، دون أي راتب من الدولة، نظير تدريبهم وتعليمهم هذه الصنعة، وهي الكتابة والإنشاء. محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٧.

(٢) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٧٩.

صاحب الديوان، واختص الخطاطون بنقل الكتب من سواد النسخة وتبيضها، ويحفظ الخازن أصول المكاتبات التي ترد إلى الديوان، ومن أهمها الأوامر الرسمية التي تصدرها الدولة، وكان يحتفظ بسجل خاص، للمنشورات ليسهل عليه حصرها^(١).

هذا وكانت ساعات العمل الرسمية في ديوان الرسائل تبدأ من الساعة التاسعة أو العاشرة صباحًا وتنتهي في الثالثة ظهرًا، وأما العطلات الأسبوعية فكانت يومي الثلاثاء والجمعة، على أن يستمر أحد الموظفين في العمل تحسبًا لحالات الطوارئ، كما أن هناك موظفين كانوا يرافقون السلطان في رحلاته الترفيهية، أو رحلات الصيد كي يقوموا بخدمته إذا ما طرأت على الدولة أمور جديدة وتستحق البت فيها^(٢).

وبلغ من أهمية منصب رئيس ديوان الرسائل أن صاحبه كان يحضر مجلس السلطان الذي يعقد للتشاور في الشؤون السياسية والداخلية للدولة، ومن أشهر رؤساء ديوان الرسائل أبو الفتح البستي، عهد إليه سُبُكْتِكِين بعد أن فتح بست بالكتابة له، وقد انتقل هذا الشاعر البارع وال كاتب المبدع إلى خدمة السلطان محمود، وكان موضع سره ومستشاره في أمره واشتهر بجودة الخط والكتابة والمهارة في الترسل والإنشاء، وجدير بالذكر أن الوزير أحمد حسن عاقبه وسجنه لأنه وشي به عند السلطان محمود^(٣).

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧٣.

(٢) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٧؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٧٩،

٨٠.

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧٢.

ومن أبرز رؤساء ديوان الرسائل أبو الفضل محمد حسين البيهقي، التحق بالعمل في ديوان الرسائل كنائب لرئيسه أبو نصر مشكان^(١) في عهد السلطانين محمود ومسعود، وقد حال صغر سنه دون أن يرتقى وظيفة رئيس الديوان بعد وفاة أبي نصر، فبقى منصبه كنائب لأبي سهل الزوزني، الذي خلف أبا نصر في رئاسة ديوان الإنشاء، وظل يعمل في الديوان حتى أصبح رئيسًا له في عهد السلطان عبدالرشيد^(٢).

٣. ديوان الاستيفاء^(٣):

ويقوم صاحبه -بواسطة موظفيه- بحصر أموال من يلي الولاية أو منصبًا كبيرًا، ويقوم المرشح بكتابة إقرار على نفسه بالأموال والممتلكات التي في حوزته، وإذا ما تم عزل هؤلاء عن مناصبهم يقوم المستوفي بحصر أموالهم، فإذا ثبت حصوله على مال بدون وجه حق، صادرها وأعادها إلى خزانة الدولة، وكان السلطان محمود الغزنوي يستخدم الشدة في المحاسبة كالضرب بالسياط وقطع الأيدي والأرجل والتعذيب^(٤)؛ وجدير بالذكر أن سوري -والى خراسان- حامت حوله الشبهات باستحواذه على أموال الناس وطعامهم، وكان

(١) وقد استطاع أبو نصر بن مشكان -فترة ربع قرن من الزمن- أن يحل ويفصل في القضايا الشائكة في هذه الدولة، كما اشتهرت شخصيته، وكان موضع الاحترام والتقدير من السلطان والعامّة. العمادي: مرجع سابق، ص ٨٠.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٩، ٦٦١؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧٢.
(٣) ويساوي في عصرنا الحالي الجهاز المركزي للمحاسبات، وعمل إقرار الذمة المالية لموظفي الدولة.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٣٦.

لا يرسل إلى السلطان الأموال المقررة إلى خزانة الدولة، فقام ديوان الاستيفاء بحصر كل الأموال التي استولى عليها سوري بدون وجه حق، وأعادها إلى خزانة الدولة^(١).

٤ . ديوان البريد:

كان للبريد أهمية خاصة عند الغزنويين، ومن أهم اختصاصاته إطلاع السلطان على جميع الأخبار والحوادث التي ترد إليه من موظفيه المنتشرين في جميع أنحاء البلاد الغزنوية؛ كما كان مكلفاً بنقل أخبار المشرفين بأسرع وقت إلى المسؤولين في الدولة، وكان يتم ترتيب هذه الأمور عن طريق صاحب البريد في المدن والأقاليم لتوصيلها إلى العاصمة غزنة، أو إلى الحواضر التي كان السلطان يتخذها مقراً للسلطنة في فترات متقطعة من السنة، وهي بلخ ونيسابور وهرات^(٢).

وكان صاحب البريد ومساعدوه يتقاضون رواتب نقدية كبيرة؛ نظراً لخدماتهم الجليلة التي يؤديونها للدولة، وفي حالة الرسائل العاجلة كان عمال البريد يختصرون صياغتها ويرسلونها بأسرع وسيلة ممكنة وتسمى المَلَطَّفَة وتشبه البرقية في عصرنا الحالي، وكانت تكتب في رقاع وترسل إلى السلطان أو الوزير^(٣).

(١) ينظر: عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧٤.

(٢) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٩٨، ١٩٩؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٨٠.

(٣) ينظر: نظام الملك: سياست نامه، ١٠٠؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧٤.

ويقال أن هؤلاء السعاة أو عمال البريد كانوا في الغالب من العرب الذين لهم الخبرة في مجال البريد، وكانوا يهتمون بنقل ما يقع من أحداث وأخبار ليل نهار من على بعد خمسين فرسخاً، وجرت العادة أن يعين نقيباً لمراقبتهم والإشراف عليهم حتى لا يتوانوا في أداء واجباتهم^(١).

وللبريد محطات تسمى السكك تزود بالخيول وراكبيها، كما استخدمت الجمازات^(٢) في نقل البريد، ومن أهم طرق البريد في الدولة الغزنوية الطريق من بغداد إلى المشرق، ويمر بحلوان^(٣) وهمذان والري ونيسابور ومرو وبخارى وسمرقند، ثم يمتد الطريق من هذه المدينة حتى يصل إلى الصين^(٤).

وكان البريد في العصر الغزنوي قد وصل إلى مستوى عالٍ من الخدمة والتطور لدرجة أن التقارير المهمة كانت تكتب بالرموز والمصطلحات المتفق عليها بين دواوين البريد في الدولة، وهذه الرموز لا يعرفها إلا المختصون، أو أنها كانت تكتب في ديوان الدولة، وكان متفقاً عليها بطبيعة الحال بين بقية أجزاء الدولة^(٥)؛ أما الذين لهم حق امتياز الخدمة البريدية في الدولة فهم الوزراء

(١) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٢٣.

(٢) الجمازات: وهي جمال بلخية سريعة العدو، قيل أنها تقطع في اليوم الواحد مائة كيلو متر بلا أدنى مشقة. آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ٢ ص ٣٠٩.

(٣) حلوان: أطلق هذا الاسم على عدة مواضع، ويقصد به هنا المكان المعروف في العراق.

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٧٤؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٣٠٢، ٣٠٤.

(٥) غير أن هذه التنظيمات البريدية كانت معرضة للفشل في بعض الأحيان، وذلك حين يقوم قائد محلي بتحدي السلطة المركزية عن طريق الضغط على صاحب البريد لكتابة تقارير مزيفة، أو نصب كمين لساعي البريد لتمزيق الوثائق؛ وفي مثل هذه الظروف فإن صاحب البريد يقوم

والأمراء وقادة الجيش والمقدمون، نظرًا لأنهم كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة من الدولة، وكذلك لأنهم كانوا على اتصال مباشر بالسلطان والوزراء وكبار رجال الدولة؛ هذا وقد شغل وظيفة صاحب البريد شخصيات مهمة خدمت السلطان محمود وهم: أبو عبد الله الفارسي صاحب بريد بلخ، وأبو المظفر الجمحي الذي عمل مع العميد سوري في نيسابور^(١)، وكذلك عبيد الله سبط أبي العباس الفضل بن أحمد الاسفراييني صاحب بريد سرخس^(٢).

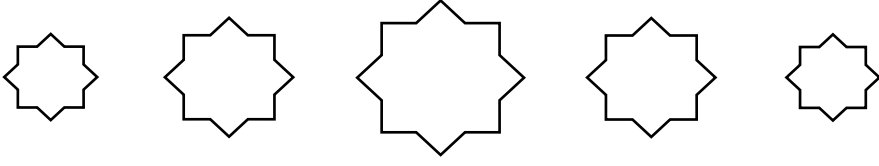
وهكذا فقد عرفت الدولة الغزنوية ما يشبه الشفرة في عصرنا الحالي، واستخدمتها في الحروب، وهي عبارة عن رموز ترمز إلى موضوع معين.



بإرسال المعلومات عن طريق وكلاء سريين متنكرين في هيئة رحالة، وتجار ومتصوفين، والذين يقومون بإخفاء الرسائل التي تحمل الأخبار في سروج خيولهم أو في أحذيتهم، أو في تجويف مقابض أعدت لهذا الغرض. محمد ناظم: السلطان محمود، ١٩٩.

(١) كما كان من أصحاب البريد بنيسابور -أيضًا- في عهد السلطان محمود أبو الفضل الأبيوردي أحمد بن الغمر بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن عباد، وعقد له مجلس الإملاء، وكتب الناس عنه، ثم قيل أنه ترك جميع ذلك واشتغل بالشرب وغير الزي والهيئة، والله أعلم بخاتمة أمره. الصيرفي: المنتخب، ج١ ص ٩٩.

(٢) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤٣٩؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٨١.



الفصل الثاني

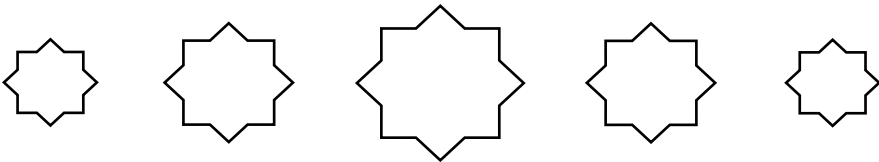
إنجازات الدولة في الناحية الاقتصادية

المبحث الأول: الثروة الزراعية.

المبحث الثاني: مظاهر تقدم الصناعة.

المبحث الثالث: النشاط التجاري.

المبحث الرابع: الإدارة المالية.



المبحث الأول: الثروة الزراعية

المطلب الأول: الأراضي الزراعية ونظام الري:

اهتمت الدولة الغزنوية - في عهد السلطان محمود - بتنمية موارد الثروة الزراعية في المناطق التي تقع تحت سيطرتها، فلم تألوا جهداً في سبيل إصلاح وسائل الري وتيسيرها حتى يتمكن الزراع من استغلال الأرض الزراعية على خير وجه.

ولذلك نشطت الدولة في حفر الترع والقنوات، وإقامة السدود والقناطر في معظم أرجاء هذا الاقليم؛ ولقد تنوعت وسائل الري في الدولة الغزنوية، فكان يوجد في مرو ديوان لتيسير سبل الري يسمى ديوان الماء، ويشرف عليه أحد كبار موظفي الدولة، ويعاونه عشرة آلاف عامل، ويتضمن هذا الديوان دفاتر وسجلات، يدون فيها مقادير خراج الأراضي على حسب نوع ربيها؛ وأقيم في جنوب مرو سد يشرف عليه أربعمائة غواص ليلاً ونهاراً، وربما احتاجوا دخول الماء في البرد الشديد فيطلون أنفسهم بالشمع^(١).

وكان الماء يقاس بمقياس مصطلح عليه، ومقياس النهر على مسافة فرسخ من المدينة - أي مرو - وهو عبارة عن لوح مقام على النهر مشقوق شقاً طويلاً

(١) آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج٢ ص٢٤٦، ٢٤٧؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص ٤٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٥.

فتحرك عليه شعيره فربما علا الماء حتى بلغ ارتفاعه ستين شعيرة، فتكون السنة سنة خصب ورخاء، وإذا بلغ الارتفاع ست شعيرات فقط كانت سنة قحط، والمتولي للسدي لاحظ ارتفاع الماء، وينفذ سماته بذلك إلى ديوان النهر، وينفذ صاحبه الرسل إلى جميع من يتولون شعب الأنهار فيقسمون الماء بحسب ارتفاعه^(١).

وكانت الأقاليم الواقعة شرقي فارس البعيدة عن مجارى المياه الكبرى تروى بطريقة مبتكرة متقنة الصنع، فكان هذا الإقليم نهيرات وجداول صغيرة منحدره من المرتفعات بعد سقوط الأمطار، تجمع هذا الماء المستخرج من باطن الأرض، وذلك بعمل قنوات في جوفها عليها قناطر، بلغ طول إحداها خمسين كيلومتر، وكان بمدينة "قم" قنطرة من هذا النوع^(٢)، واشتهرت نيسابور بقنواتها التي تجرى تحت الأرض، تسقى ضياعها، وتدور في محلاتها وتمد أهلها بماء الشرب، وكان يظهر في قنوات مدينة نيسابور دقة العمل واهتمام الولاية بشئون العامة، والمحافظه على مصالح الفلاحين آنذاك^(٣).

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١ ص ٢٣٩؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج٢ ص ٢٤٧.

(٢) بيد أن هذا التنظيم كان يحتاج إلى مهارة كبيرة، فكان على القائمين به معالجة الطبقات الأرضية التي يجري عليها الماء في المواضع التي يجدون فيها أرضاً لا يخترقها الماء، كما كان لابد لهم من أن يجعلوا هذه الطبقات ميلاً يساعده الماء على سرعة الجريان عند ازدياده. آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص ٢٤٨.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص ٢٤٧، ٢٤٨؛ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٨؛ الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٤٦.

أما الأنهار فكانت من أهم مصادر الري في الدولة الغزنوية وأكثرها إفادة للزراعة، فنجد أن إقليم خراسان كان به عدد من الأنهار التي كانت تتفرع منها شبكة منظمة ودقيقة من الجداول والترع لسقي المزارع والبساتين القريبة من المدن أو القرى^(١).

وكانت السدود التي تقام على الأنهار تنقصها الصلابة لأنها تصنع من الخشب؛ على أن خوزستان وفارس أقامت سدودها من الحجارة، والقاعدة الأساسية في الري هي تحويل مياه النهيرات بإنشاء سدود حتى لا تصل مياه النهيرات إلى النهر الأكبر في الوادي؛ بل تفيض على ما حولها، وحرصت أفغانستان على إقامة سدود قوية حتى لا تتعرض البلاد للغرق إذا زاد الماء، ويراعى في هذه القنوات أن يكون انحدارها يسيراً في أعاليها، ثم يجعل انحدارها من الوادي لكي تستعمل قوة جريان مائها في إدارة الطواحين^(٢).

وهكذا فقد اهتم الأمراء والولاة في الدولة الغزنوية بتيسير أمر المياه وتوزيعها على المدن بدقة وإحكام -حتى أن الأوربيين أدخلوا كثيراً من هذه النظم إلى بلادهم- فحينما ننظر إلى مقسم ماء مرو مثلاً نجد أنه كان يبدأ من قرية "زرق" وقد جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر (نهر مرو) ساقية صغيرة

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٧.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٤٨، ٢٥٠؛ وكان يستعمل من الآلات المائية الدولاب والدالية والغرافة والزرنوق والناعورة والمنجنون، وكان الزرنوق عبارة آلة بسيطة مركبة على بئر، وأما الدالية فكانت آلة ترفع الماء وتديرها البقر، وأما الناعورة فهي آلة كانت تركب على النهار ويديرها الماء، وأما الدولاب فهو الاسم الفارسي للآلة المسماة عند اليونان منجنون. آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٤٨.

عليها ألواح خشب فيها ثقب مقدره، لا يترك أحد يزيد فيها ولا ينقص، ويأتي كل قوم من شربهم بمقدار، إن زاد الماء أصابتهم الزيادة وإن نقص نقصوا بأجمعهم، لا إيثار لقوم على آخرين؛ ومتولى هذا الماء أمير قوي وتحت إمرته - كما سبق - أكثر من عشرة آلاف رجل يرتزقون على هذا الماء، ولكل منهم عمل يؤديه، فمنهم مكلفون بقياس علو الماء وقت الفيضان، وكذلك انخفاض منسوب الماء وقت الجفاف، ومنهم مكلفون بصيانة الألواح التي بدأت تتآكل نتيجة قدمها وغير ذلك^(١).

هذا ولم تكن جميع الضياع عامرة بالزراعة؛ بل كانت إلى جانبها أراض خربة غير معمورة نتيجة الإهمال أو الكوارث الطبيعية، ولذا كانت الأراضي الزراعية عندهم مرتفعة الأسعار، وكان الأعيان هم من يستطيعون تملك أجود الأراضي في الأرياف^(٢).

وكانت الزراعة تتعرض في بعض الأحيان للكوارث الطبيعية مثل البرد والثلوج، وكذلك الجفاف نتيجة عدم سقوط الأمطار في موسمها؛ ولا شك أن هذه الظروف كانت تؤثر على القيمة الإنتاجية للأراضي الزراعية؛ مما كان يؤدي إلى النقص في المواد الغذائية في تلك المناطق، فكانت الدولة في هذه الحالات تتخذ الإجراءات اللازمة من إرسال الامدادات الغذائية والمادية لتوزيعها على المتضررين من الأهالي في جميع أنحاء الأراضي المنكوبة؛ ولما

(١) ينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٤٨، ١٤٩؛ الخوارزمي: مفاتيح العلوم،

مرجع سابق، ٤٥، ٤٦؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٢٦.

(٢) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٩، ٧٠.

حدثت مجاعة في خراسان سنة (٤٠١هـ / ١٠١٠ - ١٠١١م) بسبب نزول الصقيع في وقت مبكر من تلك السنة، أسرع السلطان محمود بإرسال الامدادات الغذائية وبذل أقصى جهده في تخفيف المعاناة عن أهالي خراسان، وكانت هذه المساعدات التي قدمتها الدولة للمنكوبين عبارة عن قروض مالية؛ ليتمكنوا من شراء البذور والماشية التي فقدوها، كما أعادت إليهم خراج تلك السنة ليحلوا بها المشاكل التي نتجت عن الثلوج والجفاف، ويسددوا بها الديون التي تراكمت عليهم^(١).

وكانت أفغانستان تقاسى من الرمال، فقد كانت أرضها سبخة ورمالاً، ورياحها تشد وتدوي، وتنتقل من مكان إلى مكان؛ لذلك حرصت الحكومة على نقل الرمال إلى أماكن بعيدة عن الأرض الزراعية^(٢).

المطلب الثاني: المحاصيل الزراعية:

١. الحبوب بأنواعها:

اشتهرت كثير من مدن الدولة الغزنوية بجودة محاصيلها الزراعية، فكانت مدينة مرو مثلاً تشتهر بزراعة السمسم، كما يكثر فيها الحنطة والشعير، ويقال أنها من أطيب بلاد خراسان أطعمة، وخبزها ليس بخراسان أنظف وألذ طعاماً منها، وأما نيسابور فيرتفع من رساتيقها أصناف الحبوب وخاصة من بست وكويان واستوي التي تقوم بأكثر ميرة نيسابور، وأيضاً كانت مدينة سرخس

(١) محمد ناظم: السلطان محمود، ص ١٨٨، ١٨٩؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) ينظر: آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ١٥٢، ٢٥٣.

مشهورة بزراعة الحبوب كالحنطة والشعير والذرة بالرغم من أنها قليلة المياه، وقد قارن المقدسي كمية الحبوب المصدرة كل أسبوع من سرخس بكميات الحبوب المرسله من القاهرة عن طريق قلزم إلى الحجاز، وهذا يدل على أن مدينة سرخس كانت بها صوامع لحفظ الحبوب وتصدر الكميات الكبيرة إلى المدن الأخرى في خراسان عند حاجتها إلى ذلك، والذي يؤكد لنا ذلك أن مدينة نيسابور وما كان يحيط بها من القرى والأرياف كانت تجد النقص في المواد الغذائية نظرًا لكثافة السكان فيها، وكذلك لازدياد طلب المستوردين للكميات الكبيرة من المواد الغذائية وغيرها لإرسالها إلى الأقاليم الأخرى حسب طلب التجار فيها.

كما كانت أراضي الدولة الغزنوية تنتج المحاصيل الأخرى غير القمح والشعير والذرة، فمدينة بلخ كانت مشهورة بالسهم والجوز واللوز والأرز، أما إسفرايين فكانت مزارعها تشتهر بزراعة الأرز، وكذلك مدينة هرات بها مزارع الفستق والحنطة وكانت أيضًا موطنًا لزراعة الأرز، ويصدر منها هذا المحصول إلى بقية الأقاليم الأخرى^(١).

٢. القطن:

اشتهرت أغلب مدن خراسان بصناعة المنسوجات القطنية، لأنها من المناطق المشهورة بزراعة القطن، وتميزت مرو ونيسابور وقوهستان بأراضيها الخصبة لزراعة القطن المعروف بجودته ولينه في مختلف أرجاء الإقليم^(٢).

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٢؛ الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٤٩، ١٥١، ١٥٦.

(٢) الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٤٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٣.

اشتهرت الدولة الغزنوية بجودة فواكهها فهرات نقلت العنب من الطائف، ونجحت زراعته بها حتى أنتجت منه إنتاجًا كبيرًا^(١)، واشتهرت بلاد السند بجودة ما يزرع فيها النارنج^(٢) والأترج^(٣)، كما اشتهرت شمال فارس بجودة البطيخ، وكان يقدد ويحمل إلى العراق؛ وأما مدينة مرو فإنها قد فاقت غيرها من البلاد في زراعة البطيخ، فكان يقطع حلقات رقيقة وبعد أن تقدد وتجفف في الشمس ترسل كميات كبيرة لتباع في البلاد المجاورة؛ ومن الجدير بالذكر أن بطيخ مرو كان يرسل إلى الخلفاء طازجًا في قوالب من الرصاص معبأة بالثلج، وتقوم الواحدة إذا سلمت بسبعمئة درهم^(٤).

(١) ينظر: الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٥١؛ آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٢٣.

(٢) يقول المسعودي متحدًا عن هاتين الفاكهتين: "وكذلك شجر النارنج والأترج المدور، جلب من أرض الهند إلى أرض غيرها، فزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام، حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وإنطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر، وما كان يعهد ولا يعرف، فعدمت منه الروائح الخمرية الطيبة، واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند؛ لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١ ص ١٦٧.

(٣) آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٢٣، ٢٢٤؛ الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٠٣؛ وقد وصف ابن حوقل فاكهة الأترجة وهو يتحدث عن مدينة المنصورة بالسند فقال: "وهي مدينة حارة بها نخيل، وليس لهم عنب ولا تفاح ولا جوز ولا كمثري، ولهم قصب سكر، وبأرضهم ثمرة على قدر التفاح تسمى الليمونة، حامضة شديدة الحموضة (يقصد بها الأترجة). ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٧٧.

(٤) الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٤٩؛ د/ أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية ص ٣٠٢.

وبلغ من شهرة هذه الفاكهة -البطيخ- في مرو أنّها كانت أكثر الثمار بيعاً في الأسواق، ولذلك كان سوق بيع الفاكهة يسمى دار البطيخ^(١).

كما اشتهر إقليم خوارزم بالعنب والرمان والزبيب والكمثري، أما بلخ فكانت تشتهر بفواكهها مثل العنب والتين والرمان والبرتقال والزبيب، أما مرو الروذ فكانت تشتهر مدنها بالبساتين والكروم والفواكه الحسنة^(٢).

أما كرمان فكانت كثيرة التمور؛ حتى كان أهلها لا يرفعون ما يتساقط من النخل، وربما يباع في بعض بلاد كرمان المائة منه بدرهم، وكان الحمالون يحملون التمر إلى خراسان مناصفة، ويقصدها في كل سنة مائة ألف جمل لنقل تمورها، أما غزنة فقد حسن فيها الأترج والعطور والأصباغ^(٣).

واشتهرت كابل بجودة ما يزرع بها من قصب السكر والنيلة^(٤)، وأما نيسابور فكانت تعرف بمدينة الفواكه الواسعة اللذيذة وبساتينها الكثيرة، فتشتهر أرباعها ورساتيقها بكثرة الكروم والأعناب الجيدة والريباس والمشمش والزيتون

(١) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٥١٩؛ ومن المؤسف أنّ معظم إقليم مرو في عصرنا الحالي أراضي صحراوية؛ غير أنّ مدينة بخارى -وهي شبيهة بمرو في موقعها- مشهورة ببطيخها؛ ويذكر أنّ متولي أمور الزراعة في واشنطن استوردوا من البطيخ البخاري إلى الولايات المتحدة أنواعاً وزرعوها وزاوجوا بينها وبين غيرها، فكانت أحسن بطيخ في الولايات المتحدة الأمريكية. آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٢٦، حاشية رقم ١.

(٢) ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٢٦؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٢٩.

(٣) الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ٩٩؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٢٦.

(٤) الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٥٧؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٢٧،

والتين والسفرجل والأجاص والرمان، كما وصفت مدينة هرات بأنها "بستان خراسان ومعدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة" وكانت مشهورة بالذبيب الطائفي، وفي مدنها ورسايقها يذكر مائة وعشون صنفاً من الأعناب^(١).

المطلب الثالث: الثروة الحيوانية والرعي:

كانت معظم أراضي الدولة الغزنوية صالحة للزراعة والمراعي، وذلك لأنه كانت تتجاوز أغلب أراضيها السهول والوديان الخصبة، فمدينة سرخس مثلاً كانت تقع في أرض سهلة والغالب على نواحيها المراعي، ومعظم حيواناتها الجمال التي تستخدم في حمولة البضائع للمدن الخراسانية المحيطة بها^(٢).

كما اشتهرت الجوزجان بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة الخصبة، وكانت لها قرى وبيوت للأفراد وهم أصحاب أغنام وإبل، ويخرج من ناحيتها الجلود التي تحمل إلى سائر خراسان، وأكثر السوائم بخراسان من الإبل بناحية سرخس وبلخ، وأما الغنم فإن أكثرها يجلب منها -أيضاً- من بلاد الغزنية، ومن الغور والخلج^(٣).

كذلك تنوعت الثروة الحيوانية في الدولة الغزنوية، فكثير في بلخ الجمال ذات السنامين وهي المسماة بالجمال البخت، ويجلب من السند الفالج الذي يولد البخاتي وله سنامان، وهو أعظم من البخت، والبخاتي، والجمازات

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٨؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٢٩.

(٢) الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٥٤.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٦؛ الإصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٥٣.

السريعة الجري تولد من المزاجية بين هذه الفواج وبين النوق العربية^(١)،
وجدير بالذكر أن غزنة اشتهرت بالنوق المتفوقة على سائر ما حولها لصحة
مراعيها، كما اشتهرت -أيضاً- الخيول العربية التي كانت تربي في إقليم
خراسان وبلاد ما وراء النهر^(٢).

كما شاركت هذه الثروة الحيوانية في تسهيل مهمة الفلاحين في حرث
الأرض وزراعتها، كما استخدمت الخيول السريعة في حمل البريد بين الاقاليم،
وكانت -أيضاً- أداة فعالة في جيوش خراسان وقوافلها التي كانت تحمل
البضائع والسلع من إقليم إلى آخر، وهكذا شكلت الثروة الحيوانية مصدر دخل
آخر من اقتصاد الدولة الغزنوية، وكانت تدر على هذا الاقليم منتجاتها من
الألبان التي كانت تشكل مادة غذائية لا يستغني عنها، إضافة إلى الكميات
الكبيرة من لحومها لإطعام سكانها، كما أن انتاجها من الأصواف والوبر والفرو
الجلود ما يستعمل في الصناعات المختلفة^(٣).



(١) غير أن هذه البخاتي والجمازات لا تتزوج؛ بل تظل عقيمة. المسعودي: مروج الذهب،
ج ١ ص ١٦٩.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٦؛ البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٥٤.

(٣) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٣١.

المبحث الثاني: مظاهر تقدم الصناعة

ازدهرت الصناعة في الدولة الغزنوية، ولم يألوا السلاطين الغزنويون جهداً في سبيل العمل على تقدمها، وكان إقليم خراسان من أكبر المراكز والمؤسسات الصناعية في الدولة؛ مما جعل السكان الغزنويين يحافظون عليها ويعملون على نموها وتطورها، ويرجع ازدهار الصناعة إلى وجود الثروة الطبيعية لمعظم المعادن وكذلك مهارات الصناع، ووفرة رؤوس الأموال التي أقامت هذه المصانع، بالإضافة إلى وجود السوق الكبيرة التي كانت تستهلك هذه الصناعات الكثيرة في جميع أرجاء العالم الإسلامي؛ سواء من الصناعات المعدنية أو المنسوجات القطنية والصوفية والحريية وغيرها من الصناعات الأخرى.

المطلب الأول: الصناعات التي قامت على المعادن:

كانت خراسان مصدرًا رئيسيًا لمعظم المعادن التي ساعدت على قيام الصناعات، وكانت فيها عدة مناجم في جبالها ووديانها، واهتمت الدولة الغزنوية باستغلال هذه الموارد كالحديد والذهب والفضة، كما كان يوجد في كابول ونيسابور وفرغانة كميات كبيرة من الحديد مما أتاح لأهالي هذه المدن أن يظهرُوا براعة فائقة في المصنوعات الحديدية مثل السيوف ورؤوس الرماح والسكاكين، كما تميزت ناحيتي مينك ومرسمند -وهما من أعمال فرغانة-

بإنتاج أحسن أنواع الحديد التي كان يجهز منها إلى العراق^(١).

كما ظهر في العصر الغزنوي في سجستان معدن الذهب، ويعتبر من المعادن المستحبة منذ القدم لاسيما في صناعة الحلي التي تترين بها النساء وكذلك استخدم في صناعة الأواني وأدوات الزينة في القصور، وأيضاً دخل في صناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب، وأخيراً استخدم في ضرب النقود كالدينار، ليكون القوة الاقتصادية التي تتنافس بها الدراهم الفضية في الدولة^(٢).

أما الفضة فكانت مدينة بنجهير - بنواحي بلخ - من أهم مواطن الفضة في الدولة الغزنوية، ويتحدث ياقوت عن هذه المدينة فيقول: "والدراهم بها واسعة كثيرة، لا يكاد أحدهم يشتري شيئاً - ولو جزرة - بأقل من درهم صحيح، والفضة في أعلى جبل مشرف على البلدة والسوق، والجبل كالغربال من كثرة الحفر والبحث عن الفضة"^(٣)، كما كانت الفضة توجد في سمرقند ونيسابور، وفرغانة وزابلستان، أما في باذاغيس فقد تعطل العمل في مناجمها وذلك بسبب فناء الحطب الذي يساعد على استخراجها وسبكها^(٤).

ومن الصناعات التي اشتهرت بها مدن خراسان الأواني وكيزان الماء وطاسات غسل الثياب المصنوعة من الصفر أي "النحاس الأبيض"، وكذلك

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٦.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٨١؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٣٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ص ٤٩٨.

(٤) ينظر: الاضطخري: مالمسالك والممالك، ص ١٤٧، ١٥٦؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٣، ٣٧٥.

كان يكثر النحاس الأصفر في كل مدن الباميان ونيسابور وزابلستان ومرو، واشتهر إقليم خراسان بالمعادن مثل الرصاص والبلور والزئبق وغيرها، وكذلك كانت الأحجار النفيسة من بين موارد الثروة الطبيعية التي اعتنت باستغلالها الدولة الغزنوية، واشتهرت نيسابور بالفيروزج الأزرق، ومن الأحجار النفيسة التي عرفت في هذا العصر الياقوت والزمرد واللؤلؤ، ويعتبر أفضل أنواع اللؤلؤ ما كان يستورد من الصين، وكان يوجد -أيضاً- في خراسان بعض أنواع المعادن، مثل المغناطيس والكبريت والزرنيخ والموميائي^(١).

وكان يُوجد جبل به بئر بين الري وآمل يستخرج منه النوشادر والكبريت، يقصده رجال يحملون جلود البقر، ويملئونها بالنوشادر، ثم يدحرجونها من قمة الجبل لتعذر إيجاد طريق لنقلها^(٢).

وهكذا فقد أحسنت الدولة الغزنوية -في عصر السلطان محمود- استغلال ثروتها المعدنية كالحديد والذهب والفضة، أما معادن الفضة التي كانت في أصفهان فقد نضب معينها، وبقي بها معدن النحاس الأصفر، وكانت فارس أكبر مركز لصناعة الحديد واستخراجه، تليها مكران وكابل وغزنة وفرغانة، وأما الفيروزج الأزرق فكان لا يوجد إلا في نيسابور.

المطلب الثاني: المنسوجات القطنية والحريية:

ومن الصناعات التي ازدهرت في هذا العصر المنسوجات على اختلاف أنواعها، وكانت أكبر مراكز صناعة القطن في شرق فارس، وخصوصاً مرو

(١) ينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٥٦؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٥.

(٢) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٣٦.

ونيسابور وبم "شرقي كرمان" وقد اشتهرت هذه المدينة الأخيرة بثياب القطن الفاخرة وعلى الأخص الطيالس، وكانت هذه الطيالس تباع في خراسان والعراق ومصر^(١).

كما اشتهرت فارس بصناعة الكتان وخصوصاً في مدينة كازرون، ولقد نقلت هذه الصناعة من مصر إلى فارس حتى سميت مدينة كازرون "دمياط الأعاجم" وكان الكتان يبل في البرك، ثم يفصل بعضه عن بعض ويغزل، ثم تغسل خيوطه في ماء نهر الرهبان الذي له خاصية تبيض خيوط الكتان^(٢).

ومن المدن التي اشتهرت بقطنها مدينة مرو، وهذا القطن تصنع منه أفخر الثياب، وكان العرب يسمون كل ثوب صفيق بالمروي، وكل ثوب رقيق بالشهجاني؛ وإلى مرو ينسب القطن اللين والثياب التي تجهز إلى سائر الأقاليم الإسلامية^(٣)، وكانت من ألبسة الطبقة الأرستقراطية؛ أما مدينة نيسابور فلم تكن أقل شهرة من بقية مدن خراسان، فقد تميزت بالمنسوجات القطنية والصوفية، حتى وصفها ابن حوقل بقوله: "... وبها فاخر ثياب القطن والقز ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام، وبعض بلدان الشرك لكثرته وجودته، لإيثار الملوك والرؤساء لكسوته؛ إذ ليس يخرج من بلد ولا ناحية كجوهرتيه ولا يشاكله لرفعته وخاصيته"^(٤).

-
- (١) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ٩٩؛ آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٦٢.
 (٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٠؛ آدم متر: الحضارة الإسلامية، ص ٢٦٠.
 (٣) الاضطخري: المسالك والممالك، مرجع سابق، ص ١٤٩.
 (٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٣.

كذلك اشتهرت الدولة الغزنوية بصناعة الحرير^(١)، ونقل إليها من بلاد الروم، وصار الديباج يصنع في تستر، والخز بالسوس، وكانت أكبر مصانع نسيج الحرير في ذلك العصر توجد في خوزستان، حيث تصنع بها أنواع الحرير من ديباج وخز، وستور؛ أما صناعة الإبريسيم فكانت متمركزة في الشمال على طريق الصين القديم، وتصنع بصفة خاصة في مدينة مرو وإقليم طبرستان ثياب الإبريسيم التي كانت تصدر إلى جميع الآفاق^(٢).

وأما الثياب الحريرية الثقيلة التي كانت تصدرها طبرستان فإنها تدل على صلة قريبة بين صناعة الحرير بطبرستان وصناعته بالصين لأنها ثقيلة؛ أما الصناعات الفرس فكانوا يؤثرون الأقمشة الرخيصة الدقيقة؛ كما ازدهرت في طبرستان والري صناعة الثياب الحسنة والأكسية والمناديل والكوفيات^(٣).

(١) ويرجع الجغرافيين ذلك إلى وجود دودة القز في بعض المدن الخراسانية فكانت نيسابور من المدن الشهيرة بتربية دودة القز وصناعة الملابس الحريرية؛ أما الحرير الخام فكان مصدره بساتين وحدائق التوت الواقعة في الأراضي الشرقية من بحر قزوين، وقد كانت بعض مدن خراسان تستورد منه لتصنيعه، بالرغم من أن مرو كانت مركزاً لصناعة الحرير والإبريسيم لوجود القز الكثير فيها؛ نظراً للطلب المتزايد عليها من البلاط السلطاني، وفي المناسبات والاحتفالات والتشريفات الرسمية الخاصة بالدولة، وكذلك لسد احتياجات القصر من الملابس الحريرية التي كانت لباساً للنساء. ينظر: الاصطخري: المسالك والممالك، ص ١٤٦، ١٤٩؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٣، ٣٦٥.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٣١؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٢؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٦٣.

(٣) آدم متز: المرجع السابق، ج ٢ ص ٢٦٣.

المطلب الثالث: السجاد وأنواعه، والصناعات الجلدية:

من الجدير بالذكر أنه قد اشتهر كثير من أقاليم الدولة الغزنوية بصناعة السجاد، وأصبحت من أكبر المراكز لصناعته، والتي مازلنا نعرف عنها أنها تنتج أجود أنواع السجاد منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر.

ويرجع سبب ازدهار هذه الصناعة إلى تشجيع الملوك والأمراء ورجالات الدولة لها، بالإضافة إلى إنفاقهم الأموال الطائلة من أجل إبراز الأبهة والخبرة في تطور إنتاج أحسن الفرش والأبسطة وأفخرها على أيدي أحسن الصناع، الذين كانوا يشتغلون ويكرسون جهودهم شهوراً طويلةً لصنع أحسن أنواع السجاد؛ ليزودوا بها قصور السلاطين وبيوتهم، وكذلك طبقات الشعب المختلفة؛ وكانت أهم مراكز هذه الصناعات هي مدينة "تون" التي ذكرها (ناصر خسرو) وكان بها (٤٠٠) مصنع للسجاد في زمانه، وكذلك مدينة بخاري التي كانت تشتهر بصناعة البسط والمصليات والخيام، هذا كما اشتهرت بعض المدن الأخرى مثل طالقان باللبود الطالقاشية الشهيرة، وقوهستان بالبسط والمصليات^(١).

كما اشتهرت صناعة الجلود في الدولة الغزنوية كإحدى الصناعات التقليدية، نظراً لوجود الكميات الكبيرة من الحيوانات التي كانت تربي في مراعيها الخصبة، وذلك للاستفادة من لحومها وجلودها، كما اشتهرت مدينة بلخ بدباغة الجلود وصناعتها، وكانت خوارزم مصدرًا للفراء وسائر أنواع الوبر،

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٩؛ ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١٥٧؛ زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ص ١٤٠.

على أن مدينة مرو اشتهرت بالركب المروزية الشهيرة (الأحذية والسراجة والكاعب والجعاب والمداسات) التي اشتهرت بها عائلة الدغواني واختصوا به، أما مدينة نيسابور فكانت تشتهر بصناعة السيور الجلدية والسراجة^(١).

المطلب الرابع: الصناعات الخشبية، وصناعات أخرى:

وقد اعتمدت هذه الصناعة على جذوع الأشجار وأغصانها، وكانت الدولة الغزنوية تستورد خشب الساج الهندي -الذي كان يعد أحسن ما يستعمل في بناء البيوت- وذلك بالإضافة إلى أشجار الغابات الموجودة بالدولة، لسد حاجات الاستهلاك المحلي، كما تفنن الصناع في الدولة الغزنوية بصناعة الزخرفة الخشبية المحفورة والمنقوشة في عمل التحف والأدوات والأواني المنزلية، وأيضاً استخدم الخشب في صناعات مختلفة، كما اشتهرت بلخ بصناعة الرماح، وخوارزم بصناعة النشاب والقوس والقسي، ونيسابور بصناعة الصناديق والطرائف والتحف الخشبية^(٢).

كما برع أهل مازندران في صناعة الخشب الذي استخدم في تأثيث المنازل، وكانت تصدر منه مدينة قم أروع الصناعات الخشبية^(٣).

أما سمرقند فقد اشتهرت بصناعة الورق المعروفة في ذلك الوقت "بكاغد سمرقند" وكانت هذه المدينة تعد من أشهر مدن خراسان وما وراء النهر بهذه الصناعات، وكانت الكواغد المصنوعة في معاملها من أنعم وأحسن الورق حتى

(١) ينظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٠.

(٢) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ١٤٠.

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٨١.

كانت تضاهي الورق المصنع في مصر، من حيث الجودة والنعومة والكثرة^(١).

كما اشتهرت الدولة الغزنوية بصناعة الخزف والزجاج، وذلك لوجود المواد الطينية التي كانت تصلح لعجينة صنع الأواني الخزفية؛ حيث استطاع الفنانون تشكيلها وحفرها كما يريدون، لتكون في النهاية تحفة جميلة في متناول الجميع، وتوجد هذه الأواني على أشكال مختلفة على هيئة كيزان وأدوات لحفظ الأطعمة والماء^(٢).

أما الزجاج فقد ازدهرت صناعته أيضًا في العصر الغزنوي، ومنه كانت تصنع التحف المختلفة كالقوارير والزهريات وأكواب للاستعمال المنزلي، أو لحفظ الزيوت والعمور، وقد اشتهرت طوس بصناعة الزجاج والأقداح والكيان، كما تميزت مرو بهذه الصناعة أيضًا، أما نيسابور فكانت من أهم المراكز لصناعة الفخار ذي الزخارف والنقوش، كما كانت سرخس معروفة بصناعة الأواني الخزفية والزجاجية^(٣).

(١) ينظر: الاضطخري: المسالك والممالك، ص ١٦٢؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٢؛ ومن الجدير بالذكر أن أجود أنواع الورق في ذلك العصر هو الكاغد الذي نقلت صناعته من الصين، وقد ناله على أيدي المسلمين التغيير الهام، الذي يعتبر حدثًا هامًا في تاريخ العالم؛ حيث نقاه المسلمون مما كان يستعمل في صناعته من ورق التوت ومن الغاب الهندي، وكانت صناعته تقتصر على بلاد ما وراء النهر في القرن الثالث الهجري، أما في القرن الرابع فقد وجدت مصانع بدمشق وطبرية بفلسطين، وبطرابلس الشام؛ غير أن سمرقند ظلت أكبر لصناعته دائمًا، وقد داعب الخوارزمي أحد أصحابه لأنه لم يكتب إليه - سائلًا إياه هل سمرقند بعدت عليك، وهل الكاغد عزَّ عليك؟. آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

(٢) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٣٧، ١٣٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٣٨.

كما اشتهرت الدولة الغزنوية كذلك بصناعة الأبخرة والأدوية والعقاقير والصبغة والعمطور، وقد تحدث النرشخي عن صناعة "القصاراة" التي كانت تستخدم في غسل الثياب وتبييضها، والصبغة لإعطاء الألوان الزاهية للمنسوجات، كما كان لبعض الصناعات دور خاصة ومؤسسات صناعية تضم معداتها وآلاتها ويعمل بها عمال متخصصون في مختلف المجالات^(١).



(١) ينظر: النرشخي: تاريخ بخارى، ص ٣٩؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٣٨.

المبحث الثالث: النشاط التجاري

كانت التجارة الداخلية في الدولة الغزنوية مركزها الأسواق المتناثرة في جميع أنحاء الدولة، فتقيم كل طائفة من التجار في قسم معين من هذه الأسواق، ويمكثون إلى ما بعد الظهر، ولا يعودون إلى منازلهم إلا في المساء، وكانت الحوانيت صفوفًا في مكان واحد؛ فكانت توزع كل احتياجات الناس اليومية من المواد الغذائية الضرورية لهم، حيث ارتبطت هذه الأسواق ارتباطًا وثيقًا بالرساتيق والقرى؛ لأنها كانت تقدم الخدمات للمدن من توفير السلع والبضائع^(١).

ومن المدن التي اشتهرت بأسواقها، أصفهان، ويذكر ناصر خسرو أنه رأى هذه المدينة عند زيارته لها في أوائل سنة (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) سوقًا من أسواق الصرافين به مائتا صراف، ولكل سوق سور وباب محكم، كما عبر عن إعجابه بقوله: "إنه لم ير في كل البلاد التي تتكلم بالفارسية مدينة أجمل ولا أكثر سكانًا وعمرانًا من أصفهان"^(٢).

ومن المدن التي اشتهرت بأسواقها -أيضًا- مدينة "بلخ" وكانت أسواقها

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٨١؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٧.

(٢) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١٥٤، ١٥٥.

تحف مسجدها الجامع، وهو معمور بالناس على مر الأوقات وتعاقب الأيام والساعات، كما اشتهرت بسوق الجمال التي كانت ذات شهرة بالنوق المتقدمة على سائر ما في جنسها بصحة مراعيها وخلوص نتائجها، والبخاتي أشهر هذه النوق غير أن بُخت سمرقند أصلب وأشد وأبدن من نوق بلخ ولا نظير لها في جميع الأقاليم الأخرى^(١).

ومن أحسن الأسواق أسواق نيسابور، فهي خارج المدينة، ومن خلالها خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات فيقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارة، ويسكن هذه الفنادق "أهل اليسار وأهل البضائع الكبار والأموال الغزار، ولغير المياسير فنادق وخانات يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصناع، وكانت أسواق نيسابور تستضيف تجارًا من كل البلاد الإسلامية، وخاصة من مصر والعراق الذين كان لهم متعهدون في مدينة نيسابور على مدار السنة"^(٢).

وقد مدح المقدسي نيسابور بقوله: "ثم هي خزانة المشرقين، متجر الخافقين، بضائعه تحمل إلى الآفاق، ولبزه نور وإشراق، يتجمل به أهل مصر والعراق، يجبي إليه الثمرات ويرحل إليه في العلم والتجارات، فرضة فارس والسند وكرمان، ومطرح خوارزم والري وجرجان"^(٣).

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٣؛ آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٥٥.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٤.

كما اشتهرت كل مدينة أو إقليم من الدولة الغزنوية بنوع من التجارة، فكانت خراسان تبيع الرقيق والأبرسيم والقز والقطن والثياب^(١)، ومن الجوزجان تصدر الجلود المدبوغة^(٢)، وكانت بلاد الصين والسند تشتري ما تحتاجه من ثياب قطنية من كابل^(٣).

وكما سبق فقد كانت البضائع تُباع في أسواق مخصصة، فلكل بضاعة سوق خاصة بها، وكان لكل طائفة من التجار تعمل في صنف معين - كالجلود أو التوابل أو الأقمشة مثلاً - نقابة، وتجمع النقابات كلها نقابة كبيرة تسمى "نقابة التجار"، يرأسها تاجر عظيم ذو مال كثير يعرف باسم "الشاهبندر" وهذا الرجل كان دائماً ذا مكانة مرموقة عند الطبقة الحاكمة والناس، حيث كان يتولى تزويد الطبقة الحاكمة بما يحتاجون إليه من البضائع خاصة الغالية منها، كما كان يقدم خدمات جليلة للنقابة من خلال علاقته بأهل الحكم لرفع الظلم والتخفيف من وطأة رجال الإدارة، كما كان يساعد "الشاهبندر" عدد من التجار يتولون معه تصريف الأمور الخاصة بطائفة التجار، وهؤلاء هم الذين كان الناس يلجأون إليهم للسؤال عن التجار الأجانب ومراكزهم وقدراتهم المالية ومستواهم الخلفي في المعاملة وما إلى ذلك، وكان هذا النظام موجوداً في العالم الإسلامي وبفضله نشطت التجارة وتشجع التجار على البيع والشراء وكذلك كف الحكام أيديهم عن التجار نظراً للفوائد التي كانت تعود عليهم من وراء اكتساب ثقة

(١) الإصطخري: المسالك والممالك، ص ١٤٦، ١٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٣.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٥، ٣٧٦.

التجار وحسن ظنهم، ولم يكن يمد يده إلى أموال التجار إلا حاكم قصير النظر^(١).

ولم يقصر التجار ما بين صغار وكبار في توسيع مدى معاملاتهم التجارية، كما عرفوا كيف ينظمون أمورهم المالية فيما بينهم دون حاجة إلى تدخل السلطات، فتعاملوا بالبيع نقدًا ومؤجلًا، وعرفوا "السفاتج" وهي التي يطلق عليها اليوم "الكمبيالات"، و"الصكوك" والتي تعرف اليوم باسم "الشيكات"؛ بل إن لفظ (chek) الإفرنجي محرف عن لفظ "صك" العربي، وعرفوا - أيضًا - خطابات الضمان والحسابات المفتوحة وغير ذلك من صور التعامل المالي، وإن لم يعرفوا المصارف (البنوك)، لأن المصارف لا يمكن أن تقوم إلا برعاية الدولة وضماتها، وكانت ثقة التجار في دولهم قليلة؛ لأن رجال الدولة كانوا طامعين في أموال التجار دائمًا؛ وجدير بالذكر أن المصارف في البلاد الأوربية كانت عبارة عن مؤسسات فردية ولم تكن تقوم بعمليات واسعة النطاق، وإنما كان يقام في كل سوق منضدة كبيرة يجلس حولها الصرافون للقيام بالعمليات المالية، وهذه المنضدة هي أصل البنوك الحالية؛ لأن الراغب في المعاملة مع الصرافين كان يجلس على كرسي أمام المنضدة عرف باسم (bank)، وهذا هو أصل البنوك والمصارف، ولم تكن عمليات الصرف في الأسواق الإسلامية تختلف كثيراً عن ذلك، ولكنها تطورت في الغرب تبعاً لتطور الظروف السياسية العامة، في حين أنها لم تتطور في بلاد المسلمين لوقوف

(١) د/ حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص ٧٤، ٧٥.

الأنظمة السياسية عن التطور^(١).

ومن أشهر طرق التجارة بالدولة الغزنوية:

أولاً: الطريق البحري: من أوروبا إلى الشرق عن طريق مصر، ويقوم به في كثير من الأحيان تجار من اليهود، وكان لهم بمدينة أصبهان حي يسمى باليهودية، وهؤلاء اليهود يأتون من مقاطعة بروفانس، ومن أكبر المنافسين للتجار المسلمين بفارس، وكانوا يتكلمون عدة لغات مثل العربية والفارسية والرومية والفرنسية والصقلية، ويجلبون من غرب أوروبا الجوارى والغلمان والديباج وجلود الخنزير^(٢) والفراء والسيوف، وكانت رحلاتهم تبدأ من بروفانس، وترسو سفنهم عند الفرما، ويحملونها على الدواب إلى القلزم، ومنها تنقل عبر البحر الأحمر إلى السند والهند والصين، ويعود التجار من رحلتهم محملين ببضائع المشرق مثل المسك والعود والكافور إلى القلزم، ومنها إلى الفرما أو الإسكندرية، ثم إلى بروفانس، ويقصد بعضهم أحياناً القسطنطينية^(٣).

ثانياً: الطريق التجاري: من شمال روسيا إلى الشرق، عن طريق بحر قزوين، ومنه تنقل التجارة إلى مرو وبلخ وبخارى وسمرقند ببلاد ما وراء النهر، ومنها إلى الصين، ويحمل التجار المسيحيون الذين يستعملون هذا الطريق جلود الخنزير وجلود الثعالب والسيوف والشمع والعسل؛ ولقد ازدادت أهمية

(١) د/ حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص ٢٧٣؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩، بتصرف.

(٢) ابن الفقيه الهمداني: البلدان، ص ٢٧٠؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٣.

(٣) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ١٤٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٣.

هذا الطريق منذ أن دخل أهل الفلجاء الإسلام في أوائل القرن الرابع الهجري، والجهود التي بذلها السامانيون في خراسان وما وراء النهر للمحافظة على الأمن والنظام في هذه البلاد؛ ومن الجدير بالذكر أن تجارة العالم الإسلامي مع بلاد الهند ازدهرت كثيراً بعد أن قام السلطان محمود الغزنوي بفتوحاته وأعماله الجليلة في هذه البلاد^(١).

ثالثاً: الطريق البري من أوروبا إلى المشرق، ويبدأ من الأندلس ويمر ببلاد المغرب حتى مصر، ثم يتجه إلى بلاد الشام، ومنها إلى العراق ففارس ماراً بالأهواز ثم إلى كرمان والهند والصين^(٢).

رابعاً: الطريق التجاري الذي يسير من المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند متجهاً داخل فارس مرّاً بولاية سجستان، وإلى الشمال من هذا الطريق كانت قوافل البنجاب تنقل مقادير كبيرة من البضائع عبر هضاب أفغانستان، وتوصلها إلى كابل وغزنة وغيرها، ومن هناك كانت القوافل تسير نحو خراسان غرباً وبخارى شمالاً^(٣)؛ وكان ملوك الهند يحسنون معاملة التجار العرب، وانتشرت الجاليات العربية في بعض مدن الهند؛ لذلك نشطت الحركة التجارية في الملتان والديبل؛ وكانت الملتان والديبل من أهم مراكز التجارة في الدولة الغزنوية، فكان العرب في الديبل يتبادلون البضائع مع التجار الهنود الذين يجلبون سلعهم

(١) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ١٤٩؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٤، ٣٣٥.

(٢) ابن خردادبه: المسالك والممالك، مرجع سابق، ص ١٥٤؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٣٣٥.

(٣) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٤٩.

من داخل الهند أو من المدن المجاورة، وكانت الملتان مركزاً هاماً للتجارة مع الأقاليم الداخلية في الهند؛ لأنَّ فيها معبداً يقصده حجاج الهنود من داخل البلاد، وكانت سفن فارس وبلاد العرب التجارية تحرص على التجارة مع هذه البلاد^(١).

هذا وقد لعبت التجارة دوراً كبيراً في انتشار الإسلام بين الأتراك الشرقيين، حيث أنَّه من المعروف أنَّ الاحتكاك التجاري بين مناطق البدو وأماكن الاستقرار احتكاك طبيعي، فكان البدو الترك ينظرون إلى المدن المستقرة المزدهرة نظرة إكبار، فهي مورد لهم الطبيعي للمنسوجات وغيرها من الأشياء التي لا تتوفر في البيئات البدوية، وكذلك مناطق الاستقرار بدورها تتطلع إلى مناطق البداوة على أنها مورد طبيعي للمادة الخام والثروة الحيوانية^(٢).

وقد بدأ هؤلاء البدو يقبلون على أسواق المسلمين في بلاد الدولة الغزنوية ويألفون البضائع الإسلامية ويعتمدون عليها وتزداد حاجتهم لها باستمرار، ويبدوا أن التجار المسلمون قاموا بدعوة هؤلاء الأتراك إلى الإسلام من خلال الصلات التجارية المتبادلة معهم، وليس من شكِّ في أنَّ الدعوة إلى الإسلام والعلاقات الإنسانية بين المسلمين وهؤلاء الأتراك كانت تمضي جنباً إلى جنب وتعمل على ازدهار حركة النشاط التجاري في تلك المناطق^(٣).

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٧٥؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٨٤.
(٢) د/ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٧٤؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٨٧.

(٣) ينظر: د/ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٧٤، ١٧٥.

وأما بالنسبة للمعاملة الجارية فقد كانت الدولة الغزنوية تتعامل بالدرهم الفضي، وكانت قيمته تختلف من حين لآخر وتتأرجح من ١٠ إلى ١٥ بالنسبة للدينار الذهبي، وقام السلطان محمود الغزنوي بسك الدينار الذهبية والدرهم الفضية باسمه؛ ومن وسائل المعاملات التجارية الحوالات، وقد قام الصيارفة والوكلاء في ذلك العصر مقام البنوك، فكان التجار يأخذون رقاعاً منهم بما لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهم، ويحولون ثمنه عليهم^(١)، وكان الصك أشبه بالشيك، فيستطيع الشخص أن يعطى للصراف مالاً ويأخذ منه رقاعاً، ثم يشتري ما يلزمه، ويحول ثمنه على الصراف^(٢).

وكان الجهابذة^(٣) أوسع ثروة وأقدر من الصرافين على القيام بالعمليات

(١) عرف المسلمون في الدولة الغزنوية كل صور التعامل المالي التي ظهرت في العصور الحديثة، ولكن في صورة بدائية وغير منظمة تنظيمًا تامًا، فقد كان الصراف في السوق يقوم بالكثير من أعمال البنوك الحالية، إذ يقوم بتغيير العملة سواء كانت محلية أم أجنبية، ذهبية أم فضية، وكانت العادة أن التاجر إذا دخل السوق أودع ما معه من المال لدى أحد الصرافين، وأخذ بدلها رقاعاً أو أوراقاً عليها طابع (ختم) الصراف يسجل منها الحد الأقصى الذي يستطيع التاجر أن يتعامل به، وهذه الرقاع يشتري ما يريد ويعطي البائع منه ما يساوي قيمتها، ويذهب الناس بهذه الرقاع إلى الصراف ليأخذوا قيمتها النقدية، وكان الناس يفعلون ذلك تفادياً لحمل مقادير كبيرة من العملة في أثناء وجودهم في السوق وتعرضهم للصوص في الزحام، وكذلك ليوفروا الوقت الذي يضيع في فحص العملة للتأكد من سلامتها في كل حالة شراء، وفي آخر مدة السوق يراجع التاجر حسابه مع الصراف فيأخذ المتبقي له أو يدفع الزائد عليه، وهذه أشبه بعمليات "خطابات الضمان". حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص ٢٨٠.

(٢) البلاذري: النقود العربية وعلم النميات، ص ٢٥، ١٠٧؛ حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص ٢٧٨؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢ ص ٢٨٠.

(٣) الجهابذة: جمع جهيد، هي كلمة معربة أصلها فارسي، والجهيد الناقد العارف بتميز الجيد من الرديء، وتأتي بمعني الصراف الماهر وكانت مهمته الإشراف على المسكوكات في الدولة

المالية الكبيرة المعقدة، وكان بعض التجار يودعون لدى الجهبد عشرات الألوف من الدينار ويأخذون عنها رقاع يتعاملون بها على مدى طويل، وفي بلاد شتى كان الجهبد يقوم بعملياته في بيته أو دكانه، حيث يعمل في خدمته كتبه وحسابون، وتوجد عنده خزائن، أما الصراف فكان يجلس على منضدة في السوق، ومعنى ذلك أن الصراف كان أدنى مرتبة من الجهبد، ومن الممكن اعتبار الجهبد مؤسسة مالية تقوم بعمليات واسعة المدى وترتبط بمؤسسات مماثلة في بلاد أخرى ويقوم بين هذه المؤسسات نظام متعارف عليه في الصرف والدفع، فكان التاجر يشتري في نيسابور مثلاً ويدفع الثمن في البصرة أو القاهرة عن طريق الجهابذة^(١).



ودور ضرب العملة بها. العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٥١ حاشية رقم ٢.
(١) حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص ٢٨٠.

المبحث الرابع

موارد الدولة الغزنوية وأوجه إنفاقها

أولاً: موارد الدولة الغزنوية:

إنَّ مما لاشك فيه أنه قد اجتمع للدولة الغزنوية من الأموال والكنوز ما سارت بأخبارها الركبان وبلغ صداها أصقاع المعمورة، حيث ذكر غير واحد من المؤرخين أنه قد تكدست تلك الأموال من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخييل المسومة والأنعام ومن المجوهرات، بشتى أنواعها في خزينة الدولة الغزنوية، وذلك من خلال مصادر متعددة ومناحي مختلفة.

وكان بعض تلك الأموال تأتي من الخراج ومن التجارة ومن الضرائب ومن المصادرات، وما كان يفرضه السلطان محمود على السكان في المدن والأرياف، وعلى كافة المواطنين، ومن الغنائم التي كان يحوزها بعد كل حرب وغزوة يقوم بها، وفي كافة النواحي من سلطنته.

١- الخراج:

وهو مبلغ من المال النقدي أو العيني تفرضه الدولة أو الحكومة أو الإمارة أو أية سلطة قائمة، قديمة ومقيمة أو جديدة محتلة على ملاك الأرض، ويعد نوع من أنواع ما يسمى في الوقت الحاضر "الضرائب" (١).

(١) محمد عبد المطلب أحمد: النظام الاقتصادي في الإسلام، ص ٩٦.

تعددت طرق جباية الخراج في الدولة الغزنوية على الوجه الآتي:

أ. جباية الخراج بواسطة عامل الخراج، فكان السلطان يعينه، ويخضع لسلطانه المباشر، ويختص بجباية الخراج، والإنفاق على عمارة الدولة ودفع رواتب الموظفين، وإرسال ما تبقى إلى خزانة الدولة الرئيسية في غزنة، وكان البندار - وهو الموظف المسئول عن جباية الخراج - يخضع له عدد من الموظفين يقوم كل منهم في ناحيته بأمر جباية الخراج، وكان الخراج يقبض في بعض الجهات على دفعة واحدة، وفي هذه الحالة يجبي الخراج في يوم النوروز - وهو أول أيام السنة الفارسية بعد حصد الزرع^(١).

وكان يتعين الخراج على كل ما تنتجه الأرض من مزروعات، كالحبوب بجميع أنواعها، وثمار الأشجار بكافة أصنافها المختلفة وحسب حجمها ومساحة الأرض الزراعية، وحجم الأشجار، صغارها والكبار، وتقوم هيئة معينة في الأصل من الخراصيين (وهم المقدررون أو المقيمون) أو ما يسمى في الوقت الحاضر "لجنة التقييم أو هيئة التقييم" من كل إقليم، وغالبا ما يكونون من كبار البلد وأعيانها، وهمتهم تحديد إمكانية الأرض من الزراعة، حيث يفترض أن تراعى مدى خصوبة الأرض وكيفية سقيها، كما يسجل ما حدده الخراصون على كل مزرعة على حدة، ثم يدونون مجموع ما خرص على الإقليم، ويعلم أميرها بمجموع ما يتحتم عليه دفعه لخزينة السلطان المركزية في غزنة، في وقت محدد وخلال زمن معلوم لا يجوز له أن يتأخر عنه^(٢).

(١) أ. د/ سعد بن حذيفة الغامدي: إيرادات بيت مال محمود الغزنوي وأوجه صرفها، ص ١١،

١٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢.

وكانت دواوين الخراج في الولايات تقوم مقام خزائن الدولة، فتستوفي من مال الخراج النفقات وأعطيات الجند، ثم يحمل ما تبقى إلى بيت المال العام، واستعملت في الدواوين عدد من الدفاتر أحدهما: يدون فيها مقدار ما على كل فرد من خراج، ويثبت في دفتر آخر مقدار ما يؤدي، ودفتر يسجل فيه النفقات اليومية، ودفتر يرفعه جابي الخراج شهرياً، وآخر سنوياً يسجل فيه مقدار الجباية والنفقات؛ ومما يجدر ذكره أن الجهبذ أو الخازن كان إذا تسلم الخراج من دافعه يمنحه براءة يثبت فيها المبلغ الذي أداه^(١).

وأما مقدار الجبايات التي كانت تجبى من ولايات الدولة الغزنوية، فكان الجوزجان يقبض من وجوه أموالها مائة ألف دينار، ومن الدراهم أربع مائة ألف درهم، وسجستان والرخج من جميع أعمالها وجباياتها مائة ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم، وبست ونواحيها مائة ألف دينار وثمانمائة ألف درهم، وغزنة وكابل وأعمالها من بلاد الهند اجتباها ألبتكين - أول حكام الدولة الغزنوية - مائة ألف دينار وستمائة ألف درهم^(٢).

هذا وقد راعت الدولة الغزنوية الظروف التي قد تحول بين الأهلين وبين أداء ما عليهم من أموال، فلمغان مدينة من ديار السند من أعمال غزنة تعرض أهلها مراراً وتكراراً لغزوات الهنود، وحدث أن دمرت بلادهم في إحدى هذه الغزوات، فاجتمع جماعة من أعيانهم، وتوجهوا إلى غزنة، ومزقوا ثيابهم، ودخلوا سوق غزنة نائحين، وذهبوا إلى مقر السلطان وبكوا، فرق لهم الوزير

(١) ينظر: آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١ ص ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٨٧.

أحمد حسن الميمندي، وألغى عنهم خراج هذه السنة^(١). وقد يحدث أحياناً أن يرغب صغار ملاك الأراضي الزراعية في الإفلات من عبئ الخراج العادي، فدونوا ضياعهم مع ضياع كبار ملاك الأراضي الأقوياء، فكانوا يدفعون عنها العشر فقط، كما هو الحال في الإقطاعات؛ على أن هذا التصرف لم يمنعهم من ممارسة حقوق ملكياتهم لأراضيهم فظلوا يتبايعونها ويتوارثونها وإن كانت بأسماء كبار الملاك المدونة مع ضياعهم^(٢).

٢. الجباية بطريق الضمان:

شاع نظام الضمان في جباية الخراج، فكان على الضامن للمدينة أو الولاية أن يقدم للحكومة مبلغاً معيناً من المال سبق أن اتفق مع الحكومة عليه، وإذا ما أخل الضامن بالتزامه كأن يعجز عن دفع المال المتفق عليه، فإن الحكومة تفرض عليه عقوبات.

وقد ألحق الضمان ضرراً كبيراً بأهل الخراج من المزارعين وبالأرض؛ لأن الضامن كان يلجأ في بعض الأحيان إلى استخدام العنف للحصول على المال المحدد بالضمان، فيسلمه إلى الحكومة فضلاً عن الربح الذي يحرض على جمعه من أهل الخراج لنفسه^(٣).

٣. التجار وتجارهم:

وكما سبق فقد كان السلطان محمود صارماً في إدارته للعدالة، فكان لا يقبل

(١) العروض السمرقندي: جهاړ مقاله، ص ٢٧؛ محمد ناظم: مرجع سابق، ص ١٨٨، ١٨٩.
 (٢) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ٥٩، ٦٠؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٨٨.
 (٣) ١. د/ سعد بن حذيفة الغامدي: إيرادات بيت مال محمود الغزنوي، ص ١٣.

أي ظلم أو تعد يقع على أحد في مملكته، كما كان شديداً في معاقبة كل من تسول له نفسه ترويع الناس وإرهابهم.

وبذلك أمن الناس في دولته على أنفسهم وأموالهم فخرجوا إلى الأسواق بتجارتهم وبما يرغبون في بيعه، فراجت التجارة في عهده رواجاً عظيماً، وكثر أعداد التجار المتاجرون في كل شيء ينتفع به الإنسان أو غيره في زمانه، وأصبحت لهم نقابة - كما سبق - ونظام خاص بهم، وتوافد على الدولة الغزنوية التجار من كل ناحية، وعقدت الصفقات المختلفة؛ الأمر الذي كان له الأثر الكبير في الانتعاش الاقتصادي للدولة الغزنوية.

وحينما ننظر إلى موقف السلطان محمود لما بلغه أن رجلاً من نيسابور كثير المال عظيم الغنى، فأحضره السلطان إلى غزنة وقال له بلغنا أنك قرمطي، فقال لست بقرمطي، ولي مال يؤخذ منه ما يراد وأعفي من هذا الاسم، فأخذ منه مالاً وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده^(١)، أقول حينما ننظر إلى هذا الموقف نتساءل من أين حصل ذلك الرجل على هذا المال كله؟ وغالب الظن أنه كان تاجرًا.

وليس بإمكاننا حصر أعداد التجار في مملكة السلطان محمود، ولكن نقول ربما كانوا خمسين ألف تاجر فقط، وهم الذين وصلت أخبارهم عليه عن طريق رجاله من المباحث والاستخبارات، فلو افترضنا أنه أخذ من كل واحد مليون دينار، يشمل: الضرائب للتجارة الخارجية والداخلية، ومكوس الأسواق، وكافة أنواع التجارة التي يزاولها كل تاجر، بذلك يصبح لدينا خمسون مليون دينار =

(١) ينظر: ابن الأثير: مرجع سابق، ج٨ ص ١٩٠.

بليون ومائة مليون درهم^(١).

وإذا نظرنا إلى إحدى غزوات السلطان محمود كالغزوة الثانية عشرة مثلاً نرى أن الأسرى الذين بيعوا كانوا قرابة ربع مليون إنسان، وكان الخمس منهم خمسون ألف إنسان، وقد تم بيع الأسرى للتجار الذين توافدوا من كل الأقطار، وكانت أعدادهم تتزايد كلما سمعوا بحملة عسكرية كان يقوم بها السلطان، فكان التنافس على أشده فيما بينهم لشدة الطلب والتنافس، وبالتالي تزيد أثمان المعروضات، ومنها البشر، هذا وقد أصبحت غزوة تغص بالتجار، حيث كان يتزاحم الناس في أسواقها عامة، وأسواق النخاسة بشكل خاص، وبالذات عند عودة الجيوش إليها بعد كل غزوة.

ولو قلنا أن الربع مليون أسير الذين تأتوا من هذه الغزوة قد تم بيع كل واحد بعشرين ديناراً، -كحد أوسط مثلاً- معنى ذلك أنه سيكون لدى الدولة الغزنوية أربعة ملايين دينار (ثمانية وثمانون مليون درهماً)، وهو مبلغ ضخم في وقتها؛ هذا بالإضافة إلى ما ورد إلى الدولة من باقى الغزوات والحروب التى قامت بها في عهد السلطان محمود^(٢).

٣- المكوس:

وهي الضرائب التي تفرضها الدولة على تجار أهل الذمة وتبلغ ٢٠ / ١ على التجار المقيمين في البلاد الإسلامية من قيمة بضائعهم إذا تجاوزت قيمتها مائتي درهم؛ أما التجار القادمون من خارج البلاد الإسلامية فتبلغ ١٠ / ١ من قيمة

(١) د/ سعد بن حذيفة الغامدي: إيرادات بيت مال محمود الغزنوي، ص ١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦.

البضائع إذا زادت قيمتها على مائتي درهم، وكانت تفرض الضرائب كذلك على البضائع المنقولة من ناحية إلى أخرى براً وبحراً؛ وقد أنشئت لجبايتها دور المكوس في أماكن مختلفة وخاصة على ضفاف الأنهار، كذلك فرضت ضرائب على الدور والحوانيت والأسواق، وكانت كل من أصفهان وجرجان تمول خزائن الدولة بأموال كثيرة من ضرائب التجارة، نظراً لانتعاشها تجارياً^(١).

ومما يجدر ذكره أن الرسوم المقررة على التجار لم يلتزم بها الولاة في بعض الأحيان، فهذا خلف بن أحمد - والي سجستان - يرفع الضرائب على أرباح وبضائع التجار^(٢).

كما كانت الدولة الغزنوية تفرض على سكان كل مدينة من مدن سلطنتها وأريافها مبالغ معينة، تزيد أو تقل اعتماداً على مدى ثراء أهل تلك المدينة وقراهم؛ يجب عليهم تأديتها في كل سنة، وكان يتم تقسيطها عليهم^(٣).

كما فرضت ضرائب على المعادن المستخرجة من جوف الأرض، وتقدر بالخمس، وشكلت المصادرات كذلك مورداً هاماً للدولة، فكان السلطان محمود كثير المصادرات، وحينما صادر أموال وزيره أحمد بن حسن الميمندي قدرت بحوالي خمسة آلاف دينار^(٤).

(١) الإصطخري: المسالك والممالك، ص ١١٧، ١٢٥.

(٢) أبوشجاع: ذيل كتاب تجارب الأمم، ص ١٨٩.

(٣) ١. د/ سعد بن حذيفة الغامدي: إيرادات بيت مال محمود الغزنوي وأوجه صرفها، ص ١٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٨٩؛ ١. د/ سعد بن حذيفة الغامدي: ص ١٧، ١٨.

٤. غنائم الحروب والغزوات:

من الصعب حصر قيمة الأموال التي تحصلت عليها الدولة الغزنوية - بقيادة السلطان محمود- من خلال حروبها وغزواتها في آسيا الوسطى والهند، أو وضع رقم صحيح لها؛ غير أن هناك بعض المحاولات التي قام بها بعض المؤرخين لتقدير قيمة الغنائم التي وصلت إلى خزانة الدولة من خلال الغزوة الثانية للسلطان محمود على بلاد الهند، جاءت على النحو التالي:

- مبالغ هائلة قدرت بالملايين من الدينانير لقاء إطلاق سراح راجا جييال وأربعة عشر شخصاً من أفراد أسرته، حيث مبلغ فدية رأسه مائتان وخمسون مليون ديناراً، فلو افترضنا فدية العدد الباقي وهم أربعة عشر فرداً بنصف فدية الملك لكل واحد منهم، أي بمائة وخمسة وعشرين مليون دينار، فإن ذلك يعنى المبلغ الإجمالي لفديتهم بلغ مليون وتسع مائة ألف دينار (أربعة بلايين ومليون وثمان مائة ألف درهماً).

- بلغ عدد الجواري والغلمان دون الأسرى الباقين مائة ألف جارية و غلام، فإذا كانت قيمة كل غلام وجارية في المتوسط عشرين ديناراً، لأصبح لدينا مليوناً ديناراً (أربعة وأربعون مليون درهماً) قيمة الجواري والغلمان.

- قلائد من اللؤلؤ ومن الياقوت قيمتها حسب تقديرات المصنفين بمائتي ألف دينار (أربعة ملايين وأربع مائة ألف درهماً)، وغير ذلك من الغنائم التي لم يتم حصرها، بالإضافة إلى قيمة الخمسين فيلاً التي تسلمها السلطان محمود كشرط من شروط الاتفاقية الموقعة بينه وبين راجا جييال^(١).

(١) أ. د/ سعد بن حذيفة الغامدي: إيرادات بيت مال محمود الغزنوي، ص ١٩، ٢٠.

ثانياً: أوجه إنفاقها:

وهذه الأموال التي تجمع من الوجوه السابق ذكرها كانت تنفق في الأمور الآتية:

١. رواتب القضاة والعمال والولاة وصاحب بيت المال والجند وغيرهم من الموظفين؛ ومما يجدر ذكره أن رواتب الكتاب كانت شهرية، أما رواتب الجند فكانت الدولة تدفعها لهم على أربع دفعات في السنة.

٢. نفقات الحملات الحربية، وكانت تكاليف الدولة الغزنوية باهظة في هذا الصدد، لأنها كانت في غزوات متواصلة بعضها في بلاد الهند، وبعضها ضد القوى الإسلامية المعادية.

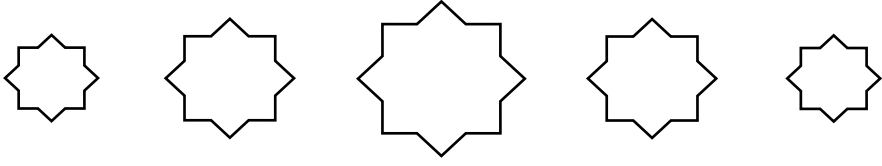
٣. نفقات الإصلاحات الزراعية، وتشيد المرافق العامة.

٤. نفقات تشييد عدد من الأبنية الهامة في الدولة، كدواوين الحكومة ومرافقها، وبعض المساجد الكبرى وما يخدمها من حدائق ومنتزهات، في عدد من مدن سلطنته الواسعة الأرجاء، مثل العاصمة غزنة، ومدن أخرى كنيسابور ومرو وبلخ.

٥. العطايا والمنح للأدباء والعلماء^(١).



(١) المرجع نفسه، ص ٢١: ٢٤؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٩٠.



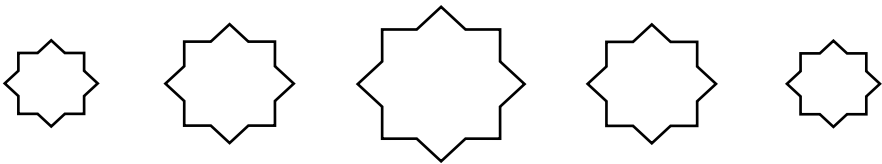
الفصل الثالث

إنجازات الدولة في الناحية الاجتماعية

المبحث الأول: عناصر السكان ودورهم في الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: المناسبات الاجتماعية والأعياد وأنواع التسلية.

المبحث الثالث: الأخلاق والعادات والمواكب والحفلات.



المبحث الأول

عناصر السكان ودورهم في الحياة الاجتماعية في الدولة الغزنوية

لا شك أن السياسة الداخلية من أبرز العوامل التي تؤثر في حياة المجتمعات قديماً وحديثاً؛ حيث أن استتباب الأمن واستقرار الأوضاع السياسية يؤدي إلى انصراف الحكومة إلى الإصلاحات الاجتماعية والعناية بالمرافق العامة، وتحقيق رفاهية الشعب من الناحية الاقتصادية؛ كما أن الصراع السياسي غالباً ما يؤدي إلى صراع اجتماعي يفتت الوحدة الاجتماعية ويبعثر جهود أبناء المجتمع الواحد.

وبالنظر إلى حال الدولة الغزنوية في فترة حكم السلطان محمود يتبين أنّها قد نعمت بالهدوء والاستقرار إلى حد ما، وذلك بفضل الجهود المباركة التي بذلها السلطان محمود لتوحيد الأمة ونبذ الفرقة والخلاف، وسياسته الحكيمة في القضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية؛ ولا أنكر أنه كانت هناك بعض الثغرات السياسية للسلطان محمود من خلال حوادث الحبس والمصادرة للوزراء والعمال، وتسارعه في إصدار بعض الأحكام دون تثبيت وروية، مثل ما حدث مع الوزير أحمد بن الحسن الميمندي وغيره، هذا بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية التي كانت تسبب بعض المشاكل الاجتماعية التي يعانها الإنسان العادي بكل موارده وطاقاته، كما حدث في نيسابور.

غير أن هذه الفترة كانت أفضل بكثير مقارنة بالفترة التي جاءت بعدها حين توفي السلطان محمود، حيث تعرضت الدولة الغزنوية لهجمات السلاجقة ونهبهم إلى أن وقعت البلاد في أيديهم على أثر معركة "دندانقان" الشهيرة عام (٤٣١هـ)، وهذه السنوات الست الأخيرة من الحرب بين الدولة والسلاجقة خلفت ورائها آثار الدمار ببلدان الدولة الغزنوية، بالإضافة إلى أنها خلقت في الناس موجة من الرعب والخوف وعدم الاستقرار في جميع أنحاء البلاد.

"كما نتج عن هذه الحروب الطويلة إهمال الزراعة وترك الأرض بوراً على فترات متقطعة من السنة نتيجة هروب السكان إلى مناطق آمنة وخالية من المصادمات المسلحة بين الجيش الغزنوي وقوات السلاجقة، هذا بالإضافة إلى أن البلاد قد شهدت عام (٤٣١هـ / ١٠٣٩-١٠٤٠م) موجة من القحط لم تشهدا في فترات سابقة من الزمن، حيث كانت العائلات وأبنائها يموتون من الجوع لسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، فكان منهم من هُدم بيته ومنهم من فقد أرضه وزراعته، ومنهم من بدأ ينزع سقف بيته لبيعه ويعيش من ثمنه.

وهكذا تدهورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وضائق الحياة بالناس وساءت أحوال المعيشة في معظم المدن الخراسانية وغيرها، فنتج عن ذلك ارتفاع الأسعار للسلع والمواد الغذائية وغيرها"^(١).

أما السكان في الدولة الغزنوية فقد انقسموا إلى عناصر متعددة، من أبرزها الترك والفرس والعرب:

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، مرجع سابق، ص ٦٦٤، ٦٦٩ بتصرف.

يجمع المؤرخون على أن ظهور العنصر التركي في الحياة العامة في المجتمع الإسلامي كان مع بداية حكم الخليفة المعتصم سنة (٢١٨هـ) عندما استقدمهم من بلاد الترك ليحلوا محل جنود بغداد الذين بدؤوا يثيرون القلق والشغب في قلب الدولة بعد وفاة الخليفة المأمون، وخاصة عندما تعصبوا للعباس ابن أخيه ونادوا به خليفة للمسلمين، فعول المعتصم على تأليف جيش من الأتراك لما اتصفوا به من شدة البأس^(١).

هذا وقد تدرج العنصر التركي في الظهور بالدولة الإسلامية، فظهر الأتراك في أواخر العهد الأموي في بيوت سادات العرب على شكل خدم، وصار أمراء العرب يجلبون مما وراء النهر الغلمان والجواري، ومما شجعهم على ذلك ما عرفوه عنهم من الشجاعة والفروسية وحسن التكوين، ثم أخذ عنصر الأتراك في الظهور في البلاط العباسي، حيث وجد في بلاطهم أبي جعفر المنصور نواة بسيطة من الترك، واقتنى المأمون عدد قليل منهم، وكان هؤلاء الأتراك يجلبون إلى الدولة الإسلامية عن طريق الأسر في الحروب التي وقعت بين العرب

(١) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٣٢؛ ويرجع تاريخ هؤلاء الأتراك إلى أجناس عاشت في الشرق الأقصى، وكان يُطلق عليهم التورانيون، وكانوا من البدو الرحل؛ ولقد تميز أتراك بلاد ما وراء النهر بالصفات الأصلية للبدو، وهي حب الحرب والفروسية والتعلق بالنظام القبلي، على أن مجاورتهم للفرس الذين وصلوا إلى درجة كبيرة من الحضارة أثرت في طباعهم وشجعتهم على مجاراتهم في سبيل التحضر، ولكنهم مع ذلك احتفظوا بصفات البدو. حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، ص ٣٧٧؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، ص ٢١.

والترك على الحدود الشرقية، وأيضًا بطريق الشراء ومنهم من كان يرسل إلى الخلفاء العباسيين مع الهدايا التي يبعث بها إلى الولاة من بلاد ما وراء النهر^(١).

ثم أخذ الإسلام ينتشر بين الترك حين بسطت الدولة السامانية نفوذها في أواسط آسيا، ففي القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين كانت معظم المناطق التي سميت ببلاد ما وراء النهر قد وقعت في قبضتها، ومن المحتمل أن تكون بعض الأسرات التركية قد حكمت بعض المناطق هناك؛ ويرجع دخول الترك في الإسلام إلى التعامل الإنساني الذي عامل به المسلمون هؤلاء الرحل في مناطقهم النائية التي كانت في حاجة إلى حاصلات البلاد المتحضرة وإلى الملابس بوجه خاص، فقد لوحظ ذلك في البلاد التي بينها وبين البدو تجارات (الصين والبلاد الإسلامية)، كما كان البدو يحرصون دائمًا على استيراد المنسوجات، وكانت التجارة مع البدو مفيدة -أيضًا- للبلاد المتحضرة؛ لأنها كانت تستورد منهم اللحوم والمنتجات الحيوانية بأثمان منخفضة؛ بينما كان هؤلاء البدو يألفون البضائع الإسلامية ويتأثرون بطراز حياة المسلمين بوجه عام، كما تأثروا بالإسلام لا من الناحية الدينية فحسب؛ بل من الناحية الحضارية والمدنية بوجه خاص^(٢).

ولما اتسعت الدولة الغزنوية ودخلت في حوزتها خراسان ومعظم الأقاليم المجاورة للعاصمة غزنة، ازداد نفوذ العنصر التركي في الدولة، وكان لزامًا على سلاطين الدولة الغزنوية أن يقضوا حاجات غلمانهم الأتراك الذين كانوا قوام

(١) ينظر: محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، ص ٢١.

(٢) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص ٨٧، ٨٨.

جيشهم، فأعدوا هؤلاء إعداداً جيداً حتى اكتسبوا قوة جسدية وخشونة في الطبع وحماسة وقدرة على قيادة الجيوش، فمنهم من أصبح من القادة العظماء ودافع عن سلامة وأمن الدولة من الأعداء، ومنهم من تمرد على الدولة وحالف القوة المضادة لها، ومنهم من تحمس لمذهب الدولة "المذهب السني" وأخذ يناهض المذهب الشيعي والمذاهب التي تميل إلى الفلسفة والجدل، تلبيةً لرغبة السلطان محمود الذي حمل على عاتقه محاربة هؤلاء، فقد نكلوا بالشيعة وغيرهم وأحرقوا كتبهم ولاحقوهم في كل مكان؛ وهكذا ازداد نفوذ العنصر التركي حتى أصبح البيت الحاكم منهم^(١).

ثانياً: الفرس:

ويمثل هذا العنصر غالبية سكان خراسان - وكما سبق - فقد استعان بهم العباسيون لانتزاع الحكم من الأمويين، وكان أهل خراسان - ككتلة عسكرية وسياسية - من أهم الكتل في المجتمع العباسي، وقد حافظ العباسيون على وحدة الخراسانيين منذ الأيام الأولى لقيام دولتهم، فقاموا بتدوين أسمائهم في سجلات خاصة بهم حسب قراهم ومدنهم، لا حسب قبائلهم، وهذا يؤكد حرص العباسيين على تماسك أهل خراسان ووحدتهم في الداخل، وعدم السماح للعصبيات القبلية بتفكيك هذه الوحدة.

وكما سبق فقد اهتم الخليفة المنصور بهذا العنصر فبادر بتعيين بعض منهم في مناصب إدارية، كما استعان بهم في عدة مجالات قائلًا لهم: "يا أهل خراسان

(١) د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٩١.

أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا"، كما أوصى ولي عهده بهم بقوله: "وأوصيك بأهل خراسان خيرًا، فإنهم أنصارك وشيعتك، بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئتهم، وتكافئهم على ما كان منهم".

شارك أهل خراسان العباسيين في إقامة دولتهم، وأفسح لهم العباسيون كل مجال فغصت قاعدة الخلافة بهم، ووكلوا أمور الملك إليهم، فكان منهم الوزراء والأمراء والحجاب والجباة والندماء وأهل المشورة وأهل الأدب.

وعندما زادت سلطتهم في عهد الرشيد نكل بهم، وكان لقتل البرامكة أثر كبير في إسقاط الفرس وإضعاف شأنهم بعد اتساع سلطتهم وعزة جانبهم؛ غير أنهم نهضوا من كبوتهم حين نشب النزاع على الخلافة بين الأمين والمأمون، فلقد كان للمأمون ميل ظاهر إلى أهل خراسان يبلغ أن يكون تعصبًا^(١).

وكما سبق -أيضًا- أنه لما تولى المعتصم الخلافة عام (٢١٨هـ) أوجس من الفرس خيفة وساءه أن يهيمنوا على دولته ويشاركوه؛ الأمر الذي يحد من سلطته، فاصطنع الأتراك عوضًا عنهم، وهكذا كان شأن الفرس بعدما بلغوا المدى في تسلطهم على الخلافة والخلفاء في بغداد.

وما كان الفرس -بمساعدة أهل خراسان- ليرضوا بأن يقفوا مكتوفي الأيدي إيذاء ضعف نفوذهم واستبداد الأتراك بالسلطة والنفوذ دونهم؛ بل عملوا على استرداد مكائنتهم، فحاولوا الاستقلال ببعض بلدان الدولة العباسية، فأقاموا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥ ص٣٢٧.

دولا مستقلة عن الدولة الأم، وهذه الدول هي الدولة الصفارية، والسامانية في خراسان وبلاد ما وراء النهر.

وقد مهد الطاهريون لهذه الدول الاستقلال عن الخلافة العباسية بعد أن مكنتهم الخليفة المأمون من حكم خراسان، واستطاع طاهر بن الحسين أن يؤسس أول دولة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية سنة (٢٠٥هـ / ٨٢٠م)^(١).

ورغم أن هذه الدول الفارسية لم تحقق انتصاراً على المسرح السياسي، فإنها اقتصرت على التفوق في ميدان الحياتين العقلية والاجتماعية، وفي بلاط السامانيين ظهر رجال عباقرة في العلوم والآداب والفنون مثل الفيلسوف الشهير أبي علي ابن سينا، ومثل الشعراء الكبارين الرودكي والدقيقي الذين تنسب إليهما نشأة الشعر الحماسي، فأحيا ذلك الروح الوطنية الإيرانية^(٢).

ولما استولى الأتراك على خراسان وبلاد ما وراء النهر شكلوا دولتين أحدهما الدولة الغزنوية والتي قامت في خراسان وبلاد الأفغان وأجزاء من الهند، والثانية الدولة القراخانية التي قامت في بلاد ما وراء النهر، فساهم الفرس في كلتا الدولتين بدورهم في إدارة دفة هذه البلاد والعباد، والجدير بالذكر أن الحضارة الإسلامية قد ازدهرت على أكتافهم في العهود السابقة، وخاصة في العهد الساماني الذي ازدهرت فيه الحضارة حتى كانت بخاري وسمرقند وبلخ ونيسابور في ظل حكمهم منارات للعلوم والآداب والطب، وكان يفد إليهم

(١) د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٥، ١٦.

(٢) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، ص ٢١٨، ٢١٩.

الطلاب والعلماء من كل أنحاء العالم الإسلامي.

وهكذا اشتملت الدولة الغزنوية على عنصر الفرس، الذين عرف عنهم ميلهم إلى العلوم والآداب، وإليهم يرجع الفضل فيما بلغته الدولة الغزنوية من تقدم ثقافي كبير، كما كان الازدهار الاقتصادي قائماً بفضل جهودهم أيضاً.

ثالثاً: العرب:

وهو العنصر الذي قامت على أكتافه الدولة العربية الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ في المدينة، وبعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية حمل القادة المتطوعون منهم لواء الإسلام إلى البلدان المجاورة ففتحوا العراق وبلاد الشام وفارس وخراسان، وكان انتشارهم فيها تبعاً للضرورات العسكرية والسياسية، ولم تكن بين الأراضي التي حكمتها الدولة الغزنوية وبين الجزيرة العربية صلة مباشرة أو حركة دائمة، وإذا نظرنا إلى ملامح الدولة الغزنوية فإننا نلاحظ أن مجموعات القبائل العربية أرسلت في فترات متعددة للمشاركة في حملات للتوسع، أو للعون في المعارك الدائمة مع شعوب وسط آسيا، كما نرى الاتجاه العام للمقاتلة نحو الاستقرار في ضواحي المدن، أو في القرى المحيطة بها، كجاليات عسكرية؛ لأنَّ حروب الثغور والحدود باتجاه بحر قزوين أو فيما وراء النهر كانت دائمة طوال العصر الأموي^(١).

ومع ذلك فقد اختلط البعض بأهل البلاد وصاهروهم وتعلموا لغتهم وتأثروا بهم ثقافياً، وكان لهم مَوَالٍ منهم؛ ولكن ضرورات المعركة بقيت

(١) د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٨٨ بتصرف يسير.

أساسية، ومن هنا كان الاتجاه دوماً نحو إرسال مجموعات عربية من القبائل، وخاصة من العراق لتعزيز القوى العسكرية.

ولما آل حكم خراسان إلى العباسيين أخذ العنصر العربي يفقد كثيراً من امتيازاته في هذا الإقليم ويرجع ذلك إلى أن دعاة العباسيين الذين قادوا الثورة ضد الأمويين قد نجحوا في استقطاب العناصر الفارسية من الفلاحين والموالي في القرى والأرياف لمناصرتهم على الحكم الأموي، ومع أنهم لم يستغنوا عن العنصر العربي نهائياً في ثوراتهم إلا أن مشاركتهم كانت محدودة ورمزية ضمن الفرقة الخراسانية التي ساهمت في سقوط الدولة الأموية، وقد أشرنا عند الحديث عن العنصر الفارسي إلى أن الخليفة المنصور قد أولى اهتمامه بالفرقة الخراسانية، وأمر أن يسجل أفرادها في سجلات خاصة وذلك حسب قراهم ومدنهم، لا حسب قبائلهم حرصاً منه على تماسك وحدة خراسان^(١).

ويتحدث البيهقي في تاريخه عن دور العرب في الدولة الغزنوية ومدى اهتمام السلاطين بهم كقادة لجيوشهم، أو طلب العون والمساعدة في حروبهم ضد السلاجقة، وقد شارك القائد محمد إبراهيم الطائي -مع قوات عربية-

(١) محمد عبد الحي شعبان: الثورة العباسية، ص ٢٤٧؛ ويلاحظ أن مجموعة من المقاتلين كانت قد دخلت خراسان مع أسرها، ولكن نظام العطاء أو التسجيل في الديوان لم يكن يبيح تسجيل جميع أبنائهم ضمن قوائم هذا الديوان؛ بل كان يقتصر عادة على ابن واحد، وهذا يعني وجود آخرين دون عطاء، هذه الحالة جعلت المقاتلين يبحثون عن موارد أخرى للعيش كالتجارة واستغلال الأرض، فاشتغلوا بالزراعة والرعي فكسبوا منها أموالاً كثيرة، ويذكر المؤرخون أن العرب الذين سكنوا في ضواحي سمرقند أصبحوا من كبار الأثرياء لاشتغالهم بتربية الجمال وبالصناعات اليدوية. د/ حسين عطوان: الشعر في خراسان، ص ٨.

السلطان محمود في حروبه ضد القرخانيين، كما ساهم أبو الحسن عبد الجليل بالمشورة مع السلطان مسعود في حربه ضد السلاجقة، واجتمع معه وقال له: "نحن العرب لدينا إبل وخيول كثيرة والسلطان في حاجة إلى المزيد منها للجيش الذي يعده، وكل ما لدينا هو من نعمه ومن دولته، فيجب إعداد سجل وأن يفرض على كل من شيئاً منها"^(١).

وكان أبو الحسن عبد الجليل يطمع في منصب رياسة ديوان الرسائل بعد وفاة أبي نصر بن مشكان، كما كان من ندماء السلطان، وقد قاد الفرقة العربية الكردية في حروب كثيرة للمحافظة على أمن الدولة الغزنوية، وكان آخرها معركة دندانقان التي أبلى فيها الغلمان العرب أحسن البلاء^(٢).

هذا وقد كثر في الدولة الغزنوية الرقيق الأبيض من الأتراك والديلم والأكراد، وضمت قصور الأمراء وكبار رجال الدولة عددًا كبيرًا من الغلمان والجواري البيض، اختلفت لغاتهم، وتنوعت أجناسهم^(٣).

كما ظهر في بلاد ما وراء النهر أسواق الرقيق الأبيض، ففي مدينة سمرقند

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٨٩: ٦٩٦.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨٧، ٣٨٨؛ أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج ١ ص ٦٠، ٦١؛ د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٤٣٣، وكان يقوم هؤلاء الرقيق بأعمال وخدمات في بيوت الأمراء والأغنياء ورجال الدولة، وكان لدى السلاطين الكثير منهم، ما بين التركي والصقلي، ومنهم من يقوم بحراسة النساء وخدمتهم، ويعرفون بالخصيان، ومنهم من يقوم بحراسة القصور، ويطلق عليهم الفراشيون، وكانوا يتخذون من بينهم رئيسًا عليهم. ينظر: عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص ٦٣.

كان تجار الرقيق يقومون بجلب الرقيق وتربيتهم من البلاد المجاورة^(١). ومن طبقات الشعب في الدولة الغزنوية أهل الذمة، وهم النصارى واليهود، وكان الغزنويون يعاملوهم معاملة تنم عن التسامح والعدل والكرم، فكانوا يؤدون شعائرتهم في أمن ودعة^(٢)، وكان لليهود رئيس يلقب بلقب ملك يقيم في بغداد، ويؤدون له الضرائب فيأخذ نصفها، ويرسل النصف الآخر إلى بيت المال، وكان عدد اليهود في الدولة الغزنوية أكثر من عدد النصارى، ففي أصفهان بلغ عددهم خمسة عشر ألفاً، وفي شيراز عشرة آلاف، وفي غزنة ثمانين ألفاً^(٣).

ويذكر بعض المؤرخين أنه كلما تقدمنا شرقاً يكثر اليهود عن النصارى، فكان بهمدان ثلاثون ألفاً، وبأصفهان خمسة عشر ألفاً وبخراسان يهود كثيرين ونصارى قليلين، والجبل به يهود أكثر من النصارى، وكانت بالشرق أيضاً المدينتان الوحيدتان اللتان أطلق عليها اسم اليهودية، أحدهما قرب أصفهان والأخرى شرق مرو، وكذلك وجد المقدسي خوزستان قلبي النصارى غير كثيري اليهود أو المجوس، وكذلك في فارس وجد المجوس أكثر من اليهود

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١ ص ٣٠٠.

(٢) ويذكر العمادي قول المستشرق بارتولد في كتابه (تاريخ الحضارة الإسلامية)، حيث يقول: "إنَّ النصارى الذين كانوا في ظل المسلمين في بلاد المشرق، لم يصبهم قط ما أصاب المسلمين في إسبانيا من الظلم والعدوان، فقويت الروابط بين المسلمين وأهل الذمة، لمشاركتهم جميعاً في نواحي الحياة العلمية والأدبية، فمن أهل الذمة من كان طبيياً، ومهندساً، وتاجراً، وصراماً، ويزاراً، ولم ينفصلوا عن بعضهم البعض إلا في ممارسة الطقوس الدينية، ومناطق السكن". العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٨٦.

(٣) ينظر: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٦٦؛ د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص ٤٣٣.

وبها قليل من النصارى^(١).

كما بقى المجوس في بعض أقاليم الدولة الغزنوية على صلتهم، وقد اعترفت بهم الدولة العباسية منذ القرن الرابع الهجري بأنهم أهل ذمة، وظلوا على دينهم وعاداتهم، وكان رئيسهم بلقب بألقاب الملوك^(٢).



(١) ينظر: الإصطخري: المسالك، ص ٦٣، ٦٤، ٨٤، ١١٧؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١ ص ٨٣.
(٢) ينظر: الإصطخري: المسالك، ص ٨٤؛ د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٤٣٣.

المبحث الثاني

الأعياد والمجالس الاجتماعية وأنواع التسلية

المطلب الأول: الأعياد في الدولة الغزنوية:

اهتم الغزنويون بالاحتفال بالأعياد الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى، كما كانوا يحتفلون بالأعياد الفارسية القديمة، مثل النيروز والمهرجان.

١. الأعياد الدينية (عيد الفطر عيد الأضحى):

كان المسلمون في خراسان كسائر المسلمين في الأقاليم الأخرى يحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية الكثيرة، منها الاحتفال بحلول شهر رمضان وعيد الفطر والأضحى.

وكانت المدن الخراسانية تستقبل هلال شهر رمضان بالتكبير والتهليل، وكان المسلمون يقيمون الزينات والأنوار الخاصة بهذه المناسبة، ابتهاجاً وفرحة بليالي رمضان المباركة، فكان السلطان يعد نفسه لهذا الشهر الكريم، فيلغي كل ارتباطاته الخارجية ويستعد لاستقبال المهنيين من شتى طبقات الشعب، كما كان من المعتاد في أول أيام رمضان أن يتناول طعام الإفطار مع الأمراء والأعيان في قصره، ويحضر هذه المأدبة كبار القادة والفرسان والنقباء وغيرهم من كبار رجال الدولة^(١).

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٤٦٠.

كما كان يقوم السلطان في هذه المناسبة الكبيرة بالإطلاع على قوائم المسجونين في سجون غزنة ونواحيها ومن في القلاع، ثم يقوم بإصدار مرسوم سلطاني بالإفراج عنهم؛ كما كان يأمر بتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين؛ وأما على المستوى العام للدولة فكان السلطان يبعث مع بداية كل رمضان الكتب والرسائل إلى كافة الأقاليم لتهيئة المساجد وإقامة المجالس للذكر وقراءة القرآن^(١).

(أ) عيد الفطر:

كان عيد الفطر من المناسبات التي تسر بها النفوس وتعد، فكان الناس يحتفلون برؤية هلال شهر شوال، حيث تقام الزينات والأنوار في جميع أنحاء الدولة ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة، وفي الصباح يخرج الناس لصلاة العيد، ثم يتبادلون التهاني فرحين بإتمامهم شهر رمضان، ثم يخرجون أفواجاً أفواجاً من المصلى إلى بيوت الأصدقاء لتبادل الزيارات ولتناول بعض الأطعمة التي أعدت خصيصاً لمثل هذا اليوم من الحلوى والأكلات الشعبية وغيرها.

أما على مستوى الدولة فكان السلطان يجلس في يوم العيد في أحد بساتين القصر لتقبل التهاني من المهنيين بالعيد، وكانت تقام لهذه المناسبة الموائد السلطانية من جميع أنواع الأطعمة، وكان السلطان يتناول طعام العيد مع قادة الجند وكبار رجال الدولة من وزراء وغيرهم.

ويصف البيهقي عيد الفطر في مدينة هرات -وهي أحد المدن الخراسانية

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢٩٩.

التي كان السلطان يتخذها منتجعاً له في بعض فترات السنة- فيقول: "صادف وصول السلطان إلى هراة ليومين باقيين من رمضان، فنزل الجوسق المبارك حيث أقيمت مراسم عيد الفطر، وزينت مباني القصر والحديقة، بحيث شهد الجميع بأنهم لم يروا لملك عيداً مثله^(١).

كما كان من عادة السلطان أحياناً أن يحتفل بالعيد بين جنوده وقادته في إحدى المعسكرات التي يختارها، وبعد أداء صلاة العيد مع كبار القادة والوزراء ورجال الدولة، يستعرض الجيش، ثم بعد ذلك تقدم الموائد للجميع^(٢).

(ب) عيد الأضحى:

وهو من الأعياد الإسلامية التي كانت لها منزلة خاصة لدى المسلمين في خراسان وباقي مناطق الدولة الغزنوية، وكان يبدأ الاحتفال به ليلة التاسع من ذي الحجة بالوقوف بعرفة، ويوم العيد يقوم أحد العلماء بإمامة الناس لصلاة العيد، ثم يلقي عليهم خطبة في فضائل العيد، وما يجب على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائره، ولا غرو فقد كانت مظاهر الإسلام تتجلى في الاحتفال بعيد الأضحى في البلاد الإسلامية وخراسان، وخاصة في نيسابور وهراة وبلخ.

وكانت بعثة الحج في الدولة يرأسها أحد الأعيان أو قاضي القضاة، وكانت البعثة تعبر طريقها في أراضي الخلافة العباسية للذهاب إلى الأراضي المقدسة، فيعتبر المؤرخون أن موسم الحج كان من أعظم المناسبات في بغداد، حيث كان

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٦٧، ٥٦٨.

يهرع الناس فيه إلى لاستقبال ضيوف الرحمن، وتستمر هذه المظاهر عدة أيام نظراً لقدوم مجموعات جديدة من الحجاج، فيخرج البغداديون للترحيب بهم، ومعظم هؤلاء الحجاج من مناطق خراسان الذين ينزلون في بغداد ويجعلونها محطة لهم، ثم يتحركون من باب الكناسة في موكب يضم حامل الأعلام والطبول، متوجهين نحو أراضي الحجاز^(١).

٢. الأعياد الفارسية القديمة (النوروز، المهرجان، السدق):

ورثت الدولة الغزنوية حضارة الفرس، وتأثرت بحضارة العرب وأساليب اللهو في هذه الأمم، كما تأثرت بالأمم التي اتصلت بها من ترك وهنود وصينيين، وتجمعت الأموال في أيدي سلاطينها وأمرائها وجباة الخراج فيها، وكثر المترفون والمنعمون، فللقوم في الاحتفالات بأعيادهم آداب وفنون من الترف^(٢).

فكان النوروز^(٣) أعظم أعياد الفرس وأجلها، وكان الناس يحتفلون فيه

(١) ابن الجوزي: المتنظم: ج٦، ص ٢، ج٧، ٢٦٢، ٢٧٦، نقلاً عن العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٩٥، ١٩٦.

(٢) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ١٩٧.

(٣) النوروز: كلمة فارسية مركبة من لفظين: أولهما "نَو" أي الجديد، وثانيهما "روز" أي اليوم؛ فكلمة نوروز في اللغة تأتي بمعنى "اليوم الجديد؛ وأما في الاصطلاح: فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية، الذي يقع في اليوم الأول من شهر فزوردين الموافق / ٢١ مارس إلى أول فصل الربيع؛ ويعتقد الفرس بأنَّ النوروز هو أول يوم من الزمان، وبه يبدأ الفلك في الدوران، يقول الفزويني: "زعموا أنَّ الله في هذا اليوم أدار الأفلاك، وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب، واسم هذا اليوم هرمز، وهو اسم من أسماء الله تعالى عندهم، وقالوا في اليوم قسم الله السعادات لأهل الأرض، ومن أكل صبيحة هذا اليوم السكر قبل أن يتكلم، وتدهن

بتبادل الهدايا، ويتميز على المهرجان^(١) بأنه استقبال السنة وافتتاح جباية الخراج، وزمن تولية العمال واستبدالهم، وضرب الدراهم والدنانير، وتركية بيوت النيران، وتقريب القربان وتشيد البنيان^(٢)؛ ويذكر البيروني أن الناس كانوا يرشون بعضهم بعضاً بالماء، ويعتقدون أن ذلك يزيل الأمراض، ويضعف حرارة المزاج^(٣).

وفي عيد النوروز كان الناس يغتنمون الفرصة، ويلتمسون الراحة من عناء الأعمال التي كابدوها طوال العام، ويشعرون بأن لأبدانهم حقاً عليهم، فيأخذون نصيبهم من المتعة ويشعرون بالسعادة والطمأنينة؛ وكان من العادات المستحبة في هذا العيد تقديم الهدايا كرمز لتأليف القلوب، فالهدية لها أكبر الأثر في جلب المودة وزرع المحبة، وتجعل البعيد قريباً، والعدو صديقاً، والبغض ولياً، والثقل خفيفاً^(٤).

بالزيت، رفع عنه البلاء، في عامة سنته، ويتفاءلون بما وقع لهم في هذا اليوم. القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص ٧٣؛ د/ فؤاد عبد المعطي الصياد: النوروز وأثره في الأدب العربي، ص ١٣، ٢٥.

(١) المهرجان: كلمة فارسية معربة أصلها "مهركان"، وكان من الأعياد الفارسية الهامة، وليس أدل على ذلك من أن كلمة مهرجان صارت تُطلق في العربية على كل احتفال هام أو اجتماع عظيم، وهذا العيد في الحقيقة يلي في الشهرة عيد النوروز، وكان الإيرانيون يحتفلون بهذا العيد -أيضاً- منذ أقدم العصور، وذلك في اليوم السادس عشر من شهر "مهر" عندهم. د/ فؤاد عبد المعطي الصياد: النوروز وأثره في الأدب العربي، ص ٢٥. العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٠٠.

(٢) الجاحظ: التاج، ص ١٤٦.

(٣) أبو الريحان البيروني: الآثار الباقية عن القرون الحالية، ص ٢١٥: ٢١٨.

(٤) د/ فؤاد عبد المعطي الصياد: النوروز وأثره في الأدب العربي، ص ٢٦؛ الجاحظ: المحاسن

وكان عيد المهرجان يلي عيد النوروز بعد مائةٍ وأربعةٍ وتسعين يوماً، ويعتبر أول أيام الشتاء، وظل إلى جانب النوروز أكبر الأعياد، وكان الناس يتهادون فيه، كما يتهادون في النوروز، وتخلع على القواد ورجال الدولة ملابس الشتاء، ويغير العامة فيه الفرش والآلات وكثيراً من الملابس، ويمتاز هذا العيد بأن الرعية يهدون فيه إلى السلطان^(١).

وفي عيد المهرجان يجلس السلطان، ويتلقى الهدايا من الرعية، ومن أمراء الأقاليم، ويرسلون إليه مع وكلائهم في البلاط أشياء لا تحصى لتقديمها، ويقام في هذا الحفل عرض عسكري، وبعد العرض يجلس السلطان في أبهة فائقة يحيط به رجال الدولة، وينشد الشعراء أشعارهم، ويأخذ المطربون بعد ذلك في العزف والغناء، وتقام الموائد للفرسان وشتى أصناف الجند، بعدها يبادر المطربون بالغناء، بحيث يبلغ الفرح والسرور أقصاه، ويصل السلطان الشعراء والحاضرين^(٢).

ومن الأعياد الفارسية التي كانت تحتفل بها الدولة -أيضاً- عيد السدق أو سده^(٣)، وكان يحتفل به في اليوم العاشر من شهر "بهمن"، وكانت له بهجة

والأضداد، ص ٢٧٩؛ د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٠٦.

(١) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٥٨١: ٦٧٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣٠١-٣٠٢؛ وينظر: د/ حسن إبراهيم حسن: ج ٣ ص ٤٦١، ٤٦٢.

(٣) وسبب تسميته بهذا الاسم يرجع إلى أنه لما كانت المدة بينه وبين النوروز خمسين يوماً وخمسين ليلة، أطلقوا عليه هذا الاسم، وترد كلمة "سده" في المعاجم الفارسية بمعنى النار المشتعلة المتأججة، التي كانت توقد بمناسبة هذا الاحتفال بهذا العيد. حسن مجيب

وفرحة عندهم، وكان يضاهي النوروز والمهرجان من حيث الأهمية، حيث كانوا يوقدون فيه النيران بكثرة هائلة حتى كان يرى لهيها على بعد عشرة فراسخ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى وقوعه في فصل الشتاء واشتداد البرد.

وفي هذا العيد كلن الناس يلهون ويمرحون ويأكلون اللوز والجوز، ويعكفون على الشراب فرحين مستبشرين، ويبادر الملوك والأمراء والناس على اختلاف طبقاتهم بتهيئة جميع وسائل الوقود ووضعها في الميادين العامة، وعلى أسطح المنازل وقمم الجبال، وفوق التلال والأماكن المرتفعة، ثم تشعل فيها النيران فتنتقل ألسنتها إلى عنان السماء؛ وكان هذا العيد من أهم أعياد النار عند الفرس، وكان يتبخرون في مسائه لطرد السوء حتى صار في رسوم كل الملوك، كما كان من عادتهم إبقاء النيران في ليلته، وإرسال الوحوش فيها، وتطير الطيور في لهيها، والشراب والتلهي حولها^(١).

المطلب الثاني: المجالس الاجتماعية في الدولة الغزنوية:

١. مجالس الطرب والغناء:

عرفت الدولة الغزنوية مجالس الطرب والغناء، وكانت تعقد في قصور السلاطين والوزراء ورجال الدولة، غير أنها لم تنتشر بصورة كبيرة إلا في عهد السلطان مسعود بن السلطان محمود، وذلك لشغفه وميله الشديد لها، وكان

المصري: المعجم الفارسي العربي الجامع، ص ٢٠٥؛ وينظر: د/ شوقي أبو خليل: أطلس القرآن الكريم ص ١٤٤.

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٦، ١٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٥٣٨.

يحضرها المغنون والمغنيات والندماء^(١)، وتقام هذه المجالس أحياناً في مناسبات معينة، مثل الاحتفال بتولية أمير جديد وغيره^(٢).

أما السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين فكان لا يحب الاستماع إلى الغناء، وكان ينهى ابنه مسعود عن ذلك، ولما بلغه أن مسعوداً يُقيم مجالس للطرب في هراة، ويؤتى إلى مجلسه خفية المطربون والمطربات عَيَّن مشرفاً عليه ينهى إلى السلطان أعماله، ويحصى عليه تصرفاته، وكان يؤنبه على استماعه للغناء "إذ هو ولي عهده وسرير الملك سيؤول إليه" فرأى أنه لا بد وأن ينشئه على الجد، ويبعده عن اللهو والعبث^(٣).

٢. مجالس الوعظ:

مما لا شك أن مجالس الوعظ قامت بدور كبير في توجيه الناس نحو الخير والرشاد—خاصة في القرنين الأول والثاني الهجريين— غير أن مجالس الوعظ لم تحتفظ بمكانتها في القرن الثالث والرابع الهجريين، إذ تعرض الوعظ للجهال من العوام والنساء كما يقول ابن الجوزي^(٤)، فانصرفوا عن الانشغال بالعلم، واهتموا بالكسب المادي، وظهرت البدع على اختلاف أنواعها، وانتشرت الخرافات على ألسنة الوعظ، ولم يقتصر الأمر على ذلك؛ بل إن

(١) كان سلاطين الدولة الغزنوية يتخذون الندماء والأكفاء في مجالسهم، ذلك أن مجالسة هذه الفئة—الملوك والكبراء وحكام الأطراف وقادة الجيش— كثيراً ما تؤثر في هيتهم وعظمتهم وتقديرهم، وتزيد من جسارة أولئك معهم. نظام الملك: سياست نامه، ج١ ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، ص ١٤٥.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٢٦: ١٣٠.

(٤) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص ١٢٩.

بعض الوعاظ لم يكونوا على درجة كبيرة من الثقافة، كما أن فريقاً منهم لبس الثياب الفاخرة وخلع ثياب الزهد، وخير مثال على ذلك أن السلطان محموداً عندما توجه بطلب من الأمير نوح بن منصور الساماني إلى خراسان لقتال أبي علي سيمجور قال له رجاله عند وصولهم إلى منطقة من المناطق التي يمرون عليها: "يوجد بالقرب من هنا رجل يتصف بالزهد والتعبد، وبإظهار الكرامات والخوارق، وهو زاهد يتخذ لباسه من جلد الغزال"، ونظراً لأن السلطان محموداً كان يحب الصوفية ويحترمهم ويقدهم أيما تقدير، فقد أبدى رغبته في لقاء هذا الزاهد وقال لحسنك - الذي لم يكن يعتقد كثيراً في هذه الطائفة -: "رغم أنني أعلم أنك لا تألف اللقاء بالصوفية وأهل الطريقة، فإنني أريد أن توافق على مرافقتي لزيارة هذا الزاهد"، فوافق حسنك وسار في صحبة السلطان، وبكل خشوع واحترام التقى السلطان بالزاهد، وأخذ الزاهد يبين له أسرار المعرفة فازداد اعتقاد السلطان بالصوفية وحبهم لهم بسماع ذلك الكلام، وقال للزاهد: "لقد أمرت الخزانة أن يعطوك كل ما تريده من النقود والمتاع، فرفع الزاهد يديه في الهواء وملاً قبضتيه بالذهب المسكوك ووضع في يد السلطان وقال له: "كل من يستطيع الحصول على هذه الأموال من خزانة الغيب، أي حاجة له بمال مخلوق؟"، فسلم السلطان تلك النقود الذهبية إلى حسنك، ولما نظر فيها حسنك وجدها جميعاً من النقود المسكوكة باسم علي سيمجور، وفي الطريق قال السلطان لحسنك: "لا يمكن إنكار مثل هذه الكرامات"، فرد عليه حسنك قائلاً له: "حقاً فكل ما جرى على لسان الزاهد هو عين الصدق والصواب ولا يليق بك أن تتوه لحرب شخص يضربون النقود باسمه في عالم الغيب، فاستفسر منه السلطان عن حقيقة هذا الكلام، فأطلعته حسنك على تلك

النقود المسكوكة، فتحير السلطان وتأثر كثيراً^(١).

ومن الجدير بالذكر أنّ بعض الوعاظ في ذلك العصر، نظروا إلى الوعظ على أنه مهنة للتكسب أكثر منه مهنة للإرشاد، ومن ثم ضعفت القيمة الثقافية للوعظ، واتخذ الوعاظ مجالسهم في أماكن متعددة بدلاً عن المساجد، منها المقابر وبعض المحال العامة، وفضلاً عما تقدم، فإن الوعاظ أصبحوا خطراً يهدد سلامة المجتمع بإثارتهم الفتنة، أو إذاعتها، وبخاصة بين المذاهب السنية، كما حدث بين الحنابلة والشافعية في نيسابور، وكثيراً ما أدت هذه الفتن إلى مقتل كثير من أنصار الفريقين^(٢).

المطلب الثالث: أنواع التسلية في الدولة الغزنوية:

كانت المصارعة وحمل الأحجار الثقيلة والمبارزة في الصيد في الأيام الباردة، من أنواع الرياضة التي اهتم بها أمراء البيت الحاكم، وكان السلطان مسعود بن محمود وهو في أيام صباه وصدر شبابه يهتم بهذه الرياضة ويقول: ينبغي التعود على مثل ذلك حتى لا يعجز المرء إذا قابلته مهام صعاب أو ساعات شداد، وجدير بالذكر أنّ مسعود كان يُبارز الأسود، ولا يأذن لأحد بمساعدته إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك في وقت الضرورة^(٣).

ويذكر البيهقي وصف عبد الغفار صيد السلطان مسعود للأسود ومصارعته

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٣٨؛ ولعل هذه القصة فيها شيء من المبالغة؛ إلا أنها تدل بجلاء على مدى محبة السلطان محمود للعباد والزهاد ورجال التصوف.
 (٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٣٢ ص ٢٥٠؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢١٤.
 (٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٣١.

إياها وهو على ظهر الفيل، ويروي قصة قتله لثمانية أسود دفعة واحدة؛ الأمر الذي دعا أبا سهل الروزني لأن يكتب القصيدة التي يقول فيها:

السيف والرمح والنشاب والوتر غنيت عنها وحاكي رأيك القدر
ما أن نهضت لأمر غير مطلبه إلا انثيت وفي أظفارك الظفر
من كان يصطاد في ركض ثمانية من الضراغم هانت عنده البشر
إذا طلعت فلا شمس ولا قمر وإن سمحت فلا بحر ولا مطر^(١)

ويبدو أن الصيد كان من الهويات المحببة لدى سلاطين الدولة الغزنوية من أجل الرياضة والنزهة، وكان الصيد يتم أحياناً بواسطة الفهود والكلاب والطيور الجارحة، وتكون هذه الحيوانات قد تم تدريبها على الصيد، ويذكر أن السلطان محموداً قد أمضى يوماً كاملاً في الصيد قرب مدينة بست، وكان مما صاد حمار وحشي، فقيدوه بالحبال وأمر السلطان بأن يوسم باسمه، فوسموه وأطلقوه لأن أصحاب سير وأخبار الملوك كانوا قد ذكروا له أن بهرام كور كان قد فعل مثل هذا^(٢).

وكانت التسلية المفضلة عند الشعب الغزنوي ركوب السفن في بعض الأنهار، يصطحبون فيها الندماء والغلمان والمطربين، وتنفخ الأبواق وتدق الطبول، بينما الناس يرقصون ويلعبون ويطربون، كما اشتملت بيوت الأغنياء كذلك على مجالس للطرب والغناء^(٣).

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٧؛ الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، ص ٥٩٦.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٣، ٦٤٩؛ الراوندي: المرجع سابق، ص ٥٧٦.

كما اهتمت الدولة الغزنوية بالرياضة وسباق الخيل والرماية، لأنها كانت من الرياضات المحببة لدى عامة الشعب، وكانوا يحضرون ميدان السباق يشجعون المتسابقين لبلوغ أهدافهم، وهم بهذا كانوا يشجعون رياضة أوصى بها الإسلام على لسان الرسول ﷺ "علموا أولادكم السباحة والرماية"^(١)، وهكذا عمل المسلمون بهذه الوصية الكريمة، فازداد حبهم واهتمامهم بتعليم الأبناء الرماية والفروسية حتى يستطيع الفارس منهم الدفاع عن أراضي المسلمين والدخول في الجهاد ضد الكفار، الذين كانوا يقفون بالمرصاد للإسلام في تلك الأطراف^(٢).



(١) (حديث حسن) السيوطي: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، ج٢ ص٢١٩، حديث رقم (٧٧٢٥).

(٢) الراوندي: راحة الصدور وآية السرور، ص٥٧٦؛ محمد جمال الدين سرور: الحضارة الإسلامية، ص١٩٧، هذا ولم تكن الدولة الغزنوية بدعاً في هذه الاحتفالات وأنواع التسلية المختلفة؛ حيث كانت عاصمة الخلافة -بغداد- تتفنن في هذا الجانب من الترف إلى حد كبير، ولمعرفة المزيد ينظر: وزارة الإعلام العراقية: مجلة المورد "مجلة تراثية فصلية"، المجلد الأول، العددان ٣-٤، ص٣٥: ٤٩.

المبحث الثالث

الأخلاق والعادات في الدولة الغزنوية

كان الشعب الغزنوي يهتم بإقامة الحفلات الكبيرة لاستقبال مقدم السلطان، أو وفد عظيم عليهم؛ غير أنه لم يصنع للسلطان محمود مثل هذه الأمور نظرًا لانقسام الدولة وقتها، وصراعه على العرش مع أخيه مسعود، الذي حاول الاستئثار بالسلطة لنفسه؛ لكن حينما توجه السلطان مسعود بن محمود إلى غزنة لتولى مهام الحكم، خرج أهلها لاستقباله، وألستهم تلهج بالدعاء له، والقراء يرتلون آيات الذكر الحكيم^(١).

وكانت المجاملة من الأمور التي حرص عليها الشعب الغزنوي، ويتجلى ذلك في المناسبات العامة والخاصة، مثل تنصيب السلطان، أو تعيين وزير، أو صاحب منصب كبير وغير ذلك من المناسبات، وذلك بتقديم الهدايا والنتار - وكان النتار أموالاً لا تُحصى من ذهبٍ وفضةٍ وملابسٍ غير مخيطة، وخيولاً نجائبٍ غالية^(٢).

ويذكر الكرديزي: أن السلطان محمودًا قد أمر رجاله بأن يقدموا من الهدايا والنتار - عند التقاءه بقدرخان - من الأواني الذهبية والفضية، والجواهر النفيسة،

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص ٣٢١؛ البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٣٩٢.

والطرائف البغدادية، والثياب الجميلة والأسلحة القيمة، والجياد الغالية بسروجها الذهبية وعصيها المرصعة بالجواهر، وغيرها من الهدايا القيمة الكثيرة^(١).

وكما كان السلطان يبعث إلى الخليفة بكل ما قدم إليه من هدايا يوم الخطبة، كذلك كان الوزير يبعث إلى السلطان بجميع ما يهديه إليه الأفراد حين يلي الوزارة^(٢).

ومن العادات الاجتماعية ارتداء البياض في مناسبات الحداد، ويذكر البيهقي أن الأمير مسعود جلس للعزاء في وفاة أبيه مرتدياً قباء ورداء وعمامة بيضاء وحضر كل الأعيان ورؤساء الجند للعزاء مرتدين البياض، واستمر العزاء كما جرت العادة ثلاثة أيام؛ أما في أوقات العمل والمناسبات الخاصة والعامة فكان الغزنويون يرتدون الملابس الفاخرة^(٣).

○ عادات الغزنويين في حفلات الزواج:

كان الغزنويون يُبالغون كثيراً في حفلاتهم عند زواج السلاطين والأمراء، فحينما وافق السلطان محمود على تزويج ابنته لوالي جرجان -منوجهر بن قابوس- بالغ كل من السلطان ووالي جرجان في الاحتفال بهذه المناسبة، حيث سار مركب العروس بما يشبه المظاهرة من غزنة ماراً بأملاك الغزنويين، يتقدم هذا الموكب البهيج كبار رجال الدولة الغزنوية، أمثال الخواجة علي ميكائيل

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص ٣٠٤.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣١٩؛ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٩٥.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤٦؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ٢٠٤.

وغيره من المقربين إلى السلطان لتوصيل العروس مكرمة إلى مقر زوجها في جرجان^(١).

كذلك بالغ السلاطين والأمراء في شأن الصداق، فيذكر ابن الجوزي أن أحد الغزنويين دفع في إحدى بنات أمراء السلاجقة أربعمئة ألف دينار، كما يتجلى الترف والبذخ أيضا خلال حفلات الزواج المختلفة، فقد ذكر البيهقي أن جهاز ابنة باكاليجار -والي طبرستان- عندما زفت إلى مسعود بن السلطان محمود فاق حد الوصف بما ضمه من تحف ونفيس الجواهر، فقد زفت العروس على سرير كأنه البستان، وكان ضمن جهازها إناء أرضيته من نسيج الفضة المزخرقة، وقد اجتمعت عليها ثلاثة أشجار من الذهب، أوراقها من الفيروز والزمرد، وثمارها من أنواع اليواقيت، ويحيط بهذه الأشجار الثلاث والعشرون من آنية النرجس وأصناف الورد والرياحين، كلها من الذهب والفضة وأصناف الجواهر، ومن حول هذه الآنية طبق من الذهب مملوء بالعنبر والكافور^(٢).

ومن عادات الغزنويين أنهم كانوا يزوجون أبناءهم في سن مبكرة، فأورد البيهقي أن السلطان محمود خطب ابنتي أخيه يوسف بن سُبُكْتِكِين لولديه محمد ومسعود، وكانت إحداهما قد بلغت سن الرشد، والأخرى كانت لم تنزل صغيرة، ولما توفيت خطيبة الأمير محمد اختار السلطان محمود الصغرى لتكون زوجة له بدلاً من أخيه مسعود^(٣)، وكانت هذه الفتاه في ذلك الوقت قد

(١) د/ فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، ص ١١٠.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٤١٨: ٤٢٠.

(٣) ولعل ذلك قد تم بعد أن رجع الأخ الأصغر مسعود عن خطبته، وتراضى على ذلك الجميع،

بلغت الرابعة عشر من عمرها^(١).

وخلاصة القول أنّ حفلات الزواج أو الأعياد والمناسبات الأخرى كانت تقام بشيء من الأبهة والعظمة؛ لما كانت تتمتع به الدولة الغزنوية من الرفاهية والازدهار في عهدها الأول من حكم السلطان محمود -سواء في إقليم خراسان أو في الأقاليم الأخرى-، إلا أن هذه الاحتفالات بدأ يقل نشاطها وفعاليتها من إحياء الزينة وإقامة المهرجانات العامة، في السنوات الأخيرة من حكم السلطان مسعود لخراسان؛ نظرًا للتطورات الخطيرة التي طرأت على الوضع السياسي والعسكري، وكذلك الهزائم التي توالى على الجيش الغزنوي من قبل السلاجقة.

○ عادات وتقاليد أخرى في حياة الغزنويين:

١. عادة تُسمى هبة الأسنان (مزدندان):

كان من عادة الغزنويين عند استضافتهم ضيوف السلطان للطعام أن يقدموا له هبة أو هدية تسمى "مزدندان" أي تعب الأسنان، كما فعل أهل بلخ سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣٠-١٠٣١م) عندما كان رسول الخليفة القادر بالله في ضيافتهم، فقد أعدوا له وللمن معه مأدبة فاخرة فأكلوا، ثم قدموا له مالاً طائلاً لقاء تعب الأسنان؛ مما صار له وقع حسن عند الخليفة^(٢).

وإلا لكان هذا العمل غير جائز؛ لما نهى ﷺ عن أن يخطب الرجل على خطبة أخيه.

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ٢٧، ٥٧٠، ٢/د فتحى أبو سيف: المصاهرات السياسية، ص ١٠١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣٢٠.

٢. الاحتفال بختم القرآن:

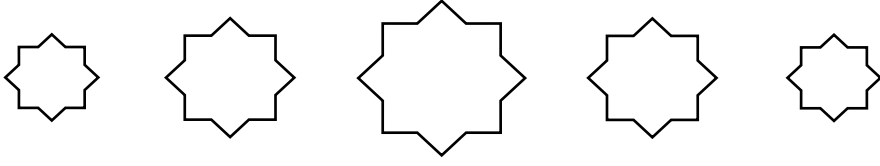
يُشير البيهقي في تاريخه إلى ثمة شخصيات قاموا بتعليم الناس القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن، فيذكر أن الأمراء الثلاثة محمد ومسعود ابنا السلطان محمود - وكانا إذ ذاك في الرابعة عشرة من عمرهما- ويوسف ابن سُبُكْتِكِين أخاه - وكان في السابعة عشرة- قد قامت بتعليمهم جده الكاتب عبد الغفار، ذاك الرجل الذي وكل إليه السلطان محمود تربية أولاده وأخيه، فكانت هذه الجدة على علم بالقراءة والكتابة والتفسير والتعبير وأخبار النبي ﷺ كما كانت قادرة على تحفيظ القرآن للصغار، فكان الأمراء الثلاثة يجتمعون بها دائماً فتقص عليهم السير والأخبار والحكايات المثالية، بالإضافة إلى تحفيظهم القرآن الكريم^(١)؛ وفي هذا الوقت الذي كان السلاطين يهتمون فيه بتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم، فإن عامة الشعب كانوا يلجأون إلى المدارس الخاصة التي تقوم بتحفيظ القرآن والعلوم الدينية في المدن والقرى، وكان الطالب الذي يختم

(١) وهذه القصة تدل على أن الإسلام قد أعطى للمرأة كل ما افتقدته من حقوق في عهود الجاهلية والظلام، وأطلق يدها لتقوم بدورها في بناء المجتمع ونشر الدعوة، ومن ثم المشاركة في بناء الحضارة الإسلامية؛ وقد اشتهرت كثير من نساء المسلمين، واللاتي تركن في المجتمع الإسلامي أثراً بارزاً في العلم والحضارة والأدب والفن والسياسة والدعاء والنفوذ والسلطان، والبر والإحسان، والدين الصالح والزهد والورع...؛ مما يُميط اللثام عن الأدوار المختلفة التي قضتها المرأة في تاريخ العرب والإسلام؛ غير أن هذا الدور العريق للمرأة المسلمة قد تراجع مع تراجع الحضارة الإسلامية، وضعف المسلمين، فشاعت أحاديث موضوعة مثل: لا تعلموهن الكتابة، ومثل: شاوروهن وخالفوهن، إلى آخره، وشاعت كذلك فتاوى متعددة منعت المرأة من الذهاب إلى المسجد للصلاة، وغير ذلك؛ الأمر الذي أفقد المرأة المسلمة كثيراً مما هو منوط بها.

القرآن ويحفظه تقوم المدرسة بعمل احتفال خاص له وللذين ختموا القرآن من قبله، ويخرج التلاميذ في موكب خاص مع أفراد المجتمع إلى مقبرة البلد، وهناك يتلو الطالب عند قبر أحد أقربائه آيات القرآن، ويقرأ دعاء ختم القرآن ويدعى الجميع إلى بيت المحتفي به ليتناولوا بعض المشروبات والأطعمة الخاصة بهذه المناسبة^(١).



(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١١٥، ١١٦.



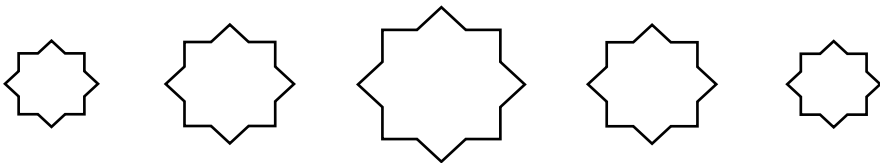
الفصل الرابع

إنجازات الدولة في الناحية الثقافية

المبحث الأول: المراكز الثقافية والمكتبات والمدارس ودورها في الدولة
الغزنوية.

المبحث الثاني: الحياة الدينية والفرق والمذاهب.

المبحث الثالث: العلوم والآداب.



المبحث الأول

المراكز الثقافية والمكتبات والمدارس ودورها في الدولة الغزنوية

المطلب الأول: المراكز الثقافية ودورها في الدولة الغزنوية:

انتشرت الثقافة الإسلامية في هذا العصر انتشارًا يدعو إلى الإعجاب، وذلك بفضل الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية، ونُضج ملكات المسلمين في البحث والتأليف، وتشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء رجال العلم والأدب، وكثرة العمران وارتحال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأيضًا فقد كان قيام الكثير من الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية من أسباب تنشيط الحركة الفكرية ورواج الثقافة، فزخر بلاط هذه الدول بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم، بالإضافة إلى ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية.

ومن المعروف أنَّ إقليم خراسان كان يطلق على المنطقة التي تضم نيسابور ومرو وبلخ وهراة، والتي كانت تشكل مراكزًا للعلوم والآداب في حياة الدول التي توالت على هذا الإقليم منذ فترة الاستقلال عن الدولة العباسية، حتى كسبت عواصمها الأربع شهرة كبيرة، خاصة في آفاق العالم المتحضر في تلك الفترة؛ بل إنها نافست عاصمة الخلافة وجذبت إليها العلماء والأدباء من كل

الأطراف ليكونوا في خدمة أمرائها وسلاطينها خلال حكمهم الذي استمر حتى سقوط بغداد في القرن السابع الهجري.

اهتم الغزنويون بالمدن الخراسانية ومراكزها الثقافية وجعلوا من نيسابور ومرو وبلخ مقراً للعلم وحصناً للعلماء، وقد امتدح المقدسي أثناء زيارته لإقليم خراسان سيرة السامانيين وبين مدى ما وصلت إليه الحياة الثقافية من ازدهار ورقي في عهدهم، "كما اعتبر هذا الإقليم من أكثر الأقاليم علماً وتفقهاً لأنه معدن الخير وركن الإسلام وحصنه الأعظم، وأن علماءه وفقهائه بلغوا درجة الملوك، كما وصف أهل خراسان بأنهم أشد الناس تفقهاً، وبالحق تمسكاً، وهم بالخير والشر أعلم، وإلى أقاليم العرب ورسومهم أقرب، وإقليمهم أكثر أجلة وعقلاً مع العلم الكثير، والحفظ العجيب، به مرو التي قامت بها الدنيا، وبلخ إليها المنتهى، ونيسابور فلا تنسى" (١).

كما شهدت بخارى عاصمة السامانيين حركة ثقافية كبيرة في عهدهم، فكانت مركزاً لتجمع العلماء والأدباء، وقد وصف الثعالبي هذه الحركة بقوله: "كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجتمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر" (٢).

ومن المراكز الثقافية التي ازهرت في عهد السلطان محمود بلاط شمس المعالي قابوس بن وشكمير في طبرستان، وقد وصف الثعالبي هذا الأمير بأنه "خاتم الملوك وعزة الزمان وينبوع العدل والإحسان، ومن جمع الله إلى عزة

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٢٩: ٢٤٠.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج ٤ ص ١١٥.

الملك بسطة العلم، وإلى فضل الحكمة نفاذ الحكم، فأوصافه لا تدرك بالعبارات، ولا تدخل تحت العرف والعادات...."، ولقد كان شمس المعالي نفسه أديباً كبيراً، جمع اليزدادي أقواله في كتاب سماه "قرائن شمس المعالي وكمال البلاغة"، وهو يدل على براعة قابوس في اللغة والأدب، وعلى معرفته بعلم النجوم والفلك، كانت بينه وبين الصاحب بن عباد مراسلات، كما راسل أبا نصر العتبي مؤرخ حياة السلطان محمود الغزنوي^(١).

وكانت مدينة أصبهان والري من بين المراكز الثقافية المشهورة في شرق الدولة الإسلامية، وقد انتقلت إليها المظاهر الحضارية رويداً رويداً من مراكز الحضارة الإسلامية كبغداد والبصرة، وازدهرت هاتان المدينتان كمركز إشعاع للعلوم والآداب في العصر البويهى، وجمع فيها الأمراء كتباً وأنشئوا مكتبات كثيرة؛ ومما يجدر ذكره أن السلطان محموداً لما فتح الري سنة (٤٢٠هـ)، كان صاحبها مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه متشاغلاً عن أمور بلده بقراءة الكتب ونسخها، ووجد السلطان محمود عنده مكتبة ضخمة تحتوى على فروع العلم المختلفة، فأحرق السلطان كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم وأخذ من الكتب ما سوى ذلك بما يساوي حمل مائة جمل إلى خزائنه^(٢).

وهكذا انتشرت المراكز الثقافية في الجزء الشرقي من إيران في فترة استقلال الدولة الغزنوية عن الخلافة العباسية، وهذا بطبيعة الحال أكسب هذه المنطقة ازدهاراً ثقافياً في جميع مجالات العلم والأدب، كما زاد من حماس العلماء

(١) المرجع نفسه، ج٤ ص٦٧؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٣٤١.

(٢) د/ عصام عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٩٩.

والأدباء في العطاء وبذل الجهد لرفع سمعة هذه البلاد بين أقطار العالم الإسلامي المتقدمة في العلوم والفنون في ذلك العصر.

ولما اختار الغزنويون مدينة غزنة عاصمة لهم، سعوا منذ البداية لجعلها مركز إشعاع كبير في جنوب غرب آسيا، وكان الهدف من ذلك نقل الثقافة الإسلامية إلى بلاد الهند المفتوحة أمام قواتهم، فما كان منهم إلا أن استعانوا بالمراكز الثقافية سواء في خراسان أو في الأقاليم لرفع شأن العلوم والفنون في دولتهم، في الوقت الذي لم يكن فيه الغزنويون يعيدون عن الحياة الثقافية ومراكزها طيلة حكمهم لخراسان، فكانوا على اتصال بالعلماء والفقهاء والأدباء في هذا الإقليم وبلاد ما وراء النهر، وقد اتصل الأمير ناصر الدين سُبُكْتِكِين بالشاعر الأديب أبي الفتح البستي الذي شاركه في تأسيس دولته الناشئة، وقد بذل هذا الرجل جهداً كبيراً بعد تعيينه رئيساً لديوان الكتابة توثيق أوامر المودة بينه وبين أمراء الولايات المجاورة وحماية ظهر مولاه من الغزو الخارجي، نتيجة الحروب المتلاحقة في المنطقة؛ هذا بجانب أنه استطاع بصلاته وعلاقاته أن يجذب إلى بلاط الغزنويين العديد من العلماء والأدباء والشعراء أمثال أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، ومفتي نيسابور أبي الطيب سهل بن محمد سليمان الصعلوكي، والشاعر أبي ظفر بن عبد الله الهروي، والقاضي أبي القاسم علي بن الحسين الداوودي^(١).

وهكذا برزت غزنة في أواخر القرن الرابع الهجري كمركز من مراكز الثقافة

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢ ص٥٧؛ محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي، ص٧١؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ٢٥٢، ٢٥٣.

الإسلامية، يعلو شأنه على المراكز السابق ذكرها، وذلك بفضل تشجيع السلطان محمود الذين لم يألوا جهداً في سبيل رفع العلوم والفنون في دولته؛ ومما زاد في مكانة غزنة أن معظم المراكز التي سبق ذكرها آلت إلى الدولة الغزنوية، واستطاع السلطان محمود الغزنوي أن يضم إليه رجال العلم والأدب الذين كانوا يحيطون بأمرء البلاد المجاورة، ونقل كثيراً من المؤلفات إلى عاصمته غزنة.

وجدير بالذكر أن السلطان محموداً أرسل إلى مأمون بن مأمون - أمير خوارزم - يقول: "لقد سمعت أن جماعة من رجال العلم يقومون على خدمة أمير خوارزم ومن الواجب عليك أن ترسلهم جميعاً إلى قصرى حتى يتشرفوا بلقائى فنحن نرجو أن ننتفع بعلمهم وفنهم"، ولما كان هذا الأمير يخشى بأس السلطان محمود فقد أمر رجال العلم في بلاده بالتوجه إلى غزنة، فقصده البيرونى وغيره، وفر ابن سينا إلى طبرستان^(١)، وجد السلطان محمود في البحث عنه؛ ولكن أمير طبرستان لم يُمْكِن رجال السلطان الغزنوي من ابن سينا بعد أن أفاد منه فوائد جمة في مجال الطب وغيره من فروع العلم^(٢).

أما عن الحركة الثقافية في بلاد الهند التي فتحها الغزنويون فقد كانت ضعيفة لحدائثة عهدها بالإسلام واللغة العربية، على أن القسم الذى استولوا عليه من

(١) وأما عن فرار ابن سينا فلم يبين المؤرخون الدافع الحقيقي من وراءه؛ غير أن السلطان محمود كان يعتبر أن إعراض ابن سينا عنه خسارة كبيرة لبلاطه. ينظر: د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) إدوارد جرانفيل براون: تاريخ الأدب في إيران، ج ٢ ص ١١١، ١١٢؛ وزارة الإعلام العراقية: مجلة المورد، ص ٨٨.

الدولة السامانية وغيرها من البلاد التي استوثق الإسلام فيها، فقد استمرت الحركة الثقافية في العهد الغزنوي على ما كانت عليه من حيث الازدهار والقوة^(١).

المطلب الثاني: المكتبات ودورها في الدولة الغزنوية:

كان بيت النبوة موضع أول مكتبة في الإسلام، حيث كان يُجمع فيه ما كتب من القرآن^(٢)، ثم انتشرت المكتبات مرتبطة بالمساجد في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، هذا إلى جانب المكتبات العامة والخاصة.

ولم تكن المكتبة بطبيعة الحال مؤسسة علمية قائمة بذاتها، ولكنها تابعة ومساعدة لمؤسسة علمية أخرى كالمدرسة، والمسجد، والخانقاه، والزاوية، أو غيرها لتقوم برسالتها العلمية والتعليمية خير قيام^(٣).

ومما ساعد على انتشار المكتبات: توافر الورق الجيد بثمن زهيد، وشيوع تدوين العلوم وتصنيفها بداية بالقرن الثالث الهجري ومروراً بالقرنين الرابع والخامس إلى السابع الهجري. ويمكننا أن نفرق بين نوعين من المكتبات:

أ- المكتبات العامة:

وهي التي كانت متاحة لعامة الناس، وكانت المساجد الموضع الأساسي

(١) د/ عصام عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٩٩.

(٢) د/ محمد عجاج الخطيب: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص ٣٦.

(٣) د/ مجاهد توفيق الجندي: التربية الإسلامية بالمؤسسات التعليمية في ديار الإسلام، ص ١٥١.

لهذا النوع من المكتبات، ثم ظهرت المكتبات العامة المستقلة^(١).

وكانت مكتبات المساجد مورداً هاماً لطلاب العلم خاصةً وأنها كانت تنمو يوماً بعد يوم؛ لما يتبرع به الأثرياء من أموال لشراء كتب لها، أو ما يوقفه العلماء عليها من كتب، أو يوصون بوضع مكتباتهم الخاصة في المساجد^(٢).

ب- المكتبات الخاصة:

وهي التي كانت تخص العلماء^(٣)، حيث حرص العلماء على اقتناء الكتب بعد بدء حركة التدوين والتصنيف، وكذلك وجدت في قصور الخلفاء والوزراء والأطباء والأغنياء، فحرص كل منهم على أن تكون له مكتبة خاصة ينهل منها ويستعين بها في الرد على خصومه^(٤).

ويكفي تديلاً على وجود المكتبات الخاصة كونها بأسماء أصحابها؛ إذ ليس من المعقول أن يقوم العالم بوقف كتبه -أو بعضها- على مدرسة أو رباط أو خانقاه، أو غيرها وهو لم يكن قد ملكها قبل ذلك واستفاد منها، وإنما وقفها

(١) مثل بيت الحكمة ببغداد، ودار الحكمة بالقاهرة، وغيرهما. ينظر: د/ أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، ص ١٨٦-١٩٧.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١ ص ٣٢٢.

(٣) وهناك من الباحثين من يقسم المكتبات إلى ثلاثة أنواع، عامة: وتكون ملحقة بالمساجد، وخاصة: وهي شخصية في البيوت، ومكتبات: عامة - خاصة، وهي التي اقتصر استخدامها على طبقة من العلماء والطلاب والباحثين، فيها كتب قيمة نادرة، لا قدرة للأشخاص العاديين على اقتنائها، مثل "بيت الحكمة". ينظر: د/ شوقي أبو خليل: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٤٤٦.

(٤) مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري الإسلامي، ص ١٤٦.

لطلاب العلم رغبة في الخير، وطلبًا لعموم النفع، حيث كان - وهو السائد في ذلك الزمان^(١) - في أغلب الأحيان يقوم العالم بعمل جليل في أخريات حياته، كبناء مؤسسة خيرية أو علمية، أو وقف كتبه على إحداها.

لم يألو السلطان محمود جهداً في تشجيع الحركة الثقافية في كافة المحافل، فزين عاصمته غزنة بأجمل ما حصل عليه من مغنم الهند، وأعاد تشييد مسجدها الجامع على أحسن صورة "وأضاف إلى المسجد مكتبة رائعة تشتمل حجراتها - من بساط الأرض إلى سقوفها- على تصانيف الأئمة الماضيين من علوم الأولين والآخرين منقولة من خزائن الملوك السابقين، يتناولها فقهاء وعلماء غزنة بالتدريس"^(٢).

كما برزت الجهود العظيمة للسلطان محمود في سعيه الحثيث لإقامة المكتبات المتخصصة في المراكز العلمية في دولته، لتكون مراجع للعلماء والأدباء حين الحاجة إليها، -وكما مر- فقد رأينا أن السلطان محموداً قام بجمع الكتب العلمية التي لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية -من مكتبة مجد الدولة- وأحرق ما عداها من الكتب، وذلك عقب فتحه لمدينة الري.

هذا وكان يوجد في كل جامع كبير مكتبة، حيث كانت عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع، ويقال: إن خزانة الكتب بمرور كانت تحتوي على

(١) والحمد لله ما زلنا نرى بعض أهل العلم والخير يقومون بمثل هذه الأعمال، كوقف مكتباتهم على طلاب العلم في الجامعات العربية والمصرية، وفي المكتبات العامة، فيحدث بذلك التواصل والخير إلى يوم القيامة.

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢ ص ٩١: ١٩٩؛ محمد يوسف علام عبد العال: الحركة العلمية في غزنة ونيسابور، ص ٧٣.

كتب يزدجرد لأنه حملها إليها وتركها^(١)، وقد ترنم ياقوت بذكر مكاتب مرو، فتغنى بأيامها شعراً جميلاً، وكان بها على عهده اثنا عشر ألف مجلد، يقول ياقوت: "وكانت الخزائن سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن، تكون قيمتها مائتي دينار، فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها، وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد"^(٢).

وكان وزراء وحكام الأقاليم الإسلامية يملكون مكتبات كبيرة يتردد عليها الفقهاء والعلماء والأدباء بين الحين والآخر للاستفادة منها في القراءة والملاحظة، ويذكر أن الأمير نوح بن منصور عندما استدعى الصاحب بن عباد المتوفى سنة (٣٥٨هـ / ٩٩٥م) ليوليه وزارته، اعتذر عن ذلك، فكان مما اعتذر به أنه لا يستطيع حمل أمواله وما عنده من الكتب العلمية إلى بخارى، وقدرت كتب هذا الوزير بما يحمله أربعمئة جمل أو أكثر، وكان فهرس كتبه يقع في عشر مجلدات، ولما ورد السلطان محمود الري استخرج من بيت كتب الصاحب كل ما كان في علم الكلام وأمر بحرقه^(٣).

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١ ص ٣٢٢.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٥ ص ١١٤.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١ ص ٣٢٦.

المطلب الثالث: المدارس والمجالس العلمية ودورها في الدولة

الغزنوية:

المدرسة^(١) هي المكان الذي يلى المسجد في الأهمية العلمية عند المسلمين، فالمدرسة هي محراب العلم، حيث يتعلم فيها الناس شتى العلوم، وفي نفس الوقت ألحقت بها مساجد للصلاة^(٢).

ولقد كثر بناء المدارس في شتى أرجاء المشرق^(٣)، ودأب السلاطين على اختيار أكفأ المدرسين الذين لديهم القدرة على نشر علوم الإسلام وثقافته، وبذلوا لهم الرواتب المجزية، ومنحهم المناصب المختلفة في الدولة، ووفروا لهم سبل العيش الكريم؛ لذا انتشرت مؤلفات العلماء في هذا المضمار^(٤).

(١) والمدرسة في الأصل هي الموضوع أو البيت الذي يدرس فيه القرآن، والدرس هو الموضوع الذي يدرس فيه، ودرس بمعنى فهم وتعلم وحفظ، وبمعنى قرأ، يقال: درست الكتاب، أي ذلته بكثرة القراءة حتى خفَّ حفظه، ودرست السورة أي: حفظتها، ودرست أي تعلمت، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِيُبَيِّنَ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٥].

ابن منظور: لسان العرب، مادة "درس"، ج٦ ص ٧٩.

(٢) أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى، ص ١٠٦.

(٣) يُعتبر عام (٤٥٩هـ/١٠٦٦م)، حدًا فاصلاً فيما يختص بأمكنة التعليم عند المسلمين، ففي هذا العام افتتحت في بغداد أول مدرسة من مجموعة المدارس الكثيرة التي أنشأها الوزير السلجوقي العظيم "نظام الملك"، وقد انتشرت هذه المدارس في العالم الإسلامي حتى شملت البلدان والقرى الصغيرة، بالإضافة إلى المدارس الكبرى في عواصم الأقاليم، ثم اقتدى بنظام الملك كثير من الملوك والعظماء في هذا المضمار. ينظر: د/ أحمد شلبي: التربية والتعليم، ج٥ ص ٤٥.

(٤) ينظر: شوقي عبدالفتاح السيد إبراهيم: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المشرق، ص

ويرجع الفضل لله - سبحانه وتعالى - أولاً، ثم للسلاجقة ثانياً في تأسيس هذه المدارس بالمشرق خاصةً - بإقليم خراسان-، ثم بدأت تمتد غرباً حتى وصلت مصر وبلاد المغرب عامةً، وكان ذلك في القرن الخامس الهجري (١١م) وذلك على الأرجح، وكان ذلك على يد الوزير نظام الملك^(١) السلجوقي (٤٥٦-٤٨٥هـ/ ١٠٦٤-١٠٩٢م)^(٢)، والتي اتخذت طابعاً معمارياً متشابهاً^(٣).

ولقد لعبت هذه المدارس الدور الأهم في نشر الإسلام، وأنه إذا كانت الحركة الإسلامية قد أحرزت نجاحاً خارج حدود ما وراء النهر، فإنَّ الفضل في ذلك يرجع إلى مدارس ما وراء النهر^(٤).

(١) نظام الملك الوزير الكبير: قوام الدين أبو علي الحسن بن علي ابن إسحاق الطوسي: عاقل، سائس، خبير، سعيد، متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء. أنشأ المدرسة الكبرى ببغداد، وأخرى بنيسابور، وأخرى بطوس، ورغب في العلم، وأدرَّ على الطلبة الصلوات، وأملى الحديث، وبعد صيته. معجم البلدان ج١ ص ٦٣٨، ج٤ ص ٢٠١. وتنقلت به الأحوال إلى أن وزر للسلطان ألب أرسلان، ثم لابنه ملكشاه، مولده في سنة ثمان وأربعمائة، وقتل صائماً في رمضان وذلك ليلة جمعة سنة خمس وثمانين وأربعمائة بقرب نهاوند. ينظر: السمعي: الأنساب، ج٥ ص ٥٠٥.

(٢) لقد أجمعت الدراسات التاريخية على أنَّ الازدهار الحقيقي لإنشاء المدارس لم يتم إلا على يد الوزير السلجوقي نظام الملك، الذي أنشأ مدارس عديدة في أماكن عديدة. ينظر: أحمد عبدالرازق أحمد: الحضارة الإسلامية، ص ٣٤؛ إبراهيم علي البهي علي: التطورات الحضارية في خراسان، ص ٢٩٤؛ دعاء عبدالرحمن علي محمد: الوزارة في عهد السلاجقة، ص ١٥٦.

(٣) د/ حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، ص ١٢٥.

(٤) د/ حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ١٧٠ - ١٧١؛ وكان تصميم المدارس في الغالب يشتمل على صحن مكشوف تحيط به أربعة إيوانات في شكل متعامد، وأحد هذه

بذل السلاطين والأمراء جهدًا كبيرًا من حيث الاهتمام بالعلم والعلماء؛ الأمر الذي كان له الأثر الكبير في ظهور مؤسسات علمية، سواء على نمط مجالس علمية -تعقد في المساجد أو في أماكن خاصة- أو على مستوى متطور فيما بعد كالمدراس النظامية التي أسسها نظام الملك في مدينتي نيسابور وبغداد. بيد أن التعليم على عهد السامانيين والغزنويين كان يقوم بالإفناق عليه وتمويله جهود فردية تمثلت في بعض الأمراء والأعيان أو القضاة من أموالهم الخاصة، وكانت معظم دروس العلوم النقلية مثل الفقه والحديث تعطى في المسجد وكان التلاميذ يشكلون حلقة بين يدي المدرس ويستمعون إليه بكل أدب وخضوع، وكان الفقهاء أكثر العلماء تلاميذًا، وكان ذلك طبيعيًا، لأن الفقهاء يعلمون العلم الذي يؤهل أصحابه لتولى مناصب يعيشون منها^(١).

غير أنه لا يمكن إنكار دور الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود في الاهتمام بالمدراس العلمية والمذهبية، فبنى السلطان محمود بعد استيلائه على خراسان يرسل القاضي أبي صالح التباني إلى غزنة ليكون فيها إمامًا على مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ، وعلى أن يشتغل بالتدريس في مدرسة باب بستان، ومن الذين تخرجوا على يده وأخذوا العلم عنه قاضي القضاة أبي سليمان داوود بن

الإيوانات هو المدخل وفيه السلم الذي يؤدي إلى الطابق العلوي، وتتكون مدارس آسيا الوسطى عادة من طابقين ويحيط بكل مدرسة فناء فسيح، وحجرات للطلاب، ومكتبة، وأماكن إقامة للمعلمين والطلبة. أحمد أمين محمد جمعة: المؤسسات الإسلامية، ص ١٠٦؛ مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري الإسلامي، ص ٤٠.

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ١ ص ٣٣٢، ٣٣٣.

يوسف والقاضي زكي محمود^(١)، كما ساهم السلطان شخصياً في إنشاء مدرسة بالعاصمة غزنة، وقد خطط لهذه المدرسة لتكون فيها مكتبة علمية ضخمة يتردد عليها طلاب العلم والوافدون إليها من كل مكان^(٢).

ومن المدارس التي لاقت شهرة كبيرة من الناحية العلمية "المدرسة الصاعدية" في نيسابور، وتنسب إلى القاضي أبو العلا صاعد أستاذ الأمير مسعود بن محمود الغزنوي؛ كذلك من المدارس المعروفة في أواخر القرن الرابع الهجري "مدرسة السعيدية" التي بناها الأمير ناصر الدين سُبُكْتِكِين في فترة حكمه لخراسان عام (٣٨٩هـ / ٩٩٩م)؛ أما في أوائل القرن الخامس الهجري (١١م) فقد تأسست أربعة مدارس كبيرة في نيسابور لتضم الفرق الدينية الأربعة التي كانت لها مكانة مرموقة في الدولة، وهي الحنفية والشافعية والشيعة العلوية والكرامية^(٣).

هذا وقد شارك الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني الذي كان يرأس الوزارة في عهد السلطان محمود إلى عام (٤٠١هـ) في بناء مدرسة في مدينة بلخ، كما كانت هناك مدارس أخرى في بعض مدن خراسان قد تأسست منذ أوائل القرن الخامس الهجري^(٤).

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢١٣.

(٢) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٥٧، وينظر: محمد يوسف علام عبد العال: الحركة العلمية في غزنة ونيسابور، ص ٧١.

(٣) د/ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، ج ١ ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) د/ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، ج ١ ص ٢٦٧.

كما اهتم السلطان محمود بعد رجوعه من فتح "قنوج" عام (٤٠٩هـ) ببناء مسجد جامع في غزنة تكون بجواره مدرسة^(١) مزودة بنفائس الكتب وغرائبها من المؤلفات لجميع العلماء والأدباء وأئمة الفقه، ومن ثم اتجهت إليها الأنظار من كل البلاد، وقصدها الطلبة ليتزودوا منها بالعلوم والآداب على أيدي علماء وأساتذة معروفين في المشرق الإسلامي، بعد أن توفرت لهم سبل الراحة من الناحية العلمية والمادية، حيث كانوا يتقاضون أثناء دراستهم رواتب شهرية من هذا الصرح العظيم^(٢).

وهكذا بدأت الأقطار الإسلامية في بلاد المشرق بعد الاستقلال عن الخلافة العباسية، - وخاصة الدولة الغزنوية - في خلق نهضة ثقافية في هذا الجزء من العالم الإسلامي، وذلك بعد أن كانت النهضة محصورة في بغداد التي اعتبرت آنذاك مركزاً للعلوم والآداب؛ فلذا سعت هذه الدولة لجعل بعض المدن الكبرى سواء في خراسان أو في الأقاليم الأخرى مراكز للثقافة تنافس حاضرة الخلافة في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء وتتفاخر بهم، وتغدق

(١) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٩٠، ٤٩١؛ د/ ذبيح الله صفا: مرجع سابق، ج١ ص٢٦٧، ٢٦٨؛ وذكر بعض المؤرخين أن السلطان جلب إلى هذا المسجد جذوع الرخام من الهند، وفرشه بالمرمر، وأعالى جدرانه بالأصباغ وصباب الذهب المفرغة من تلك الأصنام، واحتضر بناء المسجد بنفسه، ونقل إليه الرخام من نيسابور، وجعل أمام المسجد مقصورة تسع ثلاثة آلاف غلام، وبنى بإزائه مدرسة احتوت فيها الكتب من علوم الأولين والآخرين، وأجريت بها الأرزاق، وأمر القواد والحجاب وسائر الخدام فبنو بجانب المسجد من الدور ما لا يحصى. ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٩٠، ٤٩١.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج٤ ص٤٩٠، ٤٩١؛ د/ ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، ج١ ص٢٦٧، ٢٦٨.

عليهم الأموال، كما صار لحواضر تلك الدولة وخاصة غزنة ونيسابور مكانة متميزة في علمها وأدبها، وأصبحت منها قبلة العلماء والشعراء والكتاب من مختلف البلاد^(١).

ومن الجدير بالذكر أنّ مدينة غزنة عرفت الكتابيب كمؤسسة تعليمية أولى أو تمهيدية، والدليل على ذلك الإشارات العديدة التي مرت أثناء البحث والتي تدل على انتشارها فيها، ومن ذلك ما كان السلطان محمود يأمر به أبناءه مسعود ومحمداً، كما كان يأمر أخاه يوسف بالذهاب إلى بلدة (داور) شمال غزنة؛ ليحفظوا القرآن الكريم، إلى جانب التفسير وبعضاً من سيرة النبي ﷺ أو يدرسوا الإنشاء ويستمعوا إلى بعض السير والأخبار، ثم أسندت مهمة تأديب هؤلاء الأمراء بعد ذلك إلى القاضي صاعد الاستوائي، كما أنّ السلطان محموداً ووزيره أحمد الميمندي كانا يتعلمان في مكتب واحد، حيث تلقيا أولويات القراءة والكتابة وحفظ القرآن وشيئاً من الشعر والأدب والسير والأخبار.

ومن خلال ما سبق تتجلى لنا عدة أمور:

(١) حظيت مدينة غزنة - وغيرها من مدن الدولة الغزنوية - بوجود مؤسسات علمية هامة كالمدارس التي كانت تشرف عليها الدولة وتهتم بها اهتماماً كبيراً.

(٢) استمرار هذه المدارس لفترات طويلة، مما يدل دلالة قاطعة على مرونتها وتطورها حسبما تقتضيه الظروف الحياتية والأحوال المعيشية التي تمر بها الدولة كغيرها من الدول الإسلامية.

(١) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢١٤.

٣) تأكيد الحقيقة التي تقول بأن دور الدولة الغزنوية العلمي لا يقل أهمية عن دور كثير من المراكز العلمية المشهورة آنذاك، مثل: بغداد، والكوفة، والبصرة، ودمشق، والفسطاط، وذلك لكثرة علمائها، وتنوع ثقافتهم، ولريادتهم العلمية في إقليم خراسان وما وراء النهر.

وكذا فإن المدرسة ككيان معماري، تعد طرازاً مستحدثاً في العمارة الإسلامية، فلم يكن يُعرف قبل القرن (٤هـ/ ١٠م)، ثم لم يلبث أن انتشر في أقطار العالم الإسلامي، واتخذ في كل قطر منها طابعاً معمارياً خاصاً به، ومما لا شك فيه أن إنشاء المدارس كان بداية عهد جديد في تطور العمارة الإسلامية، وفي ازدهار الحركة العلمية في أقطار العالم الإسلامي من جهة أخرى^(١).

ولا خلاف على أن السلطان محموداً الغزنوي كان رجلاً راعياً للفنون، وقد شهد عصره ازدهاراً معمارياً فنياً عظيماً، وبخاصة في عاصمته غزنة، ومدينة بست التي تُعدُّ العاصمة الثانية لبلاده، ومن المؤكد أيضاً أن العمارة الهندية والتي بُهر بها محمود الغزنوي في أثناء حملاته قد أثرت فيه، ودفعته إلى استقدام رجال الفن المعماري من أبناء الهند، لإقامة المنشآت في دولته، فحدث امتزاج بين الأنماط الهندية والإسلامية، وكان الفن المعماري الغزنوي الإسلامي المتأثر بهذا التجانس خير شاهد على هذا الأمر^(٢).

يقول أحد الباحثين: "وقد نال فن العمارة نصيبه من عناية السلطان محمود نتيجة لهذا الثراء والترف، وذكر خلاصة ما قاله العتبي عن مسجد غزنة الجديد

(١) مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري الإسلامي، ص ١٣٩.

(٢) كرؤنيام: الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، ص ١٦٦، ١٦٧.

الذي بناه محمود، وكيف كان يغري العمال الذين اشتركوا في بنائه بالأجور والأموال طلباً للإجادة والإتقان، وكيف نقل ما احتاجه البناء من الأخشاب من الهند والسند، وكيف بالغ في تجميل المسجد وتزيينه حتى استخدم الأصباغ والألوان والتذهيب، وفرش ساحته بالمرمر الصقيل اللامع، وألحق به مدرسة ملئت قاعاتها بالمؤلفات في جميع العلوم، ووكل التدريس فيها إلى فريق من العلماء والفقهاء كان يغدق عليهم، ويغمرهم بالنعمة"^(١).

ولكن من المؤسف حقاً أنه لم يبق من الآثار المعمارية التي ترجع لعهد السلطان محمود سوى القليل والنادر مثل قبر السلطان محمود -والذي سبق الكلام عنه- والمئذنة القديمة والتي وصفها محمد ناظم بأنها: "يبلغ ارتفاعها (١٤٤) قدماً وتميز موقع غزنة القديم، وهي نموذج رائع، بنيت بالآجر والجزء الأدنى منها يساوي ثلث ارتفاعها، والمئذنة على شكل نجمة بثماني زوايا، أما الجزء العلوي فهو دائري مثل الأدوار الثالث والرابع من منارة "قطب الدين أبيك الشهير" - الذي كان نائباً للغوريين في حكم الهند- وسلالمتها خارجية تقود إلى القمة، وتزدان في مواقع متعددة منها بخطوط وكتابات كوفية"^(٢).

وهذا طبعاً لا يكفي لإشباع نهم الباحثين في هذا المضممار، لكي يزدادوا معرفة بتطور الفن الإسلامي في عصر السلطان محمود وباقي سلاطين الدولة الغزنوية.

(١) د/ طه ندا فصول من تاريخ الإسلام، ص ١٥١.

(٢) محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، ص ٢٢٨.

المبحث الثاني

الحياة الدينية والفرق والمذاهب في الدولة الغزنوية

من المعروف أنَّ الفرق الإسلامية قد بلغت أقصى نشاطها زمن العباسيين، وخاصة في الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية في الشرق، ويمكن القول أن تعدد الفرق والمذاهب الدينية في المنطقة التي حكمتها الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود يرجع إلى توالي الحكام والسلاطين على حكم هذا الإقليم بعد الاستقلال عن الخلافة العباسية، فقد كان من حكام هذه الدول من يُؤيد مذهباً من مذاهب أهل السنة، ومنهم من كان يُؤيد المذهب الشيعي، ومنهم من كان يدعم إلى جانب هذه المذاهب الدينية فرقاً كالمعتزلة، أو كما كان الحال حين تبنى الأمير ناصر الدين سُبُكْتِكِين الغزنوي فرقة الكرامية في نيسابور، حتى أصبحت لها السلطة الدنيوية في رئاسة تلك المدينة أيام ابنه السلطان محمود بدلاً من أعيانها كما كان المعتاد سابقاً.

وانقسم الناس إلى طوائف وأحزاب حسب مذاهبهم، وزاد في هذا الانقسام أن كل فرقة من الفرق الكبيرة انقسمت بدورها إلى فرق فرعية صغيرة عديدة، ثم اشتد الجدل والنزاع بين طوائف الفرق وأصبح المجتمع الإسلامي ميداناً لصنوف الآراء المختلفة، وكان لهذا الخلاف الأثر الكبير على الشؤون الداخلية؛ الأمر الذي ترتب عليه ظهور الكثير من الثورات الإقليمية، كما حدث في خراسان وبلاد المغرب وغيرها، وتعد ثورات الخوارج أعظم مثل لهذه

الحركات الانفصالية^(١).

وإذا كان الخلفاء العباسيون قد نجحوا في إخماد فتن الخوارج، إلا أنهم استنزفوا الكثير من قوتهم؛ مما هبياً للفرق الإسلامية الأخرى أن يزداد نشاطها مستغلين انشغال الخلافة العباسية بهذه الفتن، فاستطاع الشيعة نشر تعاليمهم في كثير من بلاد الدولة الإسلامية، مثل فارس وخراسان، وأرسلوا الدعاة لنشر مذهبهم في البلاد الأخرى، التي مهدت لدعوتهم ثورات الخوارج، فنجحوا في تأسيس دولة لهم بالمغرب امتدت فيما بعد إلى مصر والشام ألا وهي الدولة (الفاطمية)^(٢).

وهكذا أدى نمو الفرق الإسلامية إلى انكماش الخلافة العباسية في بغداد وتأثرت الحماسة الدينية للجهاد والفتوح الإسلامية الجديدة، وانصرف جهاد المسلمين إلى إخماد الفتن السياسية الداخلية، ولم تسلم الدولة الإسلامية من آثار الجدل السياسي الديني، وانتهى الأمر إلى التفكك والانقسام إلى ممالك ودول عديدة، وقد وجدت هذه الفرق الإسلامية في إقليم خراسان أرضاً خصبة لتقبل هذه الأفكار^(٣).

وكان لظهور البويهيين في القرن الرابع الهجري على ساحل بحر الخزر الجنوبي وهجومهم على البلاد الإيرانية الأثر السيئ على الحضارة الإسلامية، حيث لم يكن عندهم حس حضاري، فقد انتهزوا فرصة ضعف الخلافة العباسية

(١) إبراهيم أحمد العدوي: التاريخ الإسلامي أفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، ص ٢٢٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

(٣) شريف يحي الأمين: معجم الفرق الإسلامية، ص ٣٠، ٣١.

وعملوا على تقوية المذهب الشيعي في تلك البلاد، ولم يكتفوا بالاستيلاء على هذه البلاد؛ بل قاموا بالزحف على بغداد -عاصمة الخلافة- كما قاموا بالتحالف مع القرامطة في توسيع أفكارهم وأرائهم في هذه البلاد.

والقرامطة كما هو معروف عنهم فرقة من الشيعة الإسماعيلية اتخذت من السلب والنهب والتعدي على قوافل الحجيج والتجارة خطأً لمقاومة السلطة المركزية في بغداد، في الفترة التي فقدت فيها الخلافة العباسية نفوذها بسبب حالة الفوضى والفساد وعدم الاستقرار، والنزاع على السلطة بين الآراء وقادة الجيش، والتنافس بين الوزراء خلال هذا العصر^(١).

كما اتخذ القرامطة من خراسان وفارس قاعدة لهم لنشر المذهب الإسماعيلي في تلك البلاد، وهذا ما جعل الخليفة القادر بالله يحث السلطان محمود على قمع هذه الطائفة في كل من خراسان والأقاليم التي تقع تحت سيطرته، فعمل السلطان محمود على مقاومة هؤلاء في كل مكان، حتى أنه قال يوماً - عندما اتهم وزيره حسنك بالقرمطة بعد عودته من الحج: "إنني قد أدخلت أصابعي من أجل العباسيين في كل جهات العالم أبحث عن القرامطة، واشتق كل من أجده وتثبت عليه القرمطة، ولو تحقق لنا أن حسنك قرمطي - أيضًا - يعرف أمير المؤمنين ما أفعل به، وأنا الذي ربيت حسنك وإنه لیتساوى عندي مع أبنائي وأخوتي، فإذا كان حسنك قرمطيًا فإنني قرمطي كذلك"^(٢).

(١) فاروق عمر: التاريخ الإسلامي، ص ٣٤٤، ٣٥٥؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٦٣.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٩٤.

ولما اتسعت الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود وبسطت سيطرتها على خراسان والأقاليم الإسلامية الأخرى اتبعت سياسة تطهير بعض الفرق الدينية التي تتعارض مع عقيدة السلطة الحاكمة وتتسبب في خلق القلاقل والفتن داخل الدولة، مثل الشيعة وفرقها أمثال القرامطة، في مقابل تأييد بعض الفرق الدينية الأخرى مثل الكرامية^(١) والمذهب الحنفي الذي كان يدين له الناس بكل الثقة والولاء، حيث كان غالبية سكان خراسان ينتمون إلى هذا المذهب؛ لأن الإمام أبا حنيفة كانت إمامته مستمدة من علمه وإنسانيته؛ وقد جاء هذا المذهب إلى خراسان عن طريق التلاميذ الذين درسوا وتخرجوا على أيدي أساتذة من المدرسة الحنفية في بغداد^(٢).

لم تتوقف جهود الدولة الغزنوية عن مساندة الأحناف والكراميين للتخلص من المذاهب الأخرى، ويرجع ذلك لسببين رئيسيين، أولهما: قلق السلطان محمود من ازدياد حركة الشيعة الإسماعيلية في خراسان، وثانيهما: التخلص من نفوذ الطبقات الدينية الأخرى التي كان لها مدارس فقهية في نيسابور، وخاصة مدارس الشافعية بقيادة بعض العلماء الذين بدءوا ينافسون المدارس الحنفية في المناظرة والنقاش والجدل أمام الرأي العام^(٣).

وفي العهد الغزنوي ومع ازدياد قوة المدارس الشافعية في نيسابور رأى الأمير نصر بن سُبُكْتِكِين بناء مدرسة كوقف للقاضي الحنفي أبي العلا صاعد

(١) وكما سبق فقد كان السلطان محمود في أول أمره على مذهب الكرامية.

(٢) ينظر: العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٦٥.

(٣) مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ص ٤٠١.

لينافس هذه المدارس التي بنيت للمذهب الشافعي، هذا ومن ناحية أخرى اتخذ السلطان محمود قرارًا بتعيين القاضي أبي صالح التباني الذي كان على المذهب الحنفي إمامًا وواعظًا للجامع الكبير بغزنة، كما بنى له مدرسة في باب البستان بالعاصمة ليقوم بالتدريس للتلاميذ والوافدين إليها، فتخرج من مدرسته علماء كثيرون^(١).

وبهذا التأييد المنقطع النظير للمذهبين (الحنفية والكرامية) استطاع الغزنويون كسب الدعم السياسي لحكمهم في مدن خراسان وخاصة نيسابور التي كانت مركزًا للتجمع الديني والاضطرابات الطائفية في ذلك الوقت؛ إلا أن الحنفيين لم يهتئوا بهذا التأييد فترة طويلة، وذلك أن القاضي أبا العلا صاعد صاحب المدرسة الصاعدية وأستاذ الأmirين مسعود ومحمد قد عزل من منصبه الريادي كقائد لهذا المذهب عام (٣٩٣هـ / ١٠٠١م)^(٢).

بيد أن هذه السياسة غير المتكافئة التي اتبعتها السلطان محمود مع المذاهب الدينية في خراسان كان لها آثار سلبية فيما بعد وخاصة في فترة حكم ابنه السلطان مسعود وحروبه مع السلاجقة كقوة دينية مساندة للحكومة المركزية في غزنة؛ لدرجة أنهم اتخذوا قرارًا بتسليم مدينة نيسابور -مركز التجمع الديني والمذهبي- للسلاجقة، وذلك عندما تشاور معهم الأعيان وكبار القادة في ذلك الأمر، وكان هذا بمثابة ضربة قاصمة للغزنويين في هذا الإقليم^(٣).

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢١٣.

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ص ٢٧٤؛ البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٢١٣.

(٣) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٦.

هذا وكان المذهب الشافعي قد انتشر في هذه البلاد في العصور السابقة على أيدي العلماء الشافيين الذين تعلموا في المدارس الفقهية في بغداد، وكما سبق كان بخراسان طائفة الكرامية وهو مذهب له آراء في الاعتقاد في الفروع، وكانت هناك -أيضاً- مذاهب الحنفية والشيعة وكثيرون من الحنابلة، فكان الخلاف يقع بين هؤلاء نتيجة المناظرات التي كانت تقام بينهم، وكان أتباع كل مذهب يقدمون الأدلة على صحة مذهبهم متهمين مذهب الآخرين؛ مما يؤدي في بعض الأحيان إلى نشوب القتال والفتنة بين الأطراف المتناظرين في خراسان^(١).

موقف السلطان محمود من طائفة الكرامية:

من المعلوم أن الكرامية كانت من الطوائف الدينية التي اكتسبت شهرة كبيرة في العالم الإسلامي وخاصة في خراسان، وكان مؤسسها هو أبو عبد الله محمد بن كرام السجستاني^(٢)، ثم خرج إلى نيسابور وتبعه خلق كثير لما كان يظهره من زهد وورع، وألف كتاباً أسماه "عذاب القبر" شرح فيه مذهبه واستطاع من خلاله إقناع العامة من الناس بهذا المذهب^(٣).

(١) الإمام محمد أبو زهرة: الشافعي حياته وعصره، ص ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) هو محمد بن كرام بن عراف الشيخ أبو عبد الله السجستاني، شيخ الكرامية، مات بالشام في صفر سنة (٢٥٦هـ) ولم يعلم بموته إلا خاصته، ولما توفي كان أصحابه في القدس أكثر من عشرين ألفاً على التقشف والتعبد، قال ابن حبان: جالس الجويباري ومحمد بن تميم السعدي ولعلهما قد وضعاً على النبي ﷺ مائة ألف حديث، ثم جالس أحمد بن حرب فأخذ التقشف عنه، وقال الشهرستاني: كان محمد بن كرام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضعفاً، وأثبتته في كتابه وروجه، فانتظم ناموسه بسواد خراسان. الصفدي: الوافي بالوفيات ج٤ ص ٢٦٥، ٢٦٦، ج٥ ص ١١٢؛ وينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج١ ص ٣٣.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ص ٩٢.

اكتسب المذهب الكرامي شعبية كبيرة في خراسان حتى قيل أن الوزير أبا الفتح البستي أول وزير في الدولة الغزنوية قد اعتنق هذا المذهب، ظهر ذلك من خلال تأييده وتزكيته للكرامية في شعره مما جعل البعض يزعم أنه كان كرامياً، والواقع أن أبا الفتح لم تكن له علاقة بهذه الفرقة التي تنسب إلى ابن كرام، فضلاً عن إيمانه القوي بأن هؤلاء القوم قد بعدوا بأفكارهم وأرائهم عن مبادئ المذاهب السنية التي كان ينتمي إليها^(١).

استمر نجم الكرامية في الصعود، وقام السلطان محمود بتعيين أبي بكر بن محمد بن محمشاد - قائد الكرامية في نيسابور - رئيساً لمدينة نيسابور، مع أنه رجل دين، ومع أن النظم المتبعة وقتها في تولية هذا المنصب أن يكون صاحبه رجل من الأعيان ينتخبونه ويرضى به الجميع، غير أن حب السلطان المتزايد لهذا الرجل جعله يصدر أمراً بتعيينه رئيساً لأكبر مدينة في خراسان^(٢).

لم يُوفق أبو بكر في تنفيذ مهام هذا المنصب، فقد كان يميل إلى طبقة معينة في الدولة، وهي طبقة الشعب الكادحة من الفلاحين والحرفيين وغيرهم، وأخذ على عاتقه رجال الدولة من الأمراء والأعيان واتهامهم بالقرمطة وابتزاز أموالهم سرّاً مقابل سكوته عنهم، فكان للكرامية دور كبير في إعدام بعض رجالات الدولة ومن ذوي المناصب المهمة فيها؛ وهكذا وضع الكراميون أمامهم مبدأ الانتقام من كل فئات المجتمع سواء كان طبقة الأعيان والأغنياء أو الطبقات الدينية، متظاهرين بالزهد والتقوى حتى خفي أمرهم على السلطان محمود^(٣).

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢ ص ٣١٠؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي، ص ٥٥.

(٣) ينظر: الأسنوي: طبقات الشافعية، ج٢ ص ١٢٧؛ محمد بن المنصور بن أبي سعيد: أسرار

ومع أن هذه الجماعة كانت منظمة ولها أتباع كثيرون ينفذون أوامر زعيمهم بكل دقة، ويسومون الناس سوء العذاب ناشرين بين الأبرياء الفرع والرعب باسم البحث عن المبتدعة والباطنية وغيرها من المذاهب التي كانت تقف ضد الدولة، فإن نهايتهم كانت مأساوية إلى حد كبير، فبدأت هذه النهاية على يد القاضي أبي العلا صاعد، حيث شرح للسلطان محمود ما يزعم الكراميون في حق الله تعالى، وما لهم من آراء حول المعبود بقولهم "إنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي يلاقي منها عرشه" (١).

وأخيراً اقتنع السلطان بما قاله القاضي أبو العلا صاعد حول مبادئ وآراء هؤلاء القوم، فأمر بأن يحضر أبو بكر محمد الكرامي لمحاكمته في غزنة، وكلف القاضي أبا محمد عبد الله الناصحي استجوابه حول هذه الإدعاءات التي يدعيها في مذهبه، وعندما امتثل أبو بكر محمد أنكر تمسكه بهذه المعتقدات متهمًا القاضي أبي العلا بالاعتزال، وأراد بذلك الاتهام أن يحفظ ماء وجهه أمام غضب الجميع وخاصة السلطان محمود؛ ولكن القاضي الناصحي كشف عن حقيقة الكرامية في هذه المحكمة أمام السلطان والعلماء، كما برأ الأمير نصر بن سبكتكين القاضي صاعد بن محمد من هذا الاتهام الباطل مؤكداً للعلماء والحاضرين أنه ما زال رائداً للمذهب الحنفي في نيسابور (٢).

غضب السلطان محمود على هذه الطائفة، فأصدر أمراً للوالي ورؤساء

التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ص ٦.

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج ٢ ص ٣١١، ٣١٢؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ص ٩٢.

(٢) المرجع نفسه، ج ٢ ص ٣١٣، ٣١٤.

المجالس العلمية في خراسان بأن يطهروا المدارس والمنابع من عقائد الكرامية ولا يجعلوا لهؤلاء مكاناً بينهم بعدما جري منهم في حق العلماء والعباد من ظلم وجور وقهر، فأعفَى زعيمهم من منصبه، وترك الإجراءات الأخرى ضد هذه الطائفة للرئيس الجديد أبي علي حسن بن محمد الميكالي المشهور بـ"حسنك" الذي اتخذ ضد الكرامية أشد العقوبات، فأودع كبارهم في مدينة نيسابور؛ لأن زعيمهم وضع في حياة العزلة وعدم الرجوع إليه في كافة المحافل؛ لأنه كان قد تسبب أيضًا في هدم أهم قوة في المجتمع وهي قوة طبقة الشعب الكادحة التي وقفت إلى جانبه فترة رئاسته لمدينة نيسابور، وبذلك فقدت هذه الطبقة التأييد الذي كانت تتمتع به طوال حكمها لهذه المدينة.

وهكذا كانت نهاية الكراميين في مدينة نيسابور بعد أن استأثروا بالسلطة فيها، واستغلوا عطف السلطان محمود عليهم، حيث أعطاهم كل الصلاحيات السياسية منها والإدارية في نيسابور، وترك لهم مهمة تطهير خراسان من بدع الطوائف والمذاهب الهدامة التي كانت تقلق بعض أجهزة الدول؛ إلا أن هذه الطائفة كانت تسعى إلى أهداف أكبر في حكمها لهذه المدينة، ألا وهي الوصول إلى إقامة ما كان يتعارض مع الأساس المذهبي للدولة الغزنوية^(١).

دور العوامل السياسية والدينية في ظهور حركة الزهد والتصوف في الدولة:

عاش المسلمون الأوائل حياة زاهدة اقتداءً بالنبي ﷺ وكان الزهد^(٢)

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢ ص ٣١١، ٣٢٥، بتصرف.

(٢) والزهد في اللغة: ترك الميل إلى الشيء، وفي الاصطلاح: بغض الدنيا والإعراض عنها، أو ترك راحة الدنيا طلبًا لراحة الآخرة؛ والأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق. د/ محمود

المشروع عندهم: ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع^(١)، وفي سبيل تحقيق ذلك مال الكثيرون إلى الورع وهو: اجتناب ما فيه شبهة خوفًا من الوقوع في المحرمات^(٢)، وحملهم على ذلك خوفهم الشديد من الله سبحانه وتعالى^(٣).

وأصل التصوف: "الاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان على وجهه الأكمل"؛ وبيان ذلك أن الصفاء موطنه القلب، وهو نابع منه، ولذا انصب موضوع التصوف فيه، بحيث يدور على الاجتهاد في تحقيق الكمال الممكن لصلاح القلب^(٤).

ولذلك أكد بعضهم بأن الصوفي: من صفا قلبه ولبس الصوف تزهّدًا وتابع أهل الصفة وسلك مسلكهم ونهج نهجهم^(٥)، هذا بالنسبة للمعنى اللغوي، وأما بالنسبة للمعنى الاصطلاحي للتصوف فإن له تعريفات كثيرة وصلت عند البعض إلى ما يقرب من ألف تعريف، وكلها تتردد بين: "الأخلاق، والصفاء، والزهد، والمجاهدة، والالتزام بالشريعة والعبودية، والتسليم الكامل لله^(٦)،

أبو الفتوح السيد: المدارس الزهدية في صدر الإسلام، ص ٥؛ طريق العبودية، ص ١٥٣، ٢١٧.

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج ١١ ص ١٩.

(٢) الجرجاني: التعريفات، ص ٣٢٥؛ د/ محمود أبو الفتوح السيد: طريق العبودية لله، ص ٢١١.

(٣) البساطي: الحياة العلمية في مرو، ص ٢٧١.

(٤) د/ محمود بن عبدالرازق: مفهوم القدر والحرية عند أوائل الصوفية، ص ٣٦، ٣٧.

(٥) د/ محمود أبو الفتوح السيد: طريق العبودية، ص ١٤٩.

(٦) تنظر هذه التعريفات عند: د/ محمود أبو الفتوح السيد: طريق العبودية، ص ١٤٩ وما بعدها.

والشهادة^(١).

ولذلك كانت حياة الجهاد والدعوة إلى الله خير معين وأصدق دليل على السمو الروحي الذي عاشه الصدر الأول؛ لكن الأمر بدأ يختلف أثناء القرن الثاني الهجري في ظل توقف الفتوحات وما شهدته دولة الإسلام من استقرار سياسي، وترف اقتصادي، وميل اجتماعي إلى تقليد شعوب البلاد المفتوحة^(٢). كل ذلك مع نقصان الوازع الديني، وشيوع الاختلافات الدينية، ودخول طوائف كثيرة في الإسلام وهي تحمل نفاقاً أو جهلاً أو حنقاً على الإسلام، فتتج عن كل هذه التغيرات نمو حركة الزهد في صورة العكوف على العبادة والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، الذي عرف بالتصوف^(٣).

حيث سميت طوائف من الزهاد والعباد بالصوفية نسبة إلى لبس الصوف على الأرجح^(٤)، ومع بداية القرن الثالث بدأ الصوفية يعنون بأحوال النفس، وأعمال القلوب، وظهر التصوف كعلم يدرس الأخلاق الدينية، والنفس الإنسانية من حيث أحوالها ودقائق سلوكياتها^(٥).

(١) السمعاني: الأنساب، ج٢ ص١٠١.

(٢) عبدالله الأمين: دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، ص ٢٤٣، ٢٤٤؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب القديمة والمعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ٣٤١.

(٣) ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ج٣ ص ٩٨٩، بتصرف.

(٤) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج١١ ص ١٩؛ ينظر: د/ محمود أبو الفتوح السيد: طريق العبودية، ص ١٣٥.

(٥) د/ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص ١٧.

لكن مع أواخر القرن الثالث بدأت تظهر مذاهب وآراء للصوفية ابتعد أكثرها عن أصول التصوف الأول القائم على الزهد والتعبد مع الالتزام بالكتاب والسنة^(١)، لكن بعض الباحثين قرّر أنّ أصحاب التصوف الأقرب إلى السنة ظل حتى القرن الرابع للهجرة^(٢).

وفي عهد الدولة الغزنوية وما بعدها رغبت بعض فئات المجتمع خاصة في خراسان في الانضمام أو مساعدة حركة التصوف نتيجة للصراعات الدينية والإضرابات السياسية التي عانت منها خراسان، فمنهم من قبل المبالغة في الزهد وترك متع الحياة، ومنهم من مد يد العون بالمال لنشر مبادئهم ومؤلفاتهم التي كانت تتناول أفكارهم عن المحبة الإلهية ورياضة النفس وغيرها من الأفكار التي كانت موضع قبول العامة والناس في ذلك الوقت^(٣).

هذا ولم يرد عن السلطان محمود أنّه اصطدم مع الحركة الصوفية أو اضطهدّها؛ بل على العكس تماماً، فقد كان يحبُّ مشايخهم وعلماءهم ويقدرهم، وكان يزور بعضهم أحياناً، كما كان يقف للبعض إجلالاً له، وكما

(١) الموسوعة الميسرة، ص ٣٤٧-٣٤٩.

(٢) د/ محمود بن عبدالرازق، التصوف هل له أصل في الكتاب والسنة، ص ٢.

(٣) والتصوف ظاهرة دينية أخذت تنشأ في كل بيئة دينية، وتنمو نتيجة لعوامل داخلية موجودة في تلك البيئة؛ فمما لا شك فيه أنّ التصوف الإسلامي جزء من الأجزاء التي يتألف منها التراث الديني والعقلي والنفسي للإسلام؛ خضع كما خضع غيره من مظاهر الحياة الإسلامية لعوامل الارتقاء، وإن تاريخ التصوف في الإسلام جزء لا يتجزأ من تاريخ الإسلام نفسه، ومظهرًا من مظاهر هذا الدين، وما أحاط به من ظروف، وما دخل فيه من شعوب، ليس شيئاً اجتلب من الخارج دون أن تكون له صلة بالدين الإسلامي وروحه وتعاليمه. إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهويجري، ص ٢٧، ٢٨.

سبق أن السلطان محمودًا زار العالم الزاهد، القدوة، "أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني البسطامي" واستمع إلى وعظه ونهل من علمه، وعرض عليه مالاً فلم يقبله منه هذا المتصوف الزاهد^(١).

كما كان الإمام الواعظ "أبو بكر محمد بن إسحاق بن محمشاذ" أبو بكر الزاهد بن الزاهد بن الزاهد، بسيط الجاه، كان صاحب القول في وقته عند السلطان محمود، مقرباً لديه، غير أنه غضب عليه بعدما عينه على نيسابور وكثر بطشه وفساده، وأيضاً لما تبين له انحرافه في عقيدته كما اتضح في الصّفحات السابقة^(٢).

ومن أهم السمات التي اتسم بها أغلب الزهاد والمتصوفة في الدولة الغزنوية هي: الالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة، والعمل بالعلم، والورع وترك الشهوات، وإكرام الله لهم بالكرامات^(٣) وإجابة الدعوات، وعلو همتهم في طلب العلم، ومعاملة الناس معاملة حسنة، ومراعاة حقوق الأخوة، والتقوى ومحاسبة النفس، وتصنيفهم في الزهد والورع^(٤).

(١) ينظر: الباب الأول.

(٢) ينظر: الباب الأول.

(٣) الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، ومذهب أهل الحق جواز ظهور ما يخرق العادة على أيدي الأولياء على سبيل الكرامة، فهي إكرام من الله لبعض عباده الصالحين الذين يمضون على سنة النبي ﷺ ووقوعها جائز عقلاً وشرعاً؛ لذلك فإن الكرامة لا تظهر على يد فاسق؛ بل تظهر على يد من يكون حاله موافقاً للشرع والدين. القنوجي: قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، ص ١٠٠؛ المتولي الشافعي: الغنية في أصول الدين، ص ١٥٥، ١٥٢؛ الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ٤٩٧.

(٤) حيث كان لهم تصنيف في الزهد والورع والتصوف، ومنها على سبيل المثال كتاب: "عز

المبحث الثالث: العلوم والآداب

مما لا شك فيه أنَّ الدولة الغزنوية تمتعت بكثيرٍ من نواحي التعمير والازدهار والرخاء في عهد سلطانها العظيم محمود بن سُبُكْتِكِين وأصبح بلاط السلطان مقصد العلماء والأدباء والشعراء من شتى البلاد، فاتسع أفق الفكر الإسلامي في عهده اتساعاً كبيراً، وقد ساعد على ذلك أن ملكات المسلمين في البحث والترجمة والتأليف قد بلغت درجة عظيمة من النضج؛ نتيجة لحركة الترجمة التي قد نشطت في الدولة العباسية قبل قيام الدولة الغزنوية بأكثر من قرن ونصف من الزمان.

وقد شجعت الدولة الغزنوية بقيادة سلطانها محمود على بناء المدارس، واهتموا كثيراً بتكريم العلماء والمتخصصين في كل علم حتى ذاع صيتهم وذكرت أسماءهم في مقدمات الكتب وفي قصائد الشعراء وكتابات الكتاب؛ مما زاد الحياة الثقافية في خراسان وإيران في العصر الغزنوي تقدماً وازدهاراً؛ ومن الجدير بالذكر أنه قد قام بالتدريس في هذه المدارس نخبة من الفقهاء والعلماء الذين بدءوا بتأليف الكتب الدينية في علومها المختلفة، منها: التفسير والحديث والفقهاء وعلم الكلام.

العزلة"، الذي صنّفه أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التيمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م). ينظر: السمعاني: الأنساب، ج ١ ص ٧.

المطلب الأول: العلوم الدينية:

١. علم التفسير:

مرَّ علم التفسير^(١) بعدة مراحل حتى صار علمًا مدونًا مستقلًا شاملاً لجميع آيات القرآن الكريم، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ، كان يوضح لأصحابه ما يستعصى عليهم فهمه، مستمداً ذلك التفسير من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢)؛ وبعد وفاته ﷺ تولى ذلك كبار الصحابة، حيث فسروا القرآن بالقرآن، وهو المعروف بـ "التفسير بالمأثور"؛ ثم بالسنة، ثم باجتهاداتهم^(٣).

وفي عهد التابعين كثر المفسرون وانتشروا في البلاد بعد أن حملوا التفسير عن علماء الصحابة، ولم يتوقفوا عند هذا الحد الذي رووه عنهم؛ بل أضاف فريق من علمائهم ما وصل إليه اجتهادهم في هذا الميدان^(٤)، وظهر ذلك جلياً من خلال ثلاث مدارس في: مكة، والمدينة، والعراق^(٥).

(١) علم التفسير هو: "النظر في كتاب الله لبيان ألفاظه، وتوضيح آياته، وإبراز ما تضمنه أسلوبه من إعجاز بلاغي، وروعة بيان ودقة إحكام، وبيان ما اشتمل عليه من العبادات، والمعاملات، والعقائد، والأحكام، والآداب. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ص ٤٠.

(٢) الآية (٤٤) سورة النحل.

(٣) د/ محمد جبر أبو سعده: دراسات في تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، ص ١١٧؛ د/ حسن يونس حسن عبيدو: دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، ص ٢٦ وما بعدها.

(٤) د/ محمد جبر أبو سعده: دراسات في تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، ص ١١٧: ١١٩.

(٥) فكان عبد الله بن عباس رائد مدرسة مكة، وأشهر تلامذته: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وكذلك من تلامذته: عطاء بن أبي رباح، وغيرهم كثير، وكان أبي

وتميز التفسير في تلك المرحلة بكثرة مادته، واختلاف الأقوال بين المفسرين، - وإن كان معظم اختلافهم من قبيل التنوع لا التضاد^(١) - إلى جانب دخول كثير من الإسرائيليات^(٢) والنصرانيات في رواياته.

ومع بدء حركة التدوين: دون التفسير تابعاً لعلم الحديث - متجاوزاً بذلك مرحلة الرواية الشفهية والتلقي السماعي - حيث جمع المحدثون الأحاديث والآثار المنقولة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين في تفسير بعض آيات القرآن، منتهجة منهج التفسير المأثور، ثم ظهرت تفاسير تجمع بين التفسير المأثور، والتفسير بالرأي والاجتهاد^(٣).

هذا وقد ظل القرآن منبع كثير من العلوم التي انشغل بها المسلمون في هذا العصر، فاستعان به علماء اللغة والنحو على استنباط قواعد اللغة العربية، كما اعتمد الفقهاء في أحكامهم الفقهية على القراء، وألفوا كتباً كثيرةً سموها "أحكام

بن كعب رائد مدرسة المدينة، ومن أشهر تلاميذه: أبو العالية، وكان عبد الله بن مسعود رائد مدرسة العراق، ومن أشهر تلاميذه: علقمة بن قيس، والحسن البصري، وغيرهما.

(١) ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص ٤٨.
 (٢) الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، وهي الحادثة التي تُنسب إلى أهل الكتاب مما يرد من ثقافتهم المستمدة من التوراة أو الإنجيل، وقد سميت بذلك من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، وكلمة إسرائيلية نسبة إلى إسرائيل، وهو نبي الله يعقوب عليه السلام وأبناؤه بنو إسرائيل. د/ حسن يونس حسن عبيدو: دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، ص ٧٧.

(٣) تنظر هذه المراحل بالتفصيل: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ١ ص ٣٢: ١٤٢؛ د/ حسن يونس حسن عبيدو: دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، ص ١٧ وما بعدها.

القرآن" واستعانت الفرق الإسلامية بكتاب الله واتخذوه أساساً للتدليل على صحة ما ذهبوا إليه^(١).

ومن الجدير بالذكر أن خلف ابن أحمد - والى سجستان في عهد السلطان محمود- كان يتمتع بسمعة كبيرة في اهتمامه بأهل العلم وقد مدح على السنة الشعراء والعلماء، وطار ذكره في الآفاق، ومن أبرز أعماله العلمية جمعه العلماء على تفسير وتصنيف القرآن الكريم، بحيث لم يغادر فيه حرفاً من أقوال المفسرين أو تأويل المتأولين، واتبع ذلك بوجود القراءات، وعلل الشعر والتصريف وعلامات التذكير والتأنيث، ووسعها بما رواه الثقات الأثبات من أهل الحديث، وانفق عليهم مدة اشتغالهم بمعونة على جمعه وتصنيفه عشرين ألف دينار، وأودع نسختها بنيسابور في مدرسة الصابونية، ويعد تفسيره من أكبر التفاسير^(٢).

٢. علم الحديث:

أصل كلمة الحديث في اللغة: نقيض القديم^(٣)، لكنها استعملت في قليل الكلام وكثيره، لأنه يحدث شيئاً فشيئاً^(٤)، وبذلك يظهر فيه معني الجدة والحدوث^(٥)؛ والسنة والحديث بمعنى واحد عند أكثر المحدثين، ففي كل

(١) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، مرجع سابق، ص ٢٩٨، ٢٩٩.

(٢) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٧ ص ١١٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٢ ص ٣٠٩.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة "حدث"، ج ٢ ص ١٣١.

(٤) السيوطي: تدريب الراوي، ص ١٥؛ التهانوي: محمد بن علي الفاروقي: كشف اصطلاحات

الفنون والعلوم، ج ١ ص ٦٢٧.

(٥) د/ أحمد فريد: نظم الدرر في مصطلح علم الأثر، ص ١٣.

منهما: إضافة قول أو فعل أو تقرير أو صفة إلى النبي ﷺ (١). أما في الاصطلاح: فعلم يُعرف به أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله (٢).

ويُعَدُّ علم الحديث أوسع العلوم الدينية انتشاراً، وأكثرها رجالاتاً، حيث حرص الصحابة على حفظ أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله؛ وكذلك اقتدى بهم من بعدهم في حفظ الأحاديث ونشرها وتعليمها طلباً لرضا الله ﷻ، ومحبة لرسول الله ﷺ.

ولأهمية السنة في شرح مبهم القرآن الكريم - فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي - قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣)، لذلك أجمع المسلمون على حجية السنة، والعمل بمقتضاها لأنها ضرورة دينية لا يقوم الدين إلا بالعمل بها (٤)، ومن ناحية أخرى: لورود أحاديث نبوية في إكram أهل الحديث والوصية بهم (٥).

ومن خلال هذه المقدمات نتج الاهتمام الكبير والانتشار الواسع لعلم الحديث؛ لكن ذيوع الأحاديث النبوية صَاحِبَةً في عهد التابعين ظهور الوضع والكذب في الحديث بسبب الخصومات السياسية، والخلافات العقديّة، وظهور كثير من الزنادقة، والتعصب الفقهي، والتساهل في قبول الروايات في الترغيب

(١) د/ محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث، ص ١٥؛ د/ حسن جبر: أسس الحضارة العربية، ص ٢٩٣.

(٢) القنوجي: أبجد العلوم، ج ٢ ص ٩٩.

(٣) من الآية (٤٤) من سورة النحل.

(٤) عبدالغني عبد الخالق: حجية السنة، ص ٢٤٣: ٢٤٥، بتصرف.

(٥) الخطيب البغدادي: شرف أصحاب الحديث، ص ٢١.

والترهيب خاصة التي انتشرت على ألسنة القصاص والجهلاء^(١).

ونج عن هذا توجه أهل الحديث إلى السؤال عن الإسناد، والتفتيش عن الرواة فنبذوا حديث أهل البدع^(٢)، ثم اشترطوا في قبول الحديث أن يكون متصل السند رواته عدولاً ضابطين^(٣).

ولقد كان للخراسانيين جهد كبير ومشاركة فعالة في علم الحديث عبر مراحلها المختلفة، وفي معظم علومه، حيث توجه العشرات؛ بل المئات منهم لرواية الحديث وحفظه ومدارسته، وتعليمه، والتأليف في فروعها المختلفة^(٤).

ولو نظرنا لتلك الفترة (من ٣٨٨ هـ - ٤٢١ هـ) - فترة حكم الدولة في عهد السلطان محمود - لوجدناها امتداداً للفترات التي سبقتها منذ استقرار الإسلام في تلك البلاد وحتى بداية القرن الرابع الهجري، فقد كان علم الحديث بخراسان وما وراء النهر من أكثر العلوم التي أقبل عليها العلماء، فلا يكاد يوجد بينهم من ليس بمحدث؛ فأخرجت تلك المنطقة عشرات الحفاظ والمحدثين^(٥).

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٣٣٧: ٣٤١.

(٢) ابن رجب الحنبلي: شرح علل الترمذي، ص ٦٢.

(٣) العراقي: التقيد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح، ص ٢٠.

(٤) البساطي: الحياة العلمية في مرو، ص ٣٠٣.

(٥) لم يكن السابقون يُفَرِّقون بين المُحدِّث والحافظ، أما اللاحقون: فالحافظ عندهم أوسع علمًا وأعلى مرتبةً من المحدث، حيث قيل: إنَّ الحافظ من حفظ مائة ألف حديث متناً وسنناً، وقيل غير ذلك. ينظر: التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون، ج ١ ص ٣٧؛ أحمد فريد: نظم الدرر، ص ٢٠.

وجدير بالذكر أنَّ السَّلاطَنَ محمودًا بن سُبُكْتِكِينَ اهتم كثيرًا بتشجيع الحركة الدينية في خراسان والعاصمة غزنة، كما كان مولعًا بعلم الحديث، يستمع إلى علمائه، ويستفسر عما يتلونه عليه من أحاديث، فالتف حوله كثير من علماء الدين.

ومن علماء هذا العصر المشهورين أحمد بن الحسيني البيهقي، وهو من كبار المهتمين بالحياة الثقافية، رحل في طلب الحديث إلى العراق والحجاز والجنال، وسمع في خراسان من علماء عصره، وكذلك بالبلاد التي زارها، وشرع في التصنيف حتى بلغت مؤلفاته ألف جزء، وهو أول من جمع تصانيف الإمام الشافعي في عشر مجلدات، ومن أشهر مصنفاته "السنن الكبرى"، "السنن الصغرى"، "دلائل النبوة"، "السنن والآثار"، "مناقب الشافعي"، "مناقب ابن حنبل"؛ وكان من أهل الزهد، وقيل: ما من شافعي المذهب إلا وللشافعي عليه منة إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي منة، إذ كان من أكثر الناس دراسة لمذهب الشافعي، وانتقل إلى نيسابور لينشر العلم، وأخذ عنه الحديث جماعة من الأعيان دعي إلى نيسابور فأجاب وظل يدرس لطلاب العلم بها إلى أن توفي سنة (٤٥٨هـ) (١).

٢. علم الفقه:

كانت كلمة الفقه تشمل عند الصدر الأول جميع الأمور الدينية من عقائد وأحكام (٢)، ولذلك عرفه الإمام أبو حنيفة بأنه "معرفة النفس مالها وما

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١ ص ٥٧، ٥٨؛ محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٢٠.

(٢) د/ محمد سلام مدكور: المدخل للفقه الإسلامي، ص ٣٥.

عليها"^(١)، ثم اقتصر الفقه بعد ذلك على الأحكام العملية بعد ازدياد الأحكام، وتنوع الفتاوى، وكثرة المسائل إثر توسع البلاد الإسلامية، ودخول أعداد هائلة من الموالي في الإسلام، فعرف الفقه في اللغة بأنه: الفهم وحسن الإدراك، وفي الاصطلاح: معرفة أحكام الله - تعالى - في أفعال المكلفين من حيث الوجوب والندب، والإباحة والكراهة، والمنع أو الحرمة، معرفة مستمدة من الكتاب والسنة، وما قرره الشارع من الأدلة لاستنباط الأحكام منها^(٢).

لذلك قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: "مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"^(٣)؛ إذاً الفقه: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية^(٤). ولقد نشأ الفقه بهذا المعنى منذ عهد النبوة - خاصة في العهد المدني - حيث كان القرآن والسنة مصدرًا للفقه الإسلامي^(٥).

أما في عهد الصحابة: فقد تطور الفقه بعد إضافة مصادر أخرى مثل: الإجماع، والقياس، لكنه تميز بالواقعية وعدم الالتفات للمسائل الافتراضية^(٦). ثم جاء عهد التابعين الذين حملوا فقه الصحابة في الأمصار المختلفة، وأضافوا إليه الكثير من اجتهاداتهم التي اقتضتها كثرة المسائل والوقائع،

(١) التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج ١ ص ٤٠.

(٢) د/ محمد جبر أبو سعدة: دراسات في تاريخ الحضارة والفكر الإنساني، ص ١٤٧.

(٣) (صحيح) رواه: مالك بن أنس: الموطأ، كتاب القدر، باب جامع ما جاء في أهل القدر، برقم (١٥٩٩).

(٤) القنوجي: أبجد العلوم، ج ٢ ص ٤٠٠.

(٥) د/ عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص ٥٢ : ٥٤.

(٦) د/ محمد سلام مذكور: المدخل للفقه الإسلامي، ص ٧٠ : ٧٨؛ محمد علي السائيس: نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره، ص ٣٩.

والاختلاف بين البلاد الإسلامية المترامية في العادات والثقافات والأفهام^(١). ولقد أدى ذلك النمو الفقهي واتساع دائرة الخلاف إلى ظهور مدارس فقهية متعددة كان أشهرها: مدرسة المدينة^(٢)، ومدرسة الكوفة^(٣). وكان لكل مدرسة أئمة وأتباع ينشرون العلم ويفتون الناس كل بحسب منهجه الفقهي، ولقد انتشرت آراء كلا المدرستين في كثير من الأمصار الإسلامية، وربما كان لبعضهم اجتهادات وآراء خاصة به، وأثناء ذلك ظهر فقهاء أفذاذ ذاع صيتهم وكثر طلابهم مما جعل الناس يثقون بفتواهم، ويرحلون إليهم.

ومع شيوع حركة التدوين حرص تلاميذهم على تدوين آرائهم وفقههم، مع بيان مناهجهم، وشرح طريقتهم، ومذاهبهم الفقهية المختلفة^(٤). ومن هنا ظهرت المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة التي تنسب إلى الأئمة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد^(٥).

فأما المذهب الحنفي: فيعد امتدادًا لمدرسة أهل الرأي، حيث توسع الإمام

(١) د/ عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص ٨٠: ٨٤.

(٢) فأما مدرسة المدينة: فقد سُميت مدرسة أهل الحديث، حيث غلب على أئمتها الاهتمام بجمع الأحاديث وروايتها، والاعتماد عليها في تقرير الأحكام الفقهية مع كراهيتهم للقول بالرأي ومهابتهم للفتيا خاصة في المسائل الافتراضية. د/ محمد سلام مذكور: المدخل للفقه الإسلامي، ص ١٢٢.

(٣) وأما مدرسة الكوفة: فقد سُميت بمدرسة أهل الرأي، وذلك لأنهم اعتمدوا في أحكامهم على إمعان النظر في النصوص ليستخرجوا منها أحكامًا للمسائل المستجدة فكانت أغلب أقوالهم مبنية على الرأي والقياس. د/ محمد سلام مذكور: مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٤) البساطي: الحياة العلمية في مرو، ص ٣٢٧.

(٥) محمد الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، ص ١٤٣.

أبو حنيفة^(١) وأتباعه في الأخذ بالرأي والاجتهاد^(٢). ولقد لقي المذهب الحنفي ذيوغاً واسعاً لكثرة تلاميذ أبي حنيفة الذين دونوا مذهبه حيث بلغوا أربعين رجلاً^(٣)، وأشهرهم أبو يوسف^(٤)، ومحمد بن الحسن^(٥). وقد ساد المذهب الحنفي في بلاد المشرق من العراق حتى بلاد ما وراء النهر، إلى جانب مصر والشام^(٦).

وكان السلطان محمود يميل إلى دراسة الفقه، وتذكر بعض المصادر اسمه بين الفقهاء، كما ذكرت بعض المصادر -أيضاً- أنه ألف كتاباً في الفقه، وله مناظرات شهيرة، وكان يدعو العلماء من أتباع المذاهب المختلفة إلى مجلسه للمناقشة والمناظرة^(٧)، ويذكر البيهقي أنه كان يستدعى إلى غزنة كل من له

(١) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي: المولود بالكوفة في عام (٨٠هـ)، وقد انتشر مذهبه في أقطار عديدة من العالم الإسلامي، من بينها الهند والصين، وتوفي سنة (١٥٠هـ). ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦ ص ٥٦٣: ٥٧٤؛ السيوطي: طبقات الحفاظ، ج١ ص ٨٠.

(٢) د/ محمد سلام مذكور: المدخل للفقه الإسلامي، ص ١٤٣.

(٣) أحمد تيمور: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة، ص ١٦.

(٤) الخصري: تاريخ التشريع الإسلامي، ص ١٤٦؛ أبو يوسف القاضي هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، الفقيه المحدث، يُعدُّ أكبر تلاميذ أبي حنيفة، وهو أول من صنف الكتب في مذهبه، ومن آثاره العلمية الجليلة: الخراج، واختلاف الأمصار، وأدب القاضي، والأمالي في الفقه (ت ١٨٢هـ) عن (٦٩ سنة). ينظر: السيوطي: طبقات الحفاظ، ج١ ص ١٢٧-١٢٨.

(٥) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني الكوفي تميز بالذكاء والفتنة، وهو أكثر تلاميذ الإمام تأليفاً (ت ١٨٩هـ). ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨ ص ٧٨، ٧٩.

(٦) ابن خلدون: المقدمة، ج٣ ص ٩٤٩؛ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٣٨١.

(٧) د/ طه ندا فصول من تاريخ الإسلامية، ص ١٤٨، ١٤٩.

سمعة في العلم، ومن هؤلاء أبو صالح النباتي والإمام أبو صادق، ولما توفي أبو صالح أرسل محمود إلى نيسابور يسأل عمن بقى منهم، لأنهم أخلص الناس إلى مذهب أبي حنيفة، وكان أبو صادق آية في العلم والكمال، تولى قضاء طوس ونسا، وتجلت مقدرته العلمية في مجالسه ومناظراته العديدة، حتى أن السلطان عهد إليه بالإشراف على المدارس الدينية في تلك النواحي (١).

ومن الجدير بالذكر أنه لما أغلق باب الاجتهاد في القرنين الرابع والخامس الهجريين وجه الفقهاء نشاطهم إلى المسائل السياسية فمنهم من دخل في مجال الحكم الإداري كالكرامية، ومنهم من شارك في إدارة المدارس الفقهية وخدمة النظام القائم في البلاد كما كان الحال بالنسبة للعائلتين التبانية والصاعدية في العصر الغزنوي حتى اقتصر عليهما مباشرة الشؤون القضائية لمدينة نيسابور (٢).

وقد تنافس أهل المذاهب الفقهية على كسب ود السلطان محمود لاعتقادهم أنه إذا اعتنق مذهباً ساد في الأقاليم الواسعة التي فتحها، علماً بأن إقليم خراسان كان في تلك الفترة على مذهب الإمامين أبي حنيفة والشافعي، بالإضافة إلى المذاهب والفرق الدينية الأخرى التي أخذت في الانتشار في كل من خراسان وما وراء النهر في العهد الساماني والعهود السابقة لها؛ -وكما سبق- فالفاطميون في مصر وجهوا إليه داعية يدعونه إلى دخول المذهب الإسماعيلي، فأيقن محمود بطلان ما دعى إليه، وأمر بقتل داعي الفاطميين وأهدى بغلته إلى القاضي أبي منصور الأزدي - شيخ مدينة هراة - وقال: كان

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٥٥.

(٢) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣٦، ٤٣، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٥، ٢٢٦.

يركبها رأس الملحدين فليركبها رأس الموحدين.

ومن مظاهر الفقه في هذا العصر شيوع العصبية المذهبية، في حين كان الأئمة أنفسهم متسامحين وكانوا لا يعيبون اجتهاد زملائهم، فقد كانوا أكثر الناس فهماً لحرية الرأي، واحترام الآخرين، وقد تحدث المقدسي عن هذه العصبية بشكل تفصيلي وبين مدى خلافاتهم حول الأمور الفقهية وما وقع بين هذه الفرق من الصراعات، وشهد ما حدث بين الشيعة والكرامية، وبين الشافعية والحنفية، وما كان يراق نتيجة هذه العصبية من دماء، حتى كان السلطان محمود يتدخل بينهم في بعض الأحيان لفض هذه المنازعات وما وقع بينهم من خلاف^(١).

٣. علم الكلام:

ويُقصد به الأقوال التي كانت تصاغ على نمط منطقي أو جدلي وعلى الأخص في العقائد، فكان يطلق على المشتغلين بهذا العلم اسم "المتكلمين"، وظل هذا اللفظ يطلق بعد ذلك على من كان يخالف المعتزلة، ويتبع مذهب السنة والجماعة، فعندما نشأ هذا العلم كان دفاعاً عن الإسلام وعقائده الدينية ضد العقائد الفلسفية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي نتيجة ازدهار حركة الترجمة للعلوم والدراسات الفلسفية والتي ترجمت من اليونانية إلى العربية؛ ولكن المعتزلة بعد ذلك كان لهم الأثر الكبير في تطور علم الكلام، فقد تم على أيديهم القول بخلق القرآن ونادوا بنفي الصفات، مخالفين في ذلك جمهور أهل

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥.

السنة، واستمر الصراع والجدل بين طائفتي المعتزلة وأهل السنة والجماعة حتى ظهر أبو الحسن الأشعري بين الفريقين، ولذلك يقول (دي بور): "إنَّ ظهور علم الكلام في الإسلام كان بدعة من أكبر البدع، وقد شدد في الإنكار على هذا العلم، لأنه كان يرى أن ما جاوز البحث في الأحكام الفقهية العلمية ابتداءً، لأن الإيمان عند المتكلمين هو الطاعة، لا كما يذهب إليه المرجئة والمعتزلة من أنه هو العلم"^(١).

بيد أنَّ هذا العلم أخذ يحتل مكانة بين العلوم الأخرى، وكان للمعتزلة الدور الأكبر في إيصاله للناس، وذلك من خلال الجدل والتأويل، حتى أخذوا يبحثون في مسائل الكلام ويضعون مبادئه فنشأت منه مسألة خلق القرآن؛ ثم أخذ هذا العلم ينتشر على أيديهم في بلدان الخلافة العباسية وخاصة خراسان وما حولها^(٢).

المطلب الثاني: العلوم الإنسانية:

١. التاريخ:

ظهر علم التاريخ^(٣) ببلاد خراسان وما وراء النهر من خلال اهتمام

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٣٥٧؛ دي بور (ت ج): تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ٥١؛ أحمد أمين: ضحى الإسلام، ص٣٩٦، ٣٩٧.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٣٥٨؛ أحمد أمين: ظهر الإسلام، ص ٥١، ٢٢١.

(٣) وعلم التاريخ: يشتمل على مجموعة الأحداث التي وقعت في الماضي، والتي تقع حاليًا، ثم الاستنباط على هدي ذلك بما سوف يقع في المستقبل؛ وبذلك يتناول التاريخ: الماضي، والحاضر، والمستقبل. د/ محمد عبد الوهاب فضل: التاريخ وتطوره في ديار الإسلام،

المحدثين به باعتباره من أهم وسائلهم في البحث عن أحوال الرواة، وجرحهم وتعديلهم وغير ذلك^(١).

ونتج عن هذا الاهتمام ظهور محدثين شبه متخصصين في التاريخ أو أحد فروعها وكان لبعضهم مصنفات تاريخية، وإن كان أكثرها يتعلق بتراجم العلماء. وفي العصر الغزنوي ظهرت طائفة كبيرة من أعلام التاريخ، ولا غرو فإنَّ النهضة العلمية قد وضعت أساسها في هذا العصر بعد أن نشطت حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية والفارسية، وبدأ المؤرخون يصنفون الكتب في مختلف العلوم والفنون، وساهم الفرس في هذه الحركة بأوفر نصيب^(٢)، ومن أبرز رجال الأدب والتاريخ في الدولة الغزنوية أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي الكاتب، كان كاتب الإنشاء في دولة السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين نيابة عن أبي نصر بن مشكان، ولد في قرية بيهق في الجنوب الشرقي لخراسان حوالي سنة (٣٨٥هـ / ٩٩٠م)، وتوفي في صفر سنة (٤٧٠هـ / ١٠٧٧م)، وقد نشأ في بداية حياته في مدينة نيسابور ودرس على أيدي علماء وفقهاء كثيرين، حتى نال منهم الثقافة في شتى العلوم وخاصة علوم القرآن والحديث والآداب العربية، كما ارتبط برجال العلم والأدب بروابط وثيقة، ومن أبرز كتبه ذلك الكتاب الذي سماه (الناصرى) في تاريخ ناصر الدين محمود بن سُبُكْتِكِين، ذكر فيه من أول دولة محمود يوماً يوماً إلى آخر أيامه، وهو في ثلاثين مجلداً بالفارسية، ترجم

ص ١٤؛ وعرفاً: هو تعيين وقت لينسب إليه زمان يأتي عليه، أو مطلقاً، يعني سواء كان ماضياً أو مستقبلاً. القنوجي: أبجد العلوم، ج ٢ ص ١٣٧.

(١) د/ عبدالمنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص ٢٠٤ بتصرف يسير.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٤٠.

منه إلى العربية يحيى الخشاب وصادق نشأت، مجلداً باسم (تاريخ البيهقي)^(١)، والذي أطلق عليه بعض المؤرخين "تاريخ المسعودي"، وهذا الكتاب يعد أهم مرجع في تاريخ الدولة الغزنوية عامة وفترة حكم السلطان مسعود خاصة^(٢).

والذي يقرأ هذا الكتاب يشعر بسعة إطلاع مؤلفه، وعمق ثقافته وإحاطته الكاملة باللغتين العربية والفارسية؛ أما عن منهج البيهقي في الكتابة فيختلف تماماً عن منهج المؤرخين المعاصرين له، فلم يقتصر في كتابته على سرد الأحداث السياسية، وإنما وجه اهتمامه كذلك إلى عرض دقيق للنظم السياسية والإدارية والمالية ورسوم قصر السلطان، وفضلاً عما كتبه عن هذه النظم الدقيقة في الدولة فإنه لم ينس الحياة الاجتماعية؛ بل تناول في كتابه بياناً عن العادات والنظم والتقاليد والمجالس الاجتماعية وغيرها من النظم التي كانت شائعة في العصر الغزنوي.

كما ترجع أهمية كتاب البيهقي إلى أن صاحبه عاصر معظم الأحداث التي كتب عنها، والبيئة التي جرت فيها، ولم يكتب البيهقي بالأحداث التاريخية كعادة معاصريه من المؤرخين، وإنما كان يتوقف ليبيد رأيه ورأي الوزير ورئيس الديوان، وينقل صدى الأحداث عن الرأي العام الغزنوي، كل هذا أتاح للبيهقي أن يكون رجل سياسة من الطراز الأول^(٣).

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣ ص١٧؛ الزركلي: الأعلام، ج١ ص١١٦.

(٢) ينظر: البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٥ من المقدمة.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ١٠ من المقدمة.

كذلك كان لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية مكانة كبيرة عند محمود بن سُبُكْتِكِين، قدم إلى خراسان على خاله أبي نصر العتبي - من كبار عمال الدولة السامانية وفضلائهم - وعمل معه إلى أن مضى إلى سبيله، وتنقلت به الأحوال والأسفار في الكتابة لبعض الأمراء، حتى اختاره السلطان سُبُكْتِكِين كاتباً له مع أبي الفتح البستي، وله مؤلفات كثيرة، ومن أبرزها كتاب "اليمني" نسبة إلى لقب السلطان محمود، وقد ألف العتبي كتابه هذا في تاريخ الدولة الغزنوية، ترجم فيه لسبكتكين، وأوضح كيفية تأسيس الدولة الغزنوية، ثم أرخ للسلطان محمود، وأبرز الوقائع والأحداث التي حدثت في أيامه، ويعد هذا الكتاب بحق أكبر مصور لتاريخ هذه الدولة في هذه الفترة بالذات؛ وقد صاغه في أسلوب أدبي مسجوع على نحو ما فعله معاصره أبو منصور الثعالبي؛ ولذلك حاز شهرة كبيرة بين الكتب الأدبية والتاريخية، وعنى بشرحه الكثير من الأدباء منهم الشيخ أحمد الميني الذي سمي كتابه "شرح اليمني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي" (١).

٢. الجغرافيا:

مما لا شك فيه أنه مع انتشار الإسلام زاد الاهتمام بعلم الجغرافيا (٢)، وذلك

(١) ينظر: دورد فنديك: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ج١ ص ٣٧٤؛ القنوجي: أبجد العلوم، ج٢ ص ١١٦.

(٢) يُعرف علم الجغرافيا بأنه العلم الذي يصف أو يدرس سطح الأرض. يوسف توني: معجم المصطلحات الجغرافيا، ص ١٥٣؛ وقد نشأت معرفة المسلمين به من خلال الممارسة العملية لها في حياتهم، أو حياة أجدادهم الذين تبغوا أوصاف سطح الأرض، وتغيرات الطقس من خلال تنقلهم بدواهم طلباً للماء والمراعي. د/ محمد محمود الصياد: أثر العرب

لما نتج عن الفتوحات من أهمية معرفة أوصاف البلدان والأماكن ليساهم ذلك في أمور السياسة والإدارة والتجارة وغير ذلك، حيث نشأ ما يمكن تسميته بـ "الجغرافيا الإدارية"^(١).

من هنا كانت الرحلات الجغرافية سمة بارزة لهذا العصر، فما من عالم خراساني أو من بلاد ما وراء النهر إلا ونجد في ترجمته أنه سافر إلى كذا، أو دخل بلد كذا، أو أقام بقطر كذا.

أما بداية الجغرافيا فكانت على يد اللغويين الذين جمعوا الكثير من المفردات الجغرافية أثناء جمعهم لمفردات اللغة^(٢)؛ ويمكن أن نعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ذروة التقدم الذي بلغته الجغرافيا عند العرب^(٣)؛ وتؤكد هذه الحقيقة ترجمات العلماء في كافة الأقطار الإسلامية لا سيما علماء الدولة الغزنوية.

وكان لاتساع نطاق التجارة في الدولة الغزنوية، واتصال مدينة نيسابور بالبلدان القاصية برًا وبحرًا، ثم تعبيد الطرق وجعلها آمنة أثر كبير في تسهيل الأسفار، وتمهيد السبل أمام المستكشفين والرحالة^(٤).

ومن أشهر الجغرافيين والرحالة في القرن الرابع الهجري أبو عبد الله محمد

والإسلام في النهضة الأوربية، ص ٢٨٣؛ نفيس أحمد: جهود المسلمين في الجغرافيا، ص ٢٥.

(١) نيقولا زيادة: الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص ١١.

(٢) د/ شاكر خصباك: الجغرافيا عند العرب، ص ١١.

(٣) مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى: التراث الحضاري الإسلامي، ص ١٦٧.

(٤) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٤١١ بتصرف يسير.

المعروف بالبشاري المقدسي (ت ٣٨٧هـ) وكتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ذو قيمة عظيمة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، والمقدسي من الذين كان لهم اهتمام خاص بإقليم خراسان فقد وصف هذا الإقليم بشكل تفصيلي من نواحي عديدة منها الحياة الاجتماعية والدينية، فتحدث عن الأسواق والسلع والبضائع التي كانت ترد إليها، كما تحدث عن المذاهب والفرق الدينية ودورها في المجتمع الخراساني^(١).

كذلك اشتهر في القرن الخامس الهجري ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) الرحالة الفارسي الذي أمدنا في كتابه "سفر نامه" أو (زاد المسافر) بمعلومات قيمة عن البلدان التي زارها، وخاصة مسقط رأسه خراسان، فقد ولد في مدينة "قباديان" عام (٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م) والتحق بخدمة السلطان محمود وابنه مسعود، وبعد سقوط الدولة الغزنوية في يد السلاجقة بدأ ناصر خسرو رحلته من مرو عام (٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) إلى فلسطين ومصر وبلاد المغرب، ووصف ثروة البلاط الفاطمي وأهله وما كانت عليه القاهرة من يسر ورخاء^(٢).

٣. الأدب:

كان العصر الغزنوي عصر نهضة أدبية واسعة، وقد أجمع مؤرخو الأدب أن هذه النهضة لم يكن لها فيما سبق مثيل، وتركزت هذه النهضة بصفة خاصة في بلاط السلطان محمود الذي اجتمع فيه من أهل الأدب زهاء أربعمائة شاعر،

(١) ينظر: المقدسي أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩: ٢٣٤؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج ٣ ص ٤١٣.

(٢) ناصر خسرو: سفر نامه، ص ٨٩: ٩٢.

وظهر في هذا العصر مجموعة من الشعراء الذين يعتز بهم الأدب الفارسي في جميع عصوره، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

أنه كان لانتصارات السلطان محمود الحربية وغزواته المختلفة التي قام بها لنشر الدين عوامل قويه في إطلاق ألسنة الشعراء بمدح السلطان محمود والثناء عليه، وقد جعلت الناحية الدينية في فتوحات السلطان محمود منه بطلاً شعبياً رويت حوله القصص ونظمت فيه الأشعار، والقارئ لمجموعة الأشعار التي امتدح بها السلطان محمود يلمس أثر الباعث الديني في نظم هذه الأشعار^(١).

وكان لهذه الانتصارات الحربية ثمرة أخرى ساعدت على رواج الأدب، هي وفرة الأموال والغنائم التي يعود بها الغزاة المنتصرون، وقد أدى تدفق الأموال وانتشار الثراء إلى شيوع الترف بحيث صار البلاط الغزنوي قبلة أنظار عدد كبير من الشعراء والعلماء، وخير دليل على ذلك: هذه المصادر العديدة التي تشهد على هذا التطور الكبير في ذلك العصر^(٢).

ولعل من آثار الخير والبركة لفتوحات السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند وحروبه ضد الخارجيين على المذهب السني ظهور فن جديد من فنون الشعر باللغة الأردنية^(٣)، تأثر تأثراً بالغاً بروح هذه البطولات الإسلامية للسلطان

(١) ينظر: د/ طه ندا فصول من تاريخ الإسلام، ص ١٥٠، ١٥١؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢١١.

(٢) رضا زادة شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص ٣٩، ٤٠ بتصرف يسير.

(٣) وتعنى كلمة "أردو" في اللغة التركية الجيش أو المعسكر، وانتقلت إلى اللغة الأردنية النهضة الأدبية، وكتب بها المسلمون عن تقاليد الهند وتاريخها وآدابها. ينظر: حسين مجيب المصري: من أدب الفرس والترك، ص ١٨٥؛ لجراهام بيلي: الآداب الإسلامية في شبه القارة

محمود، وهو فن نظم المعاني الدينية، أو شعر الدعوة الذي استهدف الاتجاه بالأسلوب الشعري إلى الدعوة إلى الله، والمطالبة بالعودة إلى روح الإسلام الأولى، والزهد في الدنيا وشهوتها^(١).

أ. الشعر:

وهكذا اهتم السلطان محمود بالشعر، فقد كان شاعرًا بطبعه، وتنسب إليه ست قصائد في الغزل، وقرب إليه الشعراء، ومن أشهر شعرائه العنصرى^(٢)، وهو يلي الفردوسي^(٣) في المرتبة، وبلغ من فضله وعلمه أن بعض الناس كان يلقبه بالحكيم، وقدر عدد شعراء السلطان محمود بأربعمائة شاعر، يُقَرُّون للعنصرى بالأستاذية، وكان نديمًا لمحمود الغزنوي، كما كان شاعرًا له، وظل يسجل نظمًا مقامات السلطان وغزواته وفتوحه، حتى أن السلطان منحه لقب "ملك الشعراء" في مملكته، وأمر كل شاعر في مملكته بعرض شعره على

الهندية، ص ٤٤.

(١) محمد السعيد عبدالمؤمن: أفغانستان، ص ٧٥.

(٢) العنصرى: هو أبو القاسم حسن بن أحمد العنصرى، ولد في سنة (٣٥٠هـ) في مدينة بلخ، وكان والده يعمل في التجارة، وقد مارس العنصرى التجارة أيضًا، حتى سلبه قُطَاع الطرق ثروته؛ الأمر الذي جعله يشتغل بعد ذلك في طلب العلم، حتى اكتسب شهرة كبيرة، والتحق بخدمة الأمير نصر الأخ الأصغر للسلطان محمود، ثم صار بعد ذلك من مادحي السلطان محمود، ومعظم انتاجه قصائد في مدح السلطان محمود، وبلغ ديوانه ثلاثة آلاف بيت، وتوفي سنة (٤٣١هـ / ١٠٣٩م). عفاف زيدان: دراسة عن شاعر الفرس، ص ٢٠: ٦٧.

(٣) ولد أبو القاسم الفردوسي فيما بين سنة (٣٢٠هـ وسنة ٣٢٩هـ / ٩٣٥-١٠٢٠)، ولد في خراسان في قرية قرب مدينة طوس تدعى باز (في إيران اليوم)، وليس هناك معلومات دقيقة عن فترة شبابه سوى أنه كان من الدهاقين (أصحاب الضياع والعقار). القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ج ١ ص ١٧٠؛ عبد الوهاب عزام: الشاهنامه، ص ٤٩.

الأستاذ العنصرى حتى يميز بين غثه وثمينه، ثم يعرض بعد ذلك على السلطان، وهكذا أصبح مجلس السلطان محمود مقصد الشعراء^(١).

ومن تلاميذ العنصرى الشاعر فرخى^(٢)؛ وللفرخى كتاب في فنون الشعر اسمه "ترجمان البلاغة"، ويقال إن الفرخى لدى الفرس بمثابة المتنبى لدى العرب، وقد التحق الفرخى بخدمة بعض الأمراء، وعلا أمره، والتحق بخدمة السلطان محمود، فلما رآه على هذه الحال من الرفعة والعظمة والجاه، أكرمه ورفع منزلته، وأمر أن يتبعه إلى ركب عشرين غلاماً يتمنطقون بمناطق من الفضة الخالصة^(٣).

على أن الفردوسى كان من أبرز شعراء وأدباء العصر الغزنوى، وقد اقترن اسمه بالشهنامه التى شرع الدقيقي فى نظمها، واغتاله أحد عبده ليلاً؛ لذلك فإن الدقيقي سبق الفردوس فى نظم الشاهنامه، فنظم ألف بيت، وزاد الفردوسى ستين ألفاً، وفى ذلك يقول الفردوسى: "فلما قرئت هذه القصص على الناس

(١) د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ٢٠٤؛ د/ طه ندا: فصول، ص ١٥٠؛ براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص ١٤٠.

(٢) الفرخى: هو أبو الحسن على بن جولخ الفرخى، من كبار شعراء إيران المشهورين، لم يستدل على تحديد تاريخ مولده بالتحديد، والمشهور أن وفاته فى سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)، كان أبوه من غلمان الأمير خلف بن أحمد الصفارى، تقرب من بلاط السلطان محمود الغزنوى ومدحه ونادمه وحظي لديه. ينظر: د/ عفاف السيد زيدان: فرخى سيستانى، ص ٨؛ عزة عبد الله محمود: محمد عوفى وكتابه لباب الألباب، ص ٣٠١: ٣١٢؛

www.al-shia.org/html/.

(٣) النظام العروضى السمرقندى: جهار مقالة، ص ٤٨؛ إسعاد عبد الهادى قنديل: فنون الشعر الفارسى، ص ٩٨: ١١٨، مجلة العرب اليمينية، يوميات الثقافة، الثلاثاء، ١٤.

أولع بها العقلاء والحكماء، حتى ظهر فتى فصيح اللسان، قوى البيان ذكى الفؤاد، فقال: سأنظم هذا الكتاب، وفرح الناس واستبشروا؛ لكنه لم يتمكن؛ إذ قتله أحد عبيده بعد أن نظم ألف بيت فقط".

حرص الفردوسي على إتمام هذا الكتاب الفهلوى، وخشى أن يتوفاه الله قبل أن يتم هذا العمل الجليل، وكان كلما فرغ من قصة أو مجموعة قصص، بعث بها إلى السلطان محمود الغزنوي^(١).

ومن أشهر أدباء الدولة الغزنوية، بديع الزمان الهمداني، قال عنه الثعالبي: "إنه معجزة همدان، وفرد الدهر، وغرة العصر، كان ينشد القصيدة إذا سمعها مرة واحدة، ويترجم ما يستمع إليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة إلى الشعر العربي، فيجتمع فيها من الإبداع والإسراع، فارق همدان سنة (٣٣٠هـ/ ٩٤١م)، وتنقل في طلب العلم، ثم قصد نيسابور، ونشر فيها روائعه، وأملى بها أربعمئة مقامة في موضوعات مختلفة، ثم ناظر أبا بكر الخوارزمي، فغلبه، مع أنه كان يظهر أن أحداً لا يتجرأ على مناظرته، وبذلك طار صيته في الآفاق وأنشد قصائد رائعة في مدح السلطان محمود، وقد أكرمه الوزير أحمد حسن الذي اشتهر بفصاحة العلم وعلو الهمة، وسعة النظر وحسن السياسة، كما كانت بينه وبين الإسفراييني وزير السلطان محمود صلوات ومكاتبات، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م)"^(٢).

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ ص ١٠٢٥؛ الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القرة الهندية وحضارتهم، ج١ ص ٩٩؛ وسوف يأتي الكلام عن أبي القاسم الفردوسي بشيء من التفصيل في الفصل الخامس بإذن الله تعالى.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٤ ص ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥؛ وينظر: حسن إبراهيم حسن: تاريخ

ومن نافلة القول أن بديع الزمان عاش في كنف السلطان محمود بغزنة عيشةً
هنيئةً رغدةً، ومدحه بقصيدة مطلعها:

تعالى الله ما شاء وزاد الله إيماني
أفريدون في التاج أم الإسكندر الثاني^(١)

كذلك كان الشاعر أبو النجم أحمد منو جهري أحد أعمدة الشعر في العصر
الغزنوي، كان من دامغان وتاريخ مولده مجهول إلا أن وفاته كانت سنة
(٤٣٢هـ / ١٠٤٢م)، ومع أنه عاصر السلطان محمود إلا أنه لم يُعد في زمرة
شعراء عصره؛ لأنه قدم إلى غزنة عام (٤٢٦هـ)، وهي السنة التي ذهب فيها
السلطان مسعود إلى جرجان، ويشتمل ديوانه على ما يقرب من ثلاثة آلاف
بيت^(٢).

ب. النثر:

لم يكن للنثر في العصر الغزنوي من المكانة والرقى ما كان للشعر، ولم يبلغ
المنزلة التي كانت له في العصر الساماني، ويبدو أن السبب في ذلك أن السامانيين
كانوا يعملون على تشجيع النثر وترقيته، مدفوعين في ذلك بأصلهم الفارسي
وتحمسهم الشديد للغة الفارسية وآدابها والعمل على إحيائها وتشجيع التأليف
بها، وأما في العصر الغزنوي فكان سلاطين الدولة أتراكاً لا يعينهم كثيراً أن

الإسلام، ج٣ ص٣٨٤، ٣٨٥.

(١) ورد ذكر هذه القصيدة كاملة في الفصل الثاني من الباب الأول.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١ ص٨١٥؛ على الشابي: الأدب الفارسي في العصر
الغزنوي، ص١٨٧، ١٨٨؛ محمد نور الدين عبد المنعم: منو جهري الدامغاني، ص٢٥: ٨٠.

تنهض هذه اللغة لتناوى اللغة العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى في عهد هذه الدولة زادت العلاقات بين خراسان وبغداد وقوي الارتباط بينهما، فقد كان سلاطين تلك الدولة يتوددون إلى الخليفة في بغداد عن طريق انفاذ الرسل وإرسال الهدايا إليها، ليكتسبوا شريعة إقامة دولتهم، فكانت هذه الروابط مدعاة إلى مزيد من العناية باللغة العربية وآدابها، ويدل على ذلك أن ديوان الرسائل كان يحرق باللغة الفارسية في بادئ الأمر في عهد الوزير أبي العباس فضل بن أحمد الإسفراييني، ثم صار يحرق باللغة العربية على يد الوزير أحمد بن الحسن الميمندي الذي حل محل الإسفراييني، وعلى هذا نرى أن معظم كتب النثر قد كتبت باللغة العربية، مثل كتاب اليميني للعتبي، وغيره من الكتب^(١).

ومن أشهر أدباء الدولة الغزنوية الوزير أبو الفتح البستي^(٢) كاتب السلطان محمود وموضع سره ومستشاره في أمره، كان أديباً كبيراً، له شعر جيد ونثر جيد؛ فأما شعره فأكثره مقطوعات يعمد فيها إلى المعنى الرقيق، فيصوغه في لفظ رشيق؛ وأما نثره فواضح جميل في السجع والازدواج على طريقة عصره، وهو في نثره يكثر من الأمثال، وفي نظمه يكثر من الحكم^(٣).

ويتجلى لنا من قصائده وكتاباتهِ التي وصلت إلينا مدى معرفته بأنواع العلوم، وخاصة علم النجوم^(٤)؛ كما كانت لأبي الفتح البستي رسائل سياسية

(١) ينظر: العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) سبق التعريف به في الفصل الرابع من الباب الأول.

(٣) ينظر: الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٣٤٥؛ محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي، ص ٧٣، ٩٤.

(٤) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٤ ص ٣٥٩ : ٣٦٢؛ د/ عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ٢٠٢.

رائعة يخاطب بها الأمراء والحكام بلغة سلسة تمتاز بسهولة الألفاظ ويسرها، وهو أقصى ما يمكن أن تصل إليه براعة الكاتب^(١).

ومن أدباء الدولة الغزنوية أيضًا في عصر السلطان محمود أبو النصر أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن ميكال أبو النصر النيسابوري، الأمير العريض الجاه، البسيط الحشمة، كان يُضرب به المثل في الخصال الحميدة، توفي بقلعة غزنة في سنة ست وأربعمائة، ولم يحدث، سمع من جده، وله شعر حسن ورائق، وأدب رائع، وبلاغة وبراعة، وكان جمال مملكة يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين وطراز دولته^(٢).

المطلب الثالث: ازدهار العلوم العقلية ودور العلماء في هذا المجال:

وكما سبق القول فقد بلغ من اهتمام السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين بتشجيع الحركة العلمية أن بعث في طلب جماعة من رجال العلم والفلسفة، فمنهم من لبي دعوته، ومنهم من رفض المجيء إليه، فكان من بين الذين وفدوا إليه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ)^(٣)؛ وقضى البيروني بداية حياته في خوارزم حيث ولد فيها^(٤)، وقربه إليه أميرها، ونبغ في كثير من العلوم وبخاصة الرياضة والفلك، وزار حوالي سنة (٣٩٠هـ) بلاط شمس المعالي

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٣٨٦.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٨ ص١٣٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧ ص١٣٤.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣ ص٤١٠؛ www.fesal.net.

(٤) ويذكر بعض المؤرخين أنه منسوب إلى بيرون وهي من مدن السند (في باكستان اليوم)، ولكن الأرجح أنه من خوارزم، ولكن لكثرة مقامه خارجها أطلق عليه "البيروني"، وهي تعني "الغريب" أو الآتي من خارج البلدة. ينظر: وزارة الإعلام العراقية: مجلة المورد، ص٨٧.

قابوس بن وشمكير - أمير طبرستان - الذي عُرف بتشجيع العلم وأهله، وألف له "الأثار الباقية من القرون الخالية"، ويبحث هذا الكتاب في التواريخ التي كانت تستعملها الأمم، والاختلاف في الشهور والسنين والتقويم، ونظم الطوائف والجماعات المختلفة، والاحتفال بالأعياد القومية؛ ولما اتصل البيروني بالسلطان محمود الغزنوي، استفاد من فتوحاته في بلاد الهند فائدة علمية كبيرة، وجعل ثروة الهند العلمية الكبيرة في الرياضة والفلسفة والإلهيات في يد العرب والفرنج، بما ألفه في ذلك من كتب لا تزال خير مرجع لكل من كتب عن الهند، وكان البيروني في هذا درة في الدولة الغزنوية كابن سينا في الدولة السامانية^(١).

نبح البيروني في كثير من العلوم وخاصة الرياضة والفلك^(٢)، وجدير بالذكر أنه كان يزهد في المال إلا ما يكفيه حاجته وأهدى كتابه "القانون المسعودي" للسلطان مسعود بن محمود، ويبحث في الرياضة والفلك وفلسفة الهند، فأجازه السلطان بأموال كثيرة، فردّها معتذراً بعدم حاجته إليها؛ وقيل عن البيروني إن القلم لم يكد يفارق يده، وعينه النظر، وقلبه الفكر إلا في الأعياد، ولا يمل الاستزادة من العلم، وقد تعلم عدة لغات، ففي كتبه عن العقاقير والجواهر اسم الشيء بالعربية واليونانية والسريانية والفارسية والتركية، ويقارن بين اللغات مقارنة دقيقة، ويمدح اللغة العربية بحسن أدائها للمعاني، وبفضلها على

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨ ص ٩١.

(٢) وتشمل جهوده في الفيزياء بعض الأبحاث في الضوء، وهو يشارك الحسن بن الهيثم في القوال: بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي إلى العين لا العكس، كما كان معتقداً من قبل.

ومن أشهر كتب البيروني "الجواهر في الجواهر"، وهو من أهم مؤلفات البيروني في علوم المعادن^(٢)، كما تعلم اللغة السنسكريتية، وأخذ ينقل منها إلى العربية، ومن العربية إليها، فنقل إلي السنسكريتية نظريات إقليدس وغيره من الفلك، ونقل إلى العربية من السنسكريتية بعض المصنفات القيمة، ومن أبرزها "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذولة" قارن فيها بين رياضة الهند وفلسفة اليونان،^(٣) ولقد استقى البيروني معلوماته عن الهند من المراجع السنسكريتية الهندية مباشرة، ويلاحظ عليه أنه لا يعترض ولا ينقد مطلقاً حينما يشرح العقائد الدينية، وبعد ذلك نشر البيروني كتابه بالعربية والفارسية "التفهيم في صناعة التنجيم" وقد أهده للسيدة ريحانة الخوارزمية، وأهدى كتابه عن الأحجار الكريمة للسلطان مودود بن مسعود^(٤).

وصفوة القول أن البيروني كان من كبار العلماء الذين ظهوروا في القرنين الرابع والخامس الهجري، فلم يترك علمًا يُؤلف فيه، وكان إلى جانب ذلك يُؤلف بالعربية لا الفارسية، لأنَّ العربية أكثر طواعية للعلم ومصطلحاته من

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨ ص٩٢؛ براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢ ص١١٧.

(٢) طبع هذا الكتاب في مدينة حيدرآباد الدكن بالهند (١٣٥٥هـ=١٩٣٦م).

www.marefa.org/index.php.

(٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨ ص٩٢؛ أبو الريحان البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص١١ من المقدمة.

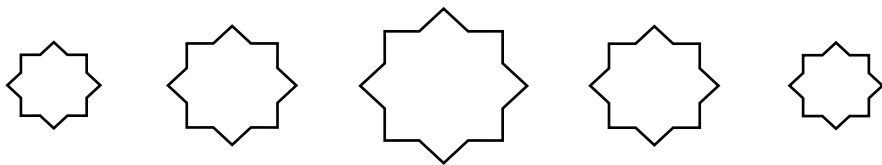
(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨ ص٩٢؛ أبو الريحان البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ص١١ من المقدمة؛ براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢ ص١١٧.

الفارسية؛ وعُدَّ من أعظم رجال الحضارة الإسلامية، وترجمت كتبه إلى اللغات الأوروبية، وأطلقت روسيا اسمه على جامعة أنشأتها حديثاً^(١).

فهذا هو السلطان محمود، وما فعلته دولته في رعاية العلم والأدب لخير دليل على أن الأتراك الذين أسلموا اهتموا بفضل الإسلام إلى إدراك أهمية الحضارة في بناء مجتمع سليم.



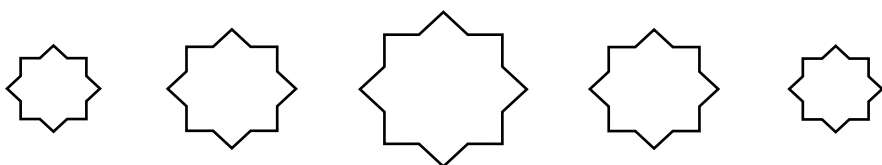
(١) ينظر: الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القرة الهندية وحضارتهم، ج١ ص ٩٩.



الفصل الخامس

الشبه حول الدولة وسلطانها والرد عليها

المبحث الأول: شبهة موقف الدولة من الشاعر الفردوسي والرد عليها.
المبحث الثاني: شبهة اتهام الدولة بأنها ولت وجهها نحو الهند لتكفر عن حروبها ضد المسلمين في آسيا الوسطى والرد عليها.
المبحث الثالث: شبهة اتهام الدولة بأن غزاتها كانت من أجل المال والرد عليها.



المبحث الأول

شبهة موقف الدولة بقيادة سلطانها من الشاعر الفردوسي والرد عليها

١ . مجمل الشبهة:

وخلاصة هذه الشبهة أنّ أبا القاسم الفردوسي -الذي سبق الكلام عنه- قضى أكثر حياته ينظم تاريخ الفرس في مؤلف سماه الشاهنامه^(١)، ظاناً في نفسه بأن السلطان محموداً سيغرقه بالذهب على عمله هذا؛ مما يُعوضه ما فقد من ثروته الموروثة وضياعه البائدة؛ غير أنّ منحة السلطان محمود لم تقنع شاعر الفرس المعتز، ففرّ من بلاطه مرسلًا قوارعه اللاذعة في هجاء هذا البطل الكبير، وتابعه في هذا الهجاء والفحش الكثير من الإيرانيين^(٢) وحتى يومنا هذا، تعصبًا

(١) والشاهنامه لغويًا تعني "كتاب الملوك" أو "كتاب التيجان"، تعرضت الشاهنامه لخمسين ملكًا يمتدون علي أربعة سلاسل من الحكومات، وفق ثلاث مراحل هي: المرحلة الأسطورية، والمرحلة البطولية أو الحماسية، والمرحلة التاريخية

oemmaro.jeeran.com.

(٢) عرفت إيران الإسلام منذ وقت مبكر عندما أرسل النبي محمد ﷺ رسالة إلى كسرى ملك فارس يدعوه فيها إلى الدخول في الإسلام لكنه أبى واستكبر؛ غير أن شمس الإسلام وصلت إيران بعد وفاة النبي ﷺ، فقد بدأ الفتح الإسلامي لهذه البلاد سنة ١٣هـ في أواخر عهد أبي بكر الصديق ﷺ واستمرت عملية الفتح في عهد خليفته عمر بن الخطاب ﷺ، وحقق المسلمون نصرًا مبيّنًا في موقعة نهاوند سنة ٢١هـ، فسميت هذه الموقعة "فتح الفتوح" لأنّ

منهم لشاعرهم الفارسي وبغضاً للإسلام الذي حطم إمبراطوريتهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهكذا وجد الإيرانيون - وتابعهم في هذا بعض المؤرخين قدامى ومحدثين، عرب ومستشرقين - في قصته مع الفردوسي - شاعرهم الكبير - دليلاً على بخله، وأنه كان للمال في نظره قيمة أعلى من قيمة العلم والفن، وأن هؤلاء الشعراء كانوا يعيشون في بلاطه مجبرين، وأن السلطان محموداً لا يستطيع أن يفهم دقائق اللغة الفارسية ففقد بذلك الميل الطبيعي إلى الأدب، كما فقد الذوق الحساس الذي يستطيع به أن يتذوق هذا الأدب، وعلى هذا لم يعرف قدر الشاعر فردوسي الذي قال فيه الشاعر الجامي: "مضت عظمة محمود ولم يبق على وجه الزمان سوى قصة جهله بقدر الفردوسي" (١)؛ ولذا كان لا بد من تنفيذ هذه الشبه والرد عليها بحيادٍ وموضوعيةٍ علميةٍ بعيداً عن الميول والأهواء.

٢. تفصيل الشبهة والرد عليها:

من المعروف أن الشاعر أبو القاسم الفردوسي ارتبط اسمه بالعصر الغزنوي

دولة الساسانيين لم تقم لها قائمة بعدها، فاستكمل المسلمون فتح سائر أرجاء إيران في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتل يزيدجر آخر ملوك الساسانيين سنة ٣١هـ، فطويت صفحة الساسانيين وأصبحت إيران من ديار المسلمين؛ والدارس لتاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا يتبين له مرحلتين مختلفتين اختلافاً بيناً: فالمرحلة الأولى: غلبت عليها الصبغة السنية منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الصفوية سنة ٩٠٦هـ؛ والمرحلة الثانية: غلبت عليها الصبغة الشيعية منذ أن حكم الصفويون إيران ثم أعلنوا المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة سنة ٩٠٧هـ وحتى يومنا هذا.

(١) على الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، ص ٧٧.

كشاعر كبير أنجز في أواخر حياته موسوعة تاريخية أسطورية لملوك الفرس حتى العهد الإسلامي، في قصة منظومة استهدفت إحياء القومية الفارسية بعد أن رأى ما حل ببلاد إيران القديمة من تفكك وانقسام، وكيف ضاعت وحدتها، وأخذت الدول المختلفة التي قامت في تلك الرقعة الواسعة تتطاحن وتتشاحن وتتنازع، وكان طبيعياً في هذه الرقعة - التي تتنازع عليها دول من أصول مختلفة كالفرس والترک والديلم - أن تعم الحروب جميع البلاد، وأن ينصرف الناس، ومن بينهم الفرس على التغني بأمجاد أجدادهم، وأن تضعف فيهم العناية بالنواحي القومية والوطنية، خصوصاً بعد أن أصبحت الكلمة العليا للأتراك منذ أسس الغزنويون ملكهم.

ولهذا أراد الفردوسي أن ينبه الفرس إلى ما غفلوا عنه، وأن يؤجج في قلوبهم نيران العصبية التي خمدت بفعل العوامل الكثيرة المختلفة كالدين الإسلامي، واللغة العربية، وانتشار الحروب، وكثرة المنازعات، وأخيراً غلبة الأتراك على البلاد، وكانت وسيلته إلى ذلك أن ينظم لهم تاريخهم الحافل، فيردهم بذلك إلى ماضيهم الذي نسوه وتخلو عنه^(١).

وكان الفردوسي يتوقع لنفسه ما ينتظره من مجدٍ، فقد صرح بأن كتابه إذا تم سيكون حديث الناس في كل مكان وأن أصحاب العقل والفضل والرأي والدين سيقدرون له هذا الجهد فيترحمون عليه بعد موته ويحيون اسمه على ألسنتهم فيخلد بذلك ذكره.

(١) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٣١٥، ٣١٦.

نظم الفردوسي شاهنامته كما جاء في أخبار المؤرخين في عهد أبي منصور محمد والي خراسان في ذلك الوقت، وتعهد هذا الوالي وهياً له من أسباب الحياة ما يجعله في غنى عن سؤال غيره، وأخذ الشاعر في المضي في النظم، وأخذ الناس ينتقلون ما نظم من قصص وأصبح الفردوسي زائع الصيت في كل مكان، حتى أنه هدأ نفساً إذ أصبح من الخالدين.

ثم قصد الفردوسي السلطان محمود بعد أن فقد أبا منصور لأنه كان في حاجة إلى معين، ومثل هذا العمل الأدبي الضخم الذي يقوم به الشاعر يتطلب مالا كثيراً، وقد نصحه أبو منصور قبل موته أن يهدي كتابه أو منظومته إلى الملوك فهم أقدر على تقويمه، وأسخى في المكافأة؛ وبناءً على ذلك رحل الفردوسي إلى السلطان محمود في غزنة - بعد أن قد نظم من شهامته قدرًا كبيرًا - وتوجه بها إلى الوزير أحمد حسن الميمندي، فقدمها إلى السلطان^(١)، على أن الوزير كان له منافسون، أوغروا صدر السلطان على الفردوسي، فقالوا عنه: إنه رافضي ومعتزلي^(٢).

ومعلوم أن السلطان محمودًا كان يتصف بتعصبه للدين الإسلامي كثيرًا فعملت فيه هذه السعاية وأصغى إليها، فأرسل السلطان إلى الفردوسي مبلغًا

(١) ومن خلال هذه السطور يتبين لنا أن الشاهنامه كُتبت في العهد الساماني، وأن والي خراسان أبا منصور هو الذي شجعه على هذا العمل، وبهذا يبطل زعم من قال أن السلطان محمود هو الذي كلفه هذا العمل الكبير، ومن المستبعد بطبيعة الحال أن يهتم السلطان محمود - وهو التركي الأصل - بإحياء مجد الإيرانيين.

(٢) ينظر: العروض السمرقندی: جهار مقاله، ص ٥٦؛ بروان ادوارج: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ص ١١٠.

ضئيلاً من المال لا يتناسب مع الجهد الذي بذله هذا الشاعر الكبير - قيل خمسين ألف درهم - ففارق الفردوسي غزنة، وقصد هراة، في ضيافة أحد الوراقين، فلما أمن سطوة السلطان محمود لجأ إلى ملك طبرستان شهريار بن شروين بن رستم، والتقى به قائلاً: "سأحول إهداء هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك، فإن هذا الكتاب كله أخبار أجدادك ومآثرهم"، وكتب في مقدمة الشاهنامه مائة بيت في هجاء محمود بن سُبُكْتِكِين، فتلطف شهريار به وأكرمه، وأخذ يهدئ من روعه مندفعاً بعطفه عليه، وحبه لهذا العمل الذي قام به، وعزم على أن يمنحه بعض المال ليكون عوناً له.

هذا وقد خفي على الفردوسي أن ميل هذا الأمير وهواه أصبح مع السلطان محمود منذ سنة (٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، ولا يستطيع شهريار أن يأتي بعمل يغضب السلطان، والشهامة التي لم يقدرها السلطان محمود لا يستطيع هو أن يبدي إعجابها بها ولا أن يصل هذا الشاعر، وأخذ يؤكد للفردوسي أن السلطان حُمِلَ على هذا، وإن الكتاب لم يعرض عليه، وإنما سُعِيَ بك، ثم أنت رجل شيعي، وكل من تولى آل البيت لم تستقم لهم أمور الدنيا إذا لم تستقم لهم أنفسهم، ومحمود ملكي، فدع الشهامة باسمه، وأعطني الهجاء لأغسله، وأعطيك شيئاً يسيراً، وسيدعوك محمود ويسترضيك، ولن يضيع مثل هذا الجهد^(١).

وكان الفردوسي قد نظم مائة بيت في هجاء السلطان محمود فعرض شهريار أن يشتري هذه الأبيات كل بيت بألف درهم، على أن تبقى الشاهنامه باسم

(١) العروض السمرقندی: جهار مقاله، ص ٥٧، ٥٨؛ ا. د / سعد بن حذيفة الغامدي: مرجع سابق، ص ٢٤.

السلطان محمود وعلى أن يمحو شهر يار أبيات الهجاء، وقبل بذلك الفردوسي. وأما عن الموقف في غزنة فيذكر بعض المؤرخين أن السلطان محموداً قد ندم على سوء تصرفه مع الفردوسي، فقال لوزيره الميمندي بعد عودته من بلاد الهند: "مر لأبي القاسم الفردوسي بستين ألف دينار، وتحمّل على الإبل السلطانية إلى طوس، ويُعتذر إليه بما حصل مني"، كما أرسل إليه رسولاً يطلب منه العودة إلى غزنة، ولكن يشاء الله أن يكون الوقت الذي تدخل فيه الإبل من باب تخرج جنازة الفردوسي من باب آخر^(١).

أما مصير صلة السلطان هذه فقد ورد في شأنها روايتان إحداهما: أن الفردوسي خلف بنتاً عظيمة النفس فلما أرادوا أن يسلموها هبة السلطان أبت، حرصاً منها على كرامة أبيها وإجلالاً للشاهنامة التي أصبحت بعد موت ناظمها فوق الصلوات حسب رأيها، فقالت: "لا حاجة لي بهذا المال فعمروا به رباط جاهه في حدود طوس، والثانية: تقول إن المال عرض على أخت الفردوسي فأخذته وأنفقتة على إقامة جسر على النهر الذي كان يروي أو يغطي على أرض الفردوسي فحققت لأخيها أملاً طالما تمناه في أشعاره^(٢).

الرّد على هذه الشبهة:

إنّ مما لا شك فيه أننا حين نحقق قضية الشاعر الفردوسي مع السلطان

(١) العروض السمرقندی: جہار مقالہ، ص ٥٩؛ د/ عصام الدین عبد الرؤف: تاریخ الإسلام، ص ٢٠٦.

(٢) يحيى الخشاب: الشاهنامه تراث الإنسانية، ج ٤ ص ٤٣٢؛ العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٣١٨.

محمود في أفق أوسع من رغبات الشاعر الشخصية نجد أن السلطان مصيب فيما فعل، حيث أن الفردوسي قد استجاب إلى نصره الأمير نوح بن منصور الساماني حين اندفع يبحث عن أساطير فارس المجوسية؛ ليجعل منها تاريخاً يلتهم تاريخ العرب والمسلمين، وأخذ يبحث في خزائن المرابذة والدهاقين من الصحف القديمة لتغدوا آية فخار تنبئ عن المجد الغارب، وحين تم ذلك جعل منه الفردوسي مادة حديثة، فقصى ما يقرب من ثلاثين سنة ينظم الأساطير والخوارق، ولكن الدولة الغزنوية وملكها محمود لا يشجع هذه النعرات العصبية؛ بل يرى في صنيع الفردوسي هراء لا يرضي منزعه الديني، وبخاصة إذا كان الملك سنياً شديد الغيرة على مقدسات أهل السنة، وقد شن حروباً طاحنة على القرامطة والملاحدة، وعقد الأواصر المخلصة بالخلافة العباسية، حتى منحه القادر بالله لقب يمين الدولة، وكان إذا جاءه شاعر شعوبي^(١) يتحدث عن رستم، وسهراب والضحاك، وذي القرنين، وأساطير الجبال والبحار، لا يجد انشراحاً من السلطان لما فعل^(٢)، كل ذلك وغيره أدى - بطبيعة الحال - إلى

(١) والشعبوية: جمع شعوبي نسبة للشعب، وقد تطلق ويُراد بها النزعة العدائية للعرب، والشعوبي في إطلاق آخر هو الذي يسوي بين العربي وغيره ولا يفضل العربي، وذلك لأن المسلمين من غير العرب دعوا إلى التسوية وكانت هذه الآية من شعاراتهم، ثم توسع العرب فأطلقوا لفظ الشعوبي على من يحقر العرب، وتوسعوا بعد ذلك فأطلقوه على الزنديق والملحد، معتبرين الزندقة والإلحاد مظهرًا ينم على كره العرب لأنه كره لدينهم، ثم أطلق بعد ذلك على الموالي. وقيل: "الشعبوية" نزعة ظهرت في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحط منهم، وذلك بسبب تأثير ظروف تاريخية معينة، حين اشتد الصراع العربي والفارسي في ظل دولة بني العباس. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ص ٣٤٤؛ د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٧٢، ٧٣.

(٢) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ٨٢، ٨٣ بتصرف يسير.

القدح والظعن فيه وفي دولته.

ومع ذلك فقد رأينا أن السلطان قد بذل للفردوسي المعقول من المال كيلاً يضيع جهده هباءً، لكن الفردوسي لا يقنع بما دون الإغراق والامتلاء، فانصرف عنه هاجياً مثالباً، والمسألة مسألة مبدأ قبل أن تكون مظنة بخل وإمساك.

ويذكر د/ محمد رجب البيومي: أن إيران احتفلت منذ أعوام بمرور ألف عام على وفاة الفردوسي، وبعثت إلى الممالك المختلفة من يمثلها في مهرجان الشاعر الكبير بطهران!! وقد تورط بعض الخطباء والشعراء في نقد السلطان محمود الغزنوي؛ إذ منع الشاعر ما يظنه بعض حقه، حتى جاء دور الشاعر اللبناني بشارة الخوري فهجا الغزنوي هجاءً مقذعاً حين قال:

يا للعقوق أييني مجد أمته ويجعل الدهر مولى من موالها
أئن وفت أمة يوماً لشاعرها رماه سافلها عن قوس واشيها
يقول الدكتور: والأستاذ بشارة يجهل محمود الغزنوي دون نزاع!، فليس الملك من السفالة في قليل أو كثير، كما أنه يجهل ملابسات الشاهنامة، وتقلبات الزمن بمبدئها ومنتهاها، ولو علم ما تجنّى هكذا وأقذع^(١).

وأما عن اتهام السلطان محمود بالبخل وعدم تقدير العلم والفن، وأن هؤلاء الشعراء كانوا يعيشون في بلاطه مجبرين، فلا يخفى على من قرأ -ولو شيئاً يسيراً- عن حياة السلطان أن هذه الاتهامات مبالغ فيها كثيراً، خاصة وأن هذا العدد الكبير من الشعراء لا يمكن أن يجتمع في بلاط السلطان محمود إلا إذا

(١) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨٣.

كان هناك من يراعاهم ويمنحهم ويشجعهم على النظم والتأليف، كما لا يعقل أبداً أن يبقى هؤلاء جميعاً مُجبرين تحت سلطة التهديد والوعيد؛ غير أن كل ما في الأمر أن الإيرانيين قد عزَّ عليهم ألا ينال شاعرهم الكبير الجائزة التي يستحقها، وهو الذي كان محور هذا العصر، إذ أنه نظم الشاهنامة وسجّل فيها سير وقصص الأبطال والعظماء الإيرانيين وأحيا مفاخرهم القديمة وأعاد إلى تاريخها الحياة^(١).

ويؤيد هذه الحقيقة ما قرره أحد الباحثين بقوله: "وكان السلطان محمود الغزنوي حريصاً أشد الحرص على رعاية العلم والأدب والفن في مملكته، وكان يغري العلماء والأدباء بالانتقال إلى بلاطه، وكان يُرى أن بلاطه - وهو أعظم البلاطات الموجودة في ذلك العصر وأعلاها شأنًا - أحق بأن يجتمع فيه من العلماء والأدباء ما يفوق غيره، ولا شك في أن بعض الأمراء المحليين كانوا يستجيبون إلى محمود تملقاً وخوفاً منه، فيوفدون إلى بلاطه من يُرى إيفاده من علمائهم وأدبائهم، ولكننا لم نعرف أنه استخدم في سبيل ذلك القوة أبداً، بدليل رفض ابن سينا وأبوسهل المسيحي - من أهل الحكمة - القدوم إلى بلاط السلطان محمود، وكان في استطاعته تعقبهما وإجبارهما على ملازمة بلاطه؛ غير أنه لم يفعل، وكان يعتبر أن إعراض ابن سينا خسارة كبيرة لبلاطه"^(٢).

ثم كيف ينسى الإيرانيون أن السلطان محموداً هو أول شخص فتح للأدب الفارسي الإسلامي أفاقاً جديدة فمهد لتلك البلاد أن تساهم بنصيبها في العمل

(١) العروض السمرقندی: جہار مقالہ، ص ٥٦، ٥٩ بتصرف يسير.

(٢) د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٤٩، ١٥٠.

على رقي هذا الأدب ورفع شأنه، وراج العلم والأدب في ذلك العصر رواجًا كبيرًا وكان الوزراء أنفسهم من مهرة الكتاب، وصارت مدينة غزنة مركزًا جديدًا للعلم والأدب يؤمها العلماء ويقصدها الأدباء من مختلف البقاع، وقد مر الكلام في هذا الجانب بشيء من التفصيل في الفصل السابق.

ومع هذا فقد ذكر بعض المؤرخين - كما سبق - أن السلطان محمودًا ندم على موقفه مع الفردوسي، وأرسل له جائزة كبيرة لعلها تُطَيِّب خاطره من ناحية السلطان، ولكن كان تقدير الله أن تصل الجائزة في الوقت الذي كان الناس يحملون الفردوسي على أعناقهم إلى المقابر، فأرى أنه كان يجب أن يتحلى المغرضون والمتعصبون ضد السلطان - بل والإسلام كله - بالإنصاف والتريث وعدم التسرع في إصدار الأحكام، خاصة بعد هذا الموقف الأخير من السلطان.

وأما ادعاء الإيرانيين بأن السلطان محمودًا كان يجهل اللغة الفارسية إنما هو إدعاء باطل تنقصه الحقائق التاريخية ويكفي في التدليل على بطلان هذا الزعم القصة التي يرويها نظام العروض السمرقندي، مضمونها أن السلطان محمودًا شرب ذات ليلة حتى سكر فكان لا يعقل ما يقول، فلما أفاق ندم على ما فعل وغضب من نفسه غضبًا شديدًا لدرجة أنه كان يرقد ويقوم ولا يستطيع أحد المقربين لديه أن يسأله ما به، وأخيرًا توجه الحاجب على قريب إلى الشاعر العنصري وطلب منه أن يأتي لتهدئة ثورة السلطان محمود، فأقبل العنصري على السلطان وبعد أن حياه وعظمه قال تلك الرباعية على البديهة:

لم تعيب قطع طرة الحبيب ولم تقعد وتقوم مهموما

ألا فاطرب وانشط واشرب فإن زينة السرور في شذبه^(١)
 فسّر السلطان محمود من هذين البيتين سروراً عظيماً وأمر أن يُؤتى
 بالجواهر فملاً بها فم العنصري ثلاث مرات، ولا شك أنّ هذا دليل قاطع على
 أنّ السلطان محموداً كان يتذوق الشعر الفارسي، هذا إذا تجاوزنا عن الرواية
 التي تقول بأنّه قد أثر عن هذا السلطان وعن ابنه محمد شعر فارسي^(٢).

وإذا كان السلطان محمود قد أمر بإلغاء اللغة الفارسية من الديوان وإحلال
 اللغة العربية محلها فإنّ اللغة الفارسية مع هذا بقيت هي لغة الشعر والأدب.

ولكن تبقى الحقيقة الثابتة وهي أنّ الفردوسي كان من المعادين للإسلام
 والناقمين عليه رغم تظاهره بالانتماء إليه، كما اتخذ الإيرانيون من هذا الموقف
 للسلطان تجاه الفردوسي ذريعة لخلق وبث الأكاذيب والمفتريات ضد الدولة
 وسلطانها، ولا يزالون إلى اليوم؛ كما أن ميول الحكام في إيران شعبية وليست
 شيعية وعداوتهم مع العرب ليس حباً بعليّ ولكن كرهاً لعمر الذي أسقط تاج
 الأكاسرة^(٣).

وخير من كشف ضغينتهم وأوضح حقيقتهم هو شاعرهم الرودكي (شاعر
 إيراني أصله من أذربكستان توفي في ٣٢٩هـ) الذي قالها صراحة:

عمر بشكست پشته هجبران عجم را برباد فنا داد رگ وريش جم را
 اين عربده وخصم خلافة زعلي نسيت با آل عمر كينه قديم أست عجم را

(١) العروض السمرقندي: جهاز مقاله، ص ٤٣.

(٢) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٣) نفس المرجع والصفحات.

وترجمتها: "أنَّ الصراع والعداوة مع العرب ليس حبًا بعلي والدفاع عن حقه في الخلافة؛ ولكنها البغضاء والعداوة لعمر الذي كسر ظهر العجم وهَدَّ حضارتهم".

ومن أقوال الفردوسي:

سك در أصفهان آب يخ مي خورد عرب در بيايان ملخ مي خورد
وترجمتها: "الكلب في أصفهان يشرب ماء الثلج، والعربي يأكل الجراد في الصحراء"؛ وهكذا يتصدر الفردوسي الشعراء الشعبويين، ويُعتبر كذلك من قادة الحركة الشعبوية القائلة بتفضيل الفرس وذم العرب، ومع عدم التقليل من شأن الشاهنامه في الأدب الفارسي، غير أنَّه لا يمكن إغفال الشتائم وصور تحقير العرب التي جاءت بها.

ذكرت وكالة "مهر" للأخبار (في نيسان ٢٠٠٥م) أنَّ وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي في إيران محمد حسين صفار هرندي قال في احتفال أقيم لدراسة أعمال الفردوسي: "إنَّ الإساءة للفردوسي هي مقدمة للإساءة والعدوان على إيران".

وقال الوزير أيضًا: "إنَّ على الشعب الإيراني التزود بحماسة الفردوسي لمواجهة الأعداء، وإنَّ على الشباب الإيراني استلهام روح حماسة الفردوسي للدفاع عن هويتهم الإيرانية والإسلامية"^(١).

هذا ومع هذه الحرب الشعواء على الدولة الغزنوية وسلطانها فإنَّ هناك

الكثير من الكتاب والشعراء من الإيرانيين أنفسهم يُشككون في نسبة الشاهنامة للفردوسي، فتذكر الموسوعة المشهورة "ويكيبيديا" فتقول: "يرى بعض الباحثين الإيرانيين - مثل الشاعر الكبير الذي رحل قبل سنوات "أحمد شاملو" أعظم الشعراء الفرس المعاصرين - عكس ذلك - أي عدم نسبة الشاهنامة للفردوسي - فالكتاب لا يعدو كونه مجموعة لأساطير حيكت من قبل شعوبيين بتحريض بعض الحكام لأغراض سياسية؛ ولذلك لا يمكن اعتبارها أساساً لتاريخ إيران قبل الإسلام.

ويقول الباحث الفارسي ناصر بوريرار: "هناك أدلة جلية جداً تقول أنه كانت توجد مجموعة لكتابة الشاهنامة انشغلت بهذا الأمر لمدة ٤٠ سنة، فقد بدءوا في عهد أنبين السادس واستمر الأمر حتى عهد السلطان محمود الغزنوي، وقد أنشد الشاعر "دقيقي" قسماً من الشاهنامة، ونحن نعلم أن ٦ أشخاص كانوا منشغلين بإنشاد الشاهنامة في نفس الفترة وفي منطقة محددة من خراسان، فهؤلاء هم أصحاب الشاهنامة وليس الشاعر فردوسي الذي كان يتلقى راتبه من الشعوبيين لينشد شعراً يلبي أميالهم ونزعاتهم وقصصهم وآمالهم وأهدافهم.

والفردوسي ليس إلا منشداً للشاهنامة وإن فكرتها تتعلق بمجموعة سياسية هي الشعوبية، وقد ذكرت كل هذه الوثائق نقلاً عن الفردوسي نفسه، فهو يؤكد في مقدمة كافة قصصه أنها لا تمثل رأي، وأن فلاناً وفلاناً ذكر لي القصة لأنشدها، شعراً حيث يأسف أحياناً لبعض النصوص ويعرب عن تقززه لها ويتبرأ منها".

ومن الشواهد على ما جاء به الفردوسي أو ما نسب إليه في الشاهنامة

أننا نجد في هذا الكتاب -الذي هو أحد أهم أدبيات الشعوبية- أن الفردوسي يمتدح قتل الصحابي الجليل عبدالله بن حذافة السهمي سفير النبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس حيث يقول:

كه آمد فرستاده يي پیرو سست نه اسب و سلیح ونه چشمی درست
یکي تیغ باریک برگردنش پدید آمده چاک پی رهنش
وترجمتها: "لَمَّا جاء ذلك المرسل الخوار، الذي كان أعور العين، ولم يكن يمتلك فرساً أصيلة، بانت شفرة السيف الحادة بين رقبتة وقميصه"؛
وهذين البيتين هما من ضمن قصيدة طويلة تضمنها ديوان الفردوسي في سب العرب والمسلمين، هذا الديوان الذي قدّمه الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي هدية إلى البابا يوحنا بولس الثاني خلال زيارته الفاتيكان في آذار عام (١٩٩٩م) وذلك تعبيراً عن حسن نواياه وترويجاً لمشروع حوار الحضارات^(١).



(١) ar.wikipedia.org/wiki/فردوسي - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

المبحث الثاني

شبهة اتهام الدولة بأنها ولّت وجهاً نحو الهند لتكفر عن حروبها ضد المسلمين في آسيا الوسطى والردّ عليها □

إنَّ السلطان محمودًا وكأي شخصية عظيمة في التاريخ، له من المعجبين، كما أنَّ له من المنتقسين لقدره، وقد بالغ بعض الكتاب المسلمين في وصفه فعزوا إليه المعجزات والأعمال البطولية الخارقة - وهذا لا شك غلو كبير -، في حين أن بعض المؤرخين القدامى والمحدثين ممن اطلعوا اطلاعًا سطحيًا على سيرته رسموا له صورة قاتمة، وبدا في صورة زعيم عصابة يتتهج للسلب والنهب وسفك الدماء؛ لكن السلطان محمودًا لم يكن على هذه الصورة أو تلك، لقد اتصف بصفات رائعة وكان صاحب عبقرية عسكرية مبهرة.

وكان من المؤرخين الكبار الذين طعنوا في السلطان محمود الغزنوي "ابن الأثير"، - عليهم جميعًا رحمة الله - وتبعه في طعنه هذا آخرون، متهمين السلطان محمود أنه ولي وجهه نحو الهند ليكفر عن حربه للمسلمين في آسيا الوسطى، حيث يقول ابن الأثير في أحداث سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة "إن السلطان غزا جييال ملك الهند وأوقع به وقعة عظيمة، وسبب ذلك أنه لما اشتغل بأمر خراسان وملكها، وفرغ منها، ومن قتال خلف بن أحمد، وخلا وجهه من ذلك، أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال

المسلمين" (١).

كما يخلط كثير من المستشرقين في كتابتهم عن التاريخ الإسلامي بصفة عامة وتاريخ الدولة الغزنوية بصفة خاصة بين الغث والسمين، وقليلٌ منهم المنصفون؛ فهذا توماس أرنولد يطعن بين الفينة والفينة على الدولة الغزنوية، وعلى منهج السلطان محمود في نشر الإسلام في الهند وغيرها فيقرر أنه: "كانت له مذابح وحشية للبراهمة"، وأنه "حمل الناس على الختان"، وأن "تغيير دين فريق منهم، كان -من غير شك- راجعاً إلى ما استخدم من وسائل العنف وضغط السلطات"، وأن بعض الفاتحين لم يأت إلا بقصد "السلب والنهب"؛ هذه الشبه وغيرها كان لا بد من الرد عليها بالأدلة العلمية والشواهد التاريخية من مواقع الأحداث.

إنَّ بعض النقد يوجه "من أن الضغينة والكرهية المتقدمة للإسلام" -والتي ترسخت في أذهان الهندوس- تعود إلى أن الإسلام قد جاء إليهم في مظهر الجيش الذي يسلب وينهب، غير أن وجهة النظر هذه ليست مقنعة؛ لأنَّ الهندوس رفضوا الإسلام كدين قومي لهم بسبب الاختلافات الجوهرية بين الإسلام والهندوسية.

غير أن الذي لا شك فيه أنه قد نعم الهندوس في ظل تسامح السلطان محمود، وعاشوا في ظل أحياء مستقلة في غزنة، ومنحوا حق أداء شعائرتهم الدينية دون أي رقابة، أما الانتقادات التي وجهت إلى السلطان عن وحشيته

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨ ص٢٠؛ وينظر: حسن إبراهيم حسن: الإسلام في آسيا الوسطى، ج٣ ص٩٦.

الدموية ونهبه المتهور لمعابد الهنود فإن أصحاب هذه الانتقادات يتناسون أن هذه الأمور المسماة بالبربرية كانت قد ارتكبت في زمن هذا قانونه وشريعته، ومثلها مارسها وأجازها كل عظماء الفاتحين في العالم؛ إن سلب العدو المنهزم كان ينظر إليه على أنه حق شرعي للجيش المنتصر، ولم تكن الثروات مكدسة فقط في صناديق نفائس الملوك كما يحدث في البلاد الأخرى؛ بل أيضاً في أقبية المعابد وسراديبها، ومن الجدير بالذكر أنه لم يعرف عن السلطان محمود أنه دمر معبداً في زمن السلم^(١).

ومن الشعراء الذين تجنوا على السلطان محمود ووصفوه بالوحشية وغير ذلك الشاعر أبو العلاء المعري^(٢)، ولا غرابة فأبو العلاء يسير مع طبعه الناغم الساخط حين يهاجم بطلاً تتساقط تحت ضربات سيفه أشلاء الضحايا من المتصارعين في كل مكان؛ إذ أن الشاعر الذي يرحم الحيوان الضعيف إذ يستفزع ذبحه وإراقة دمه؛ لا بد أن يرتاع لما يسمع عن معارك دامية تفور بالدم وتطفح بالجماجم والرقاب، هذا إلى جانب أنه ملك، وللملوك في منطق أبي العلاء غطرسة واستعلاء لا يرضيان إحساسه المرهف، وهم في أكثر أحوالهم

(١) محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، ولد سنة (٩٧٣م) في بلدة معرة النعمان، وأصيب بمرض الجدري وهو في الرابعة من عمره فأصيب بالعمى، لقبه والده مبادئ اللغة العربية ثم تتلمذ على يد بعض علماء بلده، ومن ثم اعتكف في منزله يطالع الكتب ويحفظ الشعر، حتى بلغ العشرين من عمره؛ طالع أبو المعري الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى يومه، فصنف الشعراء والكتاب وأظهر نقاط ضعفهم وموضع إجادتهم، توفي سنة (١٠٥٧م). مجموعة مؤلفين: قصة وتاريخ الحضارة العربية، الجزء (٢٥-٢٦)، شعراء العرب وأدباؤهم من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، ص ١٣٠، ١٣١.

ظلمة جاثرون، فلا بد أن يهاجمهم الشاعر الفيلسوف، ولا بد أن ينال شيئاً من هجومه أعظم ملك رنَّ اسمه في عصره رنين الرعد في الأفق، مهما كان بطلاً فذا ذا مُثل وأهداف، وإلا فهل كان السلطان محمود يستحق أن يقول فيه أبو العلاء: **أُسْرُ إِن كُنْتَ مَحْمُوداً عَلَى خُلُقِي وَلَا أُسْرُ بِأَيِّ الْمَلِكِ مَحْمُودُ مَا يَصْنَعُ الرَّأْسُ بِالتَّيْجَانِ يَعْقِدُهَا وَإِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ جُلْمُودُ** أو يقول:

محمودنا الله والمسعود خائفة فعَدَّ عن ذكر محمودٍ ومسعودٍ
ملكاً لو أني خيَّرتُ ملكَهُمَا وعودٌ صلبٌ أشار العقلُ بالعود^(١)

وإذا كان السلطان محمود قد خاض عدة حروب في آسيا الوسطى قبل غزوه للهند فإن ذلك كانت له أسبابه ومبراته القوية، حيث وصل السلطان محمود إلى السلطة في الوقت الذي كانت فيه أوضاع العالم الإسلامي غير مستقرة، فقد تفرقت دولة الخلافة وتمزقت أوصالها لأشلاء مبعثرة في شكل دولة هنا وهناك، ومعظم هذه الدول قد أصبح نكبةً ووبالاً على الإسلام، في حين كان أمراء الهند -خاصة شمالها- يتربصون بالمسلمين الدوائر؛ لذلك كان على الدولة الغزنوية بقيادة السلطان التحرك على الصعيدين الداخلي والخارجي في سبيل خدمة الإسلام ونصرة الدين في هذه الفترة العصيبة من حياة الأمة.

كما أن السلطان محموداً من الفطنة والذكاء بحيث يعلم تمام العلم أنه لن

(١) د/ محمد رجب البيومي: مع الأبطال، ص ٨٢.

يتمكن من الاتجاه إلى الهند للفتوحات ونشر الإسلام إلى بعد أن يطمئن إلى أنه لن يطعن من الخلف، وبعد أن يتأكد من الاستقرار الداخلي لدولته، فقد كانت أغلب حروبه في آسيا الوسطى لتوحيد الصف، والقضاء على الفرق الضالة والمنحرفة، من أجل الهدف الكبير ألا وهو الدعوة إلى الله تعالى.

يقول أحد الباحثين: "ولقد راح السلطان محمود يعلن من بادئ الأمر أنه قد أخذ على عاتقه الجهاد بسيفه في سبيل نشر تعاليم الإسلام الصحيحة، والقضاء على الفرق المضلة من رافضة وقرامطة وغيرهم، وكان يكتب في أثر كل نصر يحرزه إلى الخليفة العباسي ببغداد يزف إليه النبأ فيصل إليه منه التشجيع والتعزير والدعاء.

ثم يتابع فيقول: "وهكذا امتد سلطان محمود إلى آفاق بعيدة، وذاع صيته في أنحاء بلاد المسلمين، وما لبث هذا الأمير المحارب أن ولى وجهه شطر الهندستان التي رأى فيها ميدان الجهاد الأكبر فغزاها سبع عشرة مرة حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية؛ ومن المعروف أن الهند لم تكن غريبة على محمود، فقد سبق له أن شارك أباه في غزواته لها من قبل؛ مما يسر له الإطلاع على أحوالها والوقوف على قدر غير قليل من أساليب القتال عند أهلها"^(١).

ومما يدل على سماحة المسلمين في عرضهم الدين الإسلامي علي أهل البلاد المفتوحة، ما قرره أرنولد -نفسه- قائلاً: "وفي الحق أن الإسلام قد عرض في الغالب على الكفار من الهندوس قبل أن يفاجئهم المسلمون بالقتال"؛ ثم أكد

(١) الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج١ ص ٨٧.

نتيجة هذه الأخلاق قائلاً: "لهذا تقدم عشرة آلاف رجل، وأعلنوا برغبتهم في التحول إلى الإسلام ونبذهم عبادة الأصنام"^(١).

لقد هجم بعض الكتّاب الهنادكة على السلطان محمود في تاريخ غزواته، وهذا أمر طبيعي لدى من يتعصبون للقومية؛ غير أن العادلين من هؤلاء أنصفوا هذا البطل، فذكروا ما له وما عليه، ومن بينهم المؤرخ الهندي "براساد" إذ يقول نقلاً عن ترجمة الدكتور أحمد الساداتي في كتابه تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية: "إن محموداً ليعد في نظر المسلمين غازياً ومجاهداً كبيراً، أخذ على نفسه القضاء على الشرك في مهاد الوثنية، وهو في الوقت نفسه عند الهنادكة طاغية مخرب، حطم مقدساتهم ودمر معابدهم، وأذى شعورهم الديني في كثير؛ ولكن المؤرخ المنصف حين لا يسقط من حسابه تقاليد العصر الذي كان يعيش فيه واعتباراته لا يسعه إلا أن يقرر أن محموداً كان زعيماً بارزاً من خيرة القادة والزعماء، وحاكماً حازماً، وجندياً عبقرياً من الطراز الأول، اتصف بالعدالة ورعاية العلوم والفنون، فهو جدير أن يعد من بين أعظم الملوك طراً"^(٢).

كما نقل الساداتي-أيضاً- في حاشية (ص ٩٨) رأي المؤرخ الأول "لين بول" في السلطان محمود، إذ يقول: "إن ذلك السلطان الذي أقام تلك المنشآت الفخمة بغزنة، وأقام دور العلم، ودعا العلماء حتى كان وجود عليهم بما لا يقل عما يعادل مائتي ألف من الجنيهات كل عام، فضلاً عما كان يجري على طلبه العلم من الأرزاق لا يمكن أن يسلك في زمرة الطغاة البرابرة"^(٣).

(١) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص ٢٨٨.

(٢) الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج ١ ص ٩٧، ٩٨.

(٣) المرجع نفسه، ج ١ ص ٩٨ حاشية رقم ١.

هذا هو السلطان محمود الغزنوي، وهذه بعض أياديه على الدين والأدب والعلم! أفلا يصح بعد ذلك أن تفرد له عشرات الكتب، وأن نمنحه بعض ما تمنح نابليون والإسكندر وغيرهم.

ويقول عنه أحد الباحثين أيضاً: "إن تاريخ السلطان محمود حافل بالأعمال الجليلة والفتوحات الكثيرة في بلاد الهند، وقد أمضى السلطان مدة حكمه - اثنين وثلاثين عامًا في قيادة الجيوش، وكان الهدف الأصلي من وراء ذلك فتح الجهات الواقعة في شمال الهند، وكانت تتخذ حملاته سمة الجهاد ضد الهنود الوثنيين لنشر الإسلام، وقد اتجه بجيوشه إلى تلك المناطق سبع عشرة مرة، ووسع بذلك الحدود الأولى لدولته^(١)".

وهذا الشاعر العنصري يمتدح جهود السلطان محمود وعزمه وإصراره وقوة تحمله على مواجهة الصعاب لنشر دين الله ودحر الوثنية، وذلك من خلال إحدى غزواته (بهاطية)، حيث يقول في إحدى قصائده:

إذا أردت أن أتحدث عن بهاطية ستعجب حين تعلم كيف رحل ملك إيران (محمود) إلى هناك، الذئب ستمزق مخالفه إذا اجتاز هذا الطريق (بسبب الحرارة). والعقاب سيتناثر ريشه عندما يحلق فوق هذه البقعة. نباتاتها المجذبة ستجعلك تقول هل العقارب تلتف مع الأشواك لتلسع؟ ملك الملوك "محمود" عبرها مثل نسمة ريح. بفضل قوة الإيمان من أجل إهلاك الوثنية. لقد قهر بلاد راجي راي وحاز ثرواته. ومن دماء الأعداء روى الأرض القاحلة. سيد

(١) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٢٠.

ملوك الأرض (محمود) أضعف من شأن الحكام. بكل ما في هذه الكلمة من معنى وكان اسمهم لم يكن.

وهكذا يفهم من العنصري أن بهاطية كانت في بلاد قاحلة وأنه في الطريق إليها عبر السلطان صحراء رملية تكسوها النباتات الشوكية، كل ذلك بفضل قوة الإيمان ومن أجل إعلاء كلمة الله تعالى^(١).

يقول عنه د/ طه ندا: "وكان يغزوا الهند مرة كل عام وينشر في ربوعها راية الإسلام، ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية، وبهذا دخلت أجزاء كثيرة من بلاد الهند في الإسلام وشاركت في نهضة الحضارة الإسلامية^(٢)."

وهكذا فقد كانت لغزوات السلطان محمود نتائج قوية وبعيدة المدى في بلاد الهند من حيث نشر الدين الإسلامي، والحضارة الإسلامية، وطبعت الهند بطابع خاص كانت ولا تزال آثارها موجودة إلى الآن، كما كانت هذه الغزوات - أيضًا - مصدرًا للأموال والثروات التي تدفقت على المسلمين.



(١) محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، ص ٢٦١، ٢٦٢ بتصرف يسير.

(٢) د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة، ص ١٢٦.

المبحث الثالث

شبهة اتهام الدولة بأن غزواتها كانت من أجل المال، وشبهه أخرى

وكما سبق فإنَّ انتصار السلطان محمود لعقيدته السننية جعلت كثيرًا من المؤرخين وأصحاب الميول الشيعية ينتقصون من قدره، وينسبون إليه بعض الصفات الذميمة مثلما فعل ابن الأثير - وكان متأثرًا بالتشيع - عندما وصف السلطان محمود بالشه في جمع الأموال ولو من غير حقها، وهي دعوى باطلة تخالفها سيرة وحياة هذا البطل العظيم في كل موطن.

وبعض ممن أرَّخ للهند الإسلامية عزا هذه الفتوح المتتالية إلى رغبة جامحة في النهب والسلب والاستيلاء على كنوز الهند التي حفلت بها معابدهم الشهيرة؛ فمع أن الدولة اتجهت منذ بداية عهدا إلى التوسع في بلاد الهند من أجل تدعيم قوة الإسلام في تلك المناطق، وحماية أراضي المسلمين من هذه القوة الكافرة، إلا أنَّ بعض المؤرخين قد ادعى أن السلطان محمودًا قد اتجه إلى هذه البلاد من أجل المال والاستيلاء على ما فيها من كنوز ونفائس، لا من أجل الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته.

ويُمكن الرَّد على هذه الشبهة بقول أحد الباحثين: "وفي الحق أنَّ ما أحدثه محمود الغزنوي خلال هذه الغزوات يمكن فهمه في ضوء (التقاليد الغزنوية)

تقاليد الترك المتحمسين للدين تحمّسًا يرقى لدرجة التعصب، وليس من المعقول أن يكون جيل القرن الرابع الهجري من الترك في سماحة الجيل الأول من العرب، ولا يشك في أن حملات محمود كانت مسبقة بطلب الدخول في الإسلام، ثم ذكر قول السير توماس أرنولد السابق ذكره: "وفي الحق أن الإسلام قد عرض في الغالب على الكفار من الهندوس قبل أن يفاجئهم المسلمون بالقتال" وكان محمود الغزنوي يعتبر المدن التي تصدت له بالمقاومة في حكم المدن التي تفتح عنوة فاعتبر كنوزها وثرواتها فيئًا وغنيمةً للجند المسلمين المنتصرين^(١).

ومهما يُقال عن الدافع الذي كان يدفع السلطان محمود إلى غزو الهند تلك المرات العديدة، فإن الأمر الذي لا شك فيه أن هذا السلطان صار بطلاً من أبطال الإسلام، اعترف له التاريخ بأنه أول شخص كان حرباً على الكفر في تلك المناطق المترامية الأطراف، حيث نشر الإسلام فيها وأعلى رايته، وإذا كان قد أغار على المعابد واستولى على ما فيها من كنوز ونفائس فإن هذا لا يمكن أن ينقص من قدر السلطان شيئاً؛ لأنه إذا كان يحطم شيئاً في تلك المعابد فإنه يحطم الأصنام التي طالما ضل بسببها الآلاف من هؤلاء، وفتح ميادين جديدة يشع فيها نور الإسلام، ويحرر بذلك عقولاً طالما خيم عليها الجهل واستبدت بها تلك العقائد البالية العتيقة التي ورثها الأبناء عن الآباء والأجداد^(٢).

ومن المواقف العجيبة التي تدل على أن السلطان محمودًا منذ نشأته وهو

(١) د/ حسن إبراهيم حسن: الإسلام في آسيا الوسطى، ص ٢٤٨.

(٢) العمادي: خراسان في العصر الغزنوي، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

يتطلع إلى أهداف كبرى تسمو فوق الطمع في الدنيا وحب المال موقفه من والده سُبُكْتُكَيْن - الذي كان يصطحبه معه في غزواته دون أن يتعدى الرابعة عشرة من عمره - وقد عرض عليه جيبال ملك الهند جزية كبيرة ليفوز بصلح يحقن الدماء، ومال الأب إلى القبول مكثفياً بما أحرزه من نجاح؛ ولكن الابن محموداً الصغير وقف في وجهه رافضاً أن تكون الجزية غاية القتال، وقال لوالده في إصرار: "إننا نبحت عن مثوبة الجهاد في سبيل الله، لا عن الفضة والنصار!! فنزل أبوه على رأيه واستأنف القتال"^(١).

هذا ولو كانت غاية السلطان محمود من غزواته الهندية عموماً ما هي إلى مجرد جمع الأموال فحسب - كما يقول بذلك بعض المؤرخين - إذن لقبل ما عرضه عليه الهنادكة من افتداء صنم سومنات بالأموال الطائلة، ولما رد عليهم بقوله المشهور بأنه يؤثر أن ينعتة الناس بأنه محطم الأصنام على أن يقولوا بأنه بائع الأوثان.

وهذه حقيقة ثابتة أكدها غير واحد من المؤرخين مستدلين بهذا الموقف وغيره من المواقف الناصعة في حياة هذا القائد العظيم، حيث يقول د/ طه ندا: "ولا شك في أن السلطان محموداً بعد أن غزا الهند أول مرة أدرك ضعف تلك البلاد، ودرجة ثرائها، فأغراه هذا بمتابعة الغزو والفتح؛ غير أن المال وحده لم

(١) د/ محمد رجب البيومي: مرجع سابق، ص ٨٣، "والمغانم في وضع الشرع ليست مقصودة فإن الغرض بالتجرد للجهاد إعلاء كلمة الله وحيطة الملة؛ إذ لا يليق بمحاسن الشريعة أن تجعل بذل المهج والتغريب بالأرواح إلى تحصيل المغانم ذريعة، فإذا لا تقوم المملكة بتوقع الاغتنام ولا بد للإمام من الاعتصام بأوثق عصام على ممر الأيام. الجويني: غياث الأمم، ج١ ص ٢٠٧.

يكن هو الدافع الأصلي للسلطان، بدليل رفضه للمال الكثير الذي عرضه عليه الهنود ليترك لهم الصنم سومنات، وكان بإمكانه أن يقبل"^(١).

ولا شك أن تلك المقالة المشهورة والتي سبق ذكرها تقع أكبر دليل على أنه أخذ على نفسه عهداً على حرب الوثنية والدعوة إلى الله.

وكما مرَّ فقد رأينا موقفه من القحط الذي حل بخراسان، وكيف ألمه هذا كثيراً فأخذ يبذل كل ما في وسعه للتخفيف عن الناس وإخراجهم من الأزمة، ولم يهدأ له بال حتى رُزق الناس بالغيث من عند الله وعادت الحياة إلى طبيعتها.

أقول: من كانت هذه صفاته من البذل والعطاء في أوجه الخير المختلفة، وفي الجهاد في سبيل الله، ومن ثبت عنه إثارة الذكر الجميل عند الله تعالى على كنوز الدنيا وثرواتها لا يمكن أن يكون همه الأول وغايته الكبرى من فتوحاته في بلاد الهند النهب والسلب والاستيلاء على معابدهم الشهيرة، فهذه دعوة مردودة تخالفها سيرة وحياة هذا القائد العظيم.

ومن الشبه أيضاً ما أورده بعض الباحثين المعاصرين من أن السلطان محموداً كان يأخذ الأموال بأي وجه من الوجوه، وإذا علم بأن هناك رجلاً صاحب مال كان يُرسل إليه ويتهمه في عقيدته بغية مصادرة ماله وأخذه بغير

(١) د/ طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة، ص ١٤٨ بتصرف يسير. "ولا شك أن المقصود الأول للجهاد هو إعلاء كلمة الله، والغنائم لم تبح لمن كان قبلنا، وإنما أبيحت لنا معونة على مصلحة الدين وأهله..." عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي: الاستخراج لأحكام الخراج، ج ١ ص ٣٨، بتصرف يسير.

أقول وهذه أيضًا شبهة باطلة، يُنكرها كل من له أدنى دراية بتاريخ الدولة الغزنوية وسلطانها العادل، كيف تكون هذه حالة السلطان محمود وقد أجمعت الكثير من المصادر والمراجع التاريخية وغيرها على أن من أخص صفات هذا القائد العدل والرحمة بالآخرين؛ ومن أعظم الأدلة على ذلك - موقفه السابق ذكره - من ابن أخته الذي تعدى على حرمة أحد المواطنين، وكذا موقفه من القاضي الذي احتال على مال أحد التجار الفقراء فقد رأينا أن السلطان بذل كل ما في وسعه لرد المال إلى صاحبه، وليس هذا فقط بل فرض للرجل مالاً معيناً كل يوم يعيش منه حتى رد إليه ماله، وكذا أيضًا موقفه من المرأة التي غضب للصوص مالها؛ حيث لم يهدأ بال السلطان حتى رد المال إلى المرأة وطيب خاطرها.

وكما سبق فقد كان رَحِمَهُ اللهُ ينفق كثيرًا من المال للتخفيف من مآسي الناس، وعلاوة على ذلك يقوم يوميًا بتوزيع الصدقات بين الفقراء ويحدد قدرًا كبيرًا من المال للإنفاق على العلماء وعلى العاجزين من الناس في أرجاء إمبراطوريته.

وهو الذي قال فيه نظام الملك رحمه الله: "لقد كان السلطان محمود عادلاً يخاف الله وكان محبًا للعلم شهيمًا يقظًا قوي الرأي نقي الديانة وغازيًا"؛ أقول من كانت هذه صفاته، ومن كان هذا حاله مع رعيته أيعقل أن يكون على الصورة السابقة من الجشع وأخذ أموال الناس عنوة، وإكالة الاتهامات لهم ذريعة

(١) أ. د/ سعد بن حذيفة الغامدي: إيرادات بيت مال محمود الغزنوي وأوجه صرفها، ص ١٦،

الاستيلاء على أموالهم!!

ومن الشبه المفتراة أيضاً على الدولة وسلطانها: "أنَّ السلطان محموداً بلغ من حبه للمال وحرصه عليه أنَّه كان لا يُنْفِق على جنده شيئاً يذكر، وأنَّ مكاسب الجند كانت مما يغنمه كل واحد من اجتياح ريف أو نهب مدينة، وسلب مواطني كل مكان يمرون عليه أيّاً كانوا، لذا فقد كان جند محمود يسترزقون بسيوفهم، بما ينهبونه من الناس.

ولم يكن ولاء الجند للسلطان محمود منوط بحبهم له أو تقديرهم إياه، أو لمرتب يأخذونه منه بقدر ما كانوا يفكرون كم سينهبون أو يسلبون بسيوفهم" (١).

وكذا من الشبه ما ذكره بعض المؤرخين المعاصرين من أن أغلب الأبنية التي قد شيدها السلطان محمود كانت عن طريق السخرة أو بأقل القليل من المال الذي كان يدفعه أجور للعمال، أما أمور الصيانة فكانت تفرض على المواطنين في كل مدينة ومن كدية سكانها (٢).

أقول وهذه الشبه أيضاً يجب ألا نأخذها على علاتها لما سبق ذكره من أخلاق السلطان محمود وسياسته مع رعيته، خاصة وقد جاءت كتب التاريخ بما يشبه هذه الشبهة غير أن السلطان سرعان ما رجع عن رأيه وأعفي المواطنين، فيذكر محمد ناظم في كتابه (السلطان محمود الغزنوي): "أن السلطان محموداً

(١) أ.د/ سعد بن حذيفة الغامدي: المرجع السابق، ص ٢١، ٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٣.

أمر ببناء حديقة فخمة في مدينة بلخ، ثم ألزم أهالي المدينة بتحمل أعباء صيانتها، فضجت الناس بالشكوى من أعباء هذه الصيانة، فلما علم بذلك السلطان محمود غضب في بداية الأمر، غير أنه أصدر أوامره بإعفاء سكان المدينة من هذه النفقات الإجبارية^(١).

ومهما يكن من شيء فإنّ الذي لا شك فيه أنّ السلطان محمود الغزنوي قد حفر في سجل التاريخ مآثر عظيمة وانتصارات خالدة بقيت مؤثراتها وفعاليتها قرونًا طويلة دون أن تتأثر بمتغيرات الأحداث التاريخية المتباينة، وطبع الهند بطباع عقائدية وثقافية وسياسية جديدة، بقيت الهند - ولا زالت - أسيرة لها، رغم كل المحاولات التي بذلتها الهند في تاريخها الحديث والمعاصر للتأثير على تلك المرحلة التاريخية الهامة.



(١) محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، ص ٢١٦.

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين، الذي بفضلله تتم الصالحات، وبرحمته تغفر الزلات، وترفع الدرجات وتتضاعف الحسنات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد حاولتُ في الصفحات السابقة أن أقدم صورة -أقرب إلى الكمال- عن الجهود المباركة للدولة الغزنوية في عصر السلطان محمود -الدعوية منها والحضارية-؛ وبالرغم من قصر تلك الفترة إلا أن البحث أثبت أنها فترة مميزة في تاريخ الدولة الغزنوية، ولها سماتها الخاصة التي تميزها عن بقية الفترات التي عاشتها الدولة، والتي تحمل أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي.

وكان من أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث هي:

١. أن الدعوة إلى الله ﷻ من أعظم ما تملكه هذه الأمة من رأس مال معنوي ومنهجي، ومن خلالها نُقدّم العلاج للمشكلات التي يُعاني منها العالم؛ شرقه وغربه.

٢. أن أسمى غايات الدعوة هو البناء والإصلاح ودلُّ الناس على طريق الخير والعمل به، وتحسين العلاقات بين العبد وربّه، وبين الناس أنفسهم، على أساس من الشريعة السمحة الغراء، شريعة الإسلام العظيم.

٣. أنَّ أوجب الواجبات الدعوة إلى التوحيد، وترسيخ العقيدة الصحيحة، ومحاربة العقائد الباطلة، كما أنَّه لا يجوز التنازل عن شيء من هذا الواجب، وكذلك بقية فرائض الإسلام على ترتيب أهميتها.

٤. أنَّ لكل نوعية من نوعيات الناس طريقة دعوية تناسبه، ظهر ذلك جلياً في تنوع طرق الدعوة للدولة الغزنوية داخل وخارج حدودها.

٥. أنَّه لا ينبغي رفض الوسائل والأساليب الحديثة والمبتكرة كلياً؛ بل يجب استغلالها في الدعوة إلى الله بعد ضبطها بضوابط الشريعة، وتقدير المصالح والمفاسد المترتبة عليها؛ فالإسلام - كان ولا يزال - يدعو إلى التطور والتقدم والرقي والابتكار مع لزوم تقوى الله تعالى.

٦. أنَّ بعض الطباع الفطرية والخلقية تدفع الناس إلى الاستجابة للدعوة إذا أحسنَّا استغلالها وتوجيهها.

٧. أنَّ تسمك الدولة بالأخلاق الحسنة من اللين والتسامح والعدل في تعاملها مع رعاياها كان من أهم وأنجع أساليب الدعوة على الإطلاق، وكان لها الدور الأكبر والأهم في دخول عدد كبير من الهنود في دين الله أفواجاً عن رغبة واقتناع.

٨. أنَّ الجهاد في سبيل الله من أقوى العوامل التي تُمهّد الطريق للدعوة إلى الله؛ فهو يدفع الأخطار عن أصحابها، ويُكثِّرُ أتباعها، ويُعزِّزُ أهلها.

٩. أنَّ الأمة الإسلامية حين تركز إلى الحياة، وتخلد إلى الأرض، وتزهّد في الجهاد، يُصيبها ما يُصيب الأمم من الخوف والجوع، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وضياع الديار، والهوان على الناس.

١٠. أنَّ الجهاد في الإسلام ليس غاية؛ وإنما هو وسيلة، وأول درجاته الدعوة إلى الحق والتي هي أحسن والمجادلة بالحسنى، وآخر درجاته القتال بالسيف.

١١. أنَّ السلطان محمودًا لم يكن يهدف إلاَّ إلى تبليغ الدعوة للناس، ليس طمعًا في ملكٍ أو إمارة أو سيادة شعب على شعب آخر؛ وإنما كان قصده من الدعوة هو توحيد الله والحكم بالعدل بين الناس، وهما غايتان من أشرف الغايات وأنبئ المقاصد والنيات.

١٢. أنَّ نشر الإسلام والدعوة إلى الله ليست بالغزو وفتح البلاد فحسب - وإن كان هذا أمرًا-؛ بل باصطحاب العلماء العالمين العاملين ليعلموا الناس ويُصَحِّحُوا العقائد.

١٣. أنَّ استقرار الجبهة الداخلية يُعَدُّ أحد العوامل المهمة في تحديد قوة الطرف الإسلامي في تفاعله مع الأطراف الأخرى الغير إسلامية.

١٤. أنَّ المناصب في الإسلام ليست حِكْرًا على أحد، أو طائفة دون أخرى، وإنما هي لأهل الخبرة والكفاءة، وعلى أي أمةٍ إذا أرادت أن تنهض بشعوبها أن تعمل جاهدةً على تحقيق هذا الأمر.

١٥. أنه كما يجب على الدولة حماية بلادها من الاحتلال العسكري، كذلك يجب أن تقوم بحمايتها من الغزو الفكري والثقافي؛ فإنَّ خطر ذلك لا يقل عن خطر الاحتلال العسكري، وهذا ما حققته الدولة الغزنوية.

١٦. أنَّ الخِلال العظيمة التي كان يتمتع بها السلطان محمودٌ والتي مكنته من الوصول إلى المراتب العليا كانت بفضل تربيته السليمة؛ بدايةً من الكتابيب

ونهايةً بتدريبه على أسلوب الحكم النَّاجع.

١٧. أنَّ السلطان محمودًا يُعتبر من النَّماذج الإسلامية الفريدة، التي تدل على أنَّ الأتراك الذين أسلموا اهتموا بفضل الإسلام إلى إدراك أهمية الحضارة في بناء مجتمع سليم.

١٨. أنَّ أي أمة من الأمم لا تستطيع أن تنهض حضاريًا وفكريًا إلا إذا نجحت في النهوض بعقول أبنائها علميًا وثقافيًا.

١٩. أنَّ العلماء هم صمام أمان هذه الأمة، ولن تُفلح أي دولة إلا إذا قربتهم واستعانت بهم وأخذت بمشورتهم، وهذا ما أدركته جيداً الدولة الغزنوية بقيادة سلطانها العظيم.

٢٠. أنَّ إقامة العدل وأداء الحقوق لأصحابها من أسباب بقاء الدول وتفوقها وغلبتها؛ وبهذا تمكن السلطان محمود من إقامة دولة صلبة البنيان، قوية الأركان، لا تزال آثارها باقيةً إلى اليوم.

٢١. أنَّ الحاكم حينما يكون قدوة حسنة لمحكوميه، يستطيع أن يحقق ما لا يحققه غيره بقوة السلاح، وسفك الدماء، وبهذا استطاع السلطان محمود كسب وُدَّ رعيته وتفانيهم في خدمته.

٢٢. أنَّ الدولة الغزنوية تسببت في أكبر عملية فتح إسلامي للهند في تاريخها الوسيط والحديث، وتحويلها فيما بعد إلى ولاية من ولايات المسلمين، تخضع لتأثيرهم الفكري والعقائدي والثقافي والاجتماعي.

٢٣. أنَّ هذه الجهود العظيمة للدولة الغزنوية كانت بمثابة دافع قوي للدول

الإسلامية التي أعقبتها لمتابعة الفتوحات على أرض الهند، وإرساء قواعد دولهم على أنقاضها؛ بل كانت هذه الجهود سبباً في أن تتخذ هذه الدول من أرض الهند مقاماً دائماً لها.

٢٤. أن ما قام به السلطان محمود على أرض الهند جعل الهنود يتأثرون في حياتهم الاجتماعية بالترك؛ وتخلص المنبوذون منهم من القيود الطبقية، وأسهموا في مختلف جوانب الحياة بحرية دون قيود.

٢٥. أن الحياة العامة للدولة الغزنوية - في فترة حكم السلطان محمود - برهنت على أنه كان - بلا شك - قائداً محنكاً، وحاكماً عظيماً؛ فسجل التاريخ اسمه بحروف من ذهب بين عظماء التاريخ الإسلامي.

٢٦. أن انتعاش الحياة العلمية في الدولة الغزنوية كان نتيجة حماية السلطان محمود للعلوم والمعارف - وخاصة الدينية منها - من مزاحمة المذاهب الأخرى الهدامة والمنحرفة.

٢٧. أن من أعظم ما يحمده للدولة الغزنوية اهتمامها الشديد باللغة العربية - لغة القرآن الكريم -؛ حتى نظر إليها علماء الفرس أنفسهم على أنها لغة العلم والثقافة في هذا العصر؛ الأمر الذي يجب على الدول العربية والإسلامية أخذه في الاعتبار، ومحاولة تفعيله بين الأمم الأخرى.

وهكذا حفرت الدولة الغزنوية بقيادة السلطان محمود في سجل التاريخ مآثر عظيمة، وانتصارات خالدة، بقيت مؤثراتها وفعاليتها قروناً طويلة دون أن تتأثر بمتغيرات الأحداث التاريخية المتباينة، وطبع الهند بطباع عقائدية وثقافية وسياسية جديدة بقيت الهند - ولا زالت - أسيرة لها؛ رغم كل المحاولات التي

بذلتها الهند في تاريخها الحديث والمعاصر للتأثير على تلك المرحلة التاريخية الهامة.

■ أهم التوصيات والاقتراحات:

١. يجب على المسلمين في كل عصورهم وأزمانهم ألا ينقطعوا عن تبليغ ما أنزل الله على رسوله ﷺ إلى كل من لم يبلغه، وأن يكون أول شئوهم الخارجية تنظيم الدعوة إلى الإسلام، وإعدادها وبتها بين الأمم التي تدين بالإسلام في مختلف البلدان، مع مدهم بجميع الوسائل التي تمكنهم من القيام بواجبهم.

٢. ينبغي على كل أسرة - بداية من البيت ونهاية بالجامعة- أن تبذل جهدها في القيام بدورها؛ لتخريج أجيالاً محصنةً تبني ولا تهدم، تفهم ولا تجهل، تعمل ولا تمل؛ فيسعد بهم المجتمع، وترتقي بهم الأمة نحو مجد تليد.

٣. على الدول الإسلامية أن تهتم أكثر بالمؤسسات العلمية والتعليمية؛ لتنهض بالدور المرجو منها، كما يجب أن تتولى أمر المؤسسات الصغيرة والمهمشة، وخصوصاً الكتاتيب؛ لما لها من دور عريق وفعال في تربية النشء تربيةً إسلاميةً سليمةً.

٤. ينبغي دراسة الشخصيات الإسلامية -القيادية والبارزة- في كل قرن من القرون، وذلك يُعدُّ من واجبات العمل الدعوي للأمة الإسلامية في المرحلة الراهنة، وخصوصاً تلكم الشخصيات التي لم تأخذ حقها من عناية الباحثين، واهتمام الدارسين، وتحقيق المحققين.

٥. علي جميع القائمين على أمر البحث العلمي في البلاد الإسلامية أن يُولوا الأبحاث العلمية مزيداً من العناية والاهتمام: تدعيمًا لها، وعملاً على

إخراجها من أروقة المكتبات الخاصة إلى ساحة المجتمعات العامة؛ ليكون نفعها أعم، وخيرها أتم.

٦. كما أوصي أن تُراعِيَ الشعوب الحرة الدِّقة -قدر المستطاع- في اختيار حكامها؛ حتى لا تأتي بحكام يُفسدون أكثر مما يُصلحون، يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيُحولون عقولهم نحو ما يعتقدون، فالناس على دين ملوكهم.

٧. أوصي جميع القائمين على أجهزة الدعوة والتوجيه والإرشاد في البلاد الإسلامية بأن يبذلوا المزيد من الجهد المرتكز على التخطيط الدقيق؛ لبيان أخطار الجريمة وعواقبها الوخيمة، وبيان المنهج المتميز الذي أرسته الدعوة الإسلامية لحماية المجتمع من التعدي على الحرمات، وتكثيف الدعوة إلى تطبيق شرع الله ﷻ.

٨. وأخيراً أوصي كل مسلم أن يتحلى بالسمات الإنسانية النبيلة التي تظلل حياته مع مَنْ حوله مِنْ بني الإنسان بالحب والوفاء والخير والسلام.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصل اللهم وسلم على سيدنا ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



ثبت المصادر والمراجع

■ أولاً: المصادر العربية:

* القرآن الكريم.

* الأتابكي: يوسف بن تغري بردي الأتابكي:

١. مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

* ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

٢. الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

* الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري:

٣. تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠١م.

* الإسفراييني: طاهر بن محمد أبو المظفر الإسفراييني:

٤. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية، عالم الكتب، تحقيق: كمال يوسف الحوت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

*الأسنوي: جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي (ت ٧٧٢هـ / ١٣٧٠م):

٥. طبقات الشافعية، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة الإرشاد، الجمهورية العراقية، رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، بغداد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

*الأصبهاني: أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني:

٦. معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

*الإصطخري: أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (المعروف بالكرخي) (ت ٣٠٩هـ / ٩٢١م):

٧. المسالك والممالك، تحقيق: د/ محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سنة ٢٠٠٤م.

*الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني:

٨. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، دار القلم، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

*البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م):

٩. الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

*بدر الدين محمود بن أحمد العيني:

١٠. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

*ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م).

١١. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، تحقيق: د/ علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

*البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).

١٢. فتوح البلدان، تحقيق أيمن محمد عرفة، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

١٣. النقود العربية وعلم النميات، عني بنشره الأب أنستاس ماري الكرمللي البغدادي، القاهرة، سنة ١٩٣٩م.

*البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني:

١٤. الآثار الباقية عن القرون الحالية، ليبزج، ألمانيا، سنة ١٩٢٣م.

*البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي:

١٥. الزهد الكبير، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٩٦.

*التهانوي: محمد بن علي الفاروقي (كان حياً ١١٥٨هـ):

١٦. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م.

*ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، أبو العباس (ت ٧٢٨هـ / ١٣٧٢م).

١٧. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٩٢هـ.

١٨. توحيد الألوهية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

١٩. درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٠. الفتاوى الكبرى، تحقيق: قَدَّم له حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة، بيروت.

٢١. مقدمة في أصول التفسير، تحقيق: محمود محمد محمود نصار، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

*الثعالبي: أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م).

٢٢. التوفيق للتلفيق، تحقيق: إبراهيم صالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢٣. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

٢٤. فقه اللغة وسر العربية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٧م.

٢٥. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: د/ مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

*الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني (٨١٦هـ/ ١٤١٣م):

٢٦. التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.

*الجزري: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري:

٢٧. اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

*ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

٢٨. تلبيس إبليس، تحقيق: السيد العربي، دار الحرم للتراث، مكتبة الإيمان، المنصورة.

٢٩. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢١هـ/ ١٩٩٢م.

*الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي:

٣٠. غياث الأمم، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩ م.

*الجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م):

٣١. التاج، تحقيق: أحمد زكي، المطبعة الأميرية، القاهرة، سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.

٣٢. المحاسن والأضداد، المكتبة التجارية، القاهرة، سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م.

*ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

٣٣. الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

*ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي:

٣٤. فتح الباري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

*ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م).

٣٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.

* الحسيني: عبد الحي بن فخر الدين الحسيني (ت ١٣٤١هـ):

٣٦. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ "نُزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م.

* الحميري: محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م).

٣٧. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر الثقافية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٠م.

* ابن حوقل: أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٩٢م).

٣٨. صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، سنة ١٩٧٩م.

* حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م).

٣٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

* ابن خرداذبه: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه:

٤٠. المسالك والممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن المحروسة، سنة ١٨٨٩م.

* الخطيب البغدادي:

٤١. شرف أصحاب الحديث، تحقيق: د/ محمد سعيد خطيب أوغلي، جامعة أنقرة، دار إحياء السنة النبوية.

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر محمد بن الحسن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م).

٤٢. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تقديم: ا.د/ عبادة كحيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٧م.

٤٣. مقدمة بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

* ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

٤٤. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٨م.

* الخوارزمي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م أو ٣٨٧هـ / ٩٩٧م):

٤٥. مفاتيح العلوم، تحقيق: فان فلوتن، تقديم: محمد حسن عبد العزيز، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سنة ٢٠٠٤م.

* ابن خياط: خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر:

٤٦. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٧هـ.

* الدمشقي: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد

الزرعي الدمشقي:

٤٧. الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعظلة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٨ / ١٩٩٨.

*الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).

٤٨. الإعلام بوفيات الأعلام (أو درة التاريخ)، تحقيق: مصطفى بن علي عوق، وربع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٤٩. تذكرة الحفاظ، بعناية: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار إحياء التراث العربي، تحت إعاونة وزارة معارف الحومة العالية الهندية، مكتبة الحرم المكي، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٧٤م.

٥٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٥١. دول الإسلام، عني بطبعه ونشره: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، تحقيق: فهميم محمد شلتوت، ومصطفى إبراهيم، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٥٢. سير أعلام النبلاء، قدّم له: د/ سيد حسين العفاني، حققه وخرّج أحاديثه: خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٥٣. العبر في خبر من غير، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني
زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ/
١٩٨٥م.

*الربيعي: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربيعي:

٥٤. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: د. عبد الله أحمد سليمان
الحمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.

*أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي:

٥٥. الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، تحقيق: د. محمد كمال
الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ.

*ابن رجب الحنبلي: أبو الفرج زين الدين عبدالرحمن الحنبلي
(ت ٧٩٥هـ):

٥٦. الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة
الأولى، سنة ١٤٠٥هـ.

٥٧. شرح علل الترمذي، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

*أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني:

٥٨. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة، تحقيق: علي
صفا، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

*الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني الزبيري:

٥٩. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين،
دار الهداية.

*السَّخاوي: الإمام شمس الدين السخاوي:

٦٠. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

*السمعاني: أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).

٦١. الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبدالقادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

*السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:

٦٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٦٣. تاريخ الخلفاء، تحقيق: ياسر رمضان، محمد سيف، دار الهيثم، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٦٤. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ.

*أبو شجاع: محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم الوزير ظهير الدين أبو شجاع (ت ٤٨٨هـ/ ١١٩٥م):

٦٥. ذيل كتاب تجارب الأمم، طبعة "amedroz".

*الشهرستاني: أبو عبدالله محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م).

٦٦. الملل والنحل، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، أ. محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٦٧. نهاية الإقدام في علم الكلام، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- *الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م).
٦٨. الشعور بالعمور، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨هـ.
٦٩. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- *ابن الصلاح: الإمام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م).
٧٠. طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- *الصيرفيني: تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفيني:
٧١. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، سنة ١٤١٤هـ.
- *الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩١٣م).
٧٢. تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت.
- * الطوسي: نظام الملك حسين الطوسي:
٧٣. سياست نامه أو سير الملوك، تحقيق: يوسف حسين بكار، دار الثقافة، قطر، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٧هـ.

*العتبي: أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت ٤٣١هـ / ١٠٣٩م):

٧٤. تاريخ اليميني، وبه شرح الشيخ أحمد بن علي الحنفي الميمني المتوفى سنة ١١٧٢هـ، وسماه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي، القاهرة، سنة ١٢٨٦هـ.

*العراقي: زين الدين عبدالرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦هـ):

٧٥. التقيد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر العربي، القاهرة.

*العقيلي: سيف الدين حاجي بن نظام عقيلي:

٧٦. آثار الوزراء، تصحيح مير الدين حسين أرموي محدث، طهران، سنة ١٣٣٧هـ.

*العكري: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي:

٧٧. شذرات الذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ.

*أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي:

٧٨. المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

*العمري: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (٧٤٩هـ):

٧٩. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثاني عشر، تحقيق: إبراهيم صالح، أبو ظبي، المجمع الثقافي، سنة ٢٠٠٢م.

- * ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن العماد الحنبلي أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ):
٨٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- * ابن فضلان: أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد (ت ٣٣٠هـ):
٨١. رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة الي بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠٠٦م.
- * الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ابن محمد الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م).
٨٢. القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- * الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م).
٨٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٩٠م.
- * قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ):
٨٤. الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، المكتبة الوطنية، بغداد، سنة ١٩٨١م.
- * القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م).
٨٥. الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

*القزويني: زكريا محمد بن محمود القزويني (ت ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م).

٨٦. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة محمود توفيق، القاهرة، بدون تاريخ.

*القزويني: عبد الكريم بن محمد الرافي القزويني:

٨٧. التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

*القلعي(م):

٨٨. تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء، الطبعة الأولى.

*القلقشندي: أبي العباس أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م).

٨٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.

٩٠. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨٥م.

٩١. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الشركة العربية للطباعة والنشر، سنة ١٩٥٩م.

*القنوجي: صديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م)

٩٢. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق: عبدالجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

٩٣. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، تحقيق: د/ عاصم بن عبدالله القريوتي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٤ م.

* ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة:

٩٤. طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧ هـ.

* القيسي الدمشقي: ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن

محمد:

٩٥. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣ م.

* الكتبي: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي:

٩٦. فوات الوفيات، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠ م.

* المراكشي: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محيي الدين (٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م).

٩٧. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٨ هـ.

* المسعودي: أبا الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ/

٩٥٧م).

٩٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- *الإمام مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م).
٩٩. صحيح مسلم، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- *ابن مفلح المقدسي: محمد بن مفلح المقدسي أبو عبد الله:
١٠٠. الفروع وتصحيح الفروع، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ.
- *المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المؤرخ (ت ٨٥٤هـ / ١٤٤١م).
١٠١. جني الأزهار من الروض المعطار، تقديم وتحقيق وتعليق: د/ محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م.
١٠٢. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٠٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- *الإمام مالك: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي (ت ١٧٩هـ):
١٠٤. الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

- *الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ):
١٠٥. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: د/ أحمد المبارك
البغدادي، مكتبة دار بن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- *المكي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي:
١٠٦. سمط النجوم العوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي
محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- *أبو منصور: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور:
١٠٧. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت،
الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٧م.
- *ابن منظور: محمد بن مكرم الأفيقي المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
١٠٨. لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي،
بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- *المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله البشاري (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م):
١٠٩. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة
الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سنة ١٩٨٠م.
- *المطهر المقدسي: مطهر بن طاهر المقدسي (ت بعد ٣٥٥هـ/ بعد
٩٦٦م).
١١٠. البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

*المنائي: محمد عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ / ١٦٢١م):

١١١. التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ودار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ.

*النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م).

١١٢. المعجبي من السنن أو (سنن النسائي)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

*ناصر خسرو:

١١٣. سفر نامه، تحقيق: د/ يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨٣م.

*هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم:

١١٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، سنة ١٤٠٢هـ.

*اليقوبي: أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).

١١٥. تاريخ اليقوبي، دار صادر، بيروت.

*اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي:

١١٦. مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

*ياقوت: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله:

١١٧. معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.

▣ ثانيًا: المصادر المترجمة:

* البيهقي: أبو الفضل محمد بن حسين (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م):

١١٨. تاريخ مسعودي المعروف بـ "تاريخ البيهقي"، ترجمة د/ يحيى الخشاب، ا/ صادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

* خواندمير: غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م):

١١٩. دستور الوزراء، ترجمة وتعليق: حمدي حربي أمين سليمان، تقديم: فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.

* الراوندي: محمد بن علي بن سليمان الراوندي (ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م):

١٢٠. راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: د. إبراهيم أمين الشواربي، د. عبد النعيم محمد حسانين، د. فؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة، سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

* السمرقندي: نظامي العروضي (ت ٥٥٠هـ / ١١٦٨م):

١٢١. جهاز مقال، المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب، ترجمة إلى الإنجليزية إدوار بروان، ونقله إلى العربية: عبد الوهاب عزام، يحيى الخشاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م.

* الكرديزي: أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمد الكرديزي
(ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م):

١٢٢. زين الأخبار، ترجمة: د/ عفاف زيدان، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

* المتولي الشافعي: أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد:

١٢٣. الغنية في أصول الدين، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة
الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

* محمد عوفي:

١٢٤. لباب الألباب، تصحيحات وحواشي وتعليقات: كامل بكوشش،
سعيد نفيسي، طهران، استنفدة، سنة ١٣٣٣هـ.

▣ ثالثاً: المراجع العربية:

* آدم عبد الله الألوري:

١٢٥. تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة
الثالثة، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

* إبراهيم أحمد العدوي:

١٢٦. التاريخ الإسلامي أفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، القاهرة، سنة
١٩٧٦م.

* أحمد أمين:

١٢٧. ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، سنة
٢٠٠٢م.

١٢٨. ظهر الإسلام، القاهرة، سنة ١٩٥٢.

١٢٩. فجر الإسلام، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، سنة ١٩٨٧ م.

* أحمد تيمور:

١٣٠. نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة، لجنة نشر

المؤلفات التيمورية، القاهرة، سنة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥ م.

* أحمد زكي صفوت:

١٣١. جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت.

* أحمد زمامي:

١٣٢. بحوث حول النظام العسكري في الإسلام، الدار الإسلامية بيروت،

الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.

* د/ أحمد شلبي:

١٣٣. التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، جوانب التاريخ والنظم

والفلسفة، ضمن موسوعة الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية،

القاهرة، الطبعة الثامنة، سنة ١٩٨٧ م.

* أحمد عبدالرازق أحمد:

١٣٤. الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، "العلوم العقلية"، دار الفكر

العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م.

* أحمد عادل كمال:

١٣٥. سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، دار النفائس، بيروت، الطبعة

الثالثة، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م.

*د/ أحمد غلوش:

١٣٦. الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، دار الكتاب اللبناني، بيروت،
سنة ١٩٨٧م.

*د/ أحمد فريد:

١٣٧. نظم الدرر في مصطلح علم الأثر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة
الأولى، سنة، ١٤١٥هـ.

*د/ أحمد محمد الجورانه:

١٣٨. الهند في ظل السيادة الإسلامية "دراسات تاريخية"، جامعة اليرموك،
مؤسسة حمادة للنشر والتوزيع.

*أحمد محمود الساداتي:

١٣٩. تاريخ المسلمين في شبه القرة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب،
القاهرة.

*أحمد محمود صبحي:

١٤٠. في فلسفة الحضارة، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية.

*إسعاد عبد الهادي قنديل:

١٤١. فنون الشعر الفارسي، الطبعة الثانية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، سنة
١٩٧٩م.

*أمين واصف بك:

١٤٢. الفهرست، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق:
أحمد زكي باشا، طبعة بولاق، القاهرة، سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.

*بدر عبد الرحمن محمد:

١٤٣. رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧.

*بكر أبو زيد:

١٤٤. طبقات النسابين، دار الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

*باقر شريف القرشي:

١٤٥. النظام السياسي في الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

*حسن إبراهيم حسن:

١٤٦. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي "الدولة العربية في الشرق ومصر والمغرب والأندلس" (١-١٣٢هـ / ٦٢٢-٧٤٩م)، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة، القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

*د/ حسن أحمد محمود:

١٤٧. الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٢م.

*د/ حسن الباشا:

١٤٨. مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، مركز جامعة القاهرة للطباعة والنشر، سنة ١٩٩٨م.

*حسن محمد جوهر، عبد الحميد بيومي:

١٤٩. أفغانستان، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦١ م.

*د/ حسن يونس حسن عبيدو:

١٥٠. دراسات ومباحث في تاريخ التفسير ومناهج المفسرين، مركز

الكتاب للنشر، القاهرة، سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م.

*د/ حسين عطوان:

١٥١. الشعر في خراسان "من الفتح إلى نهاية العصر الأموي"، الجامعة

الأردنية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م.

*د/ حسين مؤنس:

١٥٢. أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الطبعة

الأولى، سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

١٥٣. عالم الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، سنة ١٩٧٣ م.

*حسين مجيب المصري:

١٥٤. صلات بين العرب والفرس والترك (دراسة تاريخية وأدبية)، القاهرة،

سنة ١٩٩٦ م.

١٥٥. من أدب الفرس والترك، دار الثقافة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،

سنة ١٩٩٩ م.

*د/ حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار:

١٥٦. أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة

الثالثة، سنة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.

*دحلان: أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م):

١٥٧. الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، دار صادر، بيروت، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

*دورد فنديك:

١٥٨. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، دار صادر، بيروت، سنة ١٨٩٦م.

*د/ رءوف شلبي:

١٥٩. الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها، مطبعة الفجر الجديد، القاهرة.

*الزركلي: خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م):

١٦٠. قاموس تراجم الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٤، سنة ١٩٩٩م.

*زكي محمد حسن:

١٦١. الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، سنة ١٩٤٠م.

*د/ أبو زيد شلبي:

١٦٢. تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثامنة، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٦٣. الخلفاء الراشدون، مكتبة وهبة القاهرة، سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

*د/ السيد محمد مرعي:

١٦٤. تكنولوجيا الدعوة الإسلامية، جامعة الأزهر، مركز الإعلام العربي،
الطبعة الأولى.

*السيد محمود أبو الفيض:

١٦٥. الدين المقارن، نهضة مصر؛ القاهرة، سنة ١٩٩٠ م.

*سالم سليمان العيس:

١٦٦. المعجم المختصر للوقائع " التاريخية، العسكرية، الإجتماعية،
الدينية " من بدء الهجرة حتى عام ١٩٥٠ م، دار النمير، سوريا، الطبعة الأولى،
سنة ١٩٩٨ م.

*سامي عبد الله أحمد المغلوث:

١٦٧. أطلس الأديان، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، سنة
١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

*شريف يحيى الأمين:

١٦٨. معجم الفرق الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦ هـ/
١٩٨٦ م.

*د/ شيرين عبد المنعم حسنين:

١٦٩. مسلمو تركستان والغزو الروسي من خلال التاريخ والأدب، دار
التعاون للطبع والنشر، سنة ١٩٨٥ م.

*د/ شوقي أبو خليل:

١٧٠. أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية.

١٧١. أطلس دول العالم الإسلامي (جغرافي، تاريخي، اقتصادي)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٧٢. أطلس الحديث النبوي من الكتب الصحاح الستة (أماكن، أقوام)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٧٣. أطلس القرآن الكريم (أماكن، أقوام، أعلام)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٣م.

١٧٤. الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

*د/ شاكر خصباك:

١٧٥. الجغرافيا عند العرب، دار المعارف، تونس.

*د/ صبحي عبده سعيد:

١٧٦. الحاكم وأصول الحكم في النظام الإسلامي "السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري"، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٨٥م.

*د/ طه ندا:

١٧٧. فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة، الإسكندرية، سنة ١٩٩٣م.

*د/ عبد الخالق إبراهيم إسماعيل:

١٧٨. الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينها، مؤسسة النجوم الهاشمية الزقازيق، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

*عبد الله الأمين:

١٧٩. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، دار الحديث، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

*د/ عبد الله الشاذلي:

١٨٠. الدعوة والإنسان، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.

*عبد العزيز الدوري:

١٨١. تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

*د/ عبد الغفار عزيز:

١٨٢. الدعوة الإسلامية بين التنظيم الحكومي والتشريع الديني "عصر الخلفاء الراشدين"، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

*عبد الغني عبد الخالق:

١٨٣. حجية السنة، بيروت، شتوتجارت، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

*د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف:

١٨٤. العالم الاسلامي في العصر الأموي "دراسة سياسية"، مكتبة المتنبي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

*د/ عبد المنعم ماجد:

١٨٥. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة، ١٩٦٣ م.

*عبد الوهاب عزام:

١٨٦. الشاهنامه، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة ١٩٣٢ م.

*د/ عدنان رضا النحوي:

١٨٧. ملحمة الإسلام في الهند، طبعة دار النحوي، بدون تاريخ.

*د/ عصام الدين عبدالرؤوف الفقي:

١٨٨. تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٨٩. الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة.

*الشيخ/ علي محفوظ:

١٩٠. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م.

*د/ علي محمد الصلابي:

١٩١. دولة السلاجقة، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

*د. علي مسعود الشابي:

١٩٢. الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، تونس، سنة ١٩٦٥ م.

*عمر رضا كحالة:

١٩٣. معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دمشق، سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

١٩٤. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت.

*د/ عمر سليمان الأشقر:

١٩٥. تاريخ الفقه الإسلامي، دار النفائس، عمان، مكتبة الفلاح، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

*د/ عمر بن قينة:

١٩٦. الرؤية الفكرية في الحاكم والرعية لدى (ابن المقفع، وابن العنابي، والكواكبي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠م.

*علي بن نايف الشحود:

١٩٧. الخُلاصةُ في فِقهِ الدَّعوة، بهانج، دار المعمور، ماليزيا، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

*فؤاد صالح السيد:

١٩٨. معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.

*د/ فؤاد عبد المعطي الصياد:

١٩٩. النوروز وأثره في الأدب العربي، بيروت، سنة ١٩٧٢م.

*د/ فتحي أبو سيف:

٢٠٠. خراسان تاريخها السياسي والحضاري من سقوط الحكم الطاهري إلى بداية الحكم الغزنوي، سنة ١٩٩٤/١٩٩٥ م.

٢٠١. المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٦ م.

*فاروق حامد بدر:

٢٠٢. تاريخ أفغانستان من قبيل الفتح الإسلامي حتى وقتنا الحاضر، مكتبة الآداب ومطبعته بالجمايز، المطبعة النموذجية، القاهرة.

*د/ مجاهد توفيق الجندي:

٢٠٣. التربية الإسلامية بالمؤسسات التعليمية في ديار الإسلام، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٠ م.

*أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشي:

٢٠٤. وسائل الدعوة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م.

*محمد أمان صافي:

٢٠٥. أفغانستان والأدب العربي عبر العصور، القاهرة، سنة ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

*د/ محمد جمال الدين سرور:

٢٠٦. تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق "من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري"، كلية الآداب، جامعة القاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

*محمد حسن عبد الكريم العمادي:

٢٠٧. خراسان في العصر الغزنوي، تقديم: د/ نعمان جبرا، جامعة اليرموك، الأردن.

*محمد الخضري بك:

٢٠٨. تاريخ التشريع الإسلامي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

*الشيخ محمد الخضري:

٢٠٩. الدولة العباسية، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٦م.

*د/ محمد رجب البيومي:

٢١٠. مع الأبطال، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

*محمد رشيد رضا:

٢١١. الخلافة، الزهراء للإعلام العربي، مصر، القاهرة.

*الشيخ/ محمد الراوي:

٢١٢. الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م.

*محمد أبو زهرة:

٢١٣. تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢١٤. الشافعي حياته وعصره، آراءه الفقهية، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

٢١٥. بلاد ما وراء النهر، دار قتيبة، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

*د/ محمد سلام مذكور:

٢١٦. المدخل للفقهاء الإسلاميين "تاريخه ومصادره ونظرياته العامة"، دار النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

*أ.د/ محمد عبد السميع جاد، د/ عبد الرحمن أبو عامر عبد السلام:

٢١٧. نظرات في تاريخ الدعوة الإسلامية بعد عصر النبوة، دار البيان، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

*محمد عبد الله عنان:

٢١٨. تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

*د/ محمد عجاج الخطيب:

٢١٩. لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢.

*د/ محمد علي عبد البار:

٢٢٠. المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

*محمد علي السائس:

٢٢١. نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره، مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

*الشيخ / محمد الغزالي:

٢٢٢. مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

*محمد فريد بك:

٢٢٣. تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، بيروت.

*د. محمد مرسي الخولي:

٢٢٤. أبو الفتح البستي، (حياته وشعره)، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٠م.

*محمد محمود الصياد:

٢٢٥. أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، إشراف مركز التبادل القيم الثقافية بالتعاون مع اليونسكو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.

*محمود شيت خطاب:

٢٢٦. أفغانستان قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه، دار قتيبة، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

*محمود شاكر:

٢٢٧. التاريخ الإسلامي المعاصر "إيران وأفغانستان"، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٢٢٨. التاريخ الإسلامي المعاصر، القارة الهندية (١٣٤٢-١٤١١هـ / ١٩٢٤-١٩٩١م) المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٢٢٩. التاريخ الإسلامي "مفاهيم حول الحكم الإسلامي"، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

*د/ محمود الطحان:

٢٣٠. تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة التاسعة، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

*د/ محمود بن عبدالرازق:

٢٣١. مفهوم القدر والحرية عند أوائل الصوفية، توزيع مكتبة الإحسان، الجمالية، دقهلية، مصر، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

*د/ محمود أبو الفتوح السيد:

٢٣٢. طريق العبودية لله حياة روحية ومقامات أخلاقية، سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٢٣٣. المدارس الزهدية في صدر الإسلام، نشأتها وأهم روادها، جامعة الأزهر، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

*مصطفى الشكعة:

٢٣٤. إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، سنة ١٤٠٧هـ/
١٩٨٧م.

*د/ مصطفى محمد رمضان:

٢٣٥. تاريخ الحركات الانفصالية في العالم الإسلامي، كلية اللغة العربية،
جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٩٩م.

٢٣٦. العالم الإسلامي في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ)، كلية اللغة
العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٩٧م/١٩٩٨م.

*مصطفى محمد مصطفى:

٢٣٧. أصول وتاريخ الفرق الإسلامية، دار بلنسية، المملكة العربية
السعودية، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

*د/ نبيلة حسن محمد:

٢٣٨. في تاريخ الحضارة الإسلامية، جامعة الإسكندرية، دار المعرفة
الجامعية.

*نزار عبد القادر محمد ريان:

٢٣٩. أحاديث الشهادة والشهيد، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الدراسات
العلية، الجامعة الأردنية، إشراف د/ محمد عبد الله عويضة، سنة ١٤١١هـ/
١٩٩٠م.

* نفيس أحمد:

٢٤٠. جهود المسلمين في الجغرافيا، ترجمة: فتحي عثمان، دار القلم، القاهرة.

* ناجي معروف:

٢٤١. عروبة العلماء المنسويين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، بغداد، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

* د/ ناصر بن عبدالكريم العقل:

٢٤٢. مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة، القاهرة، سنة ١٤١٢هـ.

* نيقولا زيادة:

٢٤٣. الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة.

* أ.د/ هدى درويش:

٢٤٤. دور التصوف في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٤م.

* ودودة عبد الرحمن بدران:

٢٤٥. وضع الدول الإسلامية في النظام الدولي في أعقاب سقوط الخلافة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

*وزارة التربية والتعليم، المملكة العربية السعودية:

٢٤٦. تاريخ الأنبياء والسيرة النبوية وانتشار الإسلام، مقرر الصف الأول الثانوي، بنين، (١٤٢٨-١٤٢٩هـ / ٢٠٠٧-٢٠٠٨م).

*د/ أبو الوفا الغنيمي التفتازاني:

٢٤٧. مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة، الطبعة الثالثة، القاهرة.

*١. د/ وهبه الزحيلي:

٢٤٨. الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر الدمشقي، برامكة، الطبعة السادسة المعدلة، سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

*د/ يحيى شامي:

٢٤٩. موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٣م.

*يوسف توني:

٢٥٠. معجم المصطلحات الجغرافيا، دار الفكر العربي، القاهرة، سنة ١٩٦٤م.

*د/ يوسف القرضاوي:

٢٥١. الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة (٢٢)، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

*د/ ياسين محمد مراد:

٢٥٢. موضوعات في جغرافية العالم الإسلامي، سنة ١٩٩٨م.

▣ رابعاً: المراجع المترجمة:

* آدم متز:

٢٥٣. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو "عصر النهضة في الاسلام"، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريذة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٣ م.

* إدوارد فون زَمْبَاوَر:

٢٥٤. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: د/ زكي محمد حسن بك، د/ حسن أحمد محمود، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.

* إسعاد عبد الهادي قنديل:

٢٥٥. فنون الشعر الفارسي، الطبعة الثانية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، سنة ١٩٧٩ م.

٢٥٦. كشف المحجوب للهويجري، دراسة وترجمة: دكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة د. أمين عبد المجيد بدوي، القاهرة، سنة ١٩٣٤ م.

* د/ إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي:

٢٥٧. أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: د/ عبد الواحد لؤلؤة، مراجعة: د/ رياض نور الله، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨ م.

* بروان إدوارج:

٢٥٨. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ترجمة: د. إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة، سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

* بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار:

٢٥٩. تاريخ طبرستان، ترجمة: أحمد محمد نادي، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

* بارتولد: فاسيلي فلاديمير فتش بارتولد:

٢٦٠. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٦م.

* توماس أرنولد:

٢٦١. الدعوة إلى الإسلام "بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية"، ترجمة وتعليق: د/ حسن إبراهيم حسن، د/ عبد المجيد عابدين، د/ إسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٧٠م.

* جان سوفاجيه، كلودكاين:

٢٦٢. مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، ترجمة: د/ عبد الستار حلوجي، د/ عبد الوهاب حلوج، المجلس الأعلى للثقافة، سنة ١٩٩٨م.

* دي بور (ت ج):

٢٦٣. تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة، سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.

*د/ ذبيح الله صفا:

٢٦٤. تاريخ أدبيات در إيران، جاب چهارم، طهران، سنة ١٣٤٢ م.

*رضا زادة شفق:

٢٦٥. تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسي هندايوي، القاهرة، سنة

١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧ م.

*غوستاف لوبون:

٢٦٦. حضارة العرب، ترجمة: عادل زعير، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

مكتبة الأسرة، العدد ٢٠٠، سنة ٢٠٠٠ م.

*قسطنطين زريق:

٢٦٧. في معركة الحضارة، الطبعة الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين، سنة

١٩٨١ م.

*كرؤنيام:

٢٦٨. الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، ترجمة: صدقي حمدي،

مراجعة: صالح أحمد العلي، مكتبة دار المتنبى، بغداد، سنة ١٩٦٦ م.

*كارل بروكلمان:

٢٦٩. تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي،

بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٤٩ م.

*لجراهام بيلي:

٢٧٠. الآداب الإسلامية في القارة الهندية الباكستانية، ترجمة وتعليق:

حسين مجيب المصرى، مكتب الانجلو المصرية، سنة ١٩٨٨ م.

*محمد عبد الحي شعبان:

٢٧١. الثورة العباسية، ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي، أبو ظبي، سنة ١٩٧٧ م.

*محمد ناظم:

٢٧٢. السلطان محمود الغزنوي "حياته وعصره"، ترجمة: عبد الله سالم الزليطني، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٧.

*مايكل هارت:

٢٧٣. الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، تقديم: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، بدون تاريخ.

*ول وايرل ديورنت:

٢٧٤. قصة الحضارة، جامعة الدول العربية، سنة ١٩٥٧ م.

خامساً: الرسائل العلمية:

أولاً: رسائل الدكتوراه:

*د/ إبراهيم علي البهي علي:

٢٧٥. التطورات الحضارية في خراسان في العصر السلجوقي الثاني (٤٨٥-٥٩٠هـ/ ١٠٩٢-١١٩٣م)، رسالة دكتوراه، مقدمة لكلية الآداب، جامعة الزقازيق، فرع بنها، قسم التاريخ، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ م.

*د/ أحمد أمين محمد جمعة:

٢٧٦. المؤسسات الإسلامية في منطقة آسيا الوسطى "دراسة حضارية معمارية أثرية"، رسالة دكتوراه مقدمة لمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، سنة، ٢٠٠٢م.

*د/ عفاف السيد زيدان:

٢٧٧. فرخي سيستاني (عصره، بيئته، وشعره)، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الدكتوراه من كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٧٥م.

ثانياً: رسائل ماجستير:

*دعاء عبدالرحمن علي محمد:

٢٧٨. الوزارة في عهد السلاجقة (٤٢٩-٥٩٠هـ/١٠٣٧-١١٩٣م)، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية الآداب، جامعة الزقازيق، قسم التاريخ، فرع التاريخ الإسلامي، سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

*صلاح الدين علي محمد عاشور:

٢٧٩. الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م)، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية اللغة العربية، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

*شوقي عبدالفتاح السيد إبراهيم:

٢٨٠. الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المشرق في عهد السلطان سنجر بن ملكشاه في الفترة من ٥١١هـ/٥٢٢هـ، رسالة ماجستير، مقدمة لكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

*عزة عبد الله محمود:

٢٨١. محمد عوفى وكتابه لباب الألباب، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٩٤م.

*عفاف زيدان:

٢٨٢. دراسة عن شاعر الفرس أبي القاسم حسن بن أحمد العنصري، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

*فتح الله عبد الباقي إبراهيم الصفتي:

٢٨٣. السياسة الخارجية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي، رسالة ماجستير مقدمة لقسم التاريخ والآثار المصرية الإسلامية، كلية الآداب، فرع دمنهور، جامعة إسكندرية، سنة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

*محمد السيد إبراهيم البساطي:

٢٨٤. الحياة العلمية في مرو من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر الشريف، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

*محمد نور الدين عبد المنعم:

٢٨٥. منوجهري الدامغاني (دراسة الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري)، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٦م.

*محمد يوسف علام عبد العال:

٢٨٦. الحركة العلمية في غزنة ونيسابور إبان العصر الغزنوي" (٣٦٦-٤٤٤هـ / ٩٧٦-١٠٥٢م)، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالقاهرة، سنة ١٩٩٨م.

*مصطفى شوقي إبراهيم مصطفى:

٢٨٧. التراث الحضاري الإسلامي في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية (دراسة للعمارة والفنون) من القرن (٣هـ - ١٠هـ / ٩ - ١٦م)، رسالة ماجستير مقدمة لمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، سنة ٢٠٠١م.

▣ سادساً: المعاجم والدوريات والموسوعات والمؤتمرات:

* حسن مجيب المصري:

٢٨٨. المعجم الفارسي العربي الجامع، القاهرة، ١٩٨٤م.

* أ. د/ سعد بن حذيفة الغامدي:

٢٨٩. إيرادات بيت مال محمود الغزنوي وأوجه صرفها، "الإجماع الدوري لجمعية إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة"، تاريخ العالم العربي والإسلامي عبر العصور "التاريخ الاقتصادي عبر العصور"، سنة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

*مجمع اللغة العربية:

٢٩٠. المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

*مجموعة مؤلفين:

٢٩١. موسوعة قصة وتاريخ الحضارة العربية، الجزء (٢٥-٢٦)، شعراء العرب وأدباؤهم من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، سنة ١٩٩٨م.

*مجلات عربية وإسلامية:

٢٩٢. مجلة الأنباء الأفغانية، سبتمبر، سنة ٢٠٠٧م.

٢٩٣. مجلة العربي، مايو ١٩٨٧م، العدد ٣٤٢.

٢٩٤. مجلة العرب اليمنية، يوميات الثقافة، الثلاثاء، ٩/٩/٢٠٠٨.

*محمد عبد المطلب أحمد:

٢٩٥. النظام الاقتصادي في الإسلام، دراسات في الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد (٤٧).

*محمود طه أبو العلا:

٢٩٦. (الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنهري جيحون وسيحون في آسيا الوسطى)، مؤتمر المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، القاهرة، جامعة الأزهر، المحور الاقتصادي، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

*مسعود الخوند:

٢٩٧. الموسوعة التاريخية الجغرافية، إصدار خاص، بيروت، لبنان، الجزء الثاني "آسيا، ألبانيا".

*الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب القديمة والمعاصرة:

٢٩٨. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٢٩٩. موسوعة الأديان في العالم "الديانات القديمة"، دار كريبس انترناشيونال، الطبعة الأصلية، سنة ٢٠٠٠م.

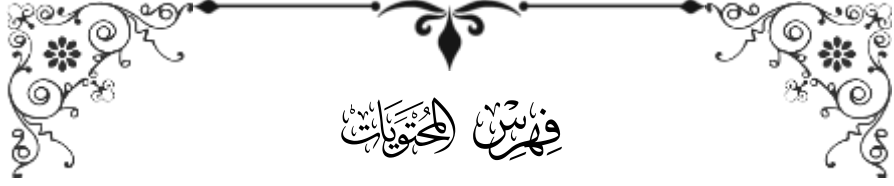
*وزارة الإعلام العراقية:

٣٠٠. مجلة المورد "مجلة تراثية فصلية"، المجلد الأول، العددان ٣-٤، دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

* د. يحيى الخشاب:

٣٠١. الشاهامنة، مقالة في سلسلة تراث الإنسانية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المجلد الرابع، ٥ يونيو، سنة ١٩٦٦ م.





٧.....	الإهداء
٨.....	المقدمة
١١.....	أهمية الموضوع وأسباب اختياره:
١٤.....	منهج البحث:
١٦.....	الدراسات السابقة:
١٨.....	صعوبات البحث:
١٩.....	دراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث:
٢٧.....	تقسيم البحث وخطته:
٣٢.....	شكر وعرهان
٣٥.....	التمهيد: تحديد المفاهيم
٣٦.....	تحديد المفاهيم
٣٦.....	أولاً: تعريف الدعوة:
٤١.....	ثانياً: تعريف الحضارة:
٤٦.....	ثالثاً: التعريف بأفغانستان قاعدة انطلاق الدولة الغزنوية:
٥٥.....	الباب الأول: جهود الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى في عهد السلطان محمود
	الفصل الأول: المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية والحديث عن

- قيامها ٥٧
- المبحث الأول: المشرق الإسلامي قبيل ظهور الدولة الغزنوية ٥٨
- المطلب الأول: الحياة السياسية في المشرق قبيل ظهور الدول المستقلة: ٥٨
- المطلب الثاني: دور الفرس في ظهور الدول المستقلة بالمشرق: ٦٣
- أولاً: الدولة الصفارية: ٦٤
- ثانياً: الدولة السامانية: ٦٨
- المبحث الثاني: الدولة الغزنوية نشأتها، وأحوالها السياسية حتى وفاة سُبُكْتُكِين .. ٧٤
- المطلب الأول: جهود الطائفة الألبتكينية في قيام الدولة الغزنوية: ٧٤
- المطلب الثاني: أبو منصور سُبُكْتُكِين نشأته وجهوده في قيام الدولة الغزنوية: ٧٨
- الفصل الثاني: التعريف بالسلطان محمود الغزنوي ٨٧
- المبحث الأول: محمود الغزنوي، أسرته، مولده ونشأته ٨٨
- المطلب الأول: السلطان محمود الغزنوي، أسرته: ٨٨
- المطلب الثاني: مولد السلطان محمود ونشأته: ٩٣
- المبحث الثاني: صفات السلطان محمود وأخلاقه، عقيدته ومذهبه ٩٥
- المطلب الأول: صفات السلطان محمود وأخلاقه: ٩٥
- المطلب الثاني: عقيدة السلطان محمود ومذهبه: ١٠٠
- المبحث الثالث: الصراع حول العرش والوصول إلى الحكم ١٠١
- المبحث الرابع: علاقته بالدولة السامانية، والخليفة العباسي وخلع الألقاب عليه ١٠٥
- المطلب الأول: علاقته بالدولة السامانية: ١٠٥
- المطلب الثاني: علاقة السلطان محمود بالخليفة العباسي وخلع الألقاب عليه: ١٠٦

- المبحث الخامس: وفاة السلطان محمود الغزنوي..... ١١١
- الفصل الثالث: الأسباب والعوامل التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى..... ١١٥
- المبحث الأول: الأسباب المادية التي دفعت الدولة الغزنوية للدعوة إلى الله تعالى..... ١١٦
- المطلب الأول: تأمين الحدود:..... ١١٦
- المطلب الثاني: إحياء فريضة الجهاد في سبيل الله:..... ١١٩
- المبحث الثاني: أهم العوامل والأسباب المعنوية التي دفعت الدولة الغزنوية لنشر الإسلام والدعوة إلى الله..... ١٢٨
- المطلب الأول: حب الإسلام والغيرة على الدين رجاء الأجر من الله تعالى: .. ١٢٨
- المطلب الثاني: إعلاء كلمة الله والفوز بإحدى الحسينين:..... ١٣٣
- الفصل الرابع: الأساليب التي تبنتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى ... ١٣٧
- المبحث الأول: تمسك الدولة بالأخلاق الإسلامية في تعاملها مع رعاياها وأهالي البلاد المفتوحة والاهتمام بالعلماء وتقريبهم..... ١٣٨
- المطلب الأول: رحمة الدولة بالرعية ومعاملتها السمحة مع أهالي البلاد المفتوحة:..... ١٣٨
- المطلب الثاني: حب الدولة للعلماء وتقريبهم والاهتمام بهم..... ١٤٢
- المبحث الثاني: الاعتماد على الأكفاء من الوزراء والكتاب والقضاة وغيرهم .. ١٤٦
- المطلب الأول: اعتماد الدولة على الأكفاء من الوزراء:..... ١٤٦
- المطلب الثاني: الاعتماد على الأكفاء من القضاة والكتاب وغيرهم:..... ١٤٩
- المبحث الثالث: مواجهة الفكر المنحرف بالفكر الصحيح الصريح داخل

- حدود الدولة ١٥٥
- المطلب الأول: القضاء على الدولة البويهية، وغيرها من الفرق الضالة والأفكار المنحرفة: ١٥٦
- المطلب الثاني: تحالف الدولة الغزنوية مع الخلافة العباسية ضد الدولة الفاطمية ١٦٢
- المطلب الثالث: نشر الدولة الغزنوية للسنة ومحاربتها للبدعة: ١٦٣
- المطلب الرابع: حراسة الدولة الغزنوية للدين وإقامتها للعدل: ١٦٤
- المبحث الرابع: أشهر الدعاة الذين اعتمدت عليهم الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى ١٧٠
- الفصل الخامس: الوسائل التي استخدمتها الدولة الغزنوية في الدعوة إلى الله تعالى ١٧٧
- المبحث الأول: إعداد الجيوش وتحديث السلاح وإشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة ١٧٨
- المطلب الأول: إعداد الجيوش وتحديث السلاح: ١٧٨
- المطلب الثاني: إشراك أهل البلاد المفتوحة في الجيش ومناصب الدولة: .. ١٨٥
- المبحث الثاني: تأمين الطرق ونبد الفرقة والخلاف والقضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية ١٩٠
- المطلب الأول: تأمين الدولة الغزنوية للطرق داخل وخارج حدودها: ١٩٠
- المطلب الثاني: نبد الفرقة والخلاف والقضاء على الفتن والثورات الداخلية والخارجية: ١٩٥
- المبحث الثالث: مواجهة أهل العقائد المنحرفة والملل الزائغة خارج حدود

- الدولة ٢٠١
- المطلب الأول: القضاء على أكبر ملوك الهند جييال: ٢٠١
- المطلب الثاني: هدم صنم الهندوس الأكبر سومنات وإبطال خرافتهم
المزعومة: ٢٠٧
- الباب الثاني: الإنجازات الحضارية للدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود الغزنوي ٢١٥**
- تقديم: السمات العامة للحضارة الإسلامية في الدولة الغزنوية في عصر السلطان
محمود ٢١٦
- الفصل الأول: إنجازات الدولة في الناحية السياسية والإدارية ٢٢١
- المبحث الأول: نظام الحكم ٢٢٢
- المطلب الأول: سلطان الدولة: ٢٢٢
- المطلب الثاني: الوزارة: ٢٢٦
- المطلب الثالث: الحجابة: ٢٣٢
- المطلب الرابع: المشرف على المملكة: ٢٣٤
- المطلب الخامس: العارض أو قائد الجيش: ٢٣٦
- المبحث الثاني: الوظائف الإدارية والدواوين ٢٣٨
- المطلب الثاني: الوظائف الإدارية: ٢٣٨
- المطلب الثاني: الدواوين ٢٤٥
- الفصل الثاني: إنجازات الدولة في الناحية الاقتصادية ٢٥٥**
- المبحث الأول: الثروة الزراعية ٢٥٦
- المطلب الأول: الأراضي الزراعية ونظام الري: ٢٥٦
- المطلب الثاني: المحاصيل الزراعية: ٢٦٠

- المطلب الثالث: الثروة الحيوانية والرعي: ٢٦٤
- المبحث الثاني: مظاهر تقدم الصناعة ٢٦٦
- المطلب الأول: الصناعات التي قامت على المعادن: ٢٦٦
- المطلب الثاني: المنسوجات القطنية والحريرية: ٢٦٨
- المطلب الثالث: السجاد وأنواعه، والصناعات الجلدية: ٢٧١
- المطلب الرابع: الصناعات الخشبية، وصناعات أخرى: ٢٧٢
- المبحث الثالث: النشاط التجاري ٢٧٥
- المبحث الرابع: موارد الدولة الغزنوية وأوجه إنفاقها ٢٨٤
- أولاً: موارد الدولة الغزنوية: ٢٨٤
- ثانياً: أوجه إنفاقها ٢٩٢
- الفصل الثالث: إنجازات الدولة في الناحية الاجتماعية ٢٩٣
- المبحث الأول: عناصر السكان ودورهم في الحياة الاجتماعية في الدولة الغزنوية ٢٩٤
- المبحث الثاني: الأعياد والمجالس الاجتماعية وأنواع التسلية ٣٠٦
- المطلب الأول: الأعياد في الدولة الغزنوية: ٣٠٦
- المطلب الثاني: المجالس الاجتماعية في الدولة الغزنوية: ٣١٢
- المطلب الثالث: أنواع التسلية في الدولة الغزنوية: ٣١٥
- المبحث الثالث: الأخلاق والعادات في الدولة الغزنوية ٣١٨
- الفصل الرابع: إنجازات الدولة في الناحية الثقافية ٣٢٥
- المبحث الأول: المراكز الثقافية والمكتبات والمدارس ودورها في الدولة الغزنوية ٣٢٦

- المطلب الأول: المراكز الثقافية ودورها في الدولة الغزنوية: ٣٢٦
- المطلب الثاني: المكتبات ودورها في الدولة الغزنوية: ٣٣١
- المطلب الثالث: المدارس والمجالس العلمية ودورها في الدولة الغزنوية: ٣٣٥
- المبحث الثاني: الحياة الدينية والفرق والمذاهب في الدولة الغزنوية ٣٤٣
- المبحث الثالث: العلوم والآداب ٣٥٦
- المطلب الأول: العلوم الدينية: ٣٥٧
- المطلب الثاني: العلوم الإنسانية: ٣٦٨
- المطلب الثالث: ازدهار العلوم العقلية ودور العلماء في هذا المجال: ٣٨٠
- الفصل الخامس: الشبه حول الدولة وسلطانها والرد عليها ٣٨٥
- المبحث الأول: شبهة موقف الدولة بقيادة سلطانها من الشاعر الفردوسي والرد عليها ٣٨٦
- المبحث الثاني: شبهة اتهام الدولة بأنها ولّت وجهًا نحو الهند لتكفر عن حروبها ضد المسلمين في آسيا الوسطى والردّ عليها ٤٠٠
- المبحث الثالث: شبهة اتهام الدولة بأنّ غزواتها كانت من أجل المال، وشبهه أخرى ٤٠٨
- خاتمة البحث** ٤١٥
- أهم التوصيات والاقتراحات: ٤٢٠
- ثبت المصادر والمراجع** ٤٢٢
- ٤٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وكتبه

دكتور/ محمد ثروت السيد عبدالرحيم

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ

وكان الفراغ منه مساء الأربعاء ٢٩ رجب ١٤٤٦هـ / ٢٩ يناير ٢٠٢٥م

للتواصل مع المؤلف فون وواتساب

٠١٠٩١٩١٠٤٩٢ - ٠١٠٠٩٨٧٨٥٧٦ (٠٠٢)

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ